بسم الله الرحمن الرحيم

معالم سيرة الزهراء عليها السلام

الجزء الأول



طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة



الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢١ - ١٤٥٩

BP80.F36 M8 2021

مبارك، رحيم حسين--مؤلف.

معالم سيرة الزهراء عليها السلام / تأليف رحيم حسين مبارك -- الطبعة الأولى. -- كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث، ٢٠٢١ / ١٤٤٢ للهجرة.

٢ مجلد. -- (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٩١٢)، (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ٢٦٨)، (شعبة الدراسات والبحوث ؛ ١٩٨).

يتضمن مراجع ببليوغرافية

ردمك: ٧-١-٠-٦٥٥-٩٩٢٢-٩٧٨

١. فاطمة الزهراء (سلام الله عليها)، ٨ قبل الهجرة - ١١ للهجرة. --سيرة ٢. أهل بيت الرسول عليهم السلام (الشيعة الإمامية)—تراجم. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث – جهة مصدرة ب. العنوان

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.



معالم سيرة الزهراء عليها السلام

الجزء الأول

تأليف
رحيم حسين مبارك

إصدار شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الحسينية المقدسة



وحدة الدراسات التخصصية
في الإمام الحسين عليه السلام

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: معالم سيرة الزهراء الجزء الأول.

المؤلف: رحيم حسين مبارك.

الناشر: العتبة الحسينية المقدسة.

المطبعة: دار الوارث.

عدد النسخ: ٥٠٠.

سنة الطبع: ٢٠٢١ م - ١٤٤٢ هـ.

الطبعة: الأولى.

مكان الطبع: العراق / كربلاء المقدسة.

التصميم والإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطمة الزهراء عليها السلام امرأة من الدوحة الهاشمية والسلالة الإبراهيمية، أنجبها خاتمُ الأنبياء والرسل وأفضلُهم محتداً وأقربهم إلى الله تعالى منزلة؛ وترعرعت في مهد البيت النبوي تتنسّم عطر النبوة وتسمع هَينمة الملائكة، وكبرت في أحضان أوّل امرأة آمنت برسول الله صلى الله عليه وآله وعاضدته وآزرته، ورضعت من ثدي الإيمان والتقوى، فبلغت شأواً لم تبلغه امرأةٌ قطّ من الأوّلين ولا تطمع في إدراكه امرأة من الآخرين؛ فهي امرأة كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله ابنةً لا كالبنات، فقد كانت بعطفها ورعايتها إلى الأُمّ الرؤوم أقربَ منها إلى البنت. وكانت لوصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليهم السلام زوجةً وفية صابرة مضحية، آزرته في مراحل حياته الشريفة ودافعتْ عن ولايته وإمامته، حتى انتهى بها الأمر إلى تقديم حياتها الغالية النفيسة في مِتراس الدفاع عن الولاية، وحرصاً على إنقاذ الأمّة من الهوة التي كادت تتردّى فيها بعد حادثة السقيفة المشؤومة.

فاطمة عليها السلام مجمع الكمالات، مثال الإنسان الكامل وتجلّي اسم الله الأعظم في عالم الوجود. فاطمة مثال الكمال والجمال الذي خلع عليه الربُّ الودود رداءً بشرياً، فلمّا تجلى للبشرية قال تعالى عن خلقه ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

فاطمة عليها السلام فوق حدود وصفنا القاصر وأذهاننا المكدودة، لا يصفها حقّ وصفها إلاّ الذي أنجبها وربّاها، حيث يقول في وصفها: «**لو كان الحُسن شخصاً، لكان**

فاطمة! بل هي أعظم!! إنَّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً».

تُرى أيّ امرأة - سواها - حظيتْ بمنزلة أن تكون محوراً لرضا الله تعالى وغضبه، بحيث يرضى تبارك وتعالى لرضاها ويغضب لغضبها؟! أيّ امرأة في الوجود افتخر بها أبوها خاتمُ الرسل صلى الله عليه وآله وسمّاها «**أمّ أبيها**» وقال عنها «**فِداها أبوها**»؟

وأيّ زوجة افتخر بها زوجُها خاتم الأوصياء عليه السلام في مناشداته وأشعاره المعروفة، بحيث عدّ زواجَه منها في مصاف أعظم مناقبه؟! وأيّ أمٍّ افتخر بها أولادُها الأئمة الهداة المعصومون، حتى قالوا في علوّ شأنها «**نحن حجّة الله على الخلق، وجدّتُنا فاطمة حجّة الله علينا**»؟!

إنَّ العالم كله يترقّب ظهور منجي البشرية المهدي المنتظر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، والمؤمنون في لهفة لإطلالته المباركة، وفي تطلّع للعيش في دولته الكريمة، وفي التأسّي بسيرته الشريفة، لكنّ خاتم الأولياء والأئمة عليه السلام يقول: «**لي في ابنة رسول الله أسوةٌ حسنة**»!

ولقد أوضح لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام بأجلى بيان بـ«**إنَّ الناس لو عَلِموا محاسنَ كلامنا لاتّبعونا**»؛ لأنّ المتابعة فرع المعرفة. وما لم نتعرّف تفصيليّاً - في حدود الوسع - على حياة المعصومين، فأنّى لنا متابعتهم واقتفاء آثارهم الشريفة؟! وما دام (نهج الحياة الإسلامية) يمثل اليوم أحد محاور الاهتمام الكبير لأصحاب الفكر والمعرفة، فإنَّ سيرة ونهج المعصومين عليهم السلام المبنيّتين على أساس التعاليم الإسلاميّة الأصيلة ستكون مفتاح الطريق في بيان النهج الأفضل اللائق لحياة المسلمين. ومن هنا جاءت فكرة تأليف هذا الكتاب، من أجل بيان معالم من سيرة الزهراء عليها السلام وملامح من

نهجها وسلوكها، لأجل أن يتأسّى المؤمنون عموماً والمؤمنات خصوصاً بسيرة الزهراء عليها السلام، واضعين نصبَ أعيننا أنّها محور الحق وميزان رضا الله تعالى، وأنّها بضعة من رسول الله تعالى التي عدّها جزءاً لا يتجزأ منه، بحيث عدّ فِعلَها فعلَ نفسه الشريفة في قصّة أبي لبابة الشهيرة - وقد أوردناها في طيات الكتاب - فتكون سيرتُها عليها السلام سيرة رسول الله تعالى نفسها، ويكون لِزاماً على المؤمنين الاستنان بسنّتها والسير على هديها تبعاً للأمر الإلهي ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

لقد شاءت الإرادة الإلهية أن تحوز ذرية نبينا الكريم صلى الله عليه وآله قصب السبق على ذراري الأنبياء والمرسلين، بل فاقت في الفضل والمنزلة الأنبياء والأوصياء والأولياء، وأضحت هادية للخواص والعوام من الأولين والآخرين. وكان لسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام منزلة خاصة في هذا الشأن، بحيث نالت عن جدارة واستحقاق لقبَ (سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين)، وأضحت زوجة سيد الأوصياء وأمّاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

لقد سطعت شخصية الزهراء فاطمة عليها السلام في برهة زمنية قصيرة - لم يقدّر لها أن تطول - على نفوس البشر الغارقة في الظلام، لكن آثارها لا تزال باقية راسخة لا تزول إلاّ بزوال هذا الوجود، ومن هنا صار لزاماً أن نتعرّف على العظمة الوجودية لفاطمة الزهراء عليها السلام وأبعاد حياتها.

ومع شديد الأسف، فقد أغفل التاريخ - أو تغافل عن - تدوين تفاصيل حياة هذه البضعة الطاهرة لأسباب مختلفة، فتعسر بيان أبعادها الوجودية وسيرتها وملامح شخصيّتها على المستويين الفردي والاجتماعي. ومع ذلك، يمكن التدقيق في الروايات المحدودة الموجودة بعناية مضاعفة لاستكشاف تلك الأبعاد والملامح.

وقد أفدنا في هذا المجال من المصادر الأصيلة في التاريخ والسيرة والفقه الإسلاميّ، وقد راجعنا وأفدنا من عدد كبير من المؤلفات التي دوّنت في حياة هذه السيّدة الجليلة سلام الله عليها وسيرتها العطرة باللغتين العربية والفارسيّة.

وأودّ في هذا المجال أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير لسماحة الشيخ علي الفتلاوي لمراجعته الكتاب وإبدائه ملاحظاته القيّمة التي أثرت الكتاب وأغنته، جزاه الله تعالى خيراً، وحشره مع مولاته الزهراء عليها السلام.

نسأله تعالى - وهو خير مسؤول - أن يمنّ علينا باقتفاء أثرها المبارك والسير على نهجها النيّر، وأن يرزقنا شفاعتها وشفاعة أبيها وبعلها وبنيها يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إنَّه أرحم الرحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رحيم حسين مبارك

النجف الأشرف

الخامس عشر من شهر رمضان المبارك

لسنة ١٤٣٦ هجرية



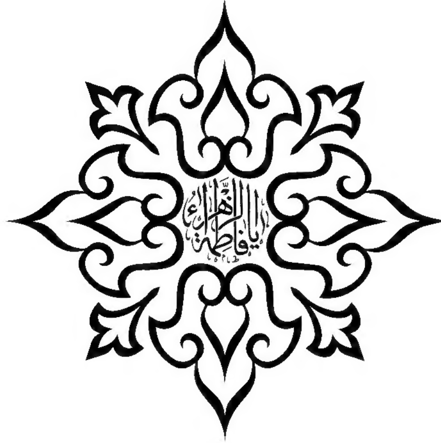
معالم سيرة الزهراء عليها السلام

من دأب المناهج الفكرية حين تولد أن تسعى في كسب اهتمام عامة الناس وتأييدهم، وتوظّف لهذا الغرض مختلف السبل والوسائل، وصولاً إلى تحقيق أهداف تلك المناهج. ولمّا كان المنهج الإسلامي (المعتمد على القرآن الكريم) مستنداً في معارفه وأفكاره على الفطرة الإنسانية القويمة، فإنَّه سيكون ممكن التطبيق بصورة مثالية بالنسبة للأشخاص الذين يمتلكون فطرة سليمة وقلباً سليماً، وبعبارة أُخرى فإنّ المعصوم وحده سيكون هو القادر على تجسيد المثال الحي والمصداق الكامل للصورة التي تسعى النظرية والنهج الإسلامي إلى تحقيقها في الفرد المسلم. وقد سعى المنهج الإسلامي إلى تقديم نماذج بارزة وصور مشرقة للمؤمنين الذين بلغوا درجات سامية نتيجة التزامهم بالمنهج الإسلامي، من أجل أن يكونوا قدوة لسواهم؛ كما سعى في الوقت نفسه إلى تقديم نماذج بارزة للكافرين الذين انحطوا إلى أسفل الدركات نتيجة مواجهتهم للنظرية الإسلامية وكفرهم بها، من أجل أن ينفر الناس منهم ويجتنبوا سيرتهم.

ولقد قدّم القرآن الكريم في كثير من آياته صوراً للمؤمنين الراسخين في عقيدتهم، من الذين حفظوا إيمانهم في أحلك الظروف ولم ينحرفوا عن الصراط القويم قيد شعرة؛ فامتدح هؤلاء المؤمنين وأثنى عليهم أجمل ثناء. وقد شاهدنا في القرآن الكريم صوراً لنساء ضربن المثل الأعلى في الإيمان في أُمهن، كمريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وأمِّ النبي موسى عليه السلام، وأخته، وبنات النبي شعيب عليه السلام اللواتي كنّ قدوة لنساء عصرهنّ.

ونجد - في المقابل - أن شخصيات عظيمة كشخصية فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام بقيت مجهولة ولم تنل ما يليق بها من التعريف والدراسة، فلماذا يا ترى بقيت شخصية سيدة نساء العالمين عليها السلام مجهولة؟

لعلّ من أسباب بقاء مثل هذه الشخصية العظيمة مجهولة: عدم النظر إليها بعمق يكشف عن أبعاد شخصيتها، فالنظرة السطحية الأُحاديّة إلى شخصيّتها سلام الله عليها أو النظرة التاريخيّة المحضة إلى حياتها سلام الله عليها، يضاف إليهما أمرُ عدم التطرق إلى حياتها وشخصيتها في الكتب المدرسية والمناهج التعليميّة وعدم التحقيق في أبعاد شخصيتها من قبل المفكرين والمؤلفين والمحققين إلاّ ما ندر، وعدم وجود آثار مهمّة مطبوعة تتحدّث عن شخصيّتها على نحو تفصيليّ، هذه الأسباب وأمثالها أدّت متعاضدةً إلى مجهوليّة هذه الشخصية المهمة، وحرمت الأمَّة الإسلاميّة - والنساء بخاصّة - من التعرّف على معالم هذه المرأة الأُسوة التي بلغت الذروة في درجات الفضل والقُرب الإلهيّ، بحيث جعلها الله تعالى سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنّة.



ضرورة التعرف إلى شخصيّة الزهراء عليها السلام في عصرنا الحاضر:

البحث في شخصية الزهراء عليها السلام يمثل بحثاً عن شخصية امرأة أوفت خلال حياتها القصيرة المبتورة بأدوار مهمة متعدّدة في التاريخ الإسلامي، بحيث أضحت كلّ صفحة من صفحات تاريخها الجهاديّ الحافل مصدر دروس وعِبر غنيّة لنا وللأجيال القادمة، فالزهراء عليها السلام لم تختصّ بعصرها فحسب، بل كانت أُسوة خالدة لكلّ العصور والأزمنة. يضاف إلى ذلك أنّ البحث في شخصية الزهراء عليها السلام يجسّد بحثاً عن (الأُمّ) التي هي منشأ إصلاح المجتمع،كما أنَّ البحث في شخصية الزهراء عليها السلام وبيان تفاصيل وجوانب حياتها المباركة سيكون عاملاً مهماً في إيجاد الحلول الناجعة لكثير من المشاكل التي يعاني منها الشباب في مجتمعاتنا المعاصرة التي تصارع في مواجهة موجات الانحلال الأخلاقي والانحراف العقائدي، وفوق ذلك كلّه فإنّ التعرّف على فاطمة عليها السلام هو في حقيقته تعرّف على الإسلام ودراسة للرسالة الإلهيّة الخاتمة.

وتحتاج الفتاة المسلمة والمرأة المسلمة اليوم إلى مثل أعلى تقتفي أثره وتسير على نهجه في حياتها التي تتطلع فيها إلى أن تكون امرأة صالحة ناجحة، تسهم في الحياة الاجتماعية إسهاماً فاعلاً وتطوي مراحل التقدم العلمي في مجالات الحياة، واضعة نصب أعينها الغاية الكبرى وهي مرضاة الله تبارك وتعالى. تحتاج الفتاة المسلمة إلى التعرّف على مقوّمات الشخصية الأنثوية الملتزمة، وإلى استكشاف الدور الكبير الذي أعدته لها الشريعة الغرّاء كي تقوم به باعتبار إمكاناتها وقابلياتها، وإلى معرفة حدود الإطار الذي

يتوجّب عليها التحرّك ضمنه، كي تضمن أنَّها في سعيها الدائب لكسب مهارات الحياة ودرجات الرقي العلمي والفكري لا تبتعد عن الصراط السوي الذي رسمه لها خالقها الحكيم، وأنَّها - في المقابل - في التزامها بحدود الشريعة السمحة لا تضيّع فرصة للتقدم والتطوّر العلمي تتوصّل من خلالها إلى تحقيق قناعاتها في الحياة الكريمة، وإلى المساهمة في بناء حياة أفضل لزوجها وأبنائها ومجتمعها.

كما تحتاج المرأة المسلمة اليوم إلى التعرّف بشكل أفضل على الأنموذج الأمثل للمرأة المسلمة في حركتها داخل بيتها وخارجه، إذ يتوجب عليها أن تدرك على نحو تفصيلي كيف تتعامل مع زوجها معاملة صحيحة تُرضيه وترضي الخالق تبارك وتعالى، وكيف تشاركه حياته بكل تفاصيلها، وكيف تكون له نِعم العون على دُنياه وآخرته؛ وكيف تتعامل مع أطفالها الذين يُنتظر منها إعدادهم ليكونوا رجال المستقبل وبناته الصالحين.

تحتاج المرأة المسلمة أن تتعرّف كيف عاشت سيدة النساء عليها السلام حياتها بكل دقائقها، وكيف تصرّفت في زمن المحنة والمحاصرة في شعب أبي طالب، وكيف تعاملت مع أبيها - خاتم الأنبياء والمرسلين - فعوّضته عن حنان الأمِّ الرؤوف، حتى دعاها أمَّاً لأبيها؛ وإلى أن ترى كيف عاشت الزهراء المرضيّة عليها السلام في فترة صباها وشبابها؟ وكيف تعاملت مع خالقها جبّار السماوات والأرضين حتى باهى بها ملائكته وأخدمها إيّاهم؟ وكيف ربّت أطفالها في بيت تفيض بالبساطة أركانه وأرجاؤه، وكيف زرعت فيهم نفوساً أبية كبيرة فكان كل واحد منهم كوكباً لامعاً في سماء الإنسانية إلى يوم القيامة. كيف سكنت الزهراء عليها السلام بيتها الصغير المتواضع بإمكاناته المادية، السامي بمعنويّاته، ونفخت فيه من روحها وأفاضت عليه من عنايتها فجعلته - وهو البيت البسيط - يشمخ على بيوت الدنيا بالعبادة والإيثار والمحبّة والتضحية. بلى إذن الله

تعالى لبيتها أن يُرفع ويُذكر فيه اسمُه، واستثنى باب بيتها - الذي هوجم في فترة مظلمة لاحقة - من أن يُسدّ ويُعزل عن مسجد رسول الله، بينما أمر - في المقابل - بسدّ أبواب كل البيوت التي كانت تتطاول في البناء والإمكانات، وتتباهى بأُمور الرفاهية الدنيوية.

حريّ بصغارنا وأطفالنا أن يتعرفوا منذ نعومة أظفارهم على هذه الشخصية النموذجية ولو بقدر ما تتسع له أذهانهم وإدراكاتهم، وأن يُشار لهم - ولو من بُعد - إلى هذه المرأة الكاملة التي شاءت لها مشيئة الرب المنّان أن تهبط من ذروة سماواته إلى هذه البسيطة لتكون حجّة على خلقه، وأُسوة لعباده المؤمنين، ومثالاً يُحتذى للعابدين والصالحين.

ومن النافع، بل الضروري لفتياتنا ونسائنا اليوم أن يتعرفن - بدرجة أكبر - على الشخصية النموذجية التي أُريدَ لهن السير على هديها، إذ ما لم تحصل المعرفة بدرجة جيّدة فقد لا تتحقق المتابعة بدرجة كافية، بل قد لا تحصل أصلاً، إذ كيف يتابع المرء شخصاً لا يعرف عنه إلَّا النزر اليسير اليسير.

فاطمة عليها السلام أسوة لكلّ امرأة وُجدت منذ عصرها وإلى وقتنا الحاضر، كما أنَّها أسوة لكل امرأة ستوجد إلى قيام الساعة. وهي بطبيعة الحال أُسوة كاملة للنساء اللواتي يجعلن نصب أعينهنّ حفظ الشرف الإنساني والدفاع عن التقوى والعفاف! فاطمة عليها السلام أُسوة للمرأة الهادفة ذات الأهداف الأصيلة التي تنمو في ظلّها إنسانيّة الإنسان وتتأصّل إلى جانبها حياته التي يرضاها الله تعالى. هي أُسوة وقدوة في التحرّر من أسر كلّ رجس ومعصية، والابتعاد عن كل مدعاة للعبوديّة والأسر.

لقد علّمت أجيال النساء دروساً فريدة في أنّ بإمكانهنّ الالتفات إلى زينة شموخ الروح وعلوّ الهمّة - كزينة أصيلة ثابتة - لمخاطبة القلوب والعقول في طريق مرضاة

الخالق بدلاً من الانغماس في أسر زينة البدن الرخيصة السطحية.

أرشدت الزهراءُ عليها السلام إلى أنَّ بإمكان النساء - في موارد الضرورة - أن يعملن أعمال الرجال دون أن يلوّثن أبصارهنّ بالنظر إلى الرجال الأجانب، وعلّمتهنّ كيف يدافعن عن حقوقهنّ وينهضن في وجه الظالم الغاصب من دون أن يتعرّضن في المقابل إلى ما لا يتلاءم مع عفّتهنّ وأصالتهنّ.

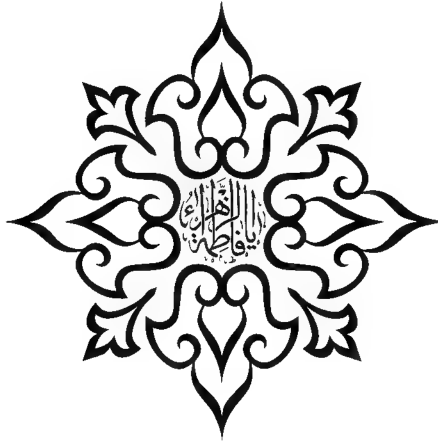
لقد كانت فاطمة عليها السلام أُسوة في تبليغ المعارف الإسلاميّة والفكرية التي تحملها إلى نساء العالم، ولم تتوقّف عن أداء هذه الرسالة إلى آخر يوم من حياتها القصيرة وانطفاء آخر شعلة في مصباح وجودها الزاهر بأنوار العلم والمعرفة.

ونلاحظ في هذا المجال أنَّ معظم المؤلفات التي أُلّفت في الزهراء فاطمة عليها السلام - على عِظم فائدتها وكبر قدرها - لم تتعرّض على نحو التفصيل لسيرة هذه الشخصية الفريدة التي تجسّد المرأة النموذجية المسلمة التي أراد لها ربّها أن تكون أُسوة للنساء المسلمات على امتداد الدهر، بل هي أُسوة للرجال المسلمين أيضاً في حدود الشخصية العامة المشتركة بين الرجل والمرأة. ويمثل هذا الكتاب محاولة متواضعة لعرض حياة سيدة نساء العالمين عليها السلام في مراحلها المختلفة، وبيان صور من سيرتها العطرة في رفقة أبيها خاتم الرسل صلى الله عليه وآله في مكة والمدينة، حيث كانت عليها السلام السندَ القوي لأبيها صلى الله عليه وآله، ثم سيرتها في صحبة بعلها أمير المؤمنين عليه السلام حيث شاركته حياته المباركة وعاضدته في مسيرة جهاده وتضحياته الطافحة بالعطاء؛ وقد ألقينا بعض الأضواء على موضوع خطبتها وزواجها وحياتها في بيتها وتربيتها أولادها سلام الله عليهم أجمعين؛ وأوردنا لمحات مضيئة من صفاتها الحميدة التي نزلت في إطرائها آيات القرآن تترى، والتي عبّر خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله عن

إعجابه الشديد بها قائلاً: «**فاطمة بضعة منّي**»، وأثار بعضُها تأثّره الشديد فبكى وقال: «**إنَّ ابنتي لفي الخيل السوابق**».

آملين أن يحظى موضوع الكتاب - وهو موسوعة حديثية مصغّرة عن الزهراء البتول عليها السلام - باهتمام أكبر ويكون موضوعاً لدراسات معمّقة تتناول الجوانب الفرديّة والاجتماعية لهذه الشخصية العظيمة التي كانت لأفضل الأنبياء وخاتمهم صلى الله عليه وآله أشبه بالأمّ منها بالبنت، وكانت لأفضل الأوصياء وخاتمهم عليه السلام زوجة وكفواً، وكانت لأئمة أهل البيت عليهم السلام أُمّاً وقُدوة؛ فضلاً عن شخصيتها الذاتية ومنزلتها الرفيعة كسيدة نساء العالمين.

ولا يفوتنا أن نذكر أنّنا قد تناولنا هذه الشخصية العظيمة على حدّ إدراكنا، مُستهدين ومُستنيرين بكلمات أبيها وزوجها وأبنائها صلوات الله عليهم أجمعين، إذ على معرفتها دارت القرون الأُولى، فمن عرفها فقد أدرك ليلة القدر، وقد فُطم الخلقُ عن معرفتها، فلا يعرفها حقّ معرفتها إلّا خالقها وأبوها وبعلها الذي كان كفواً لها.




فاطمة
بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني

الفصل الأول

ولادة الزهراء فاطمة عليها السلام
وتسميتها وخصائصها

ولادة برعاية إلهيّة

كانت ليلة لا تشبهها ليلة على مدى العصور والدهور؛ كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد انفرد بنفسه بعيداً عن قومه وبني جلدته، رسول اختارته السماء بعناية ليكون خاتم رسلها إلى أجيال البشر الذين عاصروه والذين سيأتون بعده! قد خشعت جدران بيت فاطمة بنت أسد (الذي اختاره لاعتكافه وعزلته) لسماع آهاته ومناجاته، وأعشبت أرضه من فيض دموعه؛ لا تراه إلا راكعاً أو ساجداً أو مسبّحاً مستغفراً، قد أشرق ليلُه بأنوار قيامه وأينع نهاره بثمار تضرّعه وصيامه.

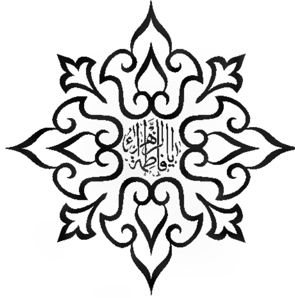
وهذه الليلة هي الليلة الأربعون التي مرت عليه منذ أن جاءه أمين الوحي في هيئته التي جاءه بها يوم هبط عليه بالوحي أول مرة؛ وأصدر إليه أمراً إلهياً عجيباً: أن يعتزل أقرب الناس إليه وأحبّهم إلى نفسه، أن يعتزل من وقف إلى جانبه وصدّقه وآزره وواساه! وهمس في أُذنه بالأمر الإلهي: اعتزل خديجة أربعين صباحاً!!

وهاهو في الليلة الأربعين يترقّب أمر ربّه الذي لم يأنس إلا بذكره، ولم يرجُ إلاّ إياه. رمق السماء بعينيه وقلبه مطمئناً أنَّ عناية الحق تعالى تكتنفه كل آن، ورنا بناظريه إلى نجومها التي ما برحت الليلة تومض في جذل غامض أمامه، ولم يطل انتظاره، فقد هبط عليه أمين الوحي بالبشارة: يا محمد! العلي الأعلى يقرئك السلام وهو يأمرك أن تتهيأ لتُحفته وتحيته!

ترى! ما الذي قررت السماء أن تتحف به أكرم الخلق عليها؟! أي تحفة عظيمة تستوجب هبوط أكرم ملائكة الله على أكرم خلق الله؟!

لقد شاءت عناية الرب أن تتحف خاتم الأنبياء والمرسلين بأنفس ما في خزائن الغيب: جوهرة فريدة يتجلى فيها اسم الله الأعظم، ومخلوقة حوراء إنسية تكون أُسوة وسيدة لجميع نساء العالمين. يكفي في بيان عصمتها وجلال خطرها أنَّ السماء صرّحت لأبيها بأنَّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها!! ويكفي في التلويح بمنزلتها من أبيها أن نقول إنَّها أمُّ أبيها وبهجة قلبه وروحه التي بين جنبيه؛ وحسبنا في بيان عظمة الذروة التي تقف عليها أن ننوّه بما كشفت عنه السماء من أنَّها كفء لأمير المؤمنين علي عليهما السلام، إذ (لولا عليّ، ما كان لفاطمة كفء، آدم فما دونه). لقد شاءت السماء أن تمنّ على هذه البسيطة برمز اللطف والحسن والجمال والكمال. لقد صاغت إرادةُ الربّ الودود الحسنَ والجمالَ والكمالَ فكان مخلوقةً حوراء إنسية أسماها ربُّها فاطمة، وأهداها إلى خاتم أنبيائه وإلى أمَّته خاتمة الأُمم لتكون سيدة نساء العالمين.

وحثّ رسول الله صلى الله عليه وآله الخطى إلى بيت خديجة الوفية الصابرة ليبشّرها أنَّ ربّها الودود قد أنعم عليها - جزاء إيمانها وصبرها ومؤازرتها وتضحياتها - بابنة لم تنجب أمٌّ قط مثلها، وأنَّ الخالق تبارك وتعالى أهداها أنيساً يُذهب وحشتها في ليالي هجران نساء قريش لها، ويقف إلى جانبها في أيام مقاطعة قريش في شعب أبي طالب.



فاطمة عليها السلام حصيلة عمر النبي وخديجة عليهما السلام

يروي العلامة المجلسي قصة حمل خديجة بالزهراء فاطمة سلام الله عليها، فيقول: بينا النبي صلى الله عليه وآله جالس بالأبطح ومعه عمار بن ياسر والمنذر بن الضحضاح وأبو بكر وعمر وعلي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وحمزة بن عبد المطلب، إذ هبط عليه جبرئيل عليه السلام في صورته العظمى، قد نشر أجنحته حتى أخذت من المشرق إلى المغرب، فناداه: يا محمد العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل عن خديجة أربعين صباحاً، فشقّ ذلك على النبي صلى الله عليه وآله، وكان لها محباً، وبها وامقاً.

قال: فأقام النبي صلى الله عليه وآله أربعين يوماً، يصوم النهار، ويقوم الليل، حتى إذا كان في آخر أيامه تلك بعث إلى خديجة بعمار بن ياسر وقال، قل لها: يا خديجة لا تظني أنَّ انقطاعي عنك هجرة ولا قلى، ولكنَّ ربي عز وجل أمرني بذلك لتنفذ أمره، فلا تظني يا خديجة إلا خيراً، فإنَّ الله عز وجل ليُباهي بك كرام ملائكته كلّ يوم مراراً، فإذا جنّكِ الليل فأجيفي الباب، وخذي مضجعك من فراشك، فإنِّي في منزل فاطمة بنت أسد، فجعلت خديجة تحزن في كل يوم مراراً لفقد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما كان في كمال الأربعين هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام، وهو يأمركَ أن تتأهّب لتحيته وتحفته، قال النبي صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل وما تحفة رب العالمين، وما تحيّته؟ قال: لا عِلم لي.

قال: فبينا النبي صلى الله عليه وآله كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس – أو قال: إستبرق – فوضعه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله، وأقبل جبرئيل

عليه السلام وقال: يا محمد يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: كان النبي صلى الله عليه وآله إذ أراد أن يفطر أمرني أن أفتح الباب لمن يرد إلى الإفطار، فلما كان في تلك الليلة أقعدني النبي صلى الله عليه وآله على باب المنزل، وقال: يا بن أبي طالب إنَّه طعام محرّم إلا عليَّ.

قال علي عليه السلام: «**فجلستُ على الباب وخلا النبي صلى الله عليه وآله بالطعام، وكشف الطبق فإذا عذق من رطب وعنقود من عنب، فأكل النبي صلى الله عليه وآله منه شبعاً، وشرب من الماء رياً، ومدّ يده للغسل فأفاض الماء عليه جبرئيل، وغسل يده ميكائيل، وتمندله إسرافيل، وارتفع فاضل الطعام مع الإناء إلى السماء، ثم قام النبي صلى الله عليه وآله ليصلي فأقبل عليه جبرئيل وقال: الصلاة محرّمة عليك في وقتك حتى تأتي إلى منزل خديجة فتواقعها، فإنَّ الله عز وجل آلى على نفسه أن يخلق من صُلبك في هذه الليلة ذرية طيبة، فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى منزل خديجة**».

قالت خديجة رضوان الله عليها: «**وكنت قد ألفتُ الوحدة، فكان إذا جنّني الليل غطّيت رأسي، وأسجفت ستري، وغلقت بابي، وصلّيت وردي، وأطفأت مصباحي، وآويت إلى فراشي، فلما كان في تلك الليلة لم أكن بالنائمة ولا بالمنتبهة إذ جاء النبي صلى الله عليه وآله فقرع الباب، فناديت: من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلا محمد صلى الله عليه وآله؟ قالت خديجة: فنادى النبي صلى الله عليه وآله بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه: افتحي يا خديجة فإنّي محمد**».

قالت خديجة: «**فقمت فرحة مستبشرة بالنبي صلى الله عليه وآله، وفتحت الباب، ودخل النبي المنزل، وكان صلى الله عليه وآله إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهّر للصلاة، ثم يقوم فيصلّي ركعتين يوجز فيهما، ثم يأوي إلى فراشه، فلما كان في تلك الليلة لم يدعُ**

بالإناء، ولم يتأهّب بالصلاة، غير أنَّه أخذ بعضدي وأقعدني على فراشه وداعبني ومازحني، وكان بيني وبينه ما يكون بين المرأة وبعلها، فلا والذي سمك السماء وأنبع الماء، ما تباعد عني النبي صلى الله عليه وآله حتى حسست بثقل فاطمة في بطني»[1].

فاطمة خُلقت من نور اللّه تعالى قبل أن يخلق الأرض والسماء

خلق الله تعالى نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وأهلَ بيته المطهّرين عليهم السلام من نوره تعالى، فجعلهم أنواراً تُحدق بعرشه، ثم خلع عليهم أردية بشريّة فمنّ علينا بهم، وجعلهم في بُيوت أذن اللهُ أن تُرفع ويُذكر فيها اسمُه. وهذا المعنى يخفى على البعض، ولذلك شاهدنا البعض يسأل من رسول الله (كيف تكون فاطمة حوراء إنسيّة؟)، وقد وردت أحاديث كثيرة تنبّه إلى هذا المعنى، وتوضّح حقيقة أنَّ الله تعالى خلق الناس من شجر شتّى، وخلق نبيَّه المرسل ووصيّه أمير المؤمنين من شجرة واحدة، كما وردت أحاديث متكاثرة في أنَّ أهل البيت عليهم السلام لا يُقاس بهم أحد.

روى الصدوق في معاني الأخبار عن سدير الصيرفي، عن أبي عبد الله، عن آبائه (عليهم السلام) قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق نور فاطمة (عليها السلام) قبل أن يخلق الأرض والسماء**»، فقال بعض الناس: يا نبي الله، فليست هي إنسية؟ فقال: «**فاطمة حوراء إنسية**»؛ قالوا: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: «**خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح، فلما خلق الله عز وجل آدم عُرضت على آدم**». قيل: يا نبي الله، وأين كانت فاطمة؟ قال: «**كانت في حُقّة تحت ساق العرش**». قالوا: يا نبي الله، فما كان طعامها؟ قال: «**التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد، فلما خلق الله عز**

(١) بحار الأنوار للمجلسي ١٦: ٧٨ – ٨٠.

وجل آدم وأخرجني من صلبه، وأحبَّ الله عز وجل أن يُخرجها من صلبي جعلها تفاحة في الجنة وأتاني بها جبرئيل عليه السلام فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد! قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل، فقال: يا محمد إنَّ ربك يقرئك السلام؛ قلت: منه السلام وإليه يعود السلام. قال: يا محمد إنَّ هذه تفاحة أهداها الله عز وجل إليك من الجنة. فأخذتها وضممتُها إلى صدري، قال: يا محمد يقول الله جل جلاله: كُلها! ففلقتها فرأيت نوراً ساطعاً وفزعت منه؛ فقال: يا محمد ما لك لا تأكل؟ كُلها ولا تخف فإنَّ ذلك النور للمنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة؛ قلت: حبيبي جبرئيل ولم سُمّيتْ في السماء المنصورة، وفي الأرض فاطمة؟ قال: سُمّيت في الأرض فاطمة لأنَّها فطمتْ شيعتَها من النار وفطم أعداؤها عن حبها، وهي في السماء المنصورة» وذلك قول الله عز وجل ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء﴾[1] يعني نصر فاطمة لمحبيها.[2]

أقول: ستأتي قريباً رواية أنَّ السماوات السبع والأرضين السبع تزهر من نور الزهراء فاطمة عليها السلام.

ولادة الزهراء الطاهرة المطهرة عليها السلام

لم يضرّ أمَّ المؤمنين عليها السلام مقاطعة نساء قريش لها، فقد عوّضها الله عن أحاديثهنّ حديث النسلة الطاهرة فاطمة، وشتّان بين حديثها وأحاديث نساء قريش! كما لم يضرّ المؤمنة الصابرة خديجة أنَّ نساء قريش رفضن أن يكون لهن الشرف - وأيّما شرف - في المساهمة والمساعدة في ولادة سيّدة نساء العالمين، فلقد عوّضها الله تعالى عن تلك

(١) سورة الروم: الآيتان ٤ و٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٥.

النسوة سيّدات جليلات من نساء الجنّة، تشرّفن بتقديم الخدمة لأمِّ المؤمنين خديجة، وفي لمس ابنتها الطهرة المطهّرة وهدهدتها، تلك النسلة الميمونة التي اختار الله تعالى أن يكون امتداد نسل النبي صلى الله عليه وآله منها، وأن يجعل تعالى أولادها أئمّة هداة مهديين هم خلفاء الله في أرضه.

وإذا كان الأطفال العاديون يستهلّون مجيئهم إلى الدنيا بالبكاء، فقد أطلّت هذه الوليدة المباركة التي بشّر جبرئيل بولادتها، والتي أشرقت الأرض بنورها، وتباشرت الحور العين بولادتها، فنطقت بالشهادتَين، وأعلمت النسوة اللاتي تولّين أمر ولادتها بأسمائهنّ! وأعلمتهنّ بأنَّ أباها هو سيد الأنبياء، وأنَّ بعلها سيد الأوصياء، وأنَّ وُلدها هم سادة الأسباط! فأكرم بها من وليدة أنعم الله بها على خديجة عليها السلام المؤمنة الصابرة جزاء إيمانها برسول الله صلى الله عليه وآله ومواساتها له بنفسها وأموالها في سبيل نصر دين الله وإعلاء كلمة التوحيد!

عن المفضل بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كان ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال: «**نعم، إنَّ خديجة عليها السلام لما تزوّج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكة، فكنّ لا يدخلن عليها، ولا يسلّمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة عليها السلام لذلك، وكان جزعها وغمها حذراً عليه صلى الله عليه وآله**».

فلما حملتْ بفاطمة كانت عليها السلام تحدّثها من بطنها وتصبّرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة عليها السلام، فقال لها: «**يا خديجة، من تحدّثين؟**» قالت: «**الجنين الذي في بطني يحدّثني ويؤنسني**». قال: «**يا خديجة، هذا جبرئيل يخبرني أنَّها أُنثى، وأنَّها**

النسلة الطاهرة الميمونة، وأنَّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمّة، ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه». فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرتْ ولادتُها، فوجّهت إلى نساء قريش وبني هاشم: أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: أنتِ عصيتنا، ولم تقبلي قولنا، وتزوّجتِ محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً.

فاغتمت خديجة عليها السلام لذلك، فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال، كأنَّهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة فإنَّا رُسل ربك إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم - وهي رفيقتك في الجنة - وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثوم أُخت موسى بن عمران، بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأُخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهّرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق فيه ذلك النور. ودخل عشر من الحور العين كل واحدة منهن معها طست من الجنة، وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها، فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتَين بيضاوَين أشد بياضاً من اللبن وأطيب ريحاً من المسك والعنبر، فلفّتها بواحدة، وقنّعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين، وقالت: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ أبي رسول الله سيد الأنبياء، وأنَّ بعلي سيد الأوصياء، ووُلدي سادة الأسباط، ثم سلّمت عليهن، وسمّت كل واحدة منهن باسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشّر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة عليها السلام، وحدث في**



السماء نورٌ زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك»، وقالت النسوة: خُذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها، فدرّ عليها، فكانت فاطمة عليها السلام تنمى في اليوم كما ينمى الصبي في الشهر، وتنمى في الشهر كما ينمى الصبي في السنة.[١]

نور فاطمة عليها السلام إلى جنب عرش الله تعالى

كان نور الزهراء عليها السلام محدقاً بعرش الله تعالى مع نور أبيها المرسل ونور بعلها ناصر دين الله ووصيّ رسوله ونور ولديها الحسنين وأولادها الأئمة المعصومين عليهم السلام. وقد لفتت أنوار النبي وأهل بيته عليهم سلام الله نظر إبراهيم الخليل عليه السلام لما كشف الله له عن بصره فعاين ملكوت السماوات، فاستفسر من ربّه تعالى عن تلك الأنوار، فأخبره الله عزَّ وجل عنها، وقيل له عن نور الزهراء عليها السلام: **«هذا نور فاطمة عليها السلام، فطمتْ محبّيها من النار»!** فهنيئاً لمحبّي بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، فقد أدهشت أنوارُ أهل البيت عليهم السلام - والزهراء منهم - إبراهيم الخليل عليه السلام، حتى سأل ربّه أن يكون من شيعة زوج الزهراء: أمير المؤمنين عليه السلام!

يروي العلامة المجلسي عن تفسير محمد بن العباس بن ماهيار بسنده فيه إلى أبي بصير، قال: سأل جابر الجعفي أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير قوله عز وجل ﴿وإنّ من شيعته لإبراهيم﴾[٢] فقال: **«إنَّ الله لما خلق إبراهيم كشف له عن بصره، فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش فقال: إلهي ما هذا النور؟ فقال له: هذا نور محمد صلى الله عليه وآله**

(١) أمالي الصدوق: ص٦٩٠ ٦٩٢ / ح٩٤٧/ ١.

(٢) سورة الصافات: الآية ٨١.

صفوتي من خلقي. ورأى نوراً إلى جنبه، فقال: إلهي وما هذا النور؟ فقيل له هذا نور علي بن أبي طالب عليه السلام ناصر ديني؛ ورأى إلى جنبهم ثلاثة أنوار، فقال: إلهي وما هذه الأنوار؟ فقيل له: هذا نور فاطمة عليها السلام فطمتْ محبّيها من النار، ونور ولديها الحسن والحسين عليهما السلام؛ فقال: إلهي وأرى أنواراً تسعة قد حفّوا بهم؟ قيل: يا إبراهيم هؤلاء الأئمة عليهم السلام من ولد علي وفاطمة» - الحديث.(١)

فاطمة مخلوقة من نور عظمة الله تعالى

أشرقت الزهراء عليها السلام فأضاءت السماوات والأرضون بنورها، ولم تستطع أبصار الملائكة تحمّل نور الزهراء عليها السلام، فخرّوا لربّهم ساجدين متسائلين عن حقيقة كُنه ذلك النور الذي أغشى أبصارهم، فأخبرهم الله تعالى أنَّ ذلك النور من نوره عز وجل، وأنَّه سيخرج من ذلك النور أئمة هدى يهدون الخلق إلى ربّهم. فما أعظمك يا ربّ! وما أكرمك! أن مننتَ علينا بأمّ الأئمة الهادة الذين اخترتَهم على العالمين، وأنعمتَ علينا بمحبّتها وولايتها!

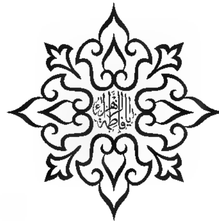
يروي جابر بن عبد الله، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**إنَّما سُمّيت فاطمة الزهراء لأنَّ الله عز وجل خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بضوء نورها، وغشت أبصار الملائكة وخرّت الملائكة (لله) ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيدنا، ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، أسكنته في سمائي، وخلقته من عظمتي، أُخرجه من صلب نبي من أنبيائي أفضّله على جميع الأنبياء، وأُخرج من ذلك النور أئمّة يقومون بأمري، ويهدون إليّ خلقي، وأجعلهم خلفائي في أرضي**».(٢)

(١) بحار الأنوار ٣٦: ١٥١؛ الحدائق الناضرة ٨: ١٧١.

(٢) نوادر المعجزات، محمد بن جرير الطبري الشيعي: ص٨٢.

لقد خلق الله تعالى العرشَ والسماوات والشمس والقمر من نور محمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم، ثم أنَّه تعالى ابتلى الأرض بالظلمة حتّى اشتكت الملائكة، فأمر عزّ وجلّ أن يوضع من نور فاطمة في قنديل ويعلّق عند العرش، فأزهرت السماوات والأرضون من نور فاطمة، فمن نورها الزاهر سمّيت فاطمة بـ(الزهراء)!

جاء في رواية ابن عباس أنَّ الله تعالى خلق العرش من نور رسول الله، فهو أجلّ من العرش؛ وخلق السماوات من نور علي، فعلي أجلّ من السماوات؛ وخلق القمر من نور الحسن، فالحسن أجلّ من القمر؛ وخلق الشمس من نور الحسين، فالحسين خير من الشمس. ثم إنَّ الله تعالى ابتلى الأرض بالظلمات فلم تستطع الملائكة ذلك، فشكت إلى الله عز وجل، فقال عز وعلا لجبرئيل عليه السلام: خُذ من نور فاطمة وضعه في قنديل وعلّقه في قرط العرش؛ ففعل جبرئيل عليه السلام ذلك، فأزهرت السماوات السبع والأرضون، رسولَ الله وخلق علياً وخلق فاطمة وخلق الحسن وخلق الحسين. فخلق السبع فسبحت الملائكة وقدّست، فقال الله: «**وعزّتي وجلالي وجودي ومجدي وارتفاعي في أعلى مكاني، لأجعلنّ ثواب تسبيحكم وتقديمكم لفاطمة وبعلها وبنيها ومحبيها إلى يوم القيامة، فمن أجل ذلك سمّيت الزهراء عليها السلام**».[1]



(١) نوادر المعجزات، محمد بن جرير الطبري الشيعي: ص٨٢ – ٨٣.

آدم عليه السلام يتوسّل إلى الله بالزهراء عليها السلام

تسوّل للإنسان نفسُه الأمّارة أن يرتكب المعصية، لكنّه سرعان ما سيواجه نفسه اللوّامة التي تعنّفه وتلومه على المعصية والتثاقل في الطاعة، فيفزع إلى ربّه الغفور ويتوسّل إليه أن يغفر له. ويحتاج الفرد العاصي إلى أن يقدّم بين يدي دعائه شفيعاً يشفع له عند ربّه، ومن البديهيّ أن يكون هذا الشفيع ذا منزلة كبيرة عند ربّه تؤهّله للشفاعة، ومثل هذا الشفيع تصفه الآيات القرآنية الكريمة أنّه ممّن اتّخذ عند الرحمن عهداً، ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[١]، وأنَّه ممن أذن له الرحمن ورضي له قولًا ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾[٢]، وأنّه ممن شهد بالحقّ وهم يعلمون ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣]. وفي الرواية المقبلة التي تناقلتها كثير من المصادر التفسيرية والحديثية للفريقين في تفسير قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ دلالة على أنَّ الله تعالى دلّ آدم عليه السلام على الشفعاء الذين يجب عليه التوسّل بهم كي يغفر الله له.

روى فرات الكوفي في تفسيره عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لما نزلت الخطيئة بآدم، وأُخرج من الجنة، أتاه جبرئيل فقال: يا آدم ادعُ ربّك، فقال: يا حبيبي جبرئيل، بما أدعو؟ قال: قُل (ربّ أسألك بحق الخمسة الذين تُخرجهم من صلبي آخر الزمان، إلا تُبتَ عليَّ ورحمتني)، فقال له آدم عليه السلام: يا جبرئيل، سمّهم لي، قال: قل: (اللهمّ بحقّ محمد نبيك، وبحق علي وصيّ نبيك، وبحق**

(١) سورة مريم: الآية ٨٧.

(٢) سورة طه: الآية ١٠٩.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٨٦.

فاطمة بنت نبيك، وبحق الحسن والحسين سبطي نبيك، إلاّ تبتَ علي فارحمني)، فدعا بهن آدم، فتاب الله عليه»، وذلك قول الله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، وما من عبد مكروب يخلص النية ويدعو بهن، إلا استجاب الله له(١).

وأخرج السيوطي عن ابن النجار عن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: «**سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تُبتَ علي، فتاب عليه**».(٢)

أبو طالب يتوسّل إلى الله بالفاطميّة البيضاء

توسّل آدم عليه السلام بالزهراء وأبيها وبعلها وبنيها فغفر الله تعالى له، وتوسّل أبو طالب مؤمن قريش بهم وبمنزلتهم عند الله تعالى، فسكن الزلزال الذي أصاب أرض تهامة. وبودّنا في هذا المجال أن نذكر بأنَّ أحداً من العامة والخاصة لا يُماري في أنَّ أبا طالب عليه السلام قد آوى رسول الله ونصره أمام مشركي قريش، حتى أنَّ جبرئيل عليه السلام نزل على رسول الله بعد وفاة أبي طالب فأمره بالهجرة من مكة وقال له «**اخرج منها فقد مات ناصرُك**»(٣). فإذا ضممنا إلى هذه الحقيقة الآية القرآنية القائلة: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ نعرف أن أبا طالب هو مؤمن حقّاً بتصديق كلام الله تعالى؛ يضاف إلى ذلك عشرات الأدلّة المتينة التي تدلّ على إيمانه، منها أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزل قوله تعالى ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾، فرّق بين المسلمات وبين أزواجهنّ المشركين، وأمر المسلمين بتطليق من في عصمتهم من المشركات، وأقرّ فاطمة

(١) تفسير فرات: ص١٣، ذيل الآية المباركة (فتلقّى آدم...).

(٢) الدر المنثور ١: ٦٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١: ٢٩؛ ينابيع المودة للقندوزي ١: ٤٥٥.

بنت أسد (التي اشتُهر أمرُ إيمانها وهجرتها) ولم يفرّق بينها وبين أبي طالب.

أخرج ابن شهر آشوب عن بريد بن قعنب وجابر الأنصاري - في حديث ولادة أمير المؤمنين عليه السلام، جاء فيه (وارتجت الأرض وزلزلت بهم أياماً، وعلت قريش الأصنام إلى ذروة أبي قبيس، فجعل يرتج ارتجاجاً حتى تدكدكت بهم الصخور وتناثرت وتساقطت الآلهة على وجوهها، فصعد أبو طالب الجبل وقال: «**أيها الناس إنَّ الله قد أحدث في هذه الليلة حادثة، وخلق فيها خلقاً، إن لم تطيعوه وتقرّوا بولايته وتشهدوا بإمامته لم يسكن ما بكم؛ فأقروا به، فرفع يده وقال: (إلهي وسيدي أسألك بالمحمدية المحمودية، وبالعلوية العالية، وبالفاطمية البيضاء، إلا تفضّلتَ على تهامة بالرأفة والرحمة) فكانت العرب تدعو بها في شدايدها في الجاهلية وهي لا تعلمها**» - الحديث.[1]

الله تعالى يتولى تسمية الزهراء عليها السلام

من الذي يسمّي سيدة نساء العالمين؟ من يطلق اسماً على سيّدة الكونين، ريحانة المصطفى وزوجة المرتضى وأمّ الأئمة الهداة النجباء؟ إنَّ مُرسل الهدية الإلهية أحقّ بتسميتها، وإنَّ الكلمات التي خرجت من فم رسول الله صلى الله عليه وآله في تسمية الزهراء عليها السلام كانت وحياً لا مراء فيه.

يقول ابن منظور في لسان العرب: (فَطَم العُودَ فَطْماً: قطعه. وفَطَمَ الصبيّ يَفْطِمه فَطْماً، فهو فطيم: فصَلَه من الرضاع، وغلام فَطِيم ومَفْطُوم وفطَمَتْه أُمُّه تَفْطِمه: فصَلته عن رضاعها)[2].

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٢: ٢١؛ بحار الأنوار ٣٥: ١٢.

(٢) لسان العرب ١٢: ٤٥٤ (فطم).

ولقد فطم اللهُ تعالى سيّدة النساء بالعلم، وفطمَ مَن أحبّها عن النار، وفطم الخلائقَ عن معرفتها؛ كما أنَّها سلامُ الله عليها فطمتْ وقطعت طمع مَن كان يطمع في وراثة هذا الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

يروي الشيخ الصدوق بإسناده عن يزيد بن عبد الملك عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**لما وُلدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عز وجل إلى ملك فأَنطق به لسان محمد فسمّاها فاطمة، ثم قال: إنِّي فطمتُك بالعِلم، وفطمتُك عن الطمث. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: واللهِ لقد فطمها اللهُ تبارك وتعالى بالعلم، وعن الطمث بالميثاق**»[1].

ويروي الشيخ الصدوق في المصدر نفسه بإسناده عن يحيى بن أبي كثير، عن أبيه عن أبي هريرة قال: إنَّما سميت فاطمة فاطمة، لأنَّ الله تعالى فطم من أحبّها من النار[2].

ويروي كذلك بإسناده عن عبد الله بن الحسن بن الحسن قال: «**قال لي أبو الحسن: لم سُمّيت فاطمة فاطمة؟ قلت: فرقاً بينه وبين الأسماء. قال: إنَّ ذلك لمن الأسماء، ولكن الاسم الذي سُميت به إنَّ الله تبارك وتعالى علِم ما كان قبل كونه، فعلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يتزوّج في الأحياء وأنَّهم يطمعون في وراثة هذا الأمر فيهم من قبله، فلما وُلدت فاطمة سمّاها الله تبارك وتعالى فاطمة لما أخرج منها وجعل في ولدها، فقطعهم عمّا طمعوا، فبهذا سُمّيت فاطمة، لأنَّها فطمت طمعهم. ومعنى فطمت: قطعت**»[3].

وأخرج المجلسي عن تفسير فرات بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام

---

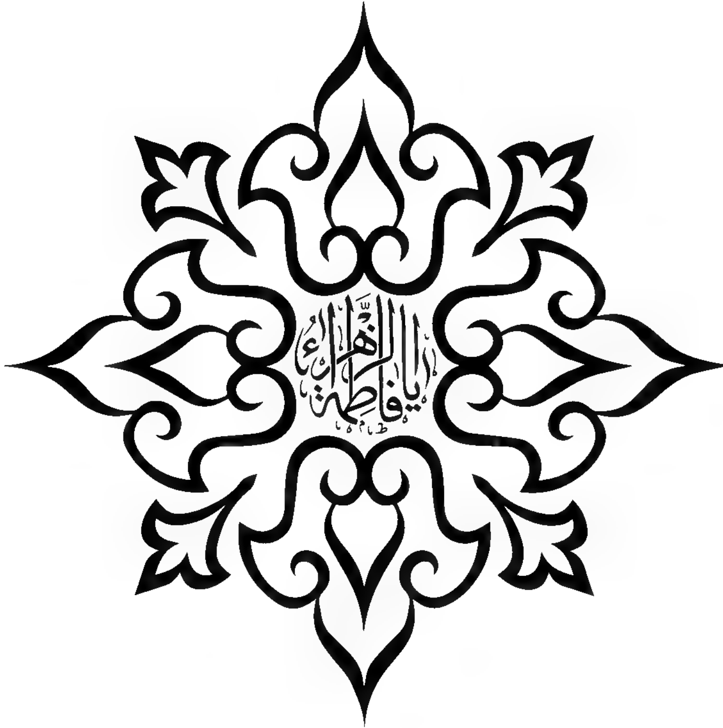
(١) علل الشرائع ١: ١٧٩.

(٢) علل الشرايع ١: ١٧٨ / الباب ١٤٧.

(٣) علل الشرايع ١: ١٧٨ / الباب ١٤٧.

أنَّـه قـال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(١): **«الليلـةُ فاطمـة، والقـدر الله، فمـن عـرف فاطمـة حـقَّ معرفتهـا فقـد أدرك ليلـة القـدر، وإنَّـما سُـمّيت فاطمـة لأنَّ الخلـق فُطموا عـن معرفتهـا»**(٢).

وروى الصدوق عن الإمام الصادق، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله (في حديث)، قال: **«إنَّ الله تبارك وتعالى شق لي اسماً من أسمائه، فهو محمود وأنا محمد،... وشقّ لك يا فاطمة اسمًا من أسمائه، فهو الفاطر وأنت فاطمة»**(٣).



(١) سورة القدر: الآية ١.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٦٥.

(٣) معاني الأخبار، للصدوق: ص٥٦ / ح٣.

خصائص الزهراء عليها السلام

ما هي خصائص هذه المخلوقة الفريدة التي خلعت عليها السماء رداءً بشرياً وأهبطتها من سرادق العرش لتشاركنا العيش على هذه البسيطة، ولتكون الأُنموذج الكامل للأُنثى المؤمنة وسيدة لنساء العالمين وسيدة لنساء أهل الجنة على وجه الخصوص؟ لقد منح الله تبارك وتعالى هذه المخلوقة التي امتحنها قبل أن يخلقها فوجدها لما امتحنها صابرة، منحها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت؛ فهل يكفي ذلك في التدليل على عظيم خطرها ومنزلتها؟ هل يكفي في بيان مكانتها أنَّ أشرف الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله قال بأنَّها بضعة منه وأنَّها روحه التي بين جنبيه، وأنَّها بهجة قلبه وثمرة فؤاده، وأنَّه سلم لمن سالمها، وحرب لمن حاربها؟ هل حسبنا في الدلالة على شرف هذه السيدة الجليلة عليها السلام أنْ نماثل بينها وبين كفوها سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي عليه السلام بمنزلته العظيمة؟ هل نلتفت إلى أنَّها تمثل ذروة الكمال البشري على هذه البسيطة، بحيث إنَّ الحُسن لو صيغ شخصاً لما كان إلّاها؟! هل ستتضح منزلة البتول الطاهرة عليها السلام إذا ذكرنا أنَّ السماوات السبع والأرضين السبع تزهر من نورها، بل أنَّ السماوات السبع والأرضين السبع مخلوقة من نورها سلام الله عليها؟! هل يستبين مقام الزهراء عليها السلام حين نعرف أنَّ الله تعالى أذهب عنها الرجس وطهّرها تطهيراً؟! لقد عاب المشركون على رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه لم يعِشْ له ولد ذكَر، ونبزوه بأنَّه الأبتر، فردّت علهم السماء بأنَّها أعطت هذا النبي المبارك الكوثر، فجعلت نسله من ابنته الزهراء عليها السلام، ونصّت في القرآن الكريم على أنَّ الحسنين هما ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فهل يوضح مقامُ فاطمة أنَّها وولدها المباركين عليهم السلام كانوا الردّ الإلهي الحاسم على مشركي قريش وطغامهم الذين عابوا خاتم الرسل ونبزوه بالأبتر؟!

لقد كان كل ذلك عظيماً ورائعاً، ولكن هل يقارن كل ذلك - يا ترى - بمنزلة الزهراء الطاهرة عليها السلام التي أفاضها عليها ربّها الودود، حين جعلها - وهي الموجود الممكن المخلوق - محوراً لرضاه سبحانه، فقال عنها أصدق القائلين سيد المرسلين صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها!**» ثم أمر تعالى أمينه على وحيه جبرئيل بالنزول ليقول لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله: إنَّ ربك يأمرك أن تقرأ على فاطمة عليها السّلام السلام وتقول لها: إنَّ أمَّكِ في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده من ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران. فقالت فاطمة عليها السّلام: إنَّ الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام.

١- أنها سيدة نساء العالمين

فاطمة الزهراء عليها السلام بضعة أبيها خاتم الرسل وأفضلهم صلى الله عليه وآله، وهي سيّدة نساء العالمين - وفي بعض الروايات: سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين- وهي بلا شكّ أفضل النساء في كلّ الأزمان، وسيأتي قريباً أنَّها سيّدة نساء الجنّة، فلا يُباري في سيادتها وتفضيلها على كلّ النساء إلا مَن أعماه النصبُ والتعصّب. وقد نرى في بعض المصادر السنية روايات ترجّح مريم ابنة عمران عليها السلام على مولاتنا الزهراء عليها السلام، لكنّ تلك الروايات الضعيفة لا تصمد أمام الروايات الصحيحة المتواترة التي تحتشد بها كتب الفريقين في ترجيح وتفضيل بضعة نبينا الكريم صلوات الله عليه وآله.

أخرج المجلسي عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**علي بن أبي طالب عليه السّلام أفضل خلق الله غيري، الحسن والحسين عليهما السّلام سيّدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما، وإنَّ فاطمة سيدة نساء العالمين، وإنَّ علياً عليه السّلام**

ختني، ولو وجدتُ لفاطمة عليها السّلام خيراً من علي عليه السّلام لم أزوّجها منه»[١].

وروى الصدوق في كمال الدين عن عبد الرحمن بن سمرة (في حديث) أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: «... **يابن سمرة إنَّ علياً مني، روحه من روحي، وطينته من طينتي، وهو أخي وأنا أخوه، وهو زوج ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنَّ منه إمامَي أمَّتي وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، وتسعة من ولد الحسين، تاسعهم قائم أمَّتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»**[٢].

وروى الصدوق في الأمالي عن الأصبغ بن نباتة أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال ذات يوم على منبر الكوفة:

«أنا سيد الوصيين، ووصي سيد النبيين، أنا إمام المسلمين، وقائد المتقين، ومولى المؤمنين، وزوج سيدة نساء العالمين، أنا المتختم باليمين، والمعفر للجبين، أنا الذي هاجرت الهجرتين، وبايعت البيعتين، أنا صاحب بدر وحنين،ومولى المؤمنين، وزوج سيدة نساء العالمين» - الحديث بطوله[٣].

٢- أنها سيدة نساء الجنة

لما كانت الزهراء فاطمة عليها السلام - باتفاق الفريقين- هي سيدة نساء أهل الجنة من الأوّلين والآخرين، وهو أمرٌ يتضمن أمر كونها سيدة لمريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وسواهما من النساء المقرّبات لدى الله تعالى، فإن الخوض في موضوع التفضيل بينها وبين سواها من النساء - مهما بلغن من الفضل والحظوة عند الله تعالى- أمر محسوم

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٣٦٠/ ح ١٨.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ص٢٥٧، الباب الرابع والعشرون.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص٧٧، المجلس السادس.

لا ضرورة له؛ ناهيك عن أنه قد صرّح بأفضليتها على سائر النساء حتى على السيدة مريم كثير من العلماء المحققين؛ منهم التقي السبكي، وجلال الدين السيوطي، والبدر الزركشي، والتقي المقريزي، قال:

وعبارة السبكي حين سُئل عن ذلك: (الذي نختاره وندين به أنَّ فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله أفضل. قال: وسُئل عن ذلك ابن أبي داود، فقال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال «**فاطمة بضعة مني**»، ولا أعدلُ ببضعة رسول الله أحداً. ونقل المناوي هذا عن جمع من الخلف والسلف)[1].

ونقل الشيخ محمد جواد مغنية هذا القول عن جماعة من شيوخ السنة استناداً إلى تفسير (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي عند تفسيره لآية ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[2] قال ما نصه بالحرف: (قال بعض شيوخنا: والذي اجتمعت عليه من العلماء أنَّهم ينقلون عن أشياخهم أنَّ فاطمة أفضل نساء المتقدمات والمتأخرات لأنَّها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله)[3].

أخرج الشيخ الصدوق في أماليه عن العطار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: قول رسول الله صلّى الله عليه وآله «**فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**» أسيدة نساء عالمها؟ قال: «**تلك مريم؛ وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين**».

فقلت: قول رسول الله صلّى الله عليه وآله «**الحسن والحسين عليهما السّلام سيّدا شباب**

(١) الكلمة الغرّاء للسيد شرف الدين العاملي: ص٢٤١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

(٣) تفسير الكاشف ٢: ٥٨.

أهل الجنة»؟ قال: «**هما - والله - سيّدا شباب أهل الجنة من الأوّلين والآخرين**»(١).

وروى الترمذي في سننه بإسناده عن حذيفة، قال: سألتني أمّي: متى عهدك؟ تعني بالنبي صلّى الله عليه وآله. فقلت: ما لي به عهد منذ كذا وكذا، فنالت مني. فقلت لها: دعيني آتي النبي صلّى الله عليه وآله فأُصلي معه المغرب وأسأله أن يستغفر لي ولك. فأتيت النبي صلّى الله عليه وآله فصليت معه المغرب، فصلى حتى صلى العشاء. ثم انفتل فتبعته فسمع صوتي، فقال: «**من هذا، حذيفة**»؟ قلت: نعم. قال: «**ما حاجتك، غفر الله لك ولأمّك**»؟

قال: «**إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم عليّ، يبشرني بأنَّ فاطمة عليها السّلام سيدة نساء أهل الجنة، وأنَّ الحسن والحسين عليهما السّلام سيدا شباب أهل الجنة**»(٢). أخرجه أيضاً محب الدين الطبري في ذخائر العقبى(٣)؛ والمتقي الهندي في كنز العمال(٤) باختصار يسير.

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي بإسناده عن حذيفة بن اليمان، قال: سمعت النبي صلّى الله عليه وآله يقول: «**أتاني ملك لم يهبط إلى الأرض قبل وقته؛ فعرّفني أنّه استأذن الله عز وجل في السلام عليّ، فأذن له، فسلّم عليّ وبشرني أنَّ ابنتي فاطمة عليها السّلام سيدة نساء أهل الجنة، وأنَّ الحسن والحسين عليهما السّلام سيّدا شباب أهل الجنة**»(٥).

وروى أحمد في المسند بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلّى الله

(١) أمالي الصدوق ١: ١٢٥ / ح ٧.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٦١٩ / ح ٣٧٨١.

(٣) ذخائر العقبى: ص ١٢٩.

(٤) كنز العمال ١٢: ١١٣ / ح٣٤٢٤٩.

(٥) الأمالي للطوسي ١: ٨٣.

عليه وآله: «**الحسن والحسين عليهما السّلام سيّدا شباب أهل الجنة، وفاطمة عليها السّلام سيّدة نسائهم**» - الحديث[1].

٣- إنّها الصدّيقة الكبرى

قال الخطيب الكجوري في الخصائص الفاطمية:

قال الطبرسيّ في مجمع البيان في ذيل الآية المذكورة ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[2]: الصدّيق المداوم على التصديق - أي دائم الصدق - بما يوجبه الحق. وقيل: الصدّيق الذي عادته الصدق، وهذا البناء يكون لمن غلب على عادته فعل. يقال لملازم الشرب شرّيب، ولملازم الشّكر شكّير. وقيل في معنى الصدّيق: إنّه المصدّق بكلّ ما أمر الله به وأنبياؤه، لا يدخله في ذلك شكّ، ويؤيّده قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾[3].

وسيأتي في غسل فاطمة الزهراء عليها السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**والصدّيقة لا يغسلها إلاّ صدّيق**».

وبناءً على ما مرّ، فقد اتّفق المخالف والمؤالف على أنّ فاطمة الزهراء هي الصدّيقة الكبرى قولاً وقلباً وفعلاً، لم تكذب قطّ كذبة واحدة، وكانت تفعل ما تقول، ولم تتخلّف قط في أداء أيّ تكليف أو امتثال أيّ أمر، وكان لها في ذلك صدق نيّة وعزم وثبات ومداومة ومراقبة تامّة.

قال أهل التحقيق: إنّ التصديق يلازمه التبعيّة في الأقوال والأفعال، كما صنع يحيى

(١) مسند أحمد (٣: ٦٤).

(٢) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٣) سورة الحديد: الآية ١٩.

عليه السلام حين صدق بنبوّة عيسى عليه السلام وتابعه متابعة كاملة من المهد إلى اللحد. وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «**فمن تبعني فإنّه منّي**».

وقد صدّقت فاطمة عليها السلام بما أمر الله وبما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واتّبعته، ولا شكّ أنّ التابع يعدّ من المتبوع، فهي من النبيّ والنبيّ منها لاتّحاد التابع والمتبوع المذكور في قوله «**فمن تبعني فإنّه منّي**»، إضافة إلى جهة النسب والقرابة، والأبوّة والنبوّة؛ انتهى كلام الكجوري.[(١)]

روى الكليني عن المفضل بن عمر قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام: مَن غسل فاطمة عليها السلام؟ قال عليه السلام: «**ذاك أمير المؤمنين عليه السلام**». قال: فاستعظمت ذلك؛ قال عليه السلام: «**كأنّك ضقت بما أخبرتك به**»؟ فقلت: فقد كان ذلك جُعلت فداك! قال عليه السلام: «**لا تضيقنّ فإنّها صدّيقة، لم يكن يغسلها إلّا صدّيق، أما علمتَ أنَّ مريم عليها السلام لم يغسلها إلّا عيسى عليه السلام**»[(٢)].

وروى الكليني عن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن عليه السّلام قال: «**إنَّ فاطمة عليه السّلام صديقة شهيدة، وإنَّ بنات الأنبياء لا يطمثن**».[(٣)]

قال المازندراني في شرحه على أُصول الكافي: قوله «**قال إنَّ فاطمة عليها السلام صدّيقة شهيدة**» الصدّيقة فعيلة للمبالغة سمّيت بها لشدة تصديقها بما جاء به أبوها، ولتصديق قولها بالفعل والعمل[(٤)].

(١) الخصائص الفاطمية للكجوري ١: ٢٢١ – ٢٢٢.

(٢) الكافي، ١: ٤٥٩ / ح٤؛ الدعوات للراوندي: ص٢٥٤ / ح٧٢٢.

(٣) الكافي ١: ٤٥٨ / ح٢.

(٤) شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ٧: ٢١٣.

وقال المجلسي: قوله عليه السلام: «**فإنّها صدّيقة**» أي معصومة، فإنَّ الصديقة والصديق مَن بلغ الغاية في التصديق قولاً وفعلاً، وهو لا يتحقق إلَّا مع العصمة.(١)

أخرج المحب الطبري أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: «**أوتيتَ ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا: أوتيتَ صهراً مثلي ولم أوتَ أنا مثلي. وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوتَ من صلبي مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكم**».(٢)

وأخرج المحب الطبري عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلَّا أن يكون الذي ولدها صلى الله عليه وآله.(٣)

وفي بحار الأنوار للمجلسي: كناها: أمّ الحسن، وأمّ الحسين، وأمّ المحسن، وأمّ الأئمة، وأمّ أبيها، وأسماؤها على ما ذكره أبو جعفر القمي: فاطمة، البتول، الحصان، الحرة، السيدة، العذراء، الزهراء، الحوراء، المباركة، الطاهرة، الزكية، الراضية المرضية، المحدثة، مريم الكبرى، الصديقة الكبرى، ويقال لها في السماء النورية السماوية، الحانية.(٤)

وأورد ابن شهر آشوب للشاعر العبدي:

صدّيقةٌ خُلقت لصدّيق ... شريفٍ في المناسبْ
اختاره واختارها ... طُهرين من دَنَس المعايب
أسماهما قرناً على سطر ... بظلّ العرش راتب

---

(١) مرآة العقول للعلامة المجلسي ١٣: ٣٣٩.

(٢) الرياض النضرة ٢: ٢٠٢.

(٣) ذخائر العقبى: ص ٤٤.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ١٦.

كان الإله وليَّها وأمينُه جبريل خاطب
والمهر خُمس الأرض موهبة تعالت في المواهب
ونهابها من حمل طوبى طُيّبت تلك المناهب[١]

وللكميت في حديث الغدير من قصيدة قوله:

علي أمير المؤمنين وحقّه من الله مفروض على كل مسلمِ
وإنَّ رسول الله أوصى بحقه وأشركه في كل حقّ مقسم
وزوّجه صدّيقة لم يكن لها معادلة غير البتولة مريم
وردّم أبواب الذين بنى لهم بيوتاً سوى أبوابه لم يردّم
وأوجب يوماً بالغدير ولاية على كل برّ من فصيح وأعجم[٢]

٤- إنَّ الله تعالى أعطاها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت

صدّقت الزهراء عليها السلام بما جاء به أبوها صلى الله عليه وآله، وصدّق فِعلُها وعملُها قولَها، وبلغت الغاية في التصديق، فأعطاها اللهُ تعالى ما استعصى من الثواب والمنزلة على أعيُن المخلوقين أن يكونوا رأوا مثله، وعلى آذانهم أن يكونوا سمعوا بنظيره.

أخرج الطبري في بشارة المصطفى عن جابر بن عبد الله الأنصاري حديث الأعرابي الذي جاء رسول الله صلى الله عليه وآله سائلاً، فأرسله إلى بيت الزهراء عليها السلام، فأعطته عقدها فباعه واستغنى؛ (إلى أن يصل إلى قوله): قال رسول الله صلّى الله عليه وآله له (للأعرابي): «**أشبعت واكتسيت**»؟ قال الأعرابي: اللهمّ إنَّك إله ما استحدثناك، ولا

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٢٨.

(٢) (تفسير أبي الفتوح ٢ ص ١٩٣) نقلًا عن الغدير للأميني ٢: ١٩٥.

إله لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا على كل الجهات؛ اللهم أعطِ فاطمة عليها السّلام ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت.

فأمّن النبي صلّى الله عليه وآله على دعائه، وأقبل على أصحابه فقال: «**إنَّ الله قد أعطى فاطمة عليها السّلام في الدنيا ذلك: أنا أبوها وما أحد من العالمين مثلي، وعلي عليه السّلام بعلها، ولولا علي عليه السّلام ما كان لفاطمة عليها السّلام كفوٌ أبداً، وأعطاها الحسن والحسين عليهما السّلام وما للعالمين مثلهما، سيدا شباب أسباط الأنبياء وسيدا شباب أهل الجنة**»...الحديث[1].

أقول: سيأتي حديث الأعرابي بتمامه في موضوع (إيثار الزهراء عليها السلام).

٥- إنَّها بضعة النبي وسلالته

لقد صرح رسول الله صلى الله عليه وآله في مناسبات عديدة أنَّ ابنته الطاهرة هي بضعة منه وأنَّها شجنة منه، وأنَّ ما يؤذيها يؤذيه (لأنَّها جزء منه) وما يرضيها يرضيه، وهذه الحقيقة الواضحة لا تحتاج إلى تأمل. انظر إلى الحلبي (على سبيل المثال) كيف أورد في سيرته قصة أبي لبابة التي نذر فيها أنْ لا يحل وثاقه إلَّا رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما نزل الوحي بتوبة الله تعالى على أبي لبابة – وستأتي قصته – أرادت الصديقة فاطمة عليها السلام أن تحل وثاقه فأبى أبو لبابة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة مني**».

قال الحلبي: وظاهر هذا أنَّه (يقصد أبا لبابة) كان يبرّ (قسمه) بإطلاق سيدتنا فاطمة – عليها السلام – له، فليتأمّل؛ انتهى كلام الحلبي.

وانظر إلى الحافظ السهيلي لما نقل قصة أبي لبابة ونقل قول رسول الله صلى الله عليه

(١) بشارة المصطفى: ص٢١٩؛ وأخرجه عنه المجلسي في بحار الأنوار ٤٣: ٢٠ / ح ٧.

وآله في حق ابنته الزهراء عليها السلام، قال: فهذا حديث يدلّ على أنَّ من سبّها فقد كفر، ومن صلّى عليها فقد صلى على أبيها؛ انتهى كلامه.

ونورد فيما يلي بعض الموارد التي نبّه فيها رسول الله صلى الله عليه وآله على هذه الحقيقة:

النبي يعجب من جواب فاطمة ويقول: «فاطمة بضعة مني»

روى البزار بإسناده عن سعيد بن المسيب عن علي -عليه السلام-، أنَّه كان عند رسول الله صلى عليه – وآله – وسلم فقال: **«أيّ شيء خير للمرأة؟ فسكتوا، فلما رجعت قلت لفاطمة: أي شيء خير للنساء؟ قالت: ألاّ يراهن الرجال، فذكرتُ ذلك للنبي صلى الله عليه – وآله – وسلم فقال: إنَّما فاطمة بضعة مني – عليها السلام –»**. ثم قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم له إسناداً عن علي – عليه السلام – إلَّا هذا الإسناد.[1]

وأخرج الراوندي في النوادر عن جعفر الصادق عليه السلام عن أمِّه – رضي الله عنها –: «**إنَّ فاطمة عليها السلام دخل عليها علي بن أبي طالب – صلوات الله عليه – وبه كآبة شديدة، فقالت فاطمة: يا علي ما هذه الكآبة؟ فقال علي – صلوات الله عليه –: سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله عن المرأة ما هي؟ قلنا: عورة، فقال: فمتى تكون أدنى من ربها؟ فلم ندر. فقالت فاطمة لعلي عليهما السلام: ارجع إليه فأعلمه أنَّ أدنى ما تكون من ربها أن تلزم قعر بيتها. فانطلق، فأخبر رسول الله بما قالت فاطمة عليها السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ فاطمة بضعة مني**»[2].

وأخرج الراوندي في النوادر عن جعفر الصادق عليه السلام قال: قال علي عليه

(١) البحر الزخار للبزار ٢: ١٥٩، نقلًا عن (بعض ما ورد في علم فاطمة عليها السلام) ط مركز المصطفى.

(٢) النوادر فضل الله الراوندي: ص١١٩.

السلام: «**استأذن أعمى على فاطمة - صلوات الله عليها - فحجبته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لم حجبتِه وهو لا يراكِ؟فقالت عليها السلام: إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشم الريح. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشهد أنَّك بضعة مني**»[١].

فاطمة بضعة رسول الله وروحه التي بين جنبيه

(البضعة) و(المضغة) في اللغة هي القطعة من الشيء؛ وقد عبّر رسول الله صلى الله عليه وآله عن العلاقة الحميمة التي تربطه بفاطمة الزهراء عليها السلام بأنَّها بضعة منه، وأنَّها نور عينيه وثمرة فؤاده وروحه التي بين جنبيه. أخرج الحسن بن سليمان الحلي في المحتضر؛ والمجلسي في بحار الأنوار عن مجاهد، قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيد فاطمة عليها السّلام، فقال: «**من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد عليها السّلام، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**»[٢].

روى الشيخ الصدوق في الأمالي عن ابن عباس حديثاً جاء فيه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**...وأما ابنتي فاطمة، فإنَّها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض**» - الحديث[٣].

وأخرج المجلسي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**فاطمة بضعة مني وهي**

---

(١) النوادر فضل الله الراوندي: ص١١٩.

(٢) المحتضر: ص٢٣٤ / ح٣١٤؛ والمجلسي في بحار الأنوار ٤٣: ٥٤.

(٣) الأمالي للصدوق: ص١٧٥، المجلس الرابع والعشرون.

روحي التي بين جنبيّ، يسوؤني ما ساءها، ويسرّني ما سرّها»[١].

وروى علي بن يوسف الحلي في العدد القوية أنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام سألها: «**ما خير للنساء؟ قالت: ألا يرين الرجال ولا يروهن. فسمع النبي صلّى الله عليه وآله ذلك فقال: إنَّها بضعة مني**»[٢].

«إنَّ فاطمة شجنة منّي يسخطني ما أسخطها»

روى الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بإسناده عن عباية، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله (أنَّه) قال: «**إنَّ فاطمة شجنة مني، يؤذيني ما آذاها، ويسرّني ما يسرها، وإنَّ الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها صلوات الله عليها**»[٣].

وأخرج ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب عن مستدرك الحاكم عن أبي سهل بن زياد عن إسماعيل، وعن حلية أبي نعيم عن الزهري وابن أبي مليكة، والمسور بن مخزمة أنَّ النبي قال: «**إنَّما فاطمة شجنة مني يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها**»[٤].

وأخرج المجلسي في بحار الأنوار عن جعفر بن محمد عليه السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إنَّ فاطمة عليها السّلام شجنة مني، يسخطني ما أسخطها، ويرضيني ما أرضاها**»[٥].

وروى الحاكم في المستدرك بإسناده عن عبد الله بن أبي رافع عن المسور ابن مخرمة قال:

---

(١) بحار الأنوار ٢٧: ٦٣.

(٢) العدد القوية: ص ٢٢٥ ح ١٨، ١٩.

(٣) معاني الأخبار: ص٣٠٣.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣: ١١٢.

(٥) بحار الأنوار ٤٣: ٥٤.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّما فاطمة شجنة مني، يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها**». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[١].

أقول: في لسان العرب لابن منظور (مادة شجن): الشجنة (بالكسر والفتحة): عروق الشجر المشتبكة. وبيني وبينه شِجْنَةُ رَحِمٍ وشُجْنةُ رَحِمٍ أَي قرابةٌ مُشتبكة[٢].

«إن فاطمة عليها السّلام شعرة مني، فمن آذى شعرة مني فقد آذاني»

أخرج المجلسي في بحار الأنوار، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إنَّ فاطمة عليها السّلام شعرة مني، فمَن آذى شعرة مني فقد آذاني، ومَن آذاني فقد آذى الله، ومَن آذى اللهَ لعنه اللهُ مِلء السموات والأرض**»[٣].

قصة أبي لبابة ومنزلة الزهراء عليها السلام

قال السمهودي في كتابه وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى صلّى الله عليه وآله في ذكر أسطوانة التوبة في مسجد النبي صلّى الله عليه وآله:

وتعرف بأسطوانة أبي لبابة بن عبد المنذر أخي بني عمرو بن عوف الأوسي، أحد النقباء واسمه رفاعة وقيل غير ذلك. سمّيت به لأنَّه ارتبط إليها حتى أنزل الله توبته كما قدّمناه في غزوة بني قريظة.

وقال الأقشهري: اختلف أهل السير والتفسير في ذنب أبي لبابة؛ فقال قوم: كان من الذين تخلّفوا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في غزوة تبوك، وقال ابن هشام تبعاً لابن

---

(١) المستدرك ٣: ١٥٤ ١٥٥.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٣: ٢٣٣ شجن.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٥٤ / ح ٤٨.

إسحاق: سببه قضية بني قريظة واستشارتهم إياه، وأسند يحيى عن عبد الرحمن بن يزيد قصته معهم وأنَّهم قالوا له: أننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، أشار بيده إلى حلقه وهو الذبح. وفي رواية أُخرى: إنَّه لما جاءهم قام إليه الرجال وأجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقّ لهم فكان منه ما تقدّم. قال أبو لبابة: فو الله ما زالت قدماي حتى علمت أنِّي خنتُ الله ورسوله صلّى الله عليه وآله.

قال يحيى في الرواية المتقدمة: فلم يرجع إلى النبي صلّى الله عليه وآله ومضى إلى المسجد وارتبط إلى جذع في موضع أسطوانة التوبة، أنزل الله عز وجل فيه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

وفي رواية: فربط نفسه في السارية وحلف لا يحلّ نفسه حتى يحلّه رسول الله صلّى الله عليه وآله أو تنزل توبته. قال: فجاءت فاطمة عليها السّلام تحلّه، فقال: لا حتى يحلّني رسول الله صلّى الله عليه وآله. فقال صلّى الله عليه وآله: «**إنّما فاطمة بضعة مني**»[٢].

وقال الحلبي في السيرة الحلبية[٣]: نزلت توبة أبي لبابة رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وهو في بيت أمِّ سلمة رضي الله عنها؛ قالت أمُّ سلمة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم من السحر يضحك. قالت فقلت: ممّ تضحك يا رسول الله أضحك الله سنّك؟ قال: «**تِيبَ على أبي لبابة**». قالت، قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: «**بلى إن شئت**»! فقامت على باب حجرتها فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك. قال: فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٧.

(٢) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى صلىّ الله عليه وآله ٢: ٤٤٢.

(٣) السيرة الحلبية ٢: ٦٧٤.

الله صلى الله عليه (وآله) وسلم هو الذي يطلقني بيده الشريفة، فلما مر صلى الله عليه (وآله) وسلم على أبي لبابة خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه. وجاء أنَّ فاطمة – عليها السلام – أرادت إطلاقه فأبى، فقال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: «**فاطمة بضعة مني**». أي وظاهر هذا أنَّه رضي الله عنه كان يبرّ بإطلاق سيدتنا فاطمة – عليها السلام – له، فليتأمّل(١).

وقال الحافظ السهيلي: إنَّ أبا لبابة رفاعة بن المنذر ربط نفسه في توبة، وإنَّ فاطمة أرادت حله حين نزلت توبته، فقال: قد أقسمت ألَّا يحلني إلَّا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: «**إنَّ فاطمة بضعة مني. فصلى الله عليه وعلى فاطمة**». فهذا حديث يدلّ على أَنَّ من سبّها فقد كفر، ومن صلّى عليها فقد صلى على أبيها(٢).

٦- إنَّها حوراء إنسية

الزهراء فاطمة عليها السلام مخلوقة من النور الذي خلق منه أبوها وبعلُها وابناها، وهذه المخلوقة وصفها رسولُ الله صلى الله عليه وآله بأنَّها (حوراء إنسيّة)، وأخبر أنّ نطفتها خلقت من ثمار الجنّة، ولذلك فهي – شأنها شأن أهل البيت عليهم السلام – لا تُقاس بأحد من الناس، هذا من جانب الخلقة. لكننا نعلم من الجانب الآخر أنَّ الزهراء عليها السلام هي بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّها كانت – كأبيها وبعلها وابنَيها – مخلوقة من لحم ودم، وأنَّ الخالق جلّ وعزّ اختار لها العيش على هذه البسيطة، وأنَّه تعالى جعلها سيّدة نساء العالمين، وأنَّها عليها السلام كانت التجسيد الحيّ لذروة

(١) السيرة الحلبية ٢: ٦٧٤.

(٢) انظر: رسالة فى حديث خطبة علي، بنت أبي جهل للسيد علي الميلاني – ص ٤٣.

الكمال. ومن هنا توجّب على النساء الاقتداء بها واتّباع سيرتها واقتفاء نهجها وخطواتها.

«فاطمة حوراء إنسية إذا اشتقتُ إلى الجنة شممت رائحتها»

أخرج المجلسي في بحار الأنوار عن كتاب مولد فاطمة عليها السّلام لأبي جعفر بن بابويه، حديثاً مرفوعاً إلى جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «**إنَّ الله عز وجل خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام من نور... ثم تقدّمت أمامي فإذا أنا برطب ألين من الزبد الزلال وأحلى من العسل. فأكلت رطبة منها وأنَّها اشتهيها، فتحولت الرطبة نطفة في صلبي. فلما هبطتّ إلى الأرض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة عليها السّلام؛ ففاطمة حوراء إنسية، فإذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة عليها السّلام**»(١).

فاطمة عليها السلام مخلوقة من ثمار الجنّة

وروي أنَّ خديجة الكبرى عليها السلام تمنّت يوماً من الأيام على سيد الأنام أن تنظر إلى بعض فاكهة دار السلام فجاء جبرئيل إلى المفضّل على الكونين بتفاحتين. وقال: «**يا محمد يقول لك مَن جعل لكل شيء قدراً: كُل واحدة وأطعم الأُخرى لخديجة الكبرى واغشها، فإنِّي خالق منكما فاطمة الزهراء؛ ففعل المختار ما أشار به الأمين وأمره**» - الحديث.(٢)

(١) بحار الأنوار ٣٧: ٨٢ / ح ٤٩.

(٢) شرح إحقاق الحق ٤: ٤٧٤، نقلًا عن كتاب (الرقائق) المعروف بالإخوانيات ص٢٥٠، للشيخ عبد الله الحنفي المتوفّى بعد سنة ٨٠٠ هـ.

فاطمة خلقت حوراء إنسية لا ترى ما تراه النساء

روى الحافظ ابن المغازلي الشافعي في مناقب علي بن أبي طالب بإسناده عن زينب بنت علي، قالت: حدثتني أسماء بنت عميس قالت: قال النبي صلى الله عليه وآله وقد كنت شهدت فاطمة وقد ولدت بعض ولدها فلم يُر لها دم فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**يا أسماء! إنَّ فاطمة خلقت حورية في صورة إنسية**»(١).

وأخرج المجلسي في بحار الأنوار عن ابن طاووس في الطرائف، عن عائشة، قالت: كنت أرى رسول الله صلّى الله عليه وآله يفعل بفاطمة عليها السّلام شيئاً من التقبيل والألطاف، فقلت: يا رسول الله! تفعل بفاطمة شيئاً لم أرك تفعله قبل! فقال: «**يا حميراء، إنَّه لما كانت ليلة أُسري بي إلى السماء دخلت الجنة، فوقفت على شجرة من شجر الجنة لم أر شجرة في الجنة أحسن منها حسناً ولا أنضر منها ورقاً ولا أطيب منها ثمراً، فتناولت ثمرة من ثمرها فأكلتها، فصارت نطفة في ظهري. فلما هبطتُ إلى الأرض واقعتُ خديجة، فحملت بفاطمة عليها السّلام؛ فأنا إذا اشتقت إلى الجنة شممت ريحها من فاطمة عليها السّلام. يا حميراء، إنَّ فاطمة عليها السّلام ليست كنساء الآدميين ولا تعتل كما يعتللن عنى به الحيض**».(٢)

خُلقت فاطمة حوراء إنسية، وليست إنسية

روى فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره عن موسى بن علي بن موسى بن عبد الرحمن المحاربي معنعناً عن أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي عليهم السلام، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**معاشر الناس تدرون لما خلقت فاطمة**»؟ قالوا:

---

(١) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: ص ٣٦ / ح٤١٦.

(٢) بحار الأنوار ٣٧: ٦٥.

الله ورسوله أعلم، قال: «**خلقت فاطمة حوراء إنسية لا إنسية (و) قال: خلقت من عرق جبرئيل ومن زغبه**»، قالوا: يا رسول الله استشكل ذلك علينا، تقول: حوراء إنسية لا إنسية، ثم تقول: من عرق جبرئيل ومن زغبه! قال: «**إذاً أنبئكم: أهدى إلي ربي تفاحة من الجنة أتاني بها جبرئيل عليه السلام فضمّها إلى صدره فعرق جبرئيل عليه السلام وعرقت التفاحة فصار عرقهما شيئاً واحداً، ثم قال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته! قلت: وعليك السلام يا جبرئيل. فقال: إنَّ الله أهدى إليك تفاحة من الجنة! فأخذتها وقبّلتها ووضعتها على عيني وضممتُها إلى صدري. ثم قال: يا محمد كُلها! قلت: يا حبيبي يا جبرئيل هدية ربي تؤكل؟ قال: نعم، قد أُمرت بأكلها؛ فأفلقتها فرأيت منها نوراً ساطعاً ففزعت من ذلك النور، قال: كُل فإنَّ ذلك نور المنصورة فاطمة. قلت: يا جبرئيل ومن المنصورة؟ قال: جارية تخرج من صلبك واسمها في السماء منصورة، وفي الأرض فاطمة، فقلت: يا جبرئيل ولِمَ سميت في السماء منصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سُمّيت فاطمة في الأرض (لأنَّها) فطمت شيعتها من النار وفُطِمَ أعداؤها عن حبها، وذلك قول الله في كتابه ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾[1] بنصر فاطمة عليها السلام**»[2].

أخرج الطبرسي عن علي بن إبراهيم في تفسيره، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السّلام أنَّه قال: «**بلغنا عن آبائنا أنَّهم قالوا: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يكثر تقبيل فم فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السّلام، إلى أن قالت عائشة: يا رسول الله، أراك كثيراً ما تقبّل فم فاطمة وتدخل لسانك في فيها**»؟

قال: «**نعم يا عائشة، إنَّه لما أُسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة فأدناني من شجرة**

(١) سورة الروم: الآية ٥.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص ٣٢٠/ ح٤٣٥.

طوبى وناولني من ثمارها تفاحة، فأكلتها فصارت نطفة في ظهري. فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة. فكلما اشتقت إلى الجنة قبّلتها وأدخلت لساني في فيها، فأجد منها ريح الجنة وأجد منها رائحة شجرة طوبى، فهي إنسية سماوية».(١)

٧- فاطمة عليها السلام تجسيد ذروة الكمال

فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنّة، وخير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً على حدّ تعبير الصادق المصدّق صلوات الله عليه وآله. فاطمة عليها السلام امرأةٌ لا تُدانيها امرأة، فقد خلق الله تعالى السماوات والأرض من نورها، فلا عجب إن سمعنا أنّ السماوات السبع والأرضين السبع تزهر من نورها، أو سمعنا أنّ ضوء وجهها سلام الله عليها كان يُنير المدينة في الليل، حتى كانت النساء يخطن ويغزلن وينظمن الإبرة في ضوء وجهها. هذه المرأة التي نمت في حجور الطاهرات وتداولتها أيدي الملائكة بلغت في الكمال ذروته، ومن هنا شاهدنا تلك العلاقة الممتنعة عن الوصف بينها وبين أشرف رُسل الله تعالى وخاتمهم، فكان صلى الله عليه وآله يقوم لها إذا أقبلت عليه ويُجلسها في مكانه. هل فَعَلَ الصادقُ المصدّق صلى الله عليه وآله مثل هذا الاحترام لامرأة سواها؟ لقد بشّره جبرئيل عليه السلام بها قبل ولادتها، وأخبره أنّها النسلة الطاهرة الميمونة، وأنَّ الله تعالى سيجعل نسله منها، وأنَّه تعالى سيجعل من نسلها أئمة، وأنَّه سيجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه. كلّ ما قرأناه وما سنقرؤه في هذا الكتاب يتحدّث عن المنزلة التي وهبها الخالق جلّ وعلا لأمَّته المباركة الزهراء عليها السلام، حتى عبّر عنها بما لا مزيد فوقَه، فأوحى إلى نبيّه صلَّى الله عليه وآله على لسان أمين الوحي، أنّه تعالى يرضى لرضى فاطمة، ويغضب لغضبها!

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ص ١٥٠ عن تفسير القمي.

لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم

أخرج الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعبد الرحمن بن عوف: «**يا عبد الرحمن! أنتم أصحابي، وعلي بن أبي طالب مني وأنا من علي، فمن قاسه بغيره فقد جفاني، ومن جفاني آذاني، ومن آذاني فعليه لعنة الله**»؛ الحديث – إلى أن يصل إلى قوله: «**ولو كان الحلم رجلاً لكان علياً، ولو كان العقل رجلاً لكان حسناً، ولو كان السخاء رجلاً لكان حسيناً، ولو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم. إنَّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً**»(١).

لا أحد يسبق فاطمة عليها السلام إلى الفضل

أخرج ابن فهد الحلي في المهذب البارع عن عبد الصمد بن بشير قال: دخلت امرأة على أبي عبد الله عليه السلام فقالت: أصلحك الله إنّي امرأة متبتّلة، فقال: «**وما التبتّل عندك**»؟ قالت: لا أتزوج، قال: «**ولِمَ؟**» قالت: ألتمس بذلك الفضل. فقال: «**انصرفي، فلو كان ذلك فضلاً لكانت فاطمة عليها السلام أحقّ به منك، إنَّه ليس أحد يسبقها إلى الفضل**»(٢).

أقول: سيأتي أمر إلحاق الزهراء فاطمة عليها السلام – وهي امرأة – بأفضل رجال العالمين: أبيها محمد صلى الله عليه وآله وبعلها أمير المؤمنين عليه السلام في موضوع المباهلة.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٦٠.

(٢) المهذب البارع ج٣: شرح ص١٩٤.

٨- إنَّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها

ما معنى القول بأنَّ الله تعالى واجب الوجود يرضى لرضا مخلوق ممكن الوجود، ويغضب لغضبه؟! لقد تحدّثت روايات تناقلها الفريقان عن أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا في حق أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «**عليٌّ مع الحقّ، والحقّ مع عليٍّ، اللهمّ أدر الحقّ معه حيثما دار!**» وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حقّه عليه السلام «**عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**». لقد بلغ أمير المؤمنين عليه السلام درجة في القُرب من خالقه جلّ وعلا عبّر عنها عليه السلام بقوله «**ما رأيتُ شيئاً إلّا ورأيت الله قبله ومعه وبعده**»! وبلغ درجة في القُرب من خاتم الأنبياء والمرسلين عبّر عنها النبي صلى الله عليه وآله بقوله «**عليٌّ مني بمنزلة رأسي من بدني**»[(١)]! وفي رواية أُخرى «**بمنزلة روحي من بدني**»[(٢)]؛ وهذه المنزلة هي التي أهّلت أمير المؤمنين عليه السلام لأن يكون محوراً للحقّ، يدور الحقّ معه حيثما دار، وأهّلته أن يكون القرآن معه لا يفارقه حتى يردا على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على الحوض.

أما في خصوص الزهراء عليها السلام التي هي بضعة من هو أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتمهم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، فمن البديهي أنْ تكون معصومة كأبيها المرسل صلى الله عليه وآله، ولقد أوردنا قريباً كلام المجلسي (إنَّ الصدّيقة والصدّيق مَن بلغ الغاية في التصديق قولاً وفعلاً، وهو لا يتحقق إلا مع العصمة)؛ ونرى هنا روايات تتحدّث عن هذه العصمة ببيان آخر، لأنّ الزهراء المعصومة التي أذهب الله عنها الرجس وطهّرها تطهيراً قد شهد لها ربُّ العزّة أنّها مطهّرة من الذنوب والصغائر،

---

(١) أمالي الطوسي: ص٣٥٣ / ح٧٣٢ – ٧٢.

(٢) أمالي الطوسي: ص٣٥٣ / ح٧٣٢ – ٧٢؛ بحار الأنوار ٣٥: ٢٦٩.

بل هي منزّهةٌ من كلّ ما لا يُرضي اللهَ تعالى، وهذه المخلوقة التي خلقها اللهُ تعالى من نور، ثم جعل النطفة التي خُلقت منها من ثمار الجنّة قد بلغت منزلةً من القُرب عبّرت عنها هذه الأحاديث بأَنَّ ربّ العزّة يرضى لرضاها ويغضب لغضبها.

روى الشيخ الصدوق في معاني الأخبار عن ابن عباس، عن النبي صلّى الله عليه وآله، أنّه قال: «**إنَّ فاطمة عليها السّلام شجنة مني، يؤذيني ما آذاها ويسرّني ما سرّها، وإنَّ الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب فاطمة عليها السّلام، ويرضى لرضاها**»(١).

أخرج ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب باب مناقب فاطمة عليها السلام أَنَّ سندل جاء إلى الصادق عليه السلام وسأله عن ذلك، فقال: «**يا سندل ألستم رويتم فيما تروون أَنَّ الله تعالى يغضب لغضب عبده المؤمن ويرضى لرضاه**»، قال: بلى، قال: «**فما تنكر أن تكون فاطمة مؤمنة يغضب لغضبها ويرضى لرضاها**»؟! فقال سندل: الله أَعلم حيث يجعل رسالته. قال خطيب منبج:

وكـــان الله يــرضى حــين تــرضى ... ويغضب إن غدت في المغضبينا(٢)

وأخرج ابن حجر في الإصابة في ترجمة الزهراء عليها السلام عن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه، عن علي قال، قال النبي صلى الله عليه (وآله)وسلم لفاطمة: «**إنَّ الله يرضى لرضاك، ويغضب لغضبك**»(٣).

وقـال في المصـدر نفسـه: وأخـرج بـن أبي عاصـم عـن عبـد الله بـن عمرو بن سـالم المفلـوج بمسـند مـن أهـل البيت عـن عـليٍّ أَنَّ النبي صـلى الله عليـه (وآله) وسـلم قال

(١) معاني الأخبار ٢: ٢٨٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٠٧.

(٣) الإصابة ٨: ٢٦٥.

لفاطمـة: «**إنَّ الله يغضـب لغضبـك، ويرضى لرضـاك**»[١].

٩- إنَّ الله تعالى أقرأها السلام

قال الطريحي في مجمع البحرين، مادة (سلم): السلام هو الله. ومنه قولُه (السَلام المؤمن). قال بعضُ العارفين: معنى (هو السلام) أي ذو السلام لأنَّه هو الذي سلم من كلّ عيب وآفة ونقص وفناء. وقد وجدنا العرب يضعون المصادر موضع الأسماء، لا سيّما إذا أرادوا المبالغة، واللهُ هو السلام: وصف مبالغة في كونه سليماً من النقائص[٢].

أخرج العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن الراوندي في الخرائج، أنَّ أبا عبد الله عليه السّلام قال: «**إنَّ خديجة لما توفيّت، جعلت فاطمة عليها السّلام تلوذ برسول الله صلّى الله عليه وآله وتدور حوله وتسأله: يا رسول الله، أين أُمِّي؟ فجعل النبي صلّى الله عليه وآله لا يجيبها. فجعلت تدور على من تسأله ورسول الله صلّى الله عليه وآله لا يدري ما يقول.**

فنزل جبرئيل فقال: إنَّ ربك يأمرك أن تقرأ على فاطمة عليها السّلام السلام وتقول لها: إنَّ أُمَّك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده من ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران. فقالت فاطمة عليها السّلام: إنَّ الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام»[٣].

وأخرج المحدث الحر العاملي في الجواهر السنية عن الشيخ المفيد عن جعفر ابن قولويه بإسناده عن بريد العجلي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**لما توفيت خديجة جعلت فاطمة تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وتقول: أين أمِّي؟ فنزل جبرئيل فقال**

(١) الإصابة ٨: ٢٦٥.

(٢) مجمع البحرين:٦: ٨٤.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٢٧/ ح٢٣.

له: ربك يأمرك أن تقرأ فاطمة السلام وتقول لها: إنَّ أمَّها في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده من ياقوت أحمر، بين آسية ومريم بنت عمران. فقالت فاطمة: الله السلام ومنه السلام وإليه السلام»[١].

وأخرج الذهبي في ميزان الاعتدال وفي لسان الميزان عن البخاري في الضعفاء الكبير بإسناده عن الشعبي عن ابن عباس قال: لما وُلدت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله سماها المنصورة، فنزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال: «**إنَّ الله يقرئك السلام ويقرئ مولودك السلام**» - الحديث بطوله[٢].

١٠- إنَّ النبي سلم لمن سالمها وحرب لمن حاربها

نلاحظ الدرجة القصوى من القُرب والعلاقة الحميمة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين فاطمة وبعلها وابنيها سلام الله عليهم، بحيث إنّه يقول إنَّه (حربٌ) لمن يحارب هؤلاء الصفوة الطاهرة، ولا يقول - كما هي العادة - إنَّه (محارب) لمن يحاربهم. وعلى من حارب فاطمة وغصبها حقّها وأغضبها أَنْ يعلم يقيناً أنَّه قد حارب الله ورسوله وأغضبهما، ولا مجال في هذا الأمر للتبريرات الباردة السمجة. لم يكن النبي صلى الله عليه وآله يعبث حين يغدو على بيت الزهراء عليها السلام أربعين صباحاً فيتلو آية التطهير ويعلن أنَّه محارب لمن حارب أهل بيته، بل كان بصدد ترسيخ ثقافة عامّة في أذهان الصحابة عن منزلة أهل بيته عليهم السلام وأحقيتهم في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله في قيادة الأُمَّة وهدايتها إلى سبل السلام. وقد ذكرت بعض الروايات أنَّ رسول الله استمر على هذا المنوال تسعة أشهر كاملة.

---

(١) الجواهر السنية: ص٢٦٤.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٤٠٠؛ لسان الميزان ٣: ٢٦٧.

أخرج المحب الطبري في الرياض النضرة عن أبي بكر، قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله خيّم خيمة وهو متكئ على قوس عربية وفي الخيمة عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام. فقال: «**معشر المسلمين! أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، وليٌّ لمن والاهم؛ لا يحبّهم إلا سعيد الجد طيّب المولد، لا يبغضهم إلَّا شقي الجدّ رديء المولد**».

فقال رجل: يا زيد، أنت سمعت منه؟ قال: إي وربّ الكعبة[1].

أخرج البياضي عن أبي سعيد الخدري قال: لما دخل عليٌّ بفاطمة جاء النبي أربعين صباحاً ويتلو الآية (أي آية التطهير) ويقول: «**أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم**».[2]

أخرج القاضي النعمان المغربي عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: أبصر النبي علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «**أنا حربٌ لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم**».[3]

روى فرات في تفسيره عن أبي الحمراء، قال: خدمت رسول الله صلّى الله عليه وآله تسعة أشهر أو عشرة أشهر؛ فأَمَّا التسعة فلست أشك فيها، ورسول الله صلّى الله عليه وآله يخرج من طلوع الفجر فيأتي باب فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السّلام فيأخذ بعضادتي الباب فيقول: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله**».

قال: فيقولون: «**وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا رسول الله**».

فيقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: ﴿إِنَّما يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

(١) الرياض النضرة ٢: ١٨٩.

(٢) الصراط المستقيم ١: ١١٨.

(٣) شرح الأخبار ٢: ٦٠٨ / ح٩٠٧.

الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(١).

وسيأتي حديث المباهلة وفيه نصّ في هذا الخصوص، وبإمكان المتتبّع العثور على عشرات الأحاديث في هذا المجال، أعرضنا عن الإتيان بها رعاية للاختصار.

١١ - إلحاق الزهراء عليها السلام بأفضل رجال العالمين

جعل الخالقُ الحكيم للرجال على النساء درجة، وفرّق بينهم في الحقوق والواجبات، لكنّه سبحانه استثنى الزهراء عليها السلام من هذه القاعدة حين جعلها كفواً لأفضل الرجال الذين خلقهم بعد حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله، وحين ألحقها بنبيّه الكريم في قصّة المباهلة المشهورة. فهذه الحوراء الإنسيّة المعصومة كانت بتولاً لا تعتلّ كباقي النساء، ولا يقعد بها عن عبادة الواحد الأحد عُذر، وهذه الصدّيقة التي لا يسبقها أحد في الفضل والكرامة كانت بضعةً لأفضل الخلق وأكرمهم على الله تعالى، فجاء الاستثناء طبيعيّاً يُكمل مسيرة الاصطفاء من الخالق الودود.

جاء في تفسير الإمام العسكري عليه السّلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «**ما سوّى الله قطّ امرأة برجل إلّا ما كان من تسوية الله فاطمة بعليٍّ عليهما السّلام، وإلحاقها – وهي امرأة – بأفضل رجال العالمين، وكذلك ما كان من الحسن والحسين عليهما السّلام وإلحاق الله إياهما بالأفضلين الأكرمين، لما أدخلهم في المباهلة**».

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**فألحق الله فاطمة عليها السّلام بمحمد وعليٍّ عليه السّلام في الشهادة، وألحق الحسن والحسين عليهما السّلام بهم**»؛ قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ

(١) تفسير فرات: ص ١٢٣.

وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ﴾(١).

فكان الأبناء الحسن والحسين عليهما السّلام، جاء بهما رسول الله صلّى الله عليه وآله فأقعدهما بين يديه كجروي الأسد، وأما النساء فكانت فاطمة عليها السّلام، جاء بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وأقعدها خلفه كلبؤة الأسد، أما الأنفس فكان علي بن أبي طالب عليه السّلام، جاء به رسول الله صلّى الله عليه وآله فأقعده على يمينه كالأسد، وربض هو كالأسد، وقال صلّى الله عليه وآله لأهل نجران:

«هلّموا الآن نتباهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: اللهمّ هذا نفسي وهو عندي عدل نفسي، اللهم هذه نسائي أفضل نساء العالمين، وقال: اللهم هذان ولداي وسبطاي، فأنا حرب لمن حاربوا، وسلم لمن سالموا» - الحديث(٢).

١٢- على باب الجنّة مكتوب: فاطمة أَمَة الله

تُلفت الروايات في هذا المجال أنظارنا إلى حقيقة أنّ هذه الحوراء الإنسيّة التي غمسها خالقها في بحر الفضيلة، وطهّرها من كلّ رجس، وأعطاها من الأجر ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت، هي أَمَةٌ لله تعالى تفتخر بشرف العبوديّة له، بل إنّها بلغت هذا الشأو من المنزلة الخصيصة بتفانيها في العبوديّة لله تعالى والتذلّل له. وجاءت هذه التسمية العجيبة التي اختار لها الخالق الحكيم أنْ تكتب بأحرف من نور على باب الجنّة (أَمَة الله) لتشير لنا إلى هذه الحقيقة، ولتدلّنا على الطريق الحقيقيّ للتعالي والرفعة والسموّ.

روى الشيخ الطوسي في كتابه الأمالي بإسناده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السّلام: ص ٢٧٦.

صلّى الله عليه وآله:

«لما عُرج بي إلى السماء، رأيتُ على باب الجنة مكتوباً: (لا إله إلّا الله، محمد رسول الله، علي حبيب الله، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أَمَة الله، على باغضهم لعنة الله»[(١)].

وأخرج السيد البحراني في مدينة المعاجز عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: **«دخلت الجنة، فرأيت على بابها مكتوباً بالذهب(لاإله إلّا الله، محمد حبيب الله، علي بن أبي طالب ولي الله، فاطمة أَمَة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على مبغضيهم لعنة الله»**[(٢)].

١٣ - إنَّ ولديها ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله، ونسلها الأئمة

يقول الله تعالى في صريح قرآنه وبنصّ آية المباهلة إِنَّ الحسنين هما (ابنا) رسول الله صلى الله عليه وآله، ويصرّح النبي صلى الله عليه وآله في أحاديث كثيرة تناقلتها كتب الفريقين بأنّ الله تعالى جعل نسلَه في صُلب أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام. ولقد نفى القرآن الكريم في بداية الأمر أُبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله لزيد ابنه بالتبنّي، في قوله تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[(٣)]، وقوله ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾[(٤)].

فقد روى الطبراني – على سبيل المثال – عن جابر الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه – وآله –وسلم: **«إنَّ الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صُلبه،**

---

(١) الأمالي للطوسي: ص٣٥٥ / ح٧٣٧/ ٧٧.

(٢) مدينة المعاجز:ص١٤٩ / ح٤١٥.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٥.

وإنَّ الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب - عليه السلام -».[(١)]

وبعد ارتحال رسول الله صلى الله عليه وآله سعى المتسلّطون على الحكم إلى إشاعة ثقافة أنَّ الحسنين عليهما السلام هما ابنا علي عليه السلام، بل كانوا ينادوهما بـ(ابني فاطمة) للإشارة إلى الثقافة الجاهليّة التي تجعل امتداد الرجل في ذريّة أولاده، أمّا ذريّة بناته فهم امتداد لآبائهم وآباء آبائهم، حيث يقول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتُنا   بنوهنّ أولاد الرجال الأباعدِ

وكان بعض خلفاء بني العبّاس يسعى لترويج ثقافة أنَّهم أقرب إلى رسول الله - باعتبارهم أولاد عمّه العبّاس - من بني ابنته فاطمة عليها السلام. وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام يقفون في مواجهة هذه المحاولات الظالمة ويكشفون زيفها.

روى الشيخ الكليني في روضة الكافي بإسناده عن أبي الجارود، قال: قال (لي) أبو جعفر عليه السلام: «**يا أبا الجارود ما يقولون لكم في الحسن والحسين عليهما السلام**»؟ قلت: يُنكرون علينا أنَّهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: «**فأيّ شيء احتججتم عليهم**»؟ قلت: احتججنا عليهم بقول الله عز وجل في عيسى ابن مريم (عليهما السلام): ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾[(٢)] فجعل عيسى ابن مريم من ذرية نوح عليه السلام.

قال: «**فأيّ شيء قالوا لكم**»؟ قلت: قالوا: قد يكون ولد الابنة من الولد ولا يكون من الصُلب.

(١) المعجم الكبير ٣: ٤٤ / ح٢٦٣٠.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ٨٤ و٨٥.



قال: «**فأيّ شيء احتججتم عليهم**»؟. قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[(١)].

قال: «**فأي شيء قالوا**»؟ قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبناء رجل وآخر يقول: أبناؤنا.

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: «**يا أبا الجارود لأعطينّكها من كتاب الله جل وتعالى أنّهما من صلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا يردّها إلّا الكافر**».

قلت: وأين ذلك جعلت فداك؟ قال: «**من حيث قال الله تعالى**»: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ «**الآية إلى أن انتهى إلى قوله تبارك تعالى**»: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾[(٢)] «**فسلهم يا أبا الجارود هل كان يحل لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتيهما؟ فإن قالوا: نعم؛ كذبوا وفجروا؛ وإن قالوا: لا؛ فهما ابناه لصلبه**»[(٣)].

روى أبو الفرج الأصفهاني عن أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا أحمد ابن سليمان بن أبي شيخ، عن أبيه، وعن غيره: أنَّ الرشيد دعا بيحيى (بن عبد الله بن الحسن صاحب فخّ) يوماً فجعل يذكر ما رفع إليه في أمره وهو يخرج كتباً كانت في يده حججاً له، فيقرؤها الرشيد وأطراف الكتب في يد يحيى، فتمثل بعض من حضر:

أنى أتيح له حرباء تنضبه ... لا يرسل الساق إلا مرسلاً ساقا

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) سورة النساء: الآية ٢٣.

(٣) روضة الكافي ٨: ٣١٧ – ٣١٨.

فغضب الرشيد من ذلك وقال للمتمثل: أتؤيده وتنصره؟ قال: لا، ولكني شبّهته في مناظرته واحتجاجه بقول هذا الشاعر.

ثم أقبل عليه فقال: دعني من هذا، يا يحيى أيّنا أحسن وجهاً أنا أو أنت؟ قال: بل أنت يا أمير المؤمنين، إنَّك لأنصع لوناً وأحسن وجهاً.

قال: فأيّنا أكرم وأسخى: أنا أو أنت؟ فقال: وما هذا يا أمير المؤمنين، وما تسألني عنه، أنت تجبى إليك خزائن الأرض وكنوزها، وأنا أتمحّل معاشي من سنة إلى سنة.

قال: فأيّنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا أو أنت؟ قال: قد أجبتك عن خطّتين، فاعفني من هذه!

قال: لا والله. قال: بل فأعفني؛ فحلف بالطلاق والعتاق ألا يعفيه.

فقال: يا أمير المؤمنين لو عاش رسول الله صلى الله عليه وآله وخطب إليك ابنتك أكنت تزوّجه؟ قال: إي والله!

قال: فلو عاش فخطب إلي أكان يحل لي أن أزوّجه؟ قال: لا؛ قال: فهذا جواب ما سألت. فغضب الرشيد وقام من مجلسه – الحديث.[١]

وأخرج الفتال النيسابوري في روضة الواعظين عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ قال: «**نعم إنَّ خديجة لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرها نسوة مكة، وكن لا يدخلن إليها ولا يسلمن عليها ويمنعن امرأة أرادت أنْ تدخل إليها، فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمها حذراً عليه، فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة عليها السلام تحدّثها**

(١) مقاتل الطالبيين: ص٣١٥.

من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل رسول الله يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة، فقال لها: يا خديجة مَن تحدّثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدّثني ويؤنسني. قال: يا خديجة هذا جبرئيل عليه السلام يبشّرني أنَّها ابنتي، وأنَّها النسلة الطاهرة الميمونة، وأنَّ الله تعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه»(١).

١٤- السماوات السبع والأرضون السبع تزهر من نور فاطمة

أخرج العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن الديلمي في إرشاد القلوب مرفوعاً إلى سلمان الفارسي رضوان الله تعالى عليه، قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله في المسجد إذ دخل العباس بن عبد المطلب فسلّم، فرد النبي صلى الله عليه وآله ورحّب به، فقال: يا رسول الله بما فضّل الله علينا أهل البيت علي ابن أبي طالب والمعادن واحدة؟! فقال النبي صلى الله عليه وآله: **«إذن أُخبرك يا عم؛ إنَّ الله خلقني وخلق علياً ولا سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا لوح ولا قلم. فلما أراد الله عز وجل بدو خلقنا تكلم بكلمة فكانت نوراً، ثم تكلم كلمة ثانية فكانت روحاً، فمزج فيما بينهما واعتدلا، فخلقني وعلياً منهما، ثم فتق من نوري نور العرش، فأنا أجلّ من العرش؛ ثم فتق من نور علي نور السماوات، فعلي أجلّ من السماوات؛ ثم فتق من نور الحسن نور الشمس، ومن نور الحسين نور القمر، فهما أجلّ من الشمس والقمر؛ وكانت الملائكة تسبّح الله تعالى وتقول في تسبيحها: سبّوح قدوس من أنوار ما أكرمها على الله تعالى، فلما أراد الله تعالى أن يبلو الملائكة أرسل عليهم سحاباً من ظلمة، وكانت الملائكة لا تنظر أولها من آخرها، ولا آخرها من أولها، فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا منذ خلقتنا ما رأينا مثل ما نحن**

---

(١) روضة الواعظين:ص١٤٣.

فيه، فنسألك بحق هذه الأنوار إلاّ ما كشفتَ عنا! فقال الله عز وجل: وعزّتي وجلالي لأفعلن، فخلق نور فاطمة الزهراء عليها السلام يومئذ كالقنديل وعلقه في قرط العرش، فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع، من أجل ذلك سميت فاطمة الزهراء. وكانت الملائكة تسبح الله وتقدسه، فقال الله: وعزتي وجلالي لأجعلن ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبّي هذه المرأة وأبيها وبعلها وبنيها». قال سلمان: فخرج العباس فلقيه علي بن أبي طالب عليه السلام فضمّه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه، وقال: بأبي عترة المصطفى من أهل بيت ما أكرمكم على الله تعالى[1].

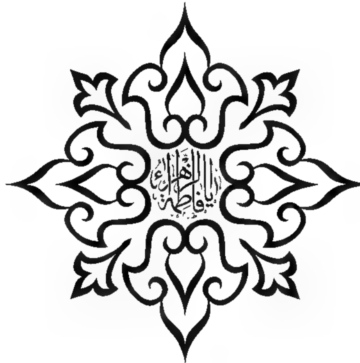
وروى الشيخ الصدوق في علل الشرائع بإسناده عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: لم سمّيت فاطمة الزهراء زهراء؟ فقال: «**لأنَّ الله عز وجل خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرّت الملائكة لله ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري وأسكنته في سمائي، خلقته من عظمتي، أخرجه من صلب نبي من أنبيائي أفضّله على جميع الأنبياء، وأُخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري يهدون إلى حقي، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي**»[2].

أخرج العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة، عن محمد بن الحسن الطوسي في كتابه مصباح الأنوار بإسناده عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**إنَّ الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا ظلمة ولا نور ولا**

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٢.

(٢) علل الشرائع ١: ١٨٠ الباب ١٤٣.

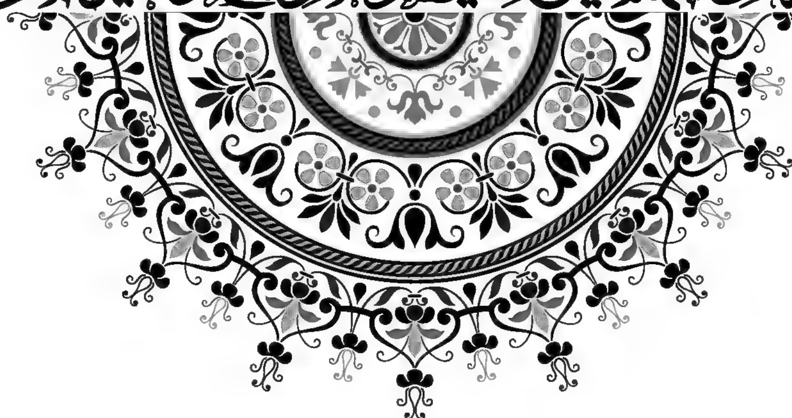
شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار»، فقال العباس: فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال: **«يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً، ثم تكلم بكلمة أُخرى فخلق منها روحاً، ثم مزج النور بالروح، فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين، فكنا نسبّحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس، فلما أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري، ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش؛ ثم فتق نور أخي عليٍّ فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور عليٍّ، ونور عليٍّ من نور الله، وعليٌّ أفضل من الملائكة؛ ثم فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض؛ ثم فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر؛ ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحور العين، فالجنة والحور العين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله، وولدي الحسين أفضل من الجنة والحور العين»** – الخبر[١].



(١) بحار الأنوار ١٥: ١٠ – ١١.

فاطمة

اللهم صل على فاطمة و ابيها و بعلها و بنيها و السر المستودع فيها بعدد ما احاط به علمك



الفصل الثاني

فاطمة السند القوي لأبيها

فاطمة تساند أباها في جهاده الرساليّ

فاطمة عليها السلام وسنوات الحصار في شِعب أبي طالب

لم يكن عمر الزهراء فاطمة عليها السلام قد تجاوز السنة الواحدة حين كشّرت قريش عن أنيابها في مواجهة رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه فضاعفت الأذى الذي كانت تلحقه بالمسلمين المستضعفين، ثم خطط رؤساؤها لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله، فعزم على اللجوء إلى شِعب أبي طالب. وفي ذلك الشعب ترعرعت الزهراء عليها السلام وأمضت سنوات عمرها الأُولى في مواجهة الحصار الذي ضربته قريش على أبيها وأتباعه، وحين بلغت الفطام وانقطع عنها حليب أمِّها الصابرة المجاهدة، لم يكن بالإمكان توفير أبسط طعام لها، فضلاً عن تهيئة الأطعمة التي يحتاجها أمثالها في تلك السن. وشاهدت الزهراء الصغيرة بأمِّ عينيها كيف كان أبوها صلى الله عليه وآله يشد حجر المجاعة على بطنه، ورأت كيف كان بنو هاشم يقتاتون بورق الأشجار ويلوكون الحشائش. ونظرت في ليالي الشعب الطويلة المرعبة كيف يتناوب الرجال على حراسة خيمة أبيها المرسل صلى الله عليه وآله خوفاً عليه من الاغتيال. وسارت الزهراء بأقدامها الغضّة على حصى الشعب اللاهب وصخوره الحارة المدببة بينما كان أترابها من أطفال مكة يدرجون وادعين ناعمين مرفّهين!

فاطمة عليها السلام ومصيبة فراق الأُمِّ

لقد أمضت ريحانة رسول الله اليانعة سنوات طفولتها الأُولى برفقة أبيها وأمِّها في أصعب ظروف واجهها المسلمون، وأمضت سنوات تعلّم المشي ونطق الحروف في شِعب أبي طالب، يوم كان الخوف والجوع والألم زادهم اليوميّ. وكانوا يقتاتون على ورق الأشجار، ويشدّون من حفز الجوع لأحشائهم حجرَ المجاعة على بطونهم، يخافون أن يتخطّفهم المشركون المتربّصين المحدقين بهم. ولم يكن غبار سنوات القهر ومصاعب الشعب قد زال بعدُ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، حين تهاوت خديجة الأمُّ الرؤوم العطوف نتيجة مرض ألمّ بها، ثم ارتحلت تاركة رسول الله وابنته الصغيرة يواجهان عاماً عسيراً أسماه النبي (بسبب ارتحال خديجة ووفاة حاميه وناصره أبي طالب) عامَ الحزن.

روى الشيخ الطوسي في الأمالي بإسناده عن بريد العجلي، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) يقول: «**لما توفيت خديجة (رضي الله عنها) جعلت فاطمة (صلوات الله عليها) تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وتدور حوله، وتقول: يا أبه، أين أمّي؟ قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال له: ربك يأمرك أن تقرئ فاطمة السلام، وتقول لها: إنَّ أُمَّك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة عليها السلام: إنَّ الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام**»[١].

وأخرج العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن الراوندي في الخرائج بإسناده عن أبي عبد الله الصادق عليه السّلام قال:

(١) الأمالي للطوسي: ص١٧٥.

«إنَّ خديجة لما توفيّت، جعلت فاطمة عليها السّلام تلوذ برسول الله صلّى الله عليه وآله وتدور حوله وتسأله: يا رسول الله، أين أمّي؟ فجعل النبي صلّى الله عليه وآله لا يجيبها. فجعلت تدور على من تسأله ورسول الله صلّى الله عليه وآله لا يدري ما يقول. فنزل جبرئيل فقال: إنَّ ربك يأمرك أن تقرأ على فاطمة عليها السّلام السلام وتقول لها: إنَّ أمَّك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده من ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران. فقالت فاطمة عليها السّلام: إنَّ الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام»[1].

الله تعالى يُقرىء خديجة السلام ويهديها كفناً من الجنّة

أقرأ اللهُ تعالى سلامَه لأَمَته المؤمنة الصابرة خديجة على لسان أمين وحيه جبرئيل، وهبط أمين الوحي برسالته الخطيرة، وطلب من خاتم الرسل أن يقرأ على خديجة سلام الله وسلام أمين وحيه، وجاء الجواب من المؤمنة العارفة بالله عجيباً يأخذ بالألباب «إنَّ الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعلى جبرئيل السلام»!! كم من المعارف التوحيدية تحتشد في هذه الألفاظ المعدودة؟ وكم تتضمّن من المعاني الإيمانية الكبيرة؟ لا يعلم ذلك تحديداً إلا الله ورسولُه.

أخرج المجلسي عن تفسير العياشي عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: حدث أبو سعيد الخدري أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنَّ جبرئيل عليه السلام قال لي ليلة أُسري بي حين رجعت وقلت: يا جبرئيل هل لك من حاجة؟ قال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام، وحدثنا عند ذلك أنَّها

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٢٧ / ح ٣١.

قالت حين لقاها نبي الله صلى الله عليه وآله فقال لها الذي قال جبرئيل، فقالت: إنَّ الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعلى جبرئيل السلام».[(١)]

وروى الشيخ محمد مهدي الحائري المازندراني وصيّة السيدة خديجة عليها السلام (وقد نقلنا منها مورد الحاجة والشاهد)، قال:«... **لما توفيت خديجة أخذ رسول الله في تجهيزها وغسلها وحنطها فلما أراد أن يكفنها هبط الأمين جبرئيل وقال: يا رسول الله إنَّ الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: يا محمد إنَّ كفن خديجة وهو من أكفان الجنة أهدى الله إليها، فكفّنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بردائه الشريف أولاً وبما جاء به جبرئيل ثانياً، فكان لها كفنان: كفن من الله وكفن من رسول الله».**[(٢)]

رسول الله يغضب لخديجة حين تنقّصتها عائشة

لم تستطع عائشة تحمّل الوفاء الذي كان رسول الله يحمله تجاه أمِّ المؤمنين خديجة، فقد آزرته ووقفت في جانبه في أحلك الظروف وأصعبها، وأنفقت أموالها في سبيل نصر دين الله وتقوية دينه الحنيف، وجاعت في شعب أبي طالب وتحمّلت سنوات المقاطعة حتّى هدّها المرض والضعف فارتحلت، وتوفّي بعدها بشهر واحد أبو طالب، فسمّى النبي ذلك العام بـــــ(عام الأحزان). وكانت عائشة تنتقص من خديجة وتغار منها مع أنَّها لم تشاهدها قط. وكان النبي يغضب لزوجته الوفية ولابنته الحبيبة فاطمة، ويردّ على عائشة – كما سنرى – بكلمات قاسية لا تُعهد منه عادةً عسى أن ترتدع. ونلاحظ – من جانب آخر – سيرة الزهراء عليها السلام وخُلقها العالي، بحيث لا نشاهد مورداً واحداً ردّت فيه الزهراء على عائشة – زوجة أبيها – مع أنَّ عائشة كانت تنتقص من قدر خديجة

(١) بحار الأنوار ١٦: ٧ / ح١١، نقلًا عن تفسير العياشي.

(٢) شجرة طوبى للشيخ محمد مهدي الحائري المازندراني ٢: ٢٣٥.

وتتشاحن مع الزهراء عليها السلام.

الخصال: عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله منزله، فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول: والله يا بنت خديجة ما ترين إلَّا أنَّ لأمِّك علينا فضلاً، وأي فضل كان لها علينا؟! ما هي إلا كبعضنا. فسمع مقالتها لفاطمة، فلما رأت فاطمة رسول الله صلى الله عليه وآله بكت، فقال: «**ما يبكيك يا بنت محمد؟! قالت: ذكرتْ أمِّي فتنقّصتها فبكيت، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: مَه يا حميراء، فإنَّ الله تبارك وتعالى بارك في الودود الولود، وإنَّ خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً وهو عبد الله وهو المطهر، وولدت مني القاسم وفاطمة ورقية وأُمَّ كلثوم وزينب، وأنتِ ممن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئاً**».[١]

وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه -وآله -وسلم إذا ذكر خديجة أثنى فأحسن الثناء؛ قالت: فغرتُ يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين قد أبدلك الله خيراً منها! قال: ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنتْ بي إذ كفر بي الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها وحرمني أولاد الناس. ثم قال الهيثمي: رواه أحمد وإسناده حسن.[٢]

فاطمة وسنوات المواجهة القاسية في مكة

ما الذي بإمكان فتاة صغيرة أن تفعله في مواجهة عتاة قريش وطغاتها حين يرتجف الرجال الكبار ويختبئون في بيوتهم؟ ماذا بإمكان يدَين صغيرتين دمثتين أن تفعلا أمام

(١) بحار الأنوار ١٦: ٤ /ح٦، نقلاً عن الخصال للصدوق.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ٢٢٤.

أبي جهل طاغية قريش وأشدها كفراً وعناداً ومحاربة لله ورسوله؟ ذلك الذي قال عنه الصادق المصدّق إِنَّه أشد طغياناً من فرعون؛ لأنَّ فرعون آمن حين أدركه الغرق، أما أبو جهل اللعين فلم يعرف الإيمان طريقه إلى قلبه حتى في لحظات نزعه. لقد أسرعت فاطمة الزهراء عليها السلام لنجدة أبيها حين أخبرها مخبرٌ عن صنع طغام قريش بأبيها، فرأيناها ترفع عن ظهر أبيها الساجد الذي لم يُقلق سجوده في محضر رب السماوات والأرض سلى الجزور الذي فُرّق على ظهره الشريف، وشاهدنا الفتاة الصغيرة تقف في مواجهة تلك الطغمة الكافرة المتجبرة فتدعو عليهم، وشاهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو على تلك العصبة الضالة - ولم يكن قد دعا عليهم إلا يومئذ - فكأنَّه أمّن على دعاء ابنته الزهراء عليها السلام، فرآهم راوي الحديث قتلى يوم بدر، وشاهدهم يلقون في قليب بدر.

أخرج العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن الطبرسي في إعلام الورى عن شعبة، عن عبد الله، قال: بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله ساجداً وحوله ناس من قريش، وثَمّ سلي بعير. فقالوا: من يأخذ سلي هذا الجزور أو البعير فيفرقه على ظهره؟ فجاء عقبة بن أبي معيط فقذفه على ظهر النبي صلّى الله عليه وآله.

وجاءت فاطمة عليها السّلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك. قال عبد الله: فما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله دعا عليهم إلا يومئذ، فقال: «**اللهم عليك الملأ من قريش؛ اللهم عليك أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأُمية بن خلف- أو أُبيّ ابن خلف، وشكّ شعبة**» (راوي الحديث).

قال عبد الله: ولقد رأيتهم قتلوا يوم بدر وألقوا في القليب- أو قال: في بئر-، غير أنَّ

أُمية بن خلف- أو أُبيّ بن خلف- كان رجلاً بادناً، فقطع قبل أن يبلغ البئر(١).

وروى البخاري في كتابه المسمى بالصحيح بإسناده عن عبد الله قال: بينما رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قائم يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي! أيّكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلمّا سجد رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وضعه بين كتفيه، وثبت النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضُهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية، فأقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم ساجداً حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبّهم؛ فلما قضى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم الصلاة قال: «**اللهمّ عليك بقريش! اللهمّ عليك بقريش! اللهمّ عليك بقريش! ثم سمّى: اللهمّ عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة وأُمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد**»! قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سُحبوا إلى القليب قليب بدر، ثم قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: «**وأُتبع أصحاب القليب لعنة**»(٢).

فاطمة عليها السلام الكوثر الذي أعطاه الله لنبيه

عاب الشانئُ خاتمَ النبيين محمداً صلى الله عليه وآله عندما توفي ابنُه القاسم بأنَّه أبتر لا أولاد له، وفرح كفّار مكة وطغامها بأنَّ محمداً إن مات انقضى خبرُه وماتت دعوتُه، فتصدّت السماء للدفاع عن رسولها، وأنزلت سورة الكوثر تخبره أنَّ الله تعالى قد أعطاه

(١) بحار الأنوار ١٨: ٢١٠/ ح ٢٨.

(٢) صحيح البخاري ١: ١٣١ - ١٣٢.

الكثرة والخير الكثير من نسل ابنته فاطمة عليها السلام، وتبشّره أنَّ نسل هذه البضعة الطاهرة سيبقون على مرّ الأزمنة والعصور مصدراً للخير والعطاء والبركة، وأنَّ الشانىء المبغض للنبي وآله هو الأبتر الذي لا أثر له ولا ذِكر في هذه الدنيا إلا باللعن.

قال الفخر الرازي في تفسيره: (الكوثر أولاده؛ قالوا: لأنَّ هذه السورة إنَّما نزلتْ ردّاً على مَن عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنَّه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان. فانظر كم قُتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلىء منهم، ولم يبق من بني أُمية في الدنيا أحدٌ يُعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا: والنفس الزكية)؛ انتهى كلامه(١).

أخرج ابن شهر آشوب عن ابن جبير وابن عباس سئل النبي عن الكوثر فقال: **«يا علي الكوثر نهر يجري تحت عرش الله، ماؤه أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، حصباؤه الدر والزبرجد والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الأذفر، قواعده تحت عرش الله؛ ثم ضرب يده على جنب علي وقال: إنَّ هذا النهر لي ولك ولمحبيك من بعدي»**.(٢)

فاطمة عليها السلام وقصة الهجرة إلى المدينة

هاجر النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة وترك علياً عليه السلام على فراشه يقيه بنفسه، وأمره أنْ يهاجر بعده بالفواطم ويلتحق به، والفواطم هن: فاطمة الزهراء عليها السلام، وفاطمة بنت أسد أمُّ أمير المؤمنين عليه السلام، وفاطمة بنت الحمزة، وفاطمة

(١) تفسير الفخر الرازي ٣٢: ١٢٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ١٢.

بنت الزبير بن عبد المطلب. ولم تخلُ سيّدة النساء سلام الله عليها من رعاية خالقها لحظة واحدة، وكانت السماء ترقبها وهي تسير في الموكب المؤمن المهاجر من مكة إلى المدينة، وتُخبر عن عبادتها وتهجّدها، وتعدها بالجنّات المونقة التي سيُجزل فيها الربُّ الودود لأَمَته المؤمنة حُسنَ الثواب.

روى الشيخ الطوسي في الأمالي عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه وابن أبي رافع (في حديث طويل) قال:... ثم كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه وقلة التلوّم، وكان الرسول إليه أبا واقد الليثي، فلما أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله تهيّأ للخروج والهجرة، فآذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين، فأمرهم أن يتسللوا ويتخففوا إذا ملأ الليل بطن كل وادٍ إلى ذي طوى، وخرج عليٌّ عليه السلام بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب - وقد قيل هي ضباعة - وتبعهم أيمن ابن أمِّ أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو واقد رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، فجعل (أبو واقد) يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فقال علي (صلوات الله عليه): «**ارفق بالنسوة يا أبا واقد، إنّهن من الضعائف**». قال: إنِّي أخاف أن يدركنا الطالب - أو قال: الطلب - فقال عليٌّ عليه السلام: «**أربع عليك، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا علي، إنّهم لن يصلوا من الآن إليك بما تكرهه**». ثم جعل - يعني علياً عليه السلام - يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول:

ليس إلا الله فارفع ظنّكا ... يكفيك رب الناس ما أهمّكا

وسار فلما شارف (ضجنان) أدركه الطلب، وعددهم سبعة فوارس من قريش مستلئمين، وثامنهم مولى لحرب بن أُمية يدعى جناحاً، فأقبل علي عليه السلام على أيمن

وأبي واقد، وقد تراءى القوم، فقال لهما: أنيخا الإبل واعقلاها، وتقدّم حتى أنزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم عليه السلام منتضياً سيفه، فأقبلوا عليه فقالوا: أظننت أنَّك يا غدر ناجٍ بالنسوة؟! ارجع لا أبا لك. قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعنّ راغماً، أو لنرجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك! ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروها، فحال علي عليه السلام بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه، فراغ علي عليه السلام عن ضربته، وتختله علي عليه السلام فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس كاثبة فرسه، فكان عليه السلام يشد على قدمه شد الفرس، أو الفارس على فرسه، فشد عليهم بسيفه وهو يقول:

خلّوا سبيل الجاهد المجاهدْ آليتُ لا أعبدُ غيرَ الواحد

فتصدع عنه القوم وقالوا له: اغن عنا نفسك يا بن أبي طالب. قال: فإنِّي منطلق إلى ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله بيثرب، فمن سرّه أن أفري لحمه وأُريق دمه فليتعقبني أو فليدنُ مني. ثم أقبل على صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما: أطلقا مطاياكما. ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان، فتلوّم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين وفيهم أمُّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله فظل ليلته تلك هو والفواطم - أمُّه فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وفاطمة بنت الزبير - طوراً يصلّون، وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، فصلى عليه السلام بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل لا يفتر عن ذكر الله، والفواطم كذلك وغيرهم ممن صحبه حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم بقوله (تعالى): ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ الذكر علي، والأنثى الفواطم المتقدم ذكرهن، وهن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير ﴿بعضكم من بعض﴾ يقول: علي من فاطمة – أو قال: الفواطم – وهن من علي ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ[1]﴾[2].

أقول: من الغريب أن ينقل ابن هشام في سيرته أنَّ العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأمَّ كلثوم، ابنتي رسول الله صلى الله عليه (وآله)وسلم من مكة يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحويرث بن نقيدر، فرمى بهما إلى الأرض[3]. مع العلم أنَّ من المسلّم تاريخياً أنَّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو الذي حمل الفواطم بأمر النبي صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة، وأنَّ أحداً لم يمكنه المساس بالفواطم؛ كما أنَّ من المسلّم أنَّ العباس بن عبد المطلب لم يهاجر إلى المدينة، وأنَّه أُخرج مستكرهاً مع قريش إلى بدر، فأسره المسلمون[4]!!! كما أنَّ أحداً لم يمكنه التعرّض إلى الفواطم، بل التي تعرّضوا لها هي زينب ربيبة رسول الله، تعرّض لها هبار بن الأسود ومعه الحويرث بن نقيدر فأهدر النبي (صلى الله عليه وآله) دمهما؛ والأغرب أن يأتي البعض فينقل كلام ابن هشام مع مخالفته للحقائق التاريخية المسلّمة.[5]

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٣ – ١٩٥.

(٢) الأمالي للطوسي:ص٤٦٣ – ٤٧٢ / ح١٠٣١.

(٣) سيرة ابن هشام ٤: ٨٦٨.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٣٦٥؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٨: ١٢٨؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٦: ٢٩٠.

(٥) انظر على سبيل المثال كتاب (فاطمة هي فاطمة للدكتور علي شريعتي، تعريب هاجر القحطاني ص١٥٩).

فاطمة وسنوات المقاومة في المدينة إلى جانب النبي

وفي المدينة تصاعد عطاء الزهراء فاطمة عليها السلام مع زيادة عمرها، فشاهدناها تقف إلى جانب أبيها العائد من معركة أُحد، تمسح الدم عن وجهه، وتضمد جراحه النازفة، وشاهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله يحبس عمته المرأة الكبيرة عنه، ويسمح لفاطمة الصغيرة – قياساً إلى عمة أبيها صفية – أن تنظر إليه. لأنَّه يعلم أنَّ قلبها الحنون لا يحتمل فراقه؟ أم أنَّه كان بحاجة إلى لمسات حنان البنت التي أضحت أمَّاً لأبيها؟ لقد شاهدنا الزهراء عليها السلام وهي تنبىء في تلك اللحظات عن شيء عجيب؛ ورأيناها تُخبر عن أنَّ الله تعالى اشتدّ غضبه على من أدمى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، ورأينا رسول الله صلى الله عليه وآله يتناول – في حركة تصديقية لإخبار الزهراء الطاهرة – الدم الذي يسيل من وجهه الشريف فيرمي به في الهواء فلا يرجع منه شيء، ثم سمعنا الإمام الصادق عليه السلام ينبئنا «**أنَّ ذلك الدم لو كان قد سقط منه شيء على الأرض لنزل العذاب من السماء**».

لقد شاهدنا كيف تتصدى الزهراء عليها السلام لواجبات المرأة الكبيرة منذ نعومة أظفارها، ورأينا نساء الأنصار لما سمعن عتب النبي صلى الله عليه وآله من أنَّ عمه الحمزة أسد الله وأسد رسوله ليس له من يبكيه، رأيناهن يتركن صفية بنت عبد المطلب أُخت الحمزة عليه السلام، ويواسين فاطمة الصغيرة عليها السلام ويسعدنها في مصابها بعمّها، حتى قال لهن رسول الله صلى الله عليه وآله: ارجعن رحمكنّ الله، فقد آسيتن بأنفسكن.

لقد وُصفت الزهراءُ فاطمة في تلك الفترة بأنَّها أشبه الناس بأبيها صلى الله عليه وآله، وفي هذا الوصف دلالة واضحة على أنَّ ملامح سيرته المباركة صلوات الله عليه

وآله كانت تتجسد في سيرة ابنته فاطمة عليها السلام التي كانت مرآة لأبيها، تحاكيه في أخلاقه وصدقه في الحديث، وفي إيثاره وعبادته، بل وفي مشيته وحركاته، حتى قالت عنها عائشة: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلّا وهدياً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال عنها جابر بن عبد الله: ما رأيت فاطمة تمشي إلّا ذكرتُ رسول الله.

أمّا أبو الزهراء صلى الله عليه وآله الذي كان أعرف الناس بابنته الحوراء الإنسية التي ربيت في حجور الأنبياء، وتداولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، فقد لمس من حنانها ورعايتها وإشفاقها ما جعله يطلق عليها لقباً ندر أن يلقّب به أب ابنته اليافعة: (أمُّ أبيها)! وأي أب؟ أشرف الخلق وأحبّهم إلى الله تعالى. فما أعظمها من منزلة ارتقت إليها الفتاة التي أثبتت بها لا مزيد فوقه أنَّ بإمكانها أن تجسّد دور الأمِّ المعطاء المضحية بكل الأبعاد والتفاصيل التي يتضمنها ذلك الدور!! ولا عجب حين تعترف أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة لما فوّض إليها رسول الله صلى الله عليه وآله تربية ابنته بأنَّ الزهراء كانت أكثر منها أدباً ومعرفة بالأمور؛ ثم تفسّر ذلك بقولها: وكيف لا تكون كذلك وهي سلالة الأنبياء؟!

لقد قلب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله - في حركة تغييرية كبيرة - المفاهيم الجاهلية التي كانت سائدة عند عرب الجزيرة، الذين كانوا يأنفون من ذكر الأُنثى في مجالسهم ويكنّون عنها، والذين كان أحدُهم إذا بُشّر بالأُنثى ظل وجهه مسودّاً وهو كظيم، فقدّم لهم صورة جديدة جميلة عن الأُنثى في درجات كمالها، وفتح أعينهم على حقيقة أنّ بإمكان هذه الأُنثى أن تكون أُسوة ليس للنساء فحسب، بل وللرجال أيضاً، ثم دلّهم - وهو الأب الرحيم - على أُسلوب معاملة البنت بالحُسنى، فكان إذا قدمت عليه

ابنته الزهراء عليها السلام يقوم لها ويُجلسها مكانه. بل كان يقبّل يد ابنته الزهراء الطاهرة عليها السلام! وكان صلى الله عليه وآله كثيراً ما يقول عن ابنته الحوراء بأنَّها روحه التي بين جنبيه، وأنَّها بهجة قلبه وثمرة فؤاده. فأين ينسجم كل هذا مع ما اعتاد عليه عرب الجاهلية؟!! أولئك الذين كان أمثلهم طريقة من إذا أبقى على ابنته على مضض ولم يئدها ويدسّها في التراب، تمنّى لها أن يسترها القبر سريعاً لئلا تفضحه وتشين سمعته.

فاطمة تقدم كسرة خبز يابسة لأبيها الجائع منذ ثلاث

يأخذ الجوع من رسول الله صلى الله عليه وآله مأخذه، فيقصد أقرب البيوت إلى قلبه: بيت فاطمة بضعته وبهجة قلبه، فترى ملامح وجهه، فتبادر إلى كسيرة يابسة من خبز شعير لعلّها خبّأتها لولديها الصغيرين أو لبعلها المجاهد، فتقدّمها إلى أبيها الحبيب، فيفطر عليها، ثم يُخبر ابنته أنَّه لم يذق شيئاً من الطعام منذ ثلاث!! فلا تتمالك ابنته دموعها لأنَّها لا تملك ما تضعه بين يدي أبيها الحبيب سوى تلك الكسيرة الصغيرة من خبز الشعير! أين الأكاسرة والقياصرة عن هذا المنظر العجيب؟! أين الفراعنة وأولاد الفراعنة عن معاناة أشرف خلق الله وأخصّهم عنده وأقربهم إليه منزلة! لقد زوى رسولُ الله وأهل بيت الأطهار الدنيا وأبعدوها عن نفوسهم، واحترزوا من أبسط طيّباتها ولذائذها، وقد جاء في الحديث أنَّ الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام: «**إنَّ عبادي لم يتقربوا إليّ بشيء أحب إلي من ثلاث خصال؛ قال موسى: يا ربِّ وما هن؟ قال: يا موسى، الزهد في الدنيا، والورع عن معاصيي، والبكاء من خشيتي**»[1].

أخرج ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب عن أخبار فاطمة عليها السّلام، عن

(١) روضة المتقين للمجلسي الأول ٢: ٣٥١.

أبي علي الصولي، أنَّ عبد الله بن الحسن قال: «**دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله على فاطمة عليها السّلام، فقدّمت إليه كسيرة يابسة من خبز شعير، فأفطر عليها. ثم قال: يا بنية، هذا أوّل خبز أكل أبوك منذ ثلاثة أيام؛ فجعلت فاطمة عليها السّلام تبكي ورسول الله صلّى الله عليه وآله يمسح وجهها بيده**»[١].

فاطمة عليها السلام تمسح الدم عن وجه رسول الله المدمى

يعجب المرء من مدى العلاقة الحميمة بين رسول الله وابنته، بحيث يحجب عمّته - وهي المرأة الكبيرة المجرّبة - ويسمح لابنته الصغيرة الرقيقة أن تنظر إلى وجهه المدمّى ودمائه المتساقطة من فيه المقدّس. ولعلّه كان يعلم أنَّ ابنته لا طاقة لها على تحمّل فراقه تلك اللحظات العصيبة، أو لعلّه كان يحسّ بجراحه تسكن مع لمسة يد ابنته الحانية.

أخرج العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن كتاب أبان بن عثمان: أنَّه لما انتهت فاطمة عليها السّلام وصفية إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله ونظرتا إليه، قال لعلي عليه السّلام: «**أما عمّتي فاحبسها عني، وأما فاطمة فدعها**».

فلما دنت فاطمة عليها السّلام من رسول الله صلّى الله عليه وآله ورأته قد شجّ في وجهه وأُدمي فوه إدماءً، صاحت وجعلت تمسح الدم وتقول: «**اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله**»، وكان يتناول في يده رسول الله صلّى الله عليه وآله ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء، فلا يتراجع منه شيء.

قال الصادق عليه السّلام: «**ولو سقط منه شيء على الأرض لنزل العذاب**»[٢].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٣٢.

(٢) بحار الأنوار ٢٠: ٩٥.

فاطمة تغيث أباها يوم أُحد وتضمد جراحه النازفة

لم تمنع الصدمة الكبيرة التي لحقت بالزهراء عليها السلام وهي تنظر إلى جراح والدها لا تزداد كلّما غسلتها بالماء إلّا غزارة، لم تمنعها أن تتصرّف بمنتهى الحكمة، فقد أخذت شيئاً من حصير فأحرقته، ثمّ جعلت الرماد على الجراح النازفة وصنعت لها كمادة، فما لبث الدم أن استمسك.

روى الطبراني في المعجم الكبير عن سهل بن سعد قال: لما كان يوم أحد وانصرف المشركون عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه، خرج النساء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه يغيثونهم، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله فيمن خرج. فلما لقيت رسول الله صلّى الله عليه وآله اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم. فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير فأحرقته بالنار فكمدته حتى لصق بالجرح واستمسك الدم[1].

نساء الأنصار يواسين الزهراء في مصاب عمّها حمزة

حزنت الزهراء عليها السلام لشهادة عمّها الحمزة، وحزنت أُخته صفيّة بنت عبد المطلب، وذرف كلاهما الدمع لأجله. ووقف رسول الله صلى الله عليه وآله على عمّه حمزة فذرف الدمع وقال مقولته الشهيرة (أمّا حمزة، فلا بواكي له!) في لومٍ واضح للأنصار الذين شغلتهم أحزانُهم الشخصيّة عن مواساة نبيّهم في مصيبة فقدان عمّه أسد الله حمزة، ولذلك نرى أنّ سعد بن معاذ وأسيد بن حضير أمرا نساء الأنصار أن لا تبكي امرأة منهن قتيلها إلا بعد أن تأتي إلى فاطمة فتسعدها وتبكي معها على عمّها الحمزة. لقد بكى

(١) المعجم الكبير للطبراني ٦: ١٥٣/ ح٥٨٢٣.

رسولُ الله صلى الله عليه وآله في مصاب حمزة عليه السلام وبكت الزهراء عليها السلام، ويأتي مَن يأتي اليومَ فيزعم أنَّ البكاء على الموتى لا يجوز، أو يزعم أنَّ البكاء على الميّت يسبب نزول العذاب على ذلك الميّت!!

روى الطبرسي في إعلام الورى عن أبان، قال: وحدثني أبو بصير، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام، قال:... «**وانصرف رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى المدينة حين دفن القتلى، فمرّ بدور بني الأشهل وبني ظفر، فسمع بكاء النوائح على قتلاهنّ، فترقرقت عينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وبكى. ثم قال: لكن حمزة لا بواكي له اليوم**».

فلما سمعها سعد بن معاذ وأسيد بن حضير قالا: لا تبكينّ امرأة حميمها حتى تأتي فاطمة عليها السّلام فتسعدها. فلما سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله الواعية على حمزة- وهو عند فاطمة عليها السّلام على باب المسجد- قال: «**ارجعن رحمكنّ الله، فقد آسيتن بأنفسكن**»[1].

وأخرج ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن الواقدي في مغازيه في قصة أُحد بعد استشهاد حمزة بن عبد المطلب:

روي أنَّ صفية (بنت عبد المطلب) لما جاءت - بعد استشهاد الحمزة- حالت الأنصار بينها وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: دعوها. فجلست عنده، فجعلت إذا بكت يبكي رسول الله صلّى الله عليه وآله، وإذا نشجت ينشج رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وجعلت فاطمة عليها السّلام تبكي، فلما بكت بكى رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**لن أصاب بمثل حمزة أبداً**». ثم قال صلّى الله عليه

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ١٨٣.

وآله لصفية وفاطمة: «**أبشرا، أتاني جبرائيل عليه السلام فأخبرني أنَّ حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله**»[١].

فاطمة أشبه الناس بأبيها

حين يكون ينبوع النور واحداً، فلا ريب أنَّ الأنوار التي ستنبعث منه ستتماثل وتتشابه. وطالما كانت الأنوار التي جاء منها رسول الله وابنته متماثلة في المنشأ، فسنجد أنَّ وجوداتهما الأرضية متماثلة، وقد شهد البعض أنَّ الزهراء عليها السلام كانت أشبه الناس وجهاً وسمتاً ودلاً وهدياً وحديثاً برسول الله، بل إنَّها كانت تحكيه حتى في المشية وفي قيامه وقعوده.

روى أحمد في المسند بإسناده عن أنس بن مالك، قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحسن بن عليٍّ وفاطمة عليهما السلام[٢].

وروى الحاكم النيسابوري في المستدرك عن عائشة، قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلّا وهدياً وحديثاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

وأخرج المجلسي في بحار الأنوار عن أمِّ سلمة قالت: كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أشبه الناس وجهاً وشبهاً برسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

وأخرج ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب عن جابر بن عبد الله: ما رأيت فاطمة

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ١٧.

(٢) مسند أحمد ٣: ١٦٤.

(٣) المستدرك ٤: ٢٧٢.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ٥٥.

تمشي إلَّا ذكرت رسول الله، تميل على جانبها الأيمن مرة وعلى جانبها الأيسر مرة[١].

وروى الحاكم في المستدرك بإسناده عن عائشة: أنَّها إذا ذكرت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً منها إلَّا أن يكون الذي ولدها[٢]. وأخرجه الزرندي في نظم درر السمطين[٣].

فاطمة أمُّ أبيها

كيف تكون البنت أمّاً لأبيها؟! أللحنان الكبير الذي تغمره به حتى تُنسيه حنان أمِّه وعطفها؟ أم للحبّ الغامر الذي يكتنف الأب تجاه ابنته الحانية، فكأنَّه حبُّ الولد لأمِّه؟ أم للقلب الكبير الذي كان صلى الله عليه وآله يجد فيه السلوى والحنان كلما جبهه رجال قريش وكفّارها بغلظتهم وقسوتهم، يوم كانوا يفرشون طريقه بالأشواك ويصبّون فوق رأسه حال سجوده الفرث والسلا، ويغرون به سفهاءهم فيرمونه بالحجارة وينعتونه بالكاذب المجنون! لقد قلّد الصادق المصدّق صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة عليها السلام هذا الوسام، عرفاناً منه بدورها الكبير في حمايته ومعاضدته ومناصرته، فكان وسام الفخر الذي عزّ مثيله وانقطع نظيره.

أخرج أبوالفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، عن الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**إنَّ فاطمة تكنّى بأمِّ أبيها**»[٤].

وروى الطبراني في المعجم الكبير بإسناده عن مصعب بن عبد الله الزبيري

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٣٢.

(٢) المستدرك ٣: ١٦٠ - ١٦١.

(٣) نظم درر السمطين: ص١٨٢.

(٤) مقاتل الطالبيين: ص٥٧ ترجمة الإمام الحسن المجتبى؛ تاريخ مدينة دمشق ٣: ١٥٦.

قال: كنية فاطمة أمُّ أبيها[١].

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير عن محمد بن علي المديني فستقة، قال: وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تكنى أمَّ أبيها، يقال كانت أصغر ولد رسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة[٢].

وأخرج الشيخ الكجوري في الخصائص الفاطمية:

لما نزل قوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[٣] في المدينة، وتكنّت كل واحدة من أزواج سيد الكائنات بـ(أم المؤمنين) وافتخرن بأنّهن صرن أمّهات المؤمنين والمؤمنات، فسألت فاطمة الزهراء عليها السلام لنفسها تشريفاً ومزية عليهن، فضمّها النبي المختار إلى صدره كما يضم روحه العزيزة الحلوة، وقبّلها وشمّها وكنّاها بـ(أمَّ أبيها)؛ يعني إنْ كن نسائي أمّهات أمّتي، فأنتِ أعلى قدراً وأجل رتبة لأنّك (أمّي)[٤].

فاطمة عليها السلام بهجة قلب أبيها وروحه التي بين جنبيه

تطالعنا روايات كثيرة يعرّف خلالها رسولُ الله صلى الله عليه وآله أمّته بمدى العلاقة بينه وبين ابنته الحبيبة فاطمة عليها السلام، ونعلم يقيناً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقول شططاً ولا يُبالغ دونما دليل، وأنّه كان يكشف في هذه العبارات عن المنزلة العالية التي بلغتها ابنته الغالية في علاقتها بربها تعالى، وأنّه صلى الله عليه وآله كان يدلّ أمّته على ضرورة التمسّك بالزهراء وبعلها وابنيها عليهم السلام كطريق للفوز والفلاح.

---

(١) المعجم الكبير ٢٢: ٣٩٧.

(٢) المعجم الكبير ٢٢: ٣٩٧.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٦.

(٤) الخصائص الفاطمية ١: ١٣٤ – ١٣٥.

أخرج ابن طاووس في الطرائف أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله قال: «**فاطمة عليها السّلام بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أُمناء ربي وحبل ممدود بينه وبين خلقه؛ من اعتصم بهم نجا ومن تخلف عنهم هوى**»[١].

وأخرج المجلسي في بحار الأنوار عن كتاب مولد فاطمة عليها السلام لابن بابويه عن مجاهد، قال: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيد فاطمة عليها السلام، فقال:

«**من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي وروحي الّتي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**»[٢].

وأخرج الصدوق في أماليه، أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله قال (في حديث):... «**وأمّا ابنتي فاطمة عليها السّلام، فإنّها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسية. متى قامت في محرابها بين يدي ربها جل جلاله، زهر نورُها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي، انظروا إلى أَمَتي فاطمة عليها السّلام سيدة إمائي، قائمة بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي. أُشهدكم أنّي قد أمنت شيعتها من النار**»[٣].

فاطمة ترقي أباها رسول الله صلى الله عليه وآله

الرُقية كما في النهاية في غريب الحديث والأثر: العوذة التي يُرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات.

---

(١) الطرائف ١: ١١٧ / ح١٨٠.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٥٤.

(٣) أمالي الصدوق: ص١٧٥، المجلس ٢٣؛ بحار الأنوار ٤٣: ١٧٢ / ح ١٣.

ومنه قول الشاعر:

هل للفتى من بنات الموت من واقي ... أم هل له من حمام الموت من راقي

أخرج العجلوني في كشف الخفا ومزيل الألباس عن أنس: كانت فاطمة عليها السّلام ترقي أباها إذا وجد تكسّراً في عطفه أو فترة: «**بسم الله وبالله، أذهب البأس ربّ الناس واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً يا أرحم الراحمين**»

وكانت تنفخ ولا تتفل[١].

رسول الله يقبل يد فاطمة ويجلسها مكانه

في مجتمع خرج للتوّ من ظلمات جاهليّة جهلاء، مجتمع كان يئد الأُنثى صغيرةً لمجرّد هواجس خوف من العار الذي قد تُلحقه به إذا كبرت وسباها الأعداء، وفي مجتمع كان بعض أفراده يعتبر تقبيل الصغير والطفل أمراً غير لائق، فقد روى الحاكم في المستدرك عن عروة بن الزبير أخبره عن أبيه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبّل حسناً وضمه إليه وجعل يشمّه وعنده رجل من الأنصار، فقال الأنصاري: إنَّ لي ابناً قد بلغ ما قبّلته قط، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أرأيتَ إن كان الله نزع الرحمة من قلبك فما ذنبي**»؟[٢]

في مثل هذا المجتمع كان رسولُ الله يرسّخ ثقافة جديدة تقوم على محبّة الصغار وتقبيلهم كما رأيناه يفعل مع الحسن المجتبى عليه السلام وهو صغير، وكان صلى الله عليه وآله يرسّخ ثقافة محبّة الأطفال الإناث، فيروي الحر العاملي أنَّه صلى الله عليه وآله

(١) كشف الخفا ومزيل الالباس ١: ١٠٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٧٠.

قال: «**خير أولادكم البنات**».[١]

ويروي الصدوق عنه صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**مَن عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة**». قيل: يا رسول الله! واثنتين؟

قال: «**واثنتين**». قيل: يا رسول الله! وواحدة؟ قال: «**و واحدة**».[٢]

وكان صلى الله عليه وآله لا يكتفي بالتعليم النظريّ، بل كان في سيرته العمليّة أعظم الأثر في ترسيخ المفاهيم النظرية في نفوس الصحابة، وكان صلى الله عليه وآله يقوم لابنته فاطمة ويعاملها بمنتهى اللطف والمحبّة والاحترام ويجلسها في مكانه.

روى الحاكم في المستدرك بإسناده عن عائشة بنت طلحة عن عائشة بنت أبي بكر أنَّها قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه. ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٣].

وروى البيهقي في السنن الكبرى بإسناده عن عائشة بنت طلحة عن عائشة بنت أبي بكر أنَّها قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله صلى الله عليه (وآله)وسلم، وكانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها رحبت به وقامت فأخذت بيده فقبلته – وذكر الحديث[٤].

(١) مستدرك الوسائل ١٥: ١١٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٨٢.

(٣) المستدرك ٣: ١٥٤.

(٤) السنن الكبرى ٧: ١٠١.

وأخرج القندوزي في ينابيع المودة عن صاحب المشكاة،عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً وهدياً ودلاً، وفي رواية: حديثاً وكلاماً، برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة، وكان إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها. (رواه أبو داود)(١).

وأخرج الشيخ الطوسي في الأمالي عن عائشة، قالت: ما رأيت من الناس أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله صلّى الله عليه وآله من فاطمة عليها السّلام؛ كانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقبّل يديها وأجلسها في مجلسه. فإذا دخل عليها قامت إليه فرحّبت به وقبّلت يديه.

ودخلت عليه في مرضه، فسارّها فبكت ثم سارّها فضحكت. فقلت: كنت أرى لهذه فضلاً على النساء. فإذا هي امرأة من النساء بينما هي تبكي إذا ضحكت. فسألتها فقالت: «**إذا إنِّي لبذرة**».

فلما توفّي رسول الله صلّى الله عليه وآله سألتها، فقالت: «**إنَّه أخبرني أنَّه يموت فبكيت، ثم أخبرني أني أول أهله لحوقاً فضحكت**»(٢).

فاطمة عليها السّلام في الخيل السوابق

لا تحتاج المرأة في مسيرتها التكامليّة إلى تبديل أطقم ملابسها باستمرار، ولا إلى تغيير طريقة تصفيف شعرها، ولا إلى تزيين نفسها بالذهب والفضة والمجوهرات، لأنّ تغيير

---

(١) ينابيع المودة ٢: ٥٥ / الرقم٣٠.

(٢) الأمالي للطوسي ٢: ١٥.

الظاهر لن ينعكس مطلقاً على تغيير الباطن. ولو ألبسنا دُميةً من الدمى كلّ مجوهرات الدنيا، وصببنا عليها كلّ وسائل الزينة، فإنّها لن تعدو كونها دمية رخيصة يستغني عنها صاحبُها بيُسر وطيب نفس. ونلاحظ في هذا الحديث أنّ بضعة رسول الله وريحانته من الدنيا كانت ترتدي شملة خلقة خيطت في مواضع كثيرة منها، وأنّها حين أُخبرت ببكاء أبيها صلى الله عليه وآله لم تأبه بارتداء تلك الشملة، مع أنّ سلمان لم يتمالك نفسه أن بكى حين نظر إليها وعادت به الذكريات إلى ملابس بنات قيصر وكسرى الحريريّة التي كنّ يرفلن بها. وإنّ تعبير «**إنّ ابنتي لفي الخيل السوابق**» في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله هو تعبير حيّ جزيل عن حقيقة أنّ رضوان الله تعالى لا يُبلغ إلاّ باتّباع مرضاته وسُلوك طريق طاعته، فالخيل السوابق تعبير عن أنّ المجال هو مضمار سباق يفوز فيه مَن سعى ونافسَ وبذل غاية الجُهد وقصاراه.

أخرج المجلسي في بحار الأنوار عن الدروع الواقية، عن كتاب زهد النبي صلّى الله عليه وآله لأبي جعفر أحمد القمي: أنَّه لما نزلت هذه الآية على النبي صلّى الله عليه وآله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ. لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[1]، بكى النبي صلّى الله عليه وآله بكاءً شديداً وبكى صحابته لبكائه ولم يدروا ما نزل به جبرئيل، ولم يستطع أحد من صحابته أن يكلّمه.

وكان النبي صلّى الله عليه وآله إذا رأى فاطمة عليها السّلام فرح بها. فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها، فوجد بين يديها شعيراً وهي تطحن فيه وتقول: ﴿وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقى﴾، فسلّم عليها وأخبرها بخبر النبي صلّى الله عليه وآله وبكائه.

فنهضت والتفّت بشملة لها خلقة، قد خيطت في اثني عشر مكاناً بسعف النخل. فلما

(١) سورة الحجر: الآية ٤٣.

خرجت نظر سلمان الفارسي إلى الشملة وبكى وقال: واحزناه، إنَّ بنات قيصر وكسرى لفي السندس والحرير، وابنة محمد صلّى الله عليه وآله عليها شملة صوف خلقة، قد خيطت في اثني عشر مكاناً.

فلما دخلت فاطمة عليها السّلام على النبي صلّى الله عليه وآله قالت: «**يا رسول الله، إنَّ سلمان تعجّب من لباسي، فو الذي بعثك بالحق ما لي ولعلي عليه السّلام منذ خمس سنين إلا مسك كبش نعلف عليه بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، وإنَّ مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف**».

فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**يا سلمان، إنَّ ابنتي لفي الخيل السوابق**»- الحديث[1].

تربية الزهراء عليها السلام

اكتشفت أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة الحقيقة الناصعة التي أصحرت عن نفسها: أنّ الفتاة التي فوّض رسول الله صلى الله عليه وآله أمرها إليها لتـُعينها في أُمورها المعيشية واحتياجاتها لا تحتاج إلى تأديب أمِّ سلمة وتعليمها، بل هي أكثر منها أدباً ومعرفة بالأُمور كلّها، فقد علّمها خالقها بالعلم اللدنّي. وعَلِمت أمُّ سلمة أنَّ الزهراء فاطمة عليها السلام لا بدّ أن تكون - كما وجدتها - في أعلى درجات الكمال والمعرفة. كيف لا وهي سليلة الأنبياء وفرع الدوحة المحمدية وبضعة خاتم الأنبياء وأشرفهم. كما شهدت عائشة حين عاشت في بيت رسول الله - مع كلّ ما تكنّه لها ولزوجها ممّا تكشّف في كلامها وتصرّفاتها - أنّه ليس أحدٌ أصدق من فاطمة إلاّ الذي وَلَدَها. وسيأتي كلام أمِّ سلمة في وصف ريحانة رسول الله عليها السلام، كما سيأتي كلام عائشة لاحقاً.

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٨٧/ ح ٩.

أخرج الطبري في دلائل الإمامة عن أمِّ سلمة أمِّ المؤمنين أنَّها قالت: تزوّجني رسول الله صلّى الله عليه وآله وفوّض أمر ابنته إليّ؛ فكنت أؤدّبها وأدلّها. كانت والله أأدب مني وأعرف بالأشياء كلها، وكيف لا تكون كذلك وهي سلالة الأنبياء؛ صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها[١].

فاطمة تداولتها أيدي الملائكة ونمت في حجور الطاهرات

وفي الحديث التالي شهادةٌ أُخرى لأمِّ سلمة في حقّ الزهراء عليها السلام واستنكارٌ لما وقع عليها من الحيف والظلم، فالحوراء الإنسيّة التي رُبّيت في حجور الأنبياء، وتداولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات لا يجوز أن تعامَل بكلّ هذه القسوة والفظاظة، كما أنّها أطهر وأورع وأتقى مِن أن تدّعي ما ليس لها بحقّ، وهي عليها السلام أعلمُ من غيرها بسنّة أبيها رسول الله، وهي أعلم بالحلال والحرام من سواها.

روى محمد بن جرير الطبري الشيعي في دلائل الإمامة عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام خطبة الزهراء عليها السلام واحتجاجها على أبي بكر؛ حتى بلغ قوله:

«... ثم نادى (أبو بكر) الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، ما هذه الرعة، ومع كل قالة أُمنية؟! أين كانت هذه الأماني في عهد نبيكم؟! فمن سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، كلا بل هو ثُعالة شهيدُه ذَنَبه لعنه الله، وقد لعنه الله، مربّ لكل فتنة، يقول: كروها جذعة، ابتغاء الفتنة من بعد ما هرمت، كأمِّ طحال أحب أهلها إليها البغي، ألا لو شئت أن أقول لقلتُ، ولو تكلمت لبُحت، وإنِّي ساكتٌ ما تُركت، يستعينون بالصبية، ويستنهضون النساء، وقد بلغني - يا معشر

(١) دلائل الإمامة: ص١١.

الأنصار - مقالةُ سفهائكم، فوالله إنَّ أحقَّ الناس بلزوم عهد رسول الله أنتم، لقد جاءكم فآويتم ونصرتم، وأنتم اليوم أحقُّ من لزم عهده، ومع ذلك فاغدوا على أُعطياتكم، فإنِّي لست كاشفاً قناعاً، ولا باسطاً ذراعاً ولا لساناً إلا على مَن استحق ذلك، والسلام».

قال: فأطلعت أمُّ سلمة رأسها من بابها وقالت: ألمثل فاطمة بنت رسول الله يقال هذا، وهي الحوراء بين الإنس، والأُنس للنفس، رُبّيت في حجور الأنبياء، وتداولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير منشأ، وربيت خير مربى؟! أتزعمون أنَّ رسول الله حرّم عليها ميراثه ولم يُعلمها؟! وقد قال الله له: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1]؟ أفأنذرها وجاءت تطلبه وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبّان، وعديلة مريم ابنة عمران، وحليلة ليث الأقران، تمّت بأبيها رسالاتُ ربّه؟! فوالله لقد كان يشفق عليها من الحرّ والقرّ، فيوسدها يمينه، ويُلحفها بشماله، رُويداً فرسول الله بمرأى لغيّكم، وعلى الله تردون، فواهاً لكم وسوف تعلمون. قال: فحُرمت أمُّ سلمة تلك السنة عطاءها، ورجعت فاطمة عليها السلام إلى منزلها فتشكّت[2].

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: (بـــ)من يعرّض؟ فقال: بل يصرّح. قلت: لو صرّح لم أسألك. فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب عليه السلام، قلت: هذا الكلام كله لعلي يقوله! قال، نعم، إنَّه المُلك يا بنيّ.

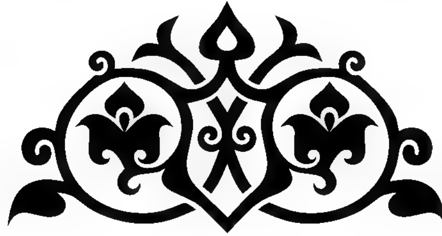
قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذِكر عليٍّ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم، فنهاهم.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢) دلائل الإمامة: ص ١٢٣ - ١٢٥.

فسألتُه عن غريبه، فقال: أمّا (الرعة) بالتخفيف، أي الاستماع والإصغاء، و(القالة): القول، و(ثعالة): اسم الثعلب علم غير مصروف، ومثل ذؤاله للذئب، و(شهيدُه ذَنَبُه)، أي لا شاهد له على ما يدّعي إلا بعضُه وجزء منه، وأصله مَثَل، قالوا: إنَّ الثعلب أراد أن يُغري الأسد بالذئب، فقال: إنَّه قد أكل الشاة التي كنتَ قد أعددتها لنفسك، وكنتُ حاضراً. قال: فمَن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الأسد قد افتقد الشاة. فقبل شهادته وقتل الذئب، و(مُربٍ): مُلازم، أرب بالمكان. و(كرّوها جذعة): أعيدوها إلى الحال الأُولى، يعني الفتنة والهرج. و(أمّ طحال): امرأة بغيّ في الجاهلية.[1]



(١) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٥.



الفصل الثالث

العلاقة الحميمة بين الأب والبنت

العلاقة المستعصية على الوصف

كيف يتصور المرء العلاقة بين الأب الودود والبنت الحنون؟ وكيف يتصور تلك العلاقة حين يكون الأب أشرف خلق الله تعالى وحبيبه وصفيّه من خلقه، وتكون البنت حوراء إنسية منّ الخالق بها على نبيّه بعد صبر وامتحان طويل، وبعد صيام وقيام وانقطاع عن الخلق لأربعين يوماً كاملة، فلمّا جاءه أمين وحي الله بعد الأربعين يوماً بشّره أنَّ الخالق سيرزقه النسمة الطاهرة التي يكون منها نسله وامتداد رسالته إلى يوم القيامة. لم يكن الأب في هذه العلاقة أباً عادياً ليمكن لنا أن نتحدث عن مشاعر المحبة الأبوية التي تدفع الآباء لغمر بناتهم بفيض حنانهم ورعايتهم. كان الأب رجلاً وصفته السماء أنَّه ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]، فإذا قال في حق ابنته شيئاً كان قوله عين الحق ومحض الصدق. وفي المقابل كانت الابنة حوراء أهبطها خالقها من جنانه وخلع عليها رداءً بشرياً وجعلها سيدة نساء العالمين، وأذهب عنها الرجس وطهّرها تطهيراً، فكانت بحق مطهّرة مبرأة من كل نقص ودنس، فلم تعهد ما تعهده نساء الأرض مما يقعد بها عن عبادة خالقها المنّان. كانت العلاقة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وابنته الزهراء فاطمة عليها السلام علاقة تستعصي على الوصف، علاقة أكبر في محتواها ومعناها من أن تشرحها الكلمات. وكان في بيت النبي صلى الله عليه وآله مَن يعترض على رسول الله لكثرة تقبيله لابنته الزهراء عليها السلام، وكان صلى الله عليه وآله يكشف بعض أسرار هذا الحب الإلهي فيقول للمعترضة: «**ويلكِ! لما أن عرّج بي**

---

(١) سورة النجم: الآيتان ٣و٤.

إلى السماء مرّ بي جبرئيل على شجرة طوبى فناولني من ثمرها فأكلتها، فحوّل الله ذلك إلى ظهري؛ فلما أن هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السّلام؛ فما قبّلتُها قط إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها»!

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم من مقامه إذا دخلت عليه ابنته فيقبل يدها ويجلسها مكانه! وكان يفديها بنفسه وبأبويه، وكان يصفها بأنَّها ثمرة فؤاده وبهجة قلبه، ولمّا سمع صلى الله عليه وآله ابنته الحبيبة تناديه بـ«**يا رسول الله**» بعد نزول آية قرآنية تنهى عن مناداته باسمه، أعرض عنها مرة أو مرتين، ثم أقبل عليها فقال: «**يا فاطمة، إنَّها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلك؛ أنت مني وأنا منك، إنّمّا نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحاب البذخ والكبر. قولي: يا أبة، فإنَّها أحيى للقلب وأرضى للرب**»!

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يغبط أمير المؤمنين علياً على زواجه بمثل الزهراء فاطمة عليها السلام، وكان يقف بباب بيتها صباح كل يوم عدة أشهر فيقرأ آية التطهير ويدعوهم للصلاة. ولقد أبلغ صلى الله عليه وآله أمّته – حين عرضوا عليه أموالهم وممتلكاتهم أجراً على تبليغ الرسالة وعلى المشاق التي تجشمها من أجل هدايتهم – أنَّه لا يريد منهم أجراً إلَّا أن يودّوا أهل بيته بعده (ومن أبرز مصاديقهم ابنته الطاهرة).

لقد كنّى رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته بـ(أمّ أبيها) عرفاناً منه لدورها الكبير في حماية أبيها ووقوفها إلى جانبه في جميع مراحل حياتها معه، وكان إذا سافر من المدينة اختصر فترة فراقه لفاطمة عليها السلام، فكان صلى الله عليه وآله إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله: فاطمة عليها السّلام، وكان أول من يدخل عليه إذا قدم: فاطمة عليها السّلام.

ولقد فدى رسول الله صلى الله عليه وآله ابنه إبراهيم عليه السلام للحسين ابن فاطمة عليهما السلام، لأنَّه فكّر أنَّ إبراهيم إذا مات فسيحزن عليه هو، أمَّا إذا مات الحسين فإنَّ ابنته الحبيبة ستحزن عليه؛ فآثر أن يموت ابنه بدلاً من ولد ابنته! وشاءت الإرادة الربانية لهذا النبي الكريم أن يكون ابنا فاطمة ابنيه، ويكون نسله من هذه البتول الطاهرة ومن صلب علي عليهم جميعاً سلام الله تعالى.

وفي الجانب الآخر من هذه العلاقة المقدسة العجيبة تقف أمُّ أبيها، تسانده طوال مسيرته الشاقة في الدعوة إلى الله تعالى، لم تتخلَّ عنه لحظة قط، حتى أنَّها وقفت إلى جانبه لحظات نزعه الأخيرة. سُئلت عائشة: كيف رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله عند شدة وجعه؟ قالت: أما رسول الله فلم أقدر الثبات عنده، ولكن هذه ابنته فاطمة عليها السّلام فاسألها، فإنَّها لم تزل إلى جانبه...

لقد عرفت الزهراء عليها السلام أباها المرسل حق معرفته، فلا عجب أن هامت في حبّه وآثرته على نفسها وابنيها، ولما سمعت أنَّ أباها في أيامه الأخيرة في معرض القصاص من قبل عكاشة (في قصة أوردناها) قالت لبلال الحبشي: يا بلال! إذن فقُل للحسن والحسين عليهما السّلام يقومان إلى هذا الرجل فيقتصّ منهما ولا يدعانه يقتصّ من رسول الله صلّى الله عليه وآله!

وحين عرفت أنَّ أباها صلى الله عليه وآله يحتضر دخلت عليه فقالت: «**نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء؛ يا أبتاه، ألا تكلّمني كلمة؟ فإنِّي أنظر إليك وأراك مفارق الدنيا، وأرى عساكر الموت تغشاك شديداً. فقال لها: يا بنية، إنِّي مفارقك، فسلامٌ عليك مني. قالت: يا أبتاه، فأين الملتقى يوم القيامة؟ قال: عند الحساب. قالت: فإن لم ألقك عند الحساب؟ قال: عند الشفاعة لأمَّتي. قالت: فإن لم ألقك عند الشفاعة لأمَّتك؟ قال:**

عند الصراط، جبرئيل عن يميني، وميكائيل عن يساري، والملائكة من خلفي وقدامي ينادون: ربِّ سلّم أمَّة محمد من النار ويسّر عليهم الحساب».

لقد بلغت فاطمة عليها السلام في محبتها لأبيها خاتم الأنبياء والمرسلين حداً كانت معه إذا نظرت إلى قميصه وشمّته بعد ارتحاله صلى الله عليه وآله سقطت مغشيّاً عليها، ولما سمعت بلال الحبشي يؤذن (بطلب منها) ويذكر اسم أبيها في الأذان، لم تتمالك نفسها فسقطت مغشياً عليها!

أمَّا بعد ارتحال النبي صلى الله عليه وآله فقد بكته ابنته حتى دُعيت أحد البكائين الخمسة؛ قال الصادق عليه السلام: «**أمَّا فاطمة فبكت على رسول الله حتى تأذى أهل المدينة. فقالوا لها: آذيتِنا بكثرة بكائك، إمَّا أن تبكي بالليل، وإمَّا أن تبكي بالنهار! وكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي**». وكان يزيد على مضاضة الفجيعة على قلب الزهراء عليها السلام أنَّها كانت تنظر بأمِّ أعينها منبرَ أبيها مُصادراً من قِبل من لا حقّ له فيه، وترى عياناً المسيرة التي رعاها أبوها طيلة فترة بعثته الشريفة وهي تنحرف عن الأهداف السامية التي رسمتها الشريعة الغرّاء طريقاً مهيعاً لسعادة البشريّة. ولعلّ الزهراء وهي تبكي عند مقابر الشهداء الذين جادوا بدمائهم الغالية لإرساء دعائم الرسالة، لعلّها كانت تتأسّف حين ترى ثمرات تضحياتهم الكبيرة مهددة بالضياع، أو لعلّها كانت تندب تلك النفوس الكبيرة المخلصة التي صبرت على الحق دون أن تنحرف قيد أنملة.

النبي يكثر تقبيل ريحانته فاطمة عليها السلام

كان لرسول الله صلى الله عليه وآله تسع زوجات، لكننا لم نسمع أنَّ إحداهن اعترضت عليه في أمر المحبّة الكبيرة التي كان يُبديها لبضعته وريحانته الزهراء عليها السلام سوى

ما كان من عائشة! ودعونا نتساءل: لماذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُكثر تقبيل فاطمة عليها السلام، بحيث إنّ ذلك كان يستفزّ عائشة؟! الجواب هو ما صرّح به رسول الله ردّاً على أسئلة عائشة الاستنكاريّة المتكرّرة بأنَّه كان يقبّل ريحانته فاطمة كلّما اشتاق إلى رائحة الجنّة. ثمّ! لماذا لم يكن في تصرّف رسول الله على هذا النحو مدعاة لاستنكار أو حتّى لتعجّب إحدى نسائه الباقيات؟! لم ينقل لنا التاريخ أنّ إحدى أمَّهات المؤمنين أزعجها أو أدهشها الحبّ الكبير الذي أحاط به خاتم الأنبياء ابنته الأثيرة فاطمة عليها السلام. وسيأتي قريباً أنَّ عائشة كانت تشعر بالغيرة الشديدة من خديجة عليها السلام، وأنَّها كانت تنزعج من وفاء النبي لها وذِكره لها وتقول: (ما غرتُ على أحد من نساء النبي كما غرتُ على خديجة وما رأيتُها)! حتّى أنَّها كانت تنتقص منها أمام رسول الله وتنعتها بنعوت سيئة وتسبّها بأنَّها (عجوز حمراء الشدقين)[1]، وتسيء إلى ابنتها وتخاطبها بـ(بنت خديجة)!!

أخرج الحافظ السيوطي في جامع الأحاديث عن عائشة: أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله كثيراً ما يقبّل عرف فاطمة عليها السّلام[2].

وروى العيّاشي في تفسيره عن أبان بن تغلب، قال: كان النبي صلّى الله عليه وآله يكثر تقبيل فاطمة عليها السّلام. قال: فعابته على ذلك عائشة فقالت: يا رسول الله! إنَّك لتكثر تقبيل فاطمة!

فقال لها: «**ويلك! لما أن عرج بي إلى السماء مرّ بي جبرئيل على شجرة طوبى فناولني**

(١) (عجوز حمراء الشدقين) معناه عجوز كبيرة جداً قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق لشدقها بياض شيء من الأسنان، إنما بقي فيه حمرة لثتها.

(٢) جامع الأحاديث للسيوطي ١٨: ٢٢١ / ح ١٢١١٠.

من ثمرها فأكلتها، فحوّل الله ذلك إلى ظهري؛ فلما أن هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السّلام؛ فما قبّلتها قط إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها»[١].

وروى الصدوق بإسناده عن ابن عباس، قال: كان النبي صلّى الله عليه وآله يكثر القبل لفاطمة عليها السّلام. فقالت له عائشة: بأبي أنت وأمّي، إنَّك تكثر قبل فاطمة! فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**إنَّ جبرئيل ليلة أُسري بي أدخلني الجنة، فأطعمني من جميع ثمارها. فصار ماءً في صلبي، فحملت مني خديجة بفاطمة عليها السّلام. فإذا اشتقت إلى تلك الثمار قبّلت فاطمة عليها السّلام، فأصبت من رائحتها طعم تلك التي أكلتها»**[٢].

وأخرج ابن شهر آشوب عن الباقر والصادق (عليهما السلام): «**أنَّه كان صلى الله عليه وآله لا ينام حتى يقبل عرض وجه فاطمة»**.[٣]

أقول: مر بنا عن قريب أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقبل يد ابنته الزهراء عليها السلام ويُجلسها مكانه.

النبي يدافع عن الزهراء ويمتدح أمَّها وينهر عائشة

لم تكن العلاقة بين الزهراء عليها السلام وبين عائشة على ما يرام منذ الأُيام الأولى على دخول عائشة بيت رسول الله، وبدلاً من أن تسعى عائشة لتعويض فاطمة عن الحنان الكبير الذي افتقدته بوفاة أمِّها أمِّ المؤمنين خديجة، فقد كانت عائشة تنتقص من خديجة حتى أمام رسول الله وتنعتها بنعوت قبيحة، وكانت كثيراً ما تصيح في وجه فاطمة

---

(١) تفسير العياشي ٢: ٢١٢.

(٢) ملحقات إحقاق الحق ٢٥: ١٣٧، عن عيون الأخبار.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣: ١١٤.

وتدعوها بـ(ابنة خديجة) وتُنكر فضل أمِّها المتوفّاة، وتذكر الروايات أنَّ النبي صلى الله عليه وآله غضب يوماً على عائشة غضباً شديداً، فوعدته أنْ لا تذكر خديجة بسوء بعد ذلك. والظاهر أنَّ غيرة عائشة من خديجة - مع أنَّها لم ترها في حياتها - كانت بسبب حبّ النبي الشديد لها، والظاهر أنَّ عائشة كانت تبغض فاطمة لكونها ابنة خديجة من جهة، ولأنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان يحبّها محبّة خاصة ويُكثر من تقبيلها ويقوم إجلالاً لها من جهة ثانية، ولأنَّها - من جهة ثالثة - أصبحت زوجة أمير المؤمنين عليه السلام، الذي كانت عائشة لا تخفي بغضها له. ولقد فات عائشة - ولعلها تعجز عن إدراكه - أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ليس شخصاً عادياً تتحكّم فيه العواطف، فيحبّ ويبغض وفقاً لأهواء نفسه، وأنَّه صلى الله عليه وآله ما كان يقرّب شخصاً أو يُدنيه إلَّا بمقدار قُرب ذلك الشخص أو بُعده عن الله تعالى، وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله - وأهل بيته مثله - لا يحبّ إلَّا في الله، ولا يُبغض إلَّا في الله تعالى.

روى الصدوق في الخصال عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**دخل رسول الله صلى الله عليه وآله منزله، فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول: والله يا بنت خديجة ما ترين إلَّا أنَّ لأمِّك علينا فضلاً، وأيّ فضل كان لها علينا؟! ما هي إلا كبعضنا! فسمع مقالتها لفاطمة، فلما رأت فاطمة رسول الله صلى الله عليه وآله بكت، فقال: ما يُبكيك يا بنت محمد؟! قالت: ذكرتْ أمِّي فتنقّصَتْها فبكيتُ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: مَه يا حميراء، فإنَّ الله تبارك وتعالى بارك في الودود الولود، وإنَّ خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً وهو عبد الله وهو المطهر، وولدت مني القاسم وفاطمة ورقية وأمَّ كلثوم**

وزينب، وأنت ممن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئاً»[١].

النبي يمسح عين فاطمة عليها السّلام بثوبه

البكاء على الميّت - وبالأخصّ إذا كان قريباً - من الرحمة التي أودعها الخالق الرحيم في قلوب عباده، يتساوى في ذلك الرجالُ والنساء، لكنّ على النساء أن يلتفتن إلى مراعاة أمر الستر والحجاب في بكائهنّ وتفجّعهنّ بالمصاب، وهاهي سيّدة النساء عليها السلام تفقد أُختها رقيّة فلا تزيد عن أن تجلس على شفير قبرها برفقة أبيها فتذرف الدموع. ونلاحظ نهي رسول الله صلى الله عليه وآله النساء عن البكاء المصحوب بالصراخ والضرب على الصدور، ذلك الذي عبّر عنه بـ(نعيق الشيطان)! والفاصل بين ما يجوز للمرأة وما لا يجوز لها في حديث النبي صلى الله عليه وآله هو أنَّ «**مهما يكون من القلب والعين فمن الله والرحمة، ومهما كان من اليد واللسان فمن الشيطان**». ونلاحظ في هذا الحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله اختار أن يكون إلى جانب ابنته الحبيبة، وأنّه كان يُكفكف دموعها بثوبه رحمةً منه لها!

روى أحمد في المسند عن ابن عباس، قال: لما مات عثمان بن مظعون قالت امرأته: هنيئاً لك يا بن مظعون بالجنة. قال: فنظر إليها رسول الله صلّى الله عليه وآله نظرة غضب، فقال لها: «**ما يدريك؟ فو الله إنّي لرسول الله وما أدري ما يُفعل بي**». قال عفان: ولا به. قالت: يا رسول الله، فارسك وصاحبك!

فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله حين قال ذلك لعثمان وكان من خيارهم، حتى ماتت رقية ابنته. فقال: «**الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون**». قال:

---

(١) بحار الأنوار العلامة المجلسي ١٦: ٢ - ٣، عن الخصال.

وبكت النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه. فقال النبي صلّى الله عليه وآله لعمر: «**دعهن يبكين، وإياكن ونعيق الشيطان**».

ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**مهما يكون من القلب والعين فمن الله والرحمة، ومهما كان من اليد واللسان فمن الشيطان**».

وقعد رسول الله صلّى الله عليه وآله على شفير القبر وفاطمة عليها السّلام إلى جنبه تبكي، فجعل النبي صلّى الله عليه وآله يمسح عين فاطمة عليها السّلام بثوبه رحمة لها[1].

فاطمة تدافع عن أبيها في أوج محاربة كفار قريش له

لم تفارق الزهراء أباها في مراحل حياته المختلفة، فقد لازمته ودافعت عنه صغيرةً في مكّة قبل الهجرة أمام عُتاة قريش ودعت عليهم يومَ لم يكن أحدٌ يجرؤ على الوقوف بوجههم، ولازمته بعد هجرته ووقفت في جانبه في أشدّ الأوقات وأعسرها، إذ وقفت إلى جانبه يوم أُحد، يوم ولّى أكثر المسلمين الأدبار ولم يبقَ إلى جانب رسول الله إلّا أمير المؤمنين عليه السلام مع نفر قلائل. يومذاك كانت فاطمة عليها السلام إلى جانب أبيها، تضمّد جراحه النازفة وتغسل الدم عن وجهه الشريف.

أخرج الطبرسي عن عبد الله، قال: «**بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله ساجداً وحوله ناس من قريش، وثمّ سلي بعير**». فقالوا: من يأخذ سلي هذا الجزور أو البعير فيفرقه على ظهره؟ فجاء عقبة بن أبي معيط فقذفه على ظهر النبي صلّى الله عليه وآله.وجاءت فاطمة عليها السّلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك. قال عبد الله: فما رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله دعا عليهم إلّا يومئذ، فقال: «**اللهم عليك الملأ من قريش؛ اللهم**

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٣٥.

عليك أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأُمية ابن خلف- أو أُبيّ بن خلف، وشك شعبة». قال عبد الله: ولقد رأيتهم قتلوا يوم بدر وألقوا في القليب- أو قال: في بئر-، غير أنّ أُمية بن خلف- أو أُبيّ بن خلف- كان رجلاً بادناً، فقطع قبل أن يبلغ البئر[١].

رعاية فاطمة لأبيها بعد وفاة أمِّها وعمّها أبي طالب

توفي أبو طالب سلام الله عليه حامي رسول الله صلى الله عليه وآله، وغاب القلب الكبير الذي لم يألُ جُهداً في نُصرة النبي والوقوف إلى جانبه، وأشعاره الكثيرة تصرّح بما كان يعتمل في قلبه من الإيمان بالنبي والعزم على مساندته ومؤازرته، ومنها قوله:

كذبتم وبيت الله نُسلم[٢] أحمداً ... ولما نطاعن دونه ونقاتلْ
ونسلمه حتى نصرّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ويقول:

ألم تعلموا أنّ ابننا لا مُكذّب ... لدينا ولا يعبأ بقول الأباطلِ
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمةٌ للأرامل
يطوف به الهلاّك من آل هاشم ... فهم عنده في عصمةٍ وفواضل[٣]

وارتحلت في العام نفسه السيدة خديجة سلام الله عليها، وهي أول امرأة آمنت برسول الله وصدّقت برسالته وآزرته بكلّ ما تملك، فخلّف رحيل هذين الناصرين ألماً كبيراً

---

(١) إعلام الورى ١: ١٢١.

(٢) في بعض المصادر: نبزي محمداً. ومعناهما واحد.

(٣) إيمان أبي طالب، للشيخ المفيد، ص:٢١.

في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى إنَّه سمّى ذلك العام بــ(عام الأحزان). وتوجّب على الزهراء أن تشغل الفراغ الكبير الذي خلّفته أمُّ المؤمنين خديجة، فأحاطت النبي بحنانها ورعايتها، حتى لقّبها النبي بـ(أمُّ أبيها).

يقول مؤلف (سيدات نساء أهل الجنة): (... ولما فرج الله الكربة وخرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب من الشِعب مات أبو طالب الذي كان يمنع وينصر ابن أخيه صلى الله عليه - وآله - وسلم، ثم لحقت به سيدة نساء قريش خديجة التي كانت وزير صدق لرسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم على الابتلاء، فملأ الحزن قلب فاطمة وقلب أبيها.

وفقد النبي عليه الصلاة والسلام الرعاية والعطف والمنعة والتأييد، فلما غادر داره اعترضه سفيه من قريش ونثر على رأسه التراب، فعاد رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم إلى بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه ابنته فاطمة بقدح كبير من ماء فغسلت وجهه ويديه وهي تبكي، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: لا تبكي يا بنية فإنَّ الله مانع أباك).(١)

أقول: نقل هذه الواقعة: الطبري في تاريخه، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، وابن كثير في البداية والنهاية، لكنّهم لم يصرّحوا باسم الزهراء عليها السلام، بل ذكروها بوصف (إحدى بناته)، وأورد الذهبي الواقعة في تاريخ الإسلام بلفظ (بنته) دون أن يُفصح عنها، وللنصب إذا استقرّ في القلوب شؤونٌ عجيبة!!(٢)

---

(١) شرح إحقاق الحق ٢٥: ٢٨٩، نقلًا عن (سيدات نساء أهل الجنة) ص١٠٠، عبد العزيز الشناوي (معاصر).

(٢) انظر: تاريخ الطبري ٢: ٨٠؛ تاريخ مدينة دمشق ٦٦: ٣٣٨؛ البداية والنهاية ٣: ١٥١؛ تاريخ الإسلام ١: ٢٣٥.

فاطمة عليها السلام تطبب جراحات أبيها

لم تفارق الزهراء عليها السلام أباها حتى في أحلك الظروف، ولا يزال موقفها وموضع صلاتها يوم (أُحد) شاخصاً إلى يومنا هذا يزوره الناس ويتبرّكون به، وكانت معركة أُحد من المعارك المصيرية التي خاضها المسلمون أمام جيش الكفّار الذي جاء ينتقم ويثأر لهزيمته يوم (بدر). وقد وقفت الزهراء عليها السلام إلى جانب أبيها، ووقفت معها بعض النساء اللاتي كنّ يسقين الجرحى ويداوينهم، في حين نقل لنا التاريخ أنَّ الزهراء عليها السلام كانت تغسل جراح أبيها النازفة، وأنّها لجأت إلى حصير فأحرقته وجعلته على الجرح الفاغر الذي أبى أن يتماسك، فنجحت في إيقاف الدم النازف.

روى الطبراني عن عبد المهيمن، عن أبيه، عن جده، قال: إنِّي لحاضر يوم أُحد، وإنِّي لأنظر حين رُمي وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله فجُرح، وإنِّي لأعرف من كان يغسل الدم عن وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله ومن كان يحمل الماء في المجن. فأبى الكلم أن يرقأ حتى أحرقت فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله حصيراً خلقاً فجعلت رماده عليه فرقأ؛ إنّ الذي يحمل الماء في المجن لَعلي بن أبي طالب عليه السّلام وفاطمة عليها السّلام تغسل الدم وتداويه[1].

يقول الواقدي – وهو يتحدث عن رجوع النبي صلّى الله عليه وآله من معركة أُحد: وكنّ جئن أربع عشرة امرأة، منهنّ فاطمة بنت رسول الله عليها السّلام يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم[2].

وأخرج المجلسي عن سهل بن سعد، قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٦: ١٢٣ / ح ٥٧١١؛ و٦: ١٣٤/ ح٥٧٧٥.

(٢) سيرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام ١: ٧٥٨، عن المغازي للواقدي.

أُحد وكُسرت رباعيّته وهُشمت البيضة على رأسه، وكانت فاطمة عليها السّلام ابنته تغسل عنه الدم، وعلي أبي طالب عليه السّلام يسكب عليها بالمجن.

فلما رأت فاطمة عليها السّلام أنَّ الماء لا يزيد الدم إلّا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقت حتى إذا صار رماداً ألزمته، (فـ) استمسك الدم(١).

قال الواقدي في وقعة أُحد:

... فتأتي فاطمة عليها السّلام أباها وهي تبكي على عمها لدى رسول الله صلّى الله عليه وآله، وجعل رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا بكت بكى، وتحاول تضميد جرح رسول الله صلّى الله عليه وآله وقطع الدم الذي كان ينزف من جسده الشريف الطاهر، وكان زوجها عليٌّ عليه السّلام يصبّ الماء على جرح رسول الله صلّى الله عليه وآله وهي تغسله. ولما يئست من انقطاع الدم أخذت قطعة صوف فأحرقتها حتى صارت رماداً فذرته على الجرح حتى انقطع دمه(٢).

اللهم لا تُجع فاطمة!

ذاقت الزهراء عليها السلام الجوع متأسية في ذلك بأبيها خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله الذي أبى إلّا أن يواسي فقراء الصفة وأمثالهم في معيشته، وكان يبات طاوياً، ويصفه أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه لم يشبع من خبز الشعير ثلاثة أيام. ويروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سئل عن رسول الله صلى الله عليه وآله، هل صحيح أنّه لم يشبع من خبز برّ ثلاثة أيام قط؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أكله قط. فسئل:

(١) بحار الأنوار ٥٩: ١٩٢ / ح ٤.

(٢) سيرة رسول الله صلىّ الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام ١: ٧٥٨، عن المغازي للواقدي.

فأي شيء كان يأكل؟ قال: كان طعام رسول الله صلى الله عليه وآله الشعير إذا وجده، وحلواه التمر، ووقوده السعف[١]. ونجد الزهراء اليافعة تلجأ إلى أبيها وهي جائعة قد غيّر السغبُ لونها حتّى اصفرّ، فيُجلسها أبوها على فخذه في حنوٍّ وعطف ويدعو لها أن يُشبعها مشبع الجاعة.

روى عمران بن الحصين، قال: كنت عند النبي صلّى الله عليه وآله جالساً إذ أقبلت فاطمة عليها السّلام، قد تغيّر وجهها من الجوع. فقال لها: أدني، فدنت منه. فرفع يده حتى وضعها على صدرها في موضع القلادة وهي صغيرة. ثم قال: «**اللهم مُشبع الجاعة ورافع الوضعة، لا تُجع فاطمة عليها السّلام**». قال: فرأيت الدم على وجهها كما كانت الصفرة. فقالت: «**ما جعتُ بعد ذلك**»[٢].

عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: أقبلت فاطمة عليها السّلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فعرف في وجهها الخمص -قال: يعني الجوع-. فقال لها: «**يا بنية، ههنا**». فأجلسها على فخذه الأيمن. فقالت: «**يا أبتاه، إنّي جائعة**». فرفع يديه إلى السماء فقال: «**اللهم رافع الوضعة ومُشبع الجاعة، أشبع فاطمة بنت نبيك**». قال أبو جعفر عليه السّلام: «**فو الله ما جاعت بعد يومها حتى فارقت الدنيا**»[٣].

النبي يمر على بيت فاطمة قبل بيوته التي فيها نساؤه

لقد عبّرت العلاقة الفيّاضة بين نبي الرحمة وابنته وبضعته وريحانته فاطمة عن نفسها بمختلف التعابير، فكان الأبُ رسول الله يختصر فترة مفارقته لابنته الحبيبة عند سفره،

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص٦٦٣؛ مجلس يوم الجمعة.

(٢) الخرائج والجرائح ص ٣٩.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٧٧ / ح ٦٤، عن مصباح الأنوار.

وكان يبدأ ببيتها بعد أن يصلّي الغداة قبل أن يذهب إلى بيوت نسائه، فيطمئنّ إلى حالها وحال زوجها وابنيها، بل كان يحمل ابنيها على منكبيه! بل كان يُركب الحسنين – وهما صغيران – على ظهره ويسير بهما ليؤنسهما، وقد شاهده أحد أصحابه على تلك الحال، فعسر عليه فهم الموقف، فقال معرّضاً وهو يخاطب الحسنين عليهما السلام: (نِعم الجَمَلُ جملُكما)، فأجابه رسول الله في حزم «**ونِعمَ الراكبان هما**»! وكان هذا الأب الرحيم يقف بباب ابنته كل غداة فيناديهم للصلاة ويتلو آية التطهير ليُذكّر أُمَّته بشأن ابنته عند الله تعالى، لكنّ التاريخ يحدّثنا أنّه رجع عن باب بيت ابنته يوماً لما سمع بكاءها من شظف العيش، ولم تستطع عيناه إلا أن تذرف الدموع سخاناً، ولعلّه لم يشأ أن يزيد ألم ابنته بمنظر دموعه، أو لعلّه لم يشأ أن يدخل عليها ويشاهد حالها دون أن يستطيع مساعدتها، ولعلّه كان يومذاك أشدّ جوعاً، فانصرف راجعاً يكفكف دموعه.

عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا صلى صلاة الغداة لم يذهب ببيت نسائه حتى يبدأ ببيت فاطمة عليها السّلام، فيسألها عن شأنها وشأن بعلها وشأن الحسن والحسين عليهما السّلام. فإن كانا منتبهين حملهما واحد على منكبه الأيمن والآخر على منكبه الأيسر حتى يأتي بهما إلى الموضع الذي يريد.

فلما أن كان يوم من ذلك، جاء إلى باب فاطمة عليها السّلام، فإذا فاطمة عليها السّلام تبكي داخل الدار وهي تقول: من شدة حرّ جوعي قد اشتدّ صداع رأسي، ومن طحني للشعير قد دميت أناملي. قال: فبكى النبي صلّى الله عليه وآله ثم رجع.[1]

---

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام للكوفي ٢: ١٨٩.

النبي يختصر فترة مفارقته لفاطمة عليهما السلام عند سفره

حرص رسول الله صلى الله عليه وآله على أن يختصر فترة مفارقته لابنته الحبيبة وبضعته، فكانت الزهراء عليها السلام آخرَ من يودّعه النبي صلى الله عليه وآله إذا سافر، كما كانت أوّلَ من يقدم عليه النبي إذا عاد من سفره. وهذا الحرص دليل على عمق العلاقة التي تربط بين الأب الحاني وبين (أمّ أبيها) الشفيقة التي كانت تحيط أباها بصنوف المحبّة والمودّة. ونلاحظ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يبدأ ببيت ابنته قبل بيوت أزواجه.

روى أحمد عن ثوبان مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا سافر آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة عليها السّلام، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة عليها السّلام- الحديث[1].

وروى الكليني عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: «**كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا أراد السفر سلّم على من أراد التسليم عليه من أهله، ثم يكون آخر من يسلّم عليه فاطمة عليها السّلام، فيكون وجهه إلى سفره من بيتها، وإذا رجع بدأ بها**»[2].

وروى أبو نعيم بسنده عن أبي ثعلبة الخشني يقول: قدم رسول الله صلّى الله عليه وآله من غزاة له فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين، وكان يعجبه إذا قدم أن يدخل المسجد فيصلي فيه ركعتين. ثم خرج فأتى فاطمة عليها السّلام فبدأ بها قبل بيوت أزواجه. فاستقلبته فاطمة عليها السّلام وجعلت تقبّل وجهه وعينيه وتبكي. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما يبكيك؟ قالت: أراك قد شحب لونك. فقال لها: «**يا فاطمة، إنَّ الله عز وجل بعث أباك بأمرٍ لم يبق عن ظهر الأرض بيتُ مدر ولا شعر إلا أدخله به عزاً أو ذلاً،**

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٢٧٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٨٣ / ح ٦، عن الكافي ومكارم الأخلاق.

يبلغ حيث بلغ الليل»[١].

رسول الله يأمر الزهراء أن تناديه (يا أبه) بدلاً من (يا رسول الله)

كان قلب الأب الرحيم يتوهّج سروراً وهو يسمع حبيبته فاطمة تناديه (يا أبة)، فهذا الغصن اليانع من الشجرة النبويّة تفرّع منها بمشيئة الله ومنّه، وهذه البنت التي انعقدت نطفتها من ثمار الجنّة كان لها منزلتها الكبيرة في قلب الوالد المحبّ الشفيق. لكنّ البنت المحبّة لأبيها أشفقت أن تناديه بالأُبوّة حين نزلت آيةٌ تنهى المسلمين عن مخاطبة رسول الله كباقي الناس، وخشيتْ أن تكون الآية عامّة لكلّ المسلمين، فاضطرت إلى مناداته بالرسالة، ونادته بـ«**يا رسول الله**»، فأعرض أبوها الرحيم عنها، ثم أقبل بوجهه عليها وقال لها «**أنت مِنّي وأنا منِك**»، وأخبرها أنَّ الآية الكريمة إنّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة الذين كانوا ينادونه باسمه المجرّد، والذين كانوا يصيحون من وراء الحجرات (يا محمّد أخرج إلينا)، والذين عبّر أحدهم عنه في آخر حياته الشريفة بلفظ (الرجل)، مستنكفاً أن يدعوه بالرسالة والنبوّة كما أمر الله عز وجل. يا فاطمة! قولي «**يا أبة**»، فإنّ سماعها منكِ يُحيي قلبي! وإنّ سماعها منكِ يُدخل السرور والبهجة إلى قلبي، وفي ذلك رضا ربّي.

يروي القاضي أبو محمد الكرخي في كتابه عن الصادق عليه السّلام قال: قالت فاطمة عليها السّلام: لما نزلت ﴿لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾، هبتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله أن أقول: يا أبة، فكنت أقول: يا رسول الله! فأعرض عنّي مرة أو اثنتين أو ثلاثاً. ثم أقبل عليّ فقال:

---

(١) فضائل الخمسة عليهم السّلام ٣: ١٣١، عن حلية الأولياء.

«يا فاطمة، إنَّها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلك؛ أنت مني وأنا منك، إنَّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحاب البذخ والكبر. قولي: يا أبة، فإنَّها أحيى للقلب وأرضى للرب»[١].

وروى ابن المغازلي بإسناده عن الحسين بن عليّ عن أُمّه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت: «لمّا نزلت على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾[٢] قالت فاطمة: فتَهَيّبتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم أن أقول له: يا أبه! فجعلت أقول له: يا رسول الله! فأقبل عليّ فقال لي: يا بُنيّة لم تنزل فيك ولا في أهلك من قبل، أنت مِنّي وأنا منِك، وإنّما نزلت في أهل الجَفاء والبَذَخ والكِبر، قولي: يا أبه، فإنّه أحبُّ للقلب وأرضى للربِّ، ثم قبّل النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) جَبهَتي ومَسَحني برِيقه فما احتجتُ إلى طِيب بعده»[٣].

النبي حرب لمن حارب فاطمة وسلم لمن سالمها

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يريد لأمّته أن تدرك عمق العلاقة التي تربطه بفاطمة وبعلها وابنيها، وكان يسعى لبيان حقيقة أنَّ بيت فاطمة هو باب حطّة الذي من دخله كان آمناً، وأنّه كسفينة نوح التي من دخلها نجا، ومن تخلّف عنها غرق. فما بالك بمن عارض هذا البيت وحاربه!! لقد كان رسول الله صريحاً وواضحاً في كلامه، فهو صلى الله عليه وآله (حربٌ) لمن يحارب هذا البيت، كما أنّه (سلمٌ) لمن يُسالم هذا البيت المقدّس. ونلاحظ أنّه صلى الله عليه وآله لم يستخدم التعبير المتعارف (أنا محاربٌ لمن

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١٠٢.

(٢) سورة النور: الآية ٦٣.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ص٢٨٥ / ح ٣٥٨.

حاربهم)، بل جعل نفسه الشريفة (حرباً) لمحارب أهل البيت عليهم السلام. فهل كان في كلامه صلوات الله وسلامه عليه غموض، كي يسمح أحدٌ لنفسه أن يتأوّل فيُحارب هذا البيت الطاهر؟! فيقف بباب فاطمة وفي يده الحطب والنار، فيقول له مُذكّر ومحذّر (إنّ في الدار فاطمة!) فيقول في عناد وإصرار (وإنْ)؟!

روى الزرندي الحنفي عن زيد بن أرقم، قال: إنّي لعند النبي صلّى الله عليه وآله، أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم**»[1].

روى الطبراني بإسناده عن صبيح (مولى أمّ سلمة)، قال: كنت بباب النبي صلّى الله عليه وآله، فجاء علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام فجلسوا ناحية. فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله إلينا فقال: «**إنّكم على خير، وعليه كساء خيبري؛ فجلّلهم به وقال: أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم**»[2].

وروى القندوزي الشافعي عن أمّ سلمة قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندي (منكّساً رأسه)، فعملت له فاطمة حريرة، فجاءت ومعها حسن وحسين، فقال لها: ائتيني زوجك، اذهبي فادعيه، فجاءت به فأكلوها، فأخذ صلى الله عليه وآله وسلم كساءً فأداره عليهم وأمسك طرفه بيده اليسرى، ثم رفع يده اليمنى إلى السماء وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي وخاصّتي، (اللهم) أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. ثم قال: أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدوّ لمن عاداهم**».[3]

---

(١) نظم درر السمطين: ٢٣٢؛ وأخرجه المجلسي في بحار الأنوار ٣٧:٨٢/ ح ٥٠، عن بشارة المصطفى صلىّ الله عليه وآله.

(٢) المعجم الأوسط ٣: ١٨٠.

(٣) ينابيع المودّة للقندوزي ٢: ٢٢٤ / ح٦٣٣.

النبي يفدي ابنه إبراهيم للحسين ابن فاطمة عليهم السلام

حين يدهم الخطبُ الأنفس الرحيمة، تتجلّى معادنُها النفيسةُ عن أروع صور الإيثار والتضحية، بينما ينشغل سواها بنفسه مع أوّل عارض من بلاء، فلا يفكّر إلاّ في نفسه ورغبته وهواه! ها هو نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله يُلاعب ابنه إبراهيم وحفيده الحسين، قد أجلس هذا على فخذه الأيمن والآخر على فخذه الأيسر، وهو مغتبط مسرور، حين نزل الأمر الفصل من الحكيم الخبير الذي لا يُنازَع (لستُ أجمعهما، فافدِ أحدَهما بصاحبه)! يكشف نبيّ الرحمة عن مكنون قلبه الرحيم: أوثر حزني على حزن فاطمة وعليّ! فلأحزن أنا، ولتبقَ ابنتي وبعلها مسرورين! فديتُ ابني الذي لم أُرزق سواه للحسين! وهكذا استردّت السماء من النبي ابنه إبراهيم، ثم عوّضته صلى الله عليه وآله أن جعلت ذريّته في صُلب عليٍّ عليه السلام، ودعت الحسنين عليهما السلام بابنَي رسول الله في آية المباهلة المباركة.

أخرج ابن شهر آشوب عن ابن عباس، قال: كنت عند النبي صلّى الله عليه وآله وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم وعلى فخذه الأيمن الحسين بن عليٍّ عليهما السّلام، وهو تارة يقبّل هذا، إذ هبط جبرئيل بوحي من رب العالمين. فلمّا سري عنه قال:

«أتاني جبرئيل من ربي فقال: يا محمد، إنَّ ربك يقرأ عليك السلام ويقول: لستُ أجمعهما، فافدِ أحدَهما بصاحبه».

فنظر النبي صلّى الله عليه وآله إلى إبراهيم فبكى ونظر إلى الحسين عليه السّلام فبكى، وقال: «**إنَّ إبراهيم أمُّه أمَة ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأمُّ الحسين عليه السّلام فاطمة عليها السّلام وأبوه عليٌّ عليه السّلام ابن عمي، لحمي ودمي، ومتى مات حزنت**

ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت أنا عليه، وأنا أوثر حزني على حزنهما؛ يا جبرئيل، يُقبض إبراهيم، فديتُه للحسين عليه السّلام».

قال: فقبض بعد ثلاث، فكان النبي صلّى الله عليه وآله إذا رأى الحسين مقبلاً قبّله وضمّه إلى صدره ورشف ثناياه وقال: «**فديتُ مَن فديتُه بابني إبراهيم**»[(١)].

فاطمة لا تفارق أبيها المرسل صلى الله عليه وآله

ها هم الأصدقاء والأعداء يشهدون لفاطمة أنّها لم تفارق أباها، وأنّ لها في ذلك خصوصيّة تفرّدت بها، فهي عليها السلام إذا جاء رسول الله إلى بيتها للخلوة بوصيّه أمير المؤمنين لم تقم من عندهما ولا أحد من بنيها، وأنَّها هي الوحيدة التي بقيت عند رسول الله في ساعاته الأخيرة، بينما تصرّح عائشة بأنَّها لم تستطع الثبات عنده! والعجيب أنَّ البعض ينقل عنها أنَّ رسول الله قُبض بين سحرها ونحرها، وأنَّه صلى الله عليه وآله لم يوصِ إلى أحد!![(٢)]

أبان، عن سليم، قال: قلت لعلي عليه السّلام: يا أمير المؤمنين، إنِّي سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن ومن الرواية عن النبي صلّى الله عليه وآله، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبي صلّى الله عليه وآله تخالف الذي سمعت منكم، وأنتم تزعمون أنَّ ذلك باطل. أفترى الناس يكذّبون على رسول الله صلّى الله عليه وآله متعمّدين ويفسّرون القرآن برأيهم؟

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٢٣٤، عن تفسير النقاش.

(٢) انظر: أحاديث عائشة للسيد مرتضى العسكري، ٢: ١٨٩؛ نقلًا عن صحيح البخاري.

قال: «فأقبل عليٌّ عليه السّلام فقال لي: يا سليم، قد سألتَ فافهم الجواب. إنّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وخاصاً وعاماً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كُذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله على عهده...».

«وكنتُ أدخل على رسول الله صلّى الله عليه وآله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخلّيني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري؛ وربما كان ذلك في منزلي، يأتيني رسول الله صلّى الله عليه وآله. فإذا دخلت عليه في بعض منازله خلا بي وأقام نساءهُ فلم يبق غيري وغيره، وإذا أتاني للخلوة في بيتي لم تقم من عندنا فاطمة عليها السّلام ولا أحد من ابنيّ»[1]....الحديث.

أخرج صاحب المنتقى عن عائشة، قالت: يا عفوة، افتحي لخادم رسول الله صلّى الله عليه وآله. فقامت ففتحت الباب. فقال معاذ: يا عائشة، كيف رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله عند شدة وجعه؟ قالت: أمّا رسول الله فلم أقدر الثبات عنده، ولكن هذه ابنته فاطمة عليها السّلام فاسألها، فإنّها لم تزل إلى جانبه[2].

روى شهاب الدين العسقلاني (ابن حجر) في الإصابة، قال: وفيه (أي في حديث عنقودة) أنّ معاذاً سأل عائشة: كيف وجدتِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند وجعه ووفاته؟ فقالت: يا معاذ ما شهدتُه عند وفاته، ولكن دونك هذه فاطمة ابنته فاسألها[3].

---

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي ٢: ٦٢٠ / ح ١٠؛ الكافي ١: ٦٤، باب اختلاف الحديث.

(٢) ملحقات إحقاق الحق ١٠: ٤٣٧ عن المنتقى.

(٣) الإصابة ٤: ٣٦٠؛ نقلًا عن شرح إحقاق الحق ١٠: ٤٣٧.

نزول آية المودة في حق فاطمة وبعلها وابنيها

افترض الله تعالى مودّة فاطمة وبعلها وابنيها على كلّ مسلم ومسلمة، وجعل مودّتهم أجراً للرسالة التي عانى النبي ما عاناه في تبليغها، حتى وصف محنته في هذه الأمَّة بكلمات عجيبة «**ما أُوذيَ نبيٌّ مثلما أوذيتُ**»!! وقد حدّثنا التاريخ أنَّ الأنصار جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وعرضوا أمامه أموالهم وأنفسهم كأجر له على إخراجه لهم من ظلمات الجاهليّة والبغضاء إلى نور الهداية والمؤاخاة، فرفض أن يأخذ منهم شيئاً، اللهمّ إلا أن يودّوا أهل بيته ويحفظوه فيهم، فلمّا استفهموا منه عن المقصود بقرباه، أشار لهم إلى عليٍّ وفاطمة وابنيهما!

روى الهيثمي عن ابن عباس قال: سمع النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم شيئاً فخطب فقال للأنصار: «**ألم تكونوا أذلاء فأعزّكم الله بي؟ ألم تكونوا ضلاّلاً فهداكم الله بي؟ ألم تكونوا خائفين فأمنكم الله بي؟ ألا تردّون عليّ؟**» قالوا: أيّ شيء نُجيبك؟ قال: «**تقولون (ألم يطردك قومك فآويناك؟ ألم يكذّبك قومك فصدّقناك) يعدّد عليهم. قال: فجثوا على ركبهم**» وقالوا: أموالنا وأنفسنا لك؛ فنزلت ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[١] رواه الطبراني في الأوسط[٢].

روى القاضي النعمان عن ابن عباس: أنَّ الله عز وجل لما أنزل هذه الآية (آية المودة)، قال الناس لرسول الله صلّى الله عليه وآله: يا رسول الله، من هؤلاء الذين نودّهم؟ قال: «**علي وفاطمة وولدهما عليهم السّلام**»[٣].

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٢) مجمع الزوائد ١٠: ٣٢.

(٣) دعائم الإسلام لأبي حنيفة النعمان المغربي ١: ٦٨.

وروى الحاكم في المستدرك عن علي بن الحسين قال: «**خطب الحسن بن عليٍّ الناس حين قتل عليٌّ فحمد الله وأثنى عليه (ثم ذكر الحديث، إلى أن يصل إلى قوله) أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وانا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله** ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾[1] **فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت**».[2]

وروى الهيثمي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «**عليٌّ وفاطمة وابناهما**».[3]

من أحب فاطمة كان مع النبي ﷺ في درجته يوم القيامة

المحبّة علاقة عجيبة تستتبع نتائج عجيبة أيضاً، فقد جاء في الحديث الشريف لرسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**من أحبنا كان معنا يوم القيامة، ولو أنَّ رجلاً أحبّ حجراً لحشره الله معه**»[4]. وجاء في حديث أمير المؤمنين عليه السلام لنوف البكالي «**يا نوف،**

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣: ١٧٢.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ٧: ١٠٣.

(٤) روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص٤١٧.

مَن أحبنا كان معنا يوم القيامة، ولو أنَّ رجلاً أحبَّ حجراً لحشره اللهُ معه». وفي الحقيقة فإنّ المحبّة تتضمّن تعريف هويّة المحبّ، لأنّها تتضمّن تعريفاً للقِيم التي يؤمن بها في جميع أبعاد وجوده. ونجد في الحديث التالي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يؤشّر على حقيقة أنَّ محبّة أهل بيته «**فاطمة وبعلها وابنيها**» تستوجب، ليس المتابعة فحسب، بل الكَون مع رسول الله في درجته!!

روى الطبراني بإسناده عن علي عليه السّلام: «**أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين عليهما السّلام فقال: من أحبَّ هذين وأباهما وأمَّهما كان معي في درجتي يوم القيامة**»[١].

النبي يضم إليه فاطمة وبعلها وابنيها عند نزول آية التطهير

آية التطهير شهادةٌ من العليّ القدير لفاطمة وبعلها وابنيها - بل وكلّ بنيها الأطهار من أهل البيت عليهم السلام - بالعصمة والطهارة من كلّ رجس ودنس، فحين تتحقّق المشيئة الإلهيّة الناجزة بتطهير أُناس معيّنين وإذهاب الرجس عنهم، فإنّهم سيكونون معصومين، لا يفعلون إلاّ ما يرضي الله سبحانه، وسيكون مَن يعاديهم - في المقابل - مورد سخط الله وغضبه. كما أنَّ المعصوم- لهذا السبب - هو أحقّ بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ غير المعصوم سيكون ظالماً بارتكاب الذنوب، والظالم لا يناله عهدُ الله بنصّ القرآن الكريم في الآية الشريفة ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢]. ونلاحظ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر زوجته أمَّ سلمة أن تتنحّى ناحية من البيت، وأنّه

(١) المعجم الكبير ٣: ٥٠/ ح٢٦٥٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

منعها من الدخول معهم تحت الكساء مع أنّه صرّح بأنّها إلى خير، وفي ذلك بيانُ بأنّ أهل البيت فئة خاصّة مطهّرة بمشيئة إلهيّة، وأنّ ما عداهم - حتّى لو كان من أزواج النبي - معرّض للاستقامة أو الانحراف تبعاً للموقف الذي يتبنّاه في حياته. وفي هذا السياق نلاحظ في رواية أُخرى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا لعليٍّ وفاطمة عليهما السلام بدعوات خاصة لم يشرك فيها معهما أحداً، ونلحظ في رواية أُخرى أنَّه اقتسم الحنوط الذي بعثه الله تعالى إليه من حنوط الجنّة مع ابنته وبعلها، فأخذ كلّ واحد منهم ثلثاً من ذلك الحنوط ليُحنّط به عند وفاته.

روى فرات في تفسيره عن أمِّ سلمة، قالت: كنت مع النبي صلّى الله عليه وآله في البيت، فقال الخادم: هذا عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين قائمين بالسدّة. فقال: «**قومي تنحّي لي عن أهل بيتي، فقمت فجلستُ في ناحية، فأذن لهم فدخلوا. فقبّل فاطمة واعتنقها، وقبّل علياً واعتنقه، وضمّ إليه الحسن والحسين صبيين صغيرين. ثم أغدف عليهم خميصة سوداء، ثم قال: اللهم إليك لا إلى النار**». فقلت: أنا يا رسول الله؟ قال: «**وأنت على خير**»(١).

روى أحمد في فضائل الصحابة والمسند بإسناده عن عطاء بن أبي رباح قال:حدّثني من سمع أمَّ سلمة تذكر:

أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها حريرة (خزيرة) فدخلَت بها عليه، فقال: «**ادعي لي زوجَكِ وابنَيكِ**»؛ قالت: فجاء عليّ وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة (الخزيرة) وهو على منامة له على دكان تحته كساء خيبريّ.

(١) تفسير فرات ص ١٢١.

قالت: وأنا في الحجرة أُصلّي؛ فأنزل اللهّ عزّ وجلّ هذه الآية ﴿إِنَّما يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(١).

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به، ثمّ أخرج يده فألوى بها إلى السّماء ثمّ قال: «**اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وحامّتي، فأَذهِب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً؛ اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وحامّتي، فأَذهِب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً**».

قالت: فأدخلتُ رأسي البيتَ، قلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: «**إنّكِ إلى خير، إنّكِ إلى خير**».(٢)

وروى الصنعاني وابن عساكر عن أسماء بنت عميس: أنّها رمقت رسول الله صلّى الله عليه وآله، فلم يزل يدعو لهما خاصة- يعني علياً وفاطمة عليهما السّلام- لا يشركهما بدعائه أحداً(٣).

روى الشيخ الطوسي حديث المناشدة، وجاء فيه أنَّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال يوم الشورى: «**هل فيكم أحد غسل رسول الله صلّى الله عليه وآله مع الملائكة المقربين بالروح والريحان، فقلّبه لي الملائكة وأنا أسمع قولهم وهم يقولون: (استروا عورة نبيكم ستركم الله)، غيري**»؟ قالوا: لا.

قال: «**فهل فيكم أحد بعث الله عز وجل إليه بالتعزية حيث قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وفاطمة عليها السّلام تبكيه، إذ سمعنا حساً على الباب وقائلاً يقول- نسمع صوته ولا نرى شخصه وهو يقول(السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، ربكم**

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) فضائل الصحابة ٢: ٥٨٧ / ح٩٤ ٥؛ مسند أحمد ٦: ٢٩٢ / ح٢٥٩٦٩.

(٣) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ٥: ٤٨٩ / ح٩٧٨٢؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣١٢.

عز وجل يقرؤكم السلام ويقول لكم: إنَّ في الله خلفاً من كل مصيبة، وعزاءً من كل هالك، ودركاً من كل فوت، فتعزّوا بعزاء الله، واعلموا أنَّ أهل الأرض يموتون، وأنَّ أهل السماء لا يبقون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، وأنا في البيت وفاطمة والحسن والحسين أربعة لا خامس لنا إلا رسول الله صلّى الله عليه وآله مسجى بيننا، غيري»؟ قالوا: لا.

ثم قال: «**فهل فيكم أحد أعطاه الله صلّى الله عليه وآله حنوطاً من حنوط الجنة، فقال صلّى الله عليه وآله(أَقسم هذا ثلاثاً: ثلثاً حنّطني به وثلثاً لابنتي وثلثاً لك)، غيري**»؟ قالوا: لا... الخبر[1].

النبي يصف فاطمة وبعلها بأنَّهما خير باد وحاضر

عبّرت المحبّة الكبيرة التي كانت تعتمل في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله تجاه ابنته الحبيبة وبعلها، عبّرت عن نفسها في مناسبات شتّى بطرق مختلفة، فهو صلى الله عليه وآله يرضى لنفسه الشريفة أن يقف في الشمس، فيمدّ دون ابنته وبعلها المضطجعين كساءً يظللهما، ثم يعلّل عمله بأنّهما أحبّ الناس إليه.

روى ابن الأثير بإسناده عن أبي هاشم مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: كانت أمّي أمةً لرسول الله صلّى الله عليه وآله، هو أعتق أبي وأمّي. إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله جاء من المسجد فوجد علياً وفاطمة عليها السّلام مضطجعين وقد غشيتهما الشمس. فقام عند رأسيهما وعليه كساء خيبري، فمدّه دونهما. ثم قال: قوماً أحبّ باد وحاضر - ثلاث مرات-.

---

(١) أمالي الطوسي: ص٥٥٣، المجلس ٢٠.

قال: أخرجه أبو موسى[١].

النبي يغبط أمير المؤمنين على زواجه بمثل الزهراء

يغبط رسول الله علياً وصيّه وحبيبه على الأُمور التي منّ الله تعالى بها عليه دون النبي، ونلاحظ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يلفت نظر أمير المؤمنين عليه السلام – وأنظارنا أيضاً – إلى المزايا التي خصّت بها السماء علياً دون رسول الله، ومنها أنّه أوتي زوجة صدّيقة كالزهراء عليها السلام، وأنّه أوتي أولاداً كالحسنين عليهما السلام، ثمّ يعقّب رسول الله بأنّ هذا الفضل شاملٌ لكليهما، لأنّهما من رسول الله ورسول الله منهما، ونجد رسول الله صلى الله عليه وآله يصرّح لأمير المؤمنين في أحاديث أُخرى أنَّ الله تعالى قد شاء لنبيّه أن يكون وُلده من صُلب عليّ، بينما شاء تعالى لباقي الأنبياء أن يُرزقوا أبناءً من أصلابهم.

أخرج المحبّ الطبريّ عن أبي سعيد في شرف النبوّة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لعليّ: «**أوتيتَ ثلاثاً لم يؤتهنّ أحد ولا أنا: أوتيتَ صهراً مثلي ولم أوتَ أنا مثلك؛ وأوتيتَ زوجة صدّيقة مثل ابنتي ولم أؤت مثلها زوجة؛ وأوتيتَ الحسن والحسين من صلبك، ولم أؤت من صلبي مثلهما؛ ولكنّكم منّي وأنا منكم**»[٢].

وروي عن أبي الحمراء أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال لعليٍّ: «**يا علي، أوتيت ثلاثاً لم يؤتهنّ أحد ولا أنا: أوتيتَ صهراً مثلي، ولم أوتَ أنا مثلي. وأوتيت صديقة مثل ابنتي، ولم أوتَ مثلها (زوجة)، وأوتيت الحسن والحسين من صُلبك، ولم أوت من صلبي مثلهما. ولكنكم مني وأنا منكم**».[٣]

(١) أسد الغابة ٥: ٣١٥.

(٢) الرياض النضرة ٢: ١٧٢ – ١٧٣.

(٣) ملحقات إحقاق الحقّ للسيد المرعشي ٥: ٧٤، عن المناقب لعبد الله الشافعي.

وروى ابن المغازلي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ الله جَعل ذُرِّيَة كلِّ نبيٍّ مِن صُلْبِهِ، وإنّ الله عزّ وعلا جعل ذُرِّيّة محمّد مِن صُلبِ عليّ بن أبي طالب عليهما السلام**».(١)

وروى ابن شاذان القمي بإسناده عن جعفر الصادق عليه السلام يرويه عن النسب الطاهر، إلى جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّه قال: «**إنَّ الله تعالى جعل ذرية كل نبي من صلبه، وجعل ذريتي من صلب علي بن أبي طالب، ومن فاطمة ابنتي، وإنَّ الله اصطفاهم كما اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم على العالمين، فاتّبعوهم يهدوكم إلى صراط مستقيم، وقدّموهم ولا تتقدّموا عليهم، فإنَّهم أجملكم صغاراً، وأعلمكم كباراً، فاتّبعوهم فإنَّهم لا يُدخلوكم في ضلال، ولا يُخرجوكم من باب هدى**».(٢)

رسول الله صلى الله عليه وآله يفدي ابنته بنفسه وبأبويه

خالف رسول الله صلى الله عليه وآله طريقته المعتادة، فلم يدخل بيت الزهراء بعد عودته من غزوة تبوك، تلك الغزوة التي عانى المسلمون فيها من نقص واضح في عدد الجمال التي يركبونها وفي كمية الطعام، حتى أنّه كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك، وكان زادهم الشعير المسوس، والتمر المدود، والإهالة السنخة، وكان النفر منهم يخرجون ما معهم من التمرات بينهم، فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمر فلاكها حتى يجد طعمها، ثم يعطيها صاحبه فيمصها، ثم يشرب عليها جرعة من ماء، كذلك حتى يأتي على آخرهم، فلا يبقى من التمرة إلا النواة.

---

(١) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: ص٦١/ ح٧٠.

(٢) الروضة في فضائل أمير المؤمنين لابن شاذان: ص١٧٩ /ح١٥٦.

وجد رسول الله صلى الله عليه وآله ستراً معلّقاً على باب بيت ابنته الحبيبة، فرجع أدراجه ولم يدخل، فلمّا سمعت فاطمة عليها السلام بذلك هتكت الستر الجديد وارتدت أطمارها البالية القديمة ودخلت على رسول الله، فقال لها: فداك أَبي وأمّي! ونلاحظ في الرواية أنَّ الزهراء عليها السلام صبغت مقنعتها وعلّقت على بابها ستراً وألقت في بيتها بساطاً، وما فعلته أمُّ أبيها عليها السلام لم يكن مخالفاً للشرع، ولعلّ رسول الله صلى الله عليه وآله وجد في ذلك نوعاً من الترف في تلك الفترة الحرجة، لأنَّ من شأن (سيّدة نساء العالمين) أن تكون المثل الأعلى في الصبر على الفاقة وتجرّع مرارة الدنيا، فلفت صلى الله عليه وآله نظر ابنته الحبيبة إلى ذلك من دون أن يتكلّم، وسرعان ما هتكت (أمُّ أبيها) الستر وجمعت البساط وأهدتهما في سبيل الله تعالى، ثم دخلت على أبيها بملابسها الرثة القديمة، فسرّ بذلك وفدّاها بأبويه.

عن نافع، عن ابن عمر: أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله كان إذا خرج كان آخر عهده فاطمة عليها السّلام، وإذا رجع كان أول عهده فاطمة عليها السّلام. فلما رجع من غزوة تبوك ومعه علي عليه السّلام وقد اشترت مقنعة صبغتها بزعفران وعلّقت على بابها ستراً وألقت في بيتها بساطاً. فلما رأى ذلك النبي صلّى الله عليه وآله رجع فأتى المنزل فقعد فيه.

فأرسلت إلى بلال فقالت: اذهب فانظر ما ردّه عن بابي؟ فأتاه فأخبره. فقال: إنِّي رأيتها صنعتْ كذا. فأتاها وأخبرها. فهتكت الستر وكل شيء أحدثته وألقت عليها ولبست أطمارها. فأخبره فجاء حتى دخل عليها، فقال: كذا فكوني، فداك أبي وأمِّي[1].

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن محمد بن قيس، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة عليها السلام فدخل عليها، فأطال عندها المكث، فخرج

(١) فضائل فاطمة الزهراء عليها السّلام: ص ٢٨ / ح ٣.

مرة في سفر فصنعت فاطمة عليها السلام مسكتين من ورق وقلادة وقرطين وستراً لباب البيت لقدوم أبيها وزوجها (عليهما السلام)، فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخل عليها فوقف أصحابه على الباب لا يدرون أيقفون أو ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عُرف الغضب في وجهه حتى جلس عند المنبر، فظنت فاطمة عليها السلام أنَّه إنَّما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى من المسكتين والقلادة والقرطين والستر، فنزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها، ونزعت الستر، فبعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقالت للرسول: «**قل له صلى الله عليه وآله: تقرأ عليك ابنتك السلام، وتقول: اجعل هذا في سبيل الله. فلما أتاه وخبره، قال صلى الله عليه وآله: فعلتْ فِداها أبوها - ثلاث مرات - ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما أسقى منها كافراً شربة ماء**»؛ ثم قام فدخل عليها[1].

وقوف النبي بباب بيتها كل صباح

وقف رسول الله بباب بيت فاطمة طيلة ستة أشهر كاملة، بل تسعة أشهر أو عشرة أشهر، فقرأ آية التطهير ونادى أهل بيت الزهراء بأنَّهم (أهل البيت) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؛ فهل اكتفى البعض بتلك البيّنة الواضحة الجليّة؟! من المحزن أن يكون الجواب بالنفي، لأنَّ الآذان المريضة التي أسدل عليها التعصب ستاره البغيض لم تكن تسمع شيئاً فيه منقبة لسيّدة نساء العالمين أو لزوجها أو لابنيها سيدي شباب أهل الجنّة.

(١) الأمالي – الشيخ الصدوق: ص ٣٠٥.

أليس غريباً إذاً أن يُماري البعض ويجادل في مصاديق أهل البيت، ويتجرأ فيُخرج علياً عليه السلام منهم، أو يتجرّأ فيُدخل نساء النبي معهم، بل قد يقوده البغض والنصب إلى أن يزعم أنَّ آية التطهير نزلت في نساء النبي دون سواهنّ؟! مع أنّ أمَّ سلمة أمَّ المؤمنين تؤكد في أحاديث متكاثرة نقلها الطرفان أنّها استأذنت في أن تدخل تحت الكساء لتشملها آية التطهير، وأنَّ رسول الله منعها ونحّاها وقال لها: أنتِ إلى خير.

روى الصدوق عن الصادق، عن آبائه عليهم السّلام: كان النبي صلّى الله عليه وآله يقف عند طلوع كل فجر على باب عليٍّ وفاطمة عليهما السّلام ويقول: «**الحمد لله المحسن المجمل المنعم المفضل الذي بنعمته تتمّ الصالحات؛ سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه عندنا؛ نعوذ بالله من النار، نعوذ بالله من صباح النار، نعوذ بالله من مساء النار؛ الصلاة يا أهل البيت؛**» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] [2].

روى فرات في تفسيره عن أبي الحمراء، قال: خدمت رسول الله صلّى الله عليه وآله تسعة أشهر أو عشرة أشهر؛ فأما التسعة فلست أشك فيها ورسول الله صلّى الله عليه وآله يخرج من طلوع الفجر فيأتي باب فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السّلام فيأخذ بعضادتي الباب فيقول: «**السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله**».

قال: فيقولون: «**وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا رسول الله**».

فيقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٨٨ ح ١٤ المجلس التاسع والعشرون.

(٣) تفسير فرات: ص ١٢٣.

فاطمة خير بنات النبي صلى الله عليه وآله

حاول البعض في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام اختلاق حديث نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ينتقص فيه من قدر الزهراء عليها السلام، وقد تصدّى الإمام زين العابدين لهذا الأمر وواجه محدّث الحديث المختلق وانتزع منه عهداً أنّه لن يحدّث بذلك الحديث المختلق أبداً. ويلزمنا في هذا المجال أن ننوّه إلى أنَّ هذا الراوي (عروة بن الزبير) قد تربّى بين أحضان عائشة، وأنَّه نشأ وترعرع على بُغض أمير المؤمنين عليه السلام. وقد نقل السيد شرف الدين أنَّ ابن أبي الحديد روى عن أبي جعفر الإسكافي وقال: إنَّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليٍّ (عليه السلام) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه.. منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير، روى الزهري: أنَّ عروة بن الزبير حدثه قال:حدثتني عائشة، قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلي، فقال: «**يا عائشة! إنَّ هذين يموتان على غير ملتي، أو قال: ديني**».

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في عليٍّ (عليه السلام) فسألته عنهما يوماً، فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما؟ الله أعلم بهما. إنّي لأتهمها في بني هاشم![1]

روى الطبراني في المعجم الأوسط عن يحيى بن أيوب قال حدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن عمرو بن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**زينب خير بناتي أصيبت فيّ؛ فبلغ ذلك علي بن حسين فأتاه فقال: ما حديث يبلغني عنك تنتقص فيه فاطمة**»؟! فقال عروة: ما أحب أن لي كذا وكذا وأنّي

---

(١) النص والاجتهاد للسيد شرف الدين: ص٥١٣.

انتقص فاطمة حقاً هو لها، فأما بعد ذلك فلك علي أن لا أُحدّث به أبداً[١].

وروى في المعجم الكبير بإسناده عن عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قدم المدينة خرجت ابنته زينب من مكة مع كنانة أو ابن كنانة، فخرجوا في أثرها فأدركها هبار بن الأسود فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها وألقت ما في بطنها وهريقت دماً فتحمّلت واشتجر فيها بنو هاشم وبنو أُمية، فقالت بنو أُمية: نحن أحق بها وكانت تحت ابنهم أبي العاص، وكانت عند هند بنت عتبة بن ربيعة وكانت تقول لها هند: هذا في سبب أبيك! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزيد بن حارثة: «**ألا تنطلق تجيء بزينب؟**» فقال: بلى يا رسول الله. قال: «**فخذ خاتمي فأعطها إياه**»! فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقي راعياً، فقال: لمن ترعى؟ فقال: لأبي العاص. فقال: لمن هذه الغنم؟ فقال: لزينب بنت محمد. فسار معه شيئاً ثم قال: هل لك في أن أُعطيك شيئاً تعطيها إياه ولا تذكره لأحد؟ قال: نعم. فأعطاه الخاتم وانطلق الراعي فأدخل غنمه وأعطاها الخاتم فعرفته وقالت: مَن أعطاك هذا؟ قال: رجل. قالت: فأين تركتَه؟ قال: بمكان كذا وكذا؛ فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه، فلمّا جاءته قال لها: اركبي بين يدي على بعيره، قالت: لا ولكن اركب أنت بين يدي! فركب وركبت وراءه حتى أتت، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**هي خير بناتي أصيبت فيّ؛ فبلغ ذلك علي بن حسين**» فانطلق إلى عروة فقال: ما حديث بلغني عنك أنَّك تحدثه تنقص فيه حقّ فاطمة؟! فقال عروة: والله ما أحب أنَّ لي ما بين المشرق والمغرب وأنِّي أنتقص لفاطمة حقاً هو لها، وأما بعد ذلك إنِّي لا أُحدّث به أبداً[٢].

(١) المعجم الأوسط – الطبراني ٥: ٨٠.

(٢) المعجم الكبير – الطبراني ٢٢: ٤٣١ – ٤٣٢.

قصّة بقلة فاطمة عليها السلام

أحبّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بقلة الفَرفَخ لما سكّنت عن قدميه حرّ الرمضاء ودعا لها، وشهد صادقُ أهل البيت عليهم السلام أنّها بقلة شريفة نافعة لا نظير لها، وأحبّتها بضعة الرسول: الزهراء عليها السلام لأنّها سكّنت أوجاع أبيها الحبيب؛ ثم جاء أُناس أبغضوا الرسولَ ونصبوا العداوة لأهل بيته، فسمّوا تلك البقلة بـــ(البقلة الحمقاء)، فما أحمقهم حقاً!

أخرج الفيض الكاشاني عن فرات بن أحنف قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**ليس على وجه الأرض بقلة أشرف ولا أنفع من الفرفخ وهو بقلة فاطمة عليها السلام، ثمَّ قال: لعن الله بني أُمية هم سمّوها البقلة الحمقاء بغضاً لنا أهل البيت وعداوة لفاطمة عليها السلام**».(١)

وأخرج الفيض عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**وطئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرمضاء فأحرقته، فوطئ على الرِجلة وهي البقلة الحمقاء فسكن عنه حرّ الرمضاء، فدعا لها وكان يحبها ويقول من بقلة ما أبركها**»!(٢)

وروى البرقي في المحاسن عن حماد بن زكريا النخعي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالفرفخ فهي المكيسة، فإنَّه إن كان شيء يزيد في العقل فهي**».(٣)

(١) الوافي ١٩: ٤٤٣، نقلًا عن الكافي.

(٢) الوافي ١٩: ٤٤٣، نقلًا عن الكافي.

(٣) المحاسن للبرقي ٢: ٥١٧ / ح٧١٢.

النبي يبكي لبكاء ابنته الزهراء عليهما السلام

أصعب ما في الفراق، مُقاساة اللحظات التي تسبقه، ومعاناة المشاعر المتأججة التي تلهب النفس بنارها. فإذا كان مَن يُقاسي اللوعة مثل فاطمة عليها السلام، وكان المُفارق الراحل مثل سيّد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله، فما أمضّ الفراق، وما أشدّ اللوعة واللهفة! فإذا أضفنا إلى مشاعر الفراق بين الرسول وبضعته وريحانته مشاعرَ أُخرى تزيد الهمّ، كعلم الزهراء عليها السلام بأنّها ستُظلم بعد أبيها، وبأنَّ زوجها سيُظلم ويُقصى عن حقّه الطبيعيّ في خلافة رسول الله، وبأنّ أبناءها سيُقتلون ويشرّدون، فمن الطبيعيّ أن تكون اللوعة والتفجّع أعظم. على أنّنا نعلم يقيناً أنّ حزن الزهراء عليها السلام لا ينظر إلى هذا المصاب الجلل باعتباره خسارة كبرى على المستوى الشخصيّ، لأنَّ إحساسها بخسارتها العظيمة بفقدان الأب والحامي والمعين ليس أعظم من إحساسها بالخسارة الكبرى لفقدان القائد والهادي الذي يضمن سلامة المسيرة الإسلاميّة، مع علمها أنّ وصيّه المؤتمن على تلك المسيرة سيُقصى عن حقّه ويُبعد عن ممارسة واجبه في قيادة الأمَّة نحو برّ الأمان في تلك المرحلة العصيبة من حياة الأمَّة الإسلاميّة. ولهذا كلّه كانت (أمُّ أبيها) تذرف الدموع سخاناً، وكان أبوها يبكي لبكائها، رحمةً منه بها، ورحمة منه لأمَّته التي ستتنكّب الطريق بعده إلاّ مَن عصم اللهُ تعالى.

روى الخزاز القمي بإسناده عن أبي ذر الغفاري قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الذي توفي فيه، فقال: «**يا أبا ذر ايتني بابنتي فاطمة**». قال: فقمت ودخلت عليها وقلت: يا سيدة النسوان أجيبي أباك. قال: فلبست جلبابها وخرجت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انكبّت عليه وبكت وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها

وضمّها إليه، ثم قال: «**يا فاطمة لا تبكي فداك أبوك، فأنت أول من تلحقين بي مظلومة مغصوبة، وسوف يظهر بعدي حسيكة النفاق وسمل جلباب الدين، وأنت أوّل من يرد علي الحوض**» - الحديث بطوله[1]، وقد أوردناه كاملًا في مواضع أُخرى.

آخر لقاء بين الزهراء وأبيها عليهما السلام

أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته أنَّها ستُظلم بعده وتُقهر، وأنَّ زوجها سيُظلم ويُقهر، وأخبرها أنَّ وُلدها سيُقتلون، فلمّا رأت الزهراء أباها يحتضر بكت حتى تحادرت دموعها حزناً على أبيها المرسل، وخشية على نفسها وأولادها من مواجهة المصائب التي ستنهال عليهم من الأمَّة. ونرى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله في تسليته للزهراء يذكّرها بأنَّ الله تعالى الذي لا رادّ لمشيئته قد اختار لهم الآخرة على الدنيا، وأنَّه تعالى جعل الموت والفناء قدَراً مقدوراً على جميع خلقه. وإذا كان لا بدّ من الموت، فأحرى بأولياء الله وعباده المصطفين أن يصبروا على ما اختاره الله لهم من البلاء والامتحان.

روى الشيخ الصدوق عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول: كنت جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضته التي قُبض فيها، فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا رسول الله أخشى على نفسي وولدي الضيعة بعدك، فاغرورقت عينا رسول الله بالبكاء، ثم قال: يا فاطمة أما علمتِ أنّا أهلُ بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا، وأنَّه حتّم الفناء على جميع خلقه، وأنَّ الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض إطلاعه فاختارني من**

---

(١) كفاية الأثر - الخزاز القمي: ص ٣٦ - ٣٨؛ بحار الأنوار ٣٦: ٢٨٨.

خلقه فجعلني نبياً، ثم اطلع إلى الأرض اطلاعه ثانية فاختار منها زوجك وأوحى إلي أن أزوجك إياه وأتخذه ولياً ووزيراً، وأن أجعله خليفتي في أمَّتي؛ فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنتِ أوّل مَن يلحق بي من أهلي»- الحديث بطوله.[١]

النبي يبكي لما سيصيب ابنته وبعلها وابنيها من بعده

بكى النبيّ على مصائب العترة الطاهرة، وبكى على أمَّته التي سترتكب العظائم في حقّ أهل بيته، على الرغم من كلّ التوصيات التي أوصاهم بها، وعلى الرغم من الآيات القرآنيّة التي نزلت في حقّ أهل البيت عليهم السلام، التي صرّحت بطهارتهم من كلّ رجس ودنس، والتي اعتبرت أنّ مودّتهم هي أجر الرسالة التي أخرجهم الله تعالى بها من الظلمات إلى النور.

روي أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله زار فاطمة عليها السّلام يوماً فصنعت له عصيدة من تمر فقدّمتها بين يديه. فأكل هو وعلي وفاطمة والحسنان عليهم السّلام. فلما فرغوا من الأكل، سجد النبي صلّى الله عليه وآله فأطال السجود. ثم بكى في سجوده، ثم ضحك ثم جلس. فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «**يا رسول الله! لم سجدتَ وبكيت وضحكت؟ فقال: لما رأيتكم مجتمعين سررت بذلك فسجدت للهّ شكراً، فهبط جبرئيل وأنا ساجد فقال: إنَّك سررت باجتماع أهلك؟ فقلت: نعم. فقال: إنِّي مخبرك بما يجري عليهم؛ إنَّ فاطمة عليها السّلام تُغصب وتظلم حقها وهي أول من يلحق بك، وأمير المؤمنين عليه السّلام يُظلم حقه ويُضطهد، ويُقتل ولدك الحسن عليه السّلام بالسم بعد أن يؤخذ حقه، وولدك الحسين عليه السّلام يُظلم ويُقتل، لا يدفنه إلا الغرباء، فبكيت**».

(١) كمال الدين: ص٢٦٣.

ثم قال: «**إنّ مَن زار ولدك كتب الله له بكل خطوة مائة حسنة، ورفع عنه مائة سيئة؛ فضحكت فرحاً بذلك**»(١).

وروى ابن قولويه عن المعلى بن خنيس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله أصبح صباحاً فرأته فاطمة باكياً حزيناً، فقالت: «**ما لك يا رسول الله؟! فأبى أن يخبرها، فقالت: لا آكل ولا أشرب حتى تخبرني، فقال: إنَّ جبرئيل عليه السلام أتاني بالتربة التي يقتل عليها غلام لم يُحمل به بعد- ولم تكن تحمل بالحسين عليه السلام - وهذه تربته**»(٢).

إذا حزن رسول الله لم يكلّمه سوى ابنته فاطمة

منزلة الزهراء عليها السلام في قلب أبيها صلى الله عليه وآله منزلة عظيمة، فالنبي صلى الله عليه وآله لا يحبّ الزهراء ويجلّها لمجرّد أنَّها ابنته الوحيدة الأثيرة لديه، بل يحبّها ويعزّها لدرجاتها العظيمة عند الله تعالى، فهي سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي السيدة التي ارتقت في مناقبها وحازت من الفضل عند الله تعالى بحيث إنَّ الله تعالى يرضى لرضاها ويغضب لغضبها. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا شاهد ابنته وريحانته من الدنيا فرح بها، ولذلك فزع المسلمون إليها لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً محزوناً، أخرج السيد ابن طاووس عن مؤلف كتاب زهد النبي صلوات الله عليه وآله قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله:

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾(٣)

---

(١) عوالي اللئالي ١: ١٩٩ / ح ١٤.ورواه المجلسي في بحار الأنوار ٩٨: ٤٤ باختلاف يسير في اللفظ، وقال إنَّه وجده بخط الشيخ محمد بن علي الجبعي، نقلاً من خط الشهيد رفع الله درجته، نقلاً من مصباح الشيخ أبي منصور طاب ثراه.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ص ١٣٢.

(٣) سورة الحجر: ٤٣ – ٤٤.

بكى رسول الله صلى الله عليه وآله بكاءً شديداً وبكى أصحابه، ولا يدرون ما نزل به جبرئيل عليه السلام، ولم يستطع أحد من أصحابه أن يكلمه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى فاطمة فرح بها، فانطلق بعض أصحابه إلى باب فاطمة وبين يديها شيء من شعير وهي تطحن وتقول: ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾(١). قال: فقال: «**السلام عليك يا بنت رسول الله**».

فقالت: «**وعليك السلام، ما جاء بك**»؟ قال: تركت رسول الله صلى الله عليه وآله باكياً حزيناً، ولا أدري ما نزل به جبرئيل!

فقالت: «**تنحّ (من) بين يدي أضم إلي ثيابي وأنطلق إلى رسول الله لعله يخبرني بما نزل به جبرئيل**». قال: فلبست فاطمة شملة من صوف خلقاناً، قد خيطت باثني عشر مكاناً من سعف النخل، فلما خرجت فاطمة عليها السلام نظر إليها سلمان رضي الله عنه فوضع يده على رأسه وهو ينادي: (وا حزناه) إنَّ قيصر وكسرى لفي السندس والحرير، وابنة محمد عليها شملة من صوف قد خيطت باثني عشر مكاناً بسعف النخل. فلما دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله قالت: «**يا رسول الله، إنَّ سلمان تعجب من لباسي، فوالذي بعثك بالحق نبياً ما لي ولعلي منذ خمس سنين إلا (مسك) كبش، تعلف عليه بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، وإنَّ مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف النخل. قال النبي صلى الله عليه وآله: يا سلمان، ويح ابنتي فاطمة، لعلها تكون في الخيل السوابق**».

قالت: «**يا رسول الله، فدتك نفسي يا أبه، ما الذي أبكاك**»؟. قال: «**كيف لا أبكي وقد نزل جبرئيل بهذه الآية**»: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

(١) سورة القصص: ٦٠؛ سورة الشورى: الآية ٣٦.

قال فسقطت فاطمة على وجهها وهي تقول: «**الويل ثم الويل لمن دخل النار**». قال: فسمع ذلك سلمان فقال: يا ليتني كنت كبشاً لأهلي فأكلوا لحمي ومزقوا جلدي ولم أسمع بذكر النار. وقال عمار: يا ليتني كنت طائراً في القفار ولم يكن علي حساب ولا عذاب - الحديث بطوله.(١)

فاطمة تتحلل لرسول الله من أزواجه في مرضه

حين يمرض الإنسان ويعجز عن القيام ببعض واجباته، فإنَّ أقرب الناس إليه وأخصّهم وأولاهم به سيقوم بالاعتذار ممّن كان لهم في رقبة الفرد المريض حقّ أو دَين، ونلاحظ في الرواية التالية أنَّ الزهراء عليها السلام تقوم بالاعتذار من نساء النبي من أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لا تُسعفه حاله في التنقّل بين أزواجه، فأخبرنها أنَّه في حلّ منهنّ.

أخرج البلاذري عن الواقدي بإسناد له: أنَّ فاطمة عليها السّلام كانت تطوف- حين مرض النبي صلّى الله عليه وآله- على أزواجه فتقول: «**إنَّه يشقّ على النبي صلّى الله عليه وآله أن يطوف عليكنّ**»، فقلن: هو في حلّ(٢).

وروى ابن سعد في الطبقات عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: لما مرض رسول الله مرضه الذي توفي فيه طافت فاطمة على نسائه تقول إنَّ رسول الله يشقّ عليه أن يطوف عليكنّ، فقلن هو في حلّ.(٣)

---

(١) الدروع الواقية: ص٢٧٦؛ بحار الأنوار ٨: ٣٠٣.

(٢) أنساب الأشراف ١: ٤١٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٨: ١٦٨.

يا أبتاه أين ألقاك

يوم القيامة يومٌ رهيب، تذهل فيه كلّ مرضعة عمّا أرضعت، وينادي فيه كلّ شخص (نفسي نفسي)، إلا نبيّنا الذي بعثه الله تعالى رحمة لأمَّته، فإنَّه ينادي يومئذ «**رب سلّم أمَّتي**». ولا تنسى سيّدة النساء أن تسأل أباها صلى الله عليه وآله أين ستجده في ذلك اليوم العصيب، فسمعت منه المرة تلو المرة أنَّه سيشفع لأمَّته ويّدخلها الجنة تحت لواء الحمد الذي يحمله أمير المؤمنين عليه السلام، ثم يسقيها من حوض الكوثر، ثم يقف على الصراط يدعو ربّه أن يسلّمها، ثم يقف على الميزان يدعو ربّه أن يسلّمها، وفي نهاية المطاف يقف عند شفير جهنّم ليمنع شررها ولهبها عن أمَّته.

روى الشيخ الصدوق عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قالت فاطمة (عليها السلام) لرسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا أبتاه، أين ألقاك يوم الموقف الأعظم، ويوم الأهوال، ويوم الفزع الأكبر؟ قال: يا فاطمة، عند باب الجنة، ومعي لواء الحمد، وأنا الشفيع لأمَّتي إلى ربي**».

قالت: «**يا أبتاه، فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على الحوض وأنا أسقي أمَّتي. قالت: يا أبتاه، فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على الصراط وأنا قائم أقول: رب سلّم أمَّتي، قالت: فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني وأنا عند الميزان أقول: رب سلّم أمَّتي. قالت: فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني عند شفير جهنم أمنع شررها ولهبها عن أمَّتي. فاستبشرت فاطمة بذلك صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها**».[١]

(١) أمالي الصدوق: ص٣٥٠/ ح٤٢٢/ ١٤.

النبي يُخبر ابنته أنَّها أوّل من يلحق به فتفرح لذلك

بكت الزهراء عليها السلام وذرفت الدموع غزاراً لمّا أخبرها أبوها صلى الله عليه وآله أنَّه سيفارقها وشيكاً، وأنَّها ستُظلم بعده من قبل شرار أمَّته، وبكت حين أخبرها أنَّها ستستغيث دون أن يُعينها أحد من أمَّته. وكأنَّها عليها السلام كانت ترى عياناً ما سيفعل بها وبذريّتها من قبل شرار الخلق. لكنّ (أمَّ أبيها) نفت أن يكون بكاؤها بسبب مظلوميتها وما سيُصنع بها ويُنتهك من حقّها، بل بكاؤها للمصيبة العظمى في ارتحال سيّد الكائنات: خاتم الأنبياء والمرسلين، فهي مصيبة تهون إزاءها كل مصيبة سواها. كانت الزهراء عليها السلام تبكي لأنَّها أحست بالخسارة العظيمة في فراق أبيها الذي انقطعت برحيله النبوّة والوحي، وفقدت الأمَّة هاديها ومرشدها ودليلها إلى سبيل الفلاح والنجاح.

روى الشيخ الطوسي عن عبد الله بن العباس، قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله، ما يبكيك؟ فقال: «**أبكي لذريتي، وما تصنع بهم شرار أمَّتي من بعدي، كأنِّي بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي (يا أبتاه، يا أبتاه) فلا يعينها أحد من أمَّتي. فسمعت ذلك فاطمة (عليها السلام) فبكت، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله. لا تبكين يا بنية. فقالت: لست أبكي لما يصنع بي من بعدك ولكن أبكي لفراقك يا رسول الله. فقال لها: أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي، فإنَّك أول من يلحق بي من أهل بيتي**».(١)

مصباح الأنوار: عن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهما السلام قال: قالت فاطمة عليها السلام لعلي عليه السلام: «**إنَّ لي إليك حاجة يا أبا**

(١) أمالي الطوسي: ص١٨٨ / ح ٣١٦/ ١٨.

الحسن. فقال: تقضى يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت: نشدتك بالله وبحق محمد رسول الله أن لا يصلي عليّ أبو بكر ولا عمر، فإنّي لا أكتمك حديثاً، فقالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة! إنَّك أول من يلحق بي من أهل بيتي، فكنت أكره أن أسوءك. قال: فلما قبضت أتاه أبو بكر وعمر وقالا: لم لا تخرجها حتى نصلي عليها؟ فقال: ما أرانا إلا سنصبح، ثم دفنها ليلاً، ثم صوّر برجله حولها سبعة أقبر. قال: فلما أصبحوا أتوه فقالا: يا أبا الحسن! ما حملك على أن تدفن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم نحضرها؟ قال: ذلك عهدها إلي.[١]

روى ابن عساكر عن عائشة أنَّ النبيَّ صلى الله عليه - وآله - وسلم دعا فاطمة في مرضه الذي توفي فيه فقال لها قولاً فبكت منه، ثم قال لها فضحكت. قالت عائشة: فسألتها فقالت: «**أول القول قال لي إنَّه ميت من وجعه فبكيت، ثم قال: إنَّك أول من يلحق بي في الجنة، فضحكت**».[٢]

رسول الله يأمر ابنته بالتصبّر بعد رحيله

أوصى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بضعته وريحانته الزهراء عليها السلام أن لا تشقّ عليه جيباً ولا تخمش عليه وجهاً ولا تدعو في فقده بالويل والثبور، ودعاها إلى التصبّر رفقاً بها ورحمة منه لها، لأنَّ التصبّر أرفق بصاحب المصيبة من الجزع، يضاف إلى ذلك ما للتصبّر والتفويض إلى الله تعالى من عظيم الأجر، على الرغم من أنَّ الجزع إذا كان على النبي لم يكن قبيحاً ولا مذموماً، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال مخاطباً رسول الله بعد ارتحاله: «**إنّ الصبر لجميلٌ إلا عنك، وإنَّ الجزع لقبيح إلا عليك، وإنَّ**

(١) بحار الأنوار ٢٩: ١١٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٦٠: ٣٠٥.

المصاب بك لجليل، وإنَّه قبلك وبعدك لجلل»[1]. وقد أشار ابن ميثم البحراني إلى هذا المعنى فقال: (وإنّما كان الصبر غير جميل في المصيبة به صلَّى اللهَّ عليه وآله، والجزع عليه غير قبيح لأنّه صلَّى اللهَّ عليه وآله أصل الدين والقدوة فيه فالجزع في المصيبة به يستلزم دوام تذكره المستلزم لدوام ذكر أخلاقه وسننه وسيرته فكان غير قبيح من هذا الوجه، أو لأنّ المصيبة به مصيبة عظيمة وهو أعظم فائت فيستحسن الجزع عليه، وأمّا الصبر فإنّه يؤول إلى سلوانه والغفلة عنه فكان غير جميل من هذا الوجه)[2]. ويرى أحد علمائنا أنَّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام خرج مخرج الكناية لبيان عظم المصيبة وشدّة التألُّم من فقده صلوات الله عليه، وليس معناه أنّ الصبر على فقده ومصابه ليس جميلاً حقيقة، وأنّ الجزع عليه ليس قبيحاً حقيقة[3].

روى فرات الكوفي في تفسيره أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال في مرضه الذي قبض فيه لفاطمة عليها السّلام: **«بأبي وأمّي أنت، أرسلي إلى بعلك فادعيه لي. فقالت فاطمة عليها السّلام للحسين عليه السّلام: انطلق إلى أبيك فقل: يدعوك جدي. قال: فانطلق إليه الحسين عليه السّلام فدعاه؛ فأقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام حتى دخل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وفاطمة عليها السّلام عنده وهي تقول: واكرباه لكربك يا أبتاه. فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا كرب على أبيك بعد اليوم يا فاطمة. إنَّ النبي لا يُشقّ عليه الجيب، ولا يخمش عليه الوجه، ولا يدعى عليه بالويل، ولكن قولي كما قال أبوك على إبراهيم: (تدمع العينان وقد يوجع القلب ولا نقول ما يسخط الرب، وإنَّا بك يا إبراهيم لمحزونون)، ولو عاش إبراهيم لكان نبياً»** - الرواية[4].

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، ٤: ٧١، الخطب / الرقم ٢٩٢؛ بحار الأنوار ٧٩: ١٣٤.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٥: ٣٩٣ / الرقم ٢٧٦.
(٣) انظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للشيخ حبيب الله الخوئي ٢١: ٣٨٥.
(٤) تفسير فرات ص ٢٢٠.

البنت تقدّم ولديها للقصاص دون أبيها

يضرب النبي صلى الله عليه وآله في مواقفه المثل تلو المثل في احترام حقوق الناس، ونجده في هذا الموقف وهو يُقسم على الناس ويستحلفهم بالله وبحقّه عليهم أن يقتصّ منه مَن كانت له قِبل النبي مظلمة!

ولقد كانت الزهراء عليها السلام طوال حياتها الشريفة المدافع القوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت مستعدة لأن تفديه بنفسها، ونراها عليها السلام في هذا الموقف تطلب من ولديها الحسنين عليهما السلام أن يقدّما نفسيهما للقصاص دون جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله. ولا نشك أنَّ ولديها كانا أعز عليها من نفسها، لكنَّ الزهراء الطاهرة كانت تعلم يقيناً أنَّ منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله لا تماثلها منزلة أي شخص سواه، ولم يكن بإمكان الزهراء عليها السلام أن تتصدى للقصاص بنفسها، فقدمت ولديها الحسنين عليهما السلام.

روى الطبراني عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس (في حديث طويل) أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال:

«**معاشر المسلمين! أُناشدكم بالله وبحقي عليكم، من كانت له قِبلي مظلمة فليقم فليقتصّ مني قبل القصاص في القيامة**». فقام شيخ يقال له: عكاشة،– إلى أن قال عكاشة–:

كنت معك في غزاة، فلما فتح الله عز وجل علينا ونصر نبيه وكان في الانصراف، حاذت ناقتي ناقتك ونزلت عن الناقة ودنوت منك لأقبّل فخذك، فرفعتَ القضيب فضربتَ خاصرتي، لا أدري أكان عمداً منك أم أردتَ ضرب الناقة؟

فقـال رسـول الله صـلّى الله عليـه وآلـه: «**أُعيـذك بجـلال الله أن يتعمّدك رسـولُ الله صـلّى الله عليـه وآلـه بالضرب. يـا بلال، انطلـق إلى منـزل فاطمـة عليها السّـلام وائتني بالقضيب المشـوق**».

فخرج بلال من المسجد ويده على أمِّ رأسه وهو ينادي: هذا رسول الله صلّى الله عليه وآله يعطي القصاص من نفسه. فقرع الباب على فاطمة عليها السّلام، فقال: يا بنت رسول الله، ناوليني القضيب المشوق. فقالت فاطمة عليها السّلام: «**يا بلال! وما يصنع أبي بالقضيب وليس هذا يوم حجّ ولا يوم غزاة**»؟ فقال: يا فاطمة، ما أغفلك عمّا فيه أبوك؛ إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله يودّع الدين ويفارق الدنيا ويعطي القصاص من نفسه. فقالت فاطمة عليها السّلام: «**يا بلال! من ذا الذي يطيّب نفسه أن يقتصّ من رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ يا بلال! إذن فقُل للحسن والحسين عليهما السّلام يقومان إلى هذا الرجل فيقتصّ منهما، ولا يدعانه يقتصّ من رسول الله صلّى الله عليه وآله**».

فدخل بلال المسجد ودفع القضيب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، ودفع رسول الله صلّى الله عليه وآله القضيب إلى عكاشة - الحديث[١]؛ وقد اقتطعنا منه موضع الحاجة.

اللحظات الأخيرة في حياة رسول الله

نرى رسول الله صلى الله عليه وآله يرفق بحبيبته الزهراء عليها السلام في لحظات حياته الأخيرة، فيصرفها عن تكرار بيت شعر لأبي طالب عليه السلام كان يثير عاطفتها وحُزنها، ويوجهها إلى قراءة الآية القرآنية الكريمة التي قرّرت أنَّ شأن أشرف الأنبياء والمرسلين محمدٍ صلى الله عليه وآله كشأن من سبقه من الرسل الذين فارقوا الدنيا، وحين

(١) المعجم الكبير ٣: ٥٩.

التفتت الزهراء عليها السلام إلى أنَّ رسول الله يودّعها بهذا الكلام بكت طويلاً وذرفت الدموع سخاناً، فرحمها النبي وأسرَّ إليها بأنَّها أوّل من يلحق به من أهل بيته، فسرى عنها بذلك بعض الوجد.

روى الشيخ المفيد حديثاً عن وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله جاء فيه:

(ثم ثقل عليه السلام وحضره الموت وأمير المؤمنين عليه السلام حاضر عنده. فلما قرب خروج نفسه قال له: «**ضع رأسي يا علي في حجرك، فقد جاء أمر الله عز وجل فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري وصلّ عليَّ أوّل الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى**» فأخذ علي عليه السلام رأسه فوضعه في حجره فأُغمي عليه، فأكبّت فاطمة عليها السلام تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه وقال بصوت ضئيل: «**يا بنية، هذا قول عمك أبي طالب، لا تقوليه، ولكن قولي:** ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[1]»، فبكت طويلًا، فأومأ إليها بالدنو منه، فدنت فأسر إليها شيئاً تهلل له وجهها، ثم قضى عليه السلام ويد أمير المؤمنين عليه السلام اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه صلى الله عليه وآله فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها، ثم وجّهه وغمّضه ومد عليه إزاره واشتغل بالنظر في أمره. فجاءت الرواية: أنَّه قيل لفاطمة عليها السلام: ما الذي أسرَّ إليك رسول الله صلى الله عليه وآله فسرى عنك ما كنت عليه من الحزن والقلق بوفاته؟ قالت: «**إنَّه خبرني أنَّني أول أهل بيته لحوقاً به، وأنَّه**

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

لن تطول المدة بي بعده حتى أُدركه، فسرى ذلك عني» - الحديث.[١]

كلام الزهراء مع ملك الموت

من المحزن أن نجد أنَّ ملَك الموت - وهو من الملائكة المقرّبين - يستأذن على رسول الله وأهل بيته كما استأذن عليهم جبرئيلُ الأمين من قبل. يستأذن ملَك الموت وهو المكلّف من الله تعالى بقبض الأرواح، فتصرفه الزهراء عليها السلام فينصرف، بينما يهجم البعض على بيت الزهراء بمجرّد ارتحال النبي إلى الرفيق الأعلى، ثم يقتحم البيت في قصّة موجعة تدمى لها الأفئدة.

أخرج المجلسي عن ابن شهرآشوب في المناقب، عن ابن عباس أنَّه أُغمي على النبي صلى الله عليه وآله في مرضه فدق بابه، فقالت فاطمة: **«من ذا؟ قال: أنا رجل غريب أتيت أسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أتأذنون لي في الدخول عليه؟ فأجابت: امضِ - رحمكَ الله - لحاجتك، فرسول الله عنك مشغول، فمضى، ثم رجع فدق الباب وقال: غريب يستأذن على رسول الله، أتأذنون للغرباء، فأفاق رسول الله صلى الله عليه وآله من غشيته وقال: يا فاطمة أتدرين من هذا؟ قالت: لا يا رسول الله، قال: هذا مفرّق الجماعات، ومنغّص اللذات، هذا ملك الموت، ما استأذن والله على أحد قبلي، ولا يستأذن على أحد بعدي، استأذن عليَّ لكرامتي على الله، ائذني له، فقالت: ادخل رحمك الله، فدخل كريح هفافة وقال: السلام على أهل بيت رسول الله، فأوصى النبيُّ إلى عليٍّ بالصبر عن الدنيا، وبحفظ فاطمة، وبجمع القرآن، وبقضاء دينه، وبغسله، وأن يعمل حول قبره حائطاً، وبحفظ الحسن والحسين».**[٢]

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٨٧.

(٢) بحار الأنوار ٢٢: ٥٢٨.

فاطمة تسمع اسم أبيها في الأذان فيغشى عليها، وتشمّ قميصه فيغمى عليها

لقد أخبر الصادقُ المصدّق أنَّ ابنته الحبيبة سيّدة نساء العالمين ستُغصب حقّها وتُظلم، وأنَّ زوجها سيُظلم حقّه ويُضطهد وأنَّ ولديها سيُقتلان. ولقد وصفت الزهراء عليها السلام ما لاقت من الظلم والاضطهاد بعد أبيها بأبياتها المشهورة التي تقول فيها

صُبّت علَيَّ مصائبٌ لو أنّها صبّت على الأيّام صِرن لياليا!

فلا عجب أن يُغشى على حبيبة أبيها حين تسمع اسم أبيها في الأذان على لسان مؤذنه الخاصّ، حتّى يظنّ الناس أنّها قد ماتت! ولا عجب أن يُغشى على أمّ أبيها حين تشمّ قميص أبيها وتنشق عطره فيه!

قال أبو جعفر الصدوق: وروي أنّه لما قبض النبي صلّى الله عليه وآله امتنع بلال من الأذان، قال: «**لا أؤذّن لأحد بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وإنَّ فاطمة عليها السّلام قالت ذات يوم: إنّي أشتهي أن أسمع صوت مؤذّن أبي بالأذان**».

فبلغ ذلك بلالاً، فأخذ بالأذان. فلما قال: (الله أكبر الله أكبر)، ذكرت أباها صلّى الله عليه وآله فلم تتمالك من البكاء. فلما بلغ إلى قوله (أشهد أنَّ محمداً رسول الله)، شهقت فاطمة عليها السّلام شهقة وسقطت لوجهها وغشي عليها. فقال الناس لبلال: أمسك يا بلال فقد فارقت ابنة رسول الله عليها السّلام الدنيا، وظنّوا أنّها قد ماتت.

فقطع أذانه ولم يتمّه. فأفاقت فاطمة عليها السّلام وسألته أن يتمّ الأذان فلم يفعل. قال لها: يا سيدة النسوان! إنّي أخشى عليك مما تنزلينه بنفسك إذا سمعتِ صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك[1].

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ١٩٤ / ح ٩٠٦.

وأخرج المجلسي عن عليٍّ عليه السّلام، قال: «**غسّلت النبيَّ صلّى الله عليه وآله في قميصه، فكانت فاطمة عليها السّلام تقول: أرني القميص. فإذا شمّته غشي عليها؛ فلما رأيتُ ذلك غيّبتُه**»[1].

الزهراء تبكي على أبيها حتى يتأذى أهل المدينة من بكائها

لماذا بكت الزهراء عليها السلام كلّ هذا البكاء، بحيث تأذّى أهلُ المدينة من بكائها؟! ألم يوصِها أبوها المرسل بالتصبّر؟! بلى أوصاها رسول الله بالتصبّر وأن لا تشقّ عليه جيباً ولا تخمش عليه وجهاً ولا تدعو عليه بالويل، ولم تفعل الزهراء عليها أيّاً من هذه الأمور قط، لكنّها أوصلت إلى أهل المدينة وإلى الأجيال - كلّ الأجيال - رسالةً واضحة: أنّ المصيبة بفقدان رسول الله لا تعوّض مطلقاً، لأنّ المؤتمن على الرسالة بعد رسول الله قد أُقصي عن مكانه، ولأنّ المتسلّطين على دفّة قيادة الأمَّة لا يفقهون شيئاً من أمور الدين. وقد حدّثنا التاريخ أنّ عمر بن الخطّاب نفسه الذي جاهد وسعى في إبرام بيعة أبي بكر اعترف بملء فمه أنَّ (بيعة أبي بكر كانت فلتة، فمن عاد لمثلها فاقتلوه)! لماذا لا يعترض أحدٌ على مقولة عمر؟ لماذا لا يواجهونه بالقسوة نفسها التي واجهوا بها بضعة رسول الله، بحيث هاجموا بيتها وكسروا ضلعها وأحرقوا باب دارها وخرجوا بزوجها مقيّداً بحمائل يسيفه يجرّون به إلى المسجد للبيعة؟!

لقد أوصلت إلينا الزهراء الطاهرة العليمة المحدّثة ببكائها المتواصل ليلاً ونهاراً رسالةً واضحة: أنّ ركّاب السفينة أضاعوا البوصلةَ التي يستدلّون بها على مقصدهم، وأنّ دفّة السفينة أصبحت نهباً بيد أُناس لا يعلمون شيئاً عن مخاطر البحر وطُرقه وأهواله. لقد

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٥٧ / ح ٦؛ ملحقات إحقاق الحق ١٠: ٣٣٦ عن أهل البيت عليهم السّلام لأبي علم.

نهضت فاطمة عليها السلام وتصدّت للظالم، وأسمعتْ بخطبتها في المسجد كلّ من ليس بأُذنه صمم، وطافت مع أمير المؤمنين عليه السلام على بيوت الأنصار تستنهض هممهم، ثمّ انكفأت إلى بيتها مهمومة حزينة حين لم تنفع كلماتها في إيقاظ الضمائر الخامدة والهمم الواهنة. لم تجد ريحانة الرسول أحداً تبثّه همومها الكبيرة، فلجأت إلى مقابر الشهداء، إلى قبر أسد الله حمزة وأمثاله تبكي عند قبورهم، وكأنّها تخبرهم أنّ المسيرة التي حصّنوها بدمائهم يوم تكالبت عليها قوى الكفر قد أضحت اليوم مهدّدة بالضياع.

أخرج ابن شهر آشوب عن الصادق عليه السلام: «**أمّا فاطمة فبكت على رسول الله حتى تأذى أهل المدينة. فقالوا لها: آذيتنا بكثرة بكائك، إمّا أن تبكي بالليل وإمّا أن تبكي بالنهار، وكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي**»[1].

أبيات الزهراء في رثاء أبيها

قل للمغيّب تحت أطباق الثرى	إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صُبّت عليَّ مصائب لو أنّها	صُبّت على الأيام صرن لياليا
قد كنتُ ذاتَ حِمى بظلّ محمدٍ	لا أخش من ضيمٍ وكان حمىً ليا
فاليوم أخشع للذليل وأتّقي	ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا
فإذا بكت قمرية في ليلها	شجناً على غصن بكيت صباحيا
فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي	ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا
ماذا على من شمّ تُربة أحمد	أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

(١) مناقب آل أبي طالب – ابن شهر آشوب ٣: ١٠٤.

ولها عليها السلام:

كـنـتَ الـسـواد لمقلـتي يـبـكـي عـلـيـك الـنـاظـرُ
مـن شـاء بـعـدك فلـيمُت فـعـلـيـك كـنـت أحـاذرُ

ولها أيضاً عليها السلام:

نعت نفسك الدنيا إلينا وأسرعت ونـادت: ألاجـدّ الرحيل وودّعـت

ولها عليها السلام وقد ضمنت أبياتاً وتمثّلت بها:

قـد كـنـت لي جـبـلاً ألـوذ بظله فـالـيـوم تسلمني لأجـرد ضـاحِ
قد كنت جار حميتي ما عشت لي والـيـوم بعدك من يريش جناحي
وأغـضّ مـن طـرفي وأعـلـم أنّـه قـد مـات خير فـوارسي وسلاحي
حـضرت منيته فأسلمني العزا وتمـكـنـت ريـب المـنـون جواحي
نـشر الـغـراب عـليّ ريـش جناحه فـظـلـلـت بـين سـيـوفـه ورمـاح
إنِّي لأعـجـب مـن يـروح ويغتدي والمـوت بـين بـكـوره ورواح
فـالـيـوم أخـضـع للذليل وأَتـقـي ذلي وأَدفـع ظـالمـي بـالـراح
وإذا بـكـت قـمـرية شـجـنـاً بها لـيـلاً عـلى غصن بكيت صباحي
فـالله صـبرني عـلى مـا حـل بي مات النبي قد انطفى مصباحي[١]

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٩.

البتول الطاهرة تصلي على جنازة أبيها المرسل

عن سلمان الفارسي أنَّه قال: أتيت علياً وهو يغسّل رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقد كان أوصى أن لا يغسله غير عليٍّ عليه السّلام وأخبر عنه أنَّه لا يريد أن يقلّب منه عضواً إلا قلّب له، وقد قال أمير المؤمنين عليه السّلام لرسول الله صلّى الله عليه وآله: «**من يعينني على غسلك يا رسول الله؟ قال: جبرئيل**».

فلما غسّله وكفّنه أدخلني وأدخل أبا ذر والمقداد وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السّلام. فتقدّم وصففنا خلفه وصلى عليه، وعائشة في الحجرة لا تعلم، قد أخذ جبرئيل ببصرها. ثم أدخل عشرة من المهاجرين وعشرة من الأنصار فيصلّون ويخرجون حتى لم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا صلّى عليه[1].

نوح الزهراء على أبيها

قال الشهيد الثاني: يجوز النوح بالكلام الحسن، وتعداد الفضائل مع اعتماد الصدق، لأنَّ فاطمة الزهراء عليها السلام فعلته في قولها: «**يا أبتاه من ربه ما أدناه! يا أبتاه، إلى جبرئيل أنعاه، يا أبتاه، أجاب ربّاً دعاه**».

وروي: أنَّها أخذت قبضة من تراب قبره صلى الله عليه وآله، فوضعتها على عينيها، وأنشدت تقول:

مــاذا عـلى مـن شـمّ تـربـة أحمـد ... أن لا يـشـمّ مـدى الـزمـان غواليا

صُـبّـت عـليّ مـصـائـبٌ لـو أنَّهـا ... صُـبّـت عـلى الأيــام صرن لياليا

---

(١) الاحتجاج ١: ١٠٦؛ بحار الأنوار ٢٢: ٥٠٦/ ح ٦.

ولما سبق من أمره صلى الله عليه وآله بالنوح على حمزة.(١)

وأخرج المجلسي عن ابن بابويه أنَّ الباقر عليه السلام أوصى أن يُندب له في المواسم عشر سنين؛ وسئل الصادق عليه السلام عن أجر النائحة فقال: «**لا بأس قد نيح على رسول الله صلى الله عليه وآله. وفي خبر آخر عنه: لا بأس بكسب النائحة إذا قالت صدقاً**».(٢)

الدروس المستخلصة:

- أولى رسول الله ابنته الزهراء عناية كبيرة في عصرٍ كان الناس يستصغرون شأن الأُنثى فيه، بل يئدونها حيّة خشية عار قد تلحقه بهم يوماً، وكان أحدهم إذا بُشّر بالأُنثى ظلّ وجهه مسودّاً وهو كظيم. وكان النبي يعامل ابنته معاملة خاصة تختلف كليّاً عمّا تعارف عليه أهلُ ذلك العصر، وقد أبدى بعض الصحابة دهشتهم من تلك المعاملة، وقال بعضُهم بأنَّ لديه عشرة أولاد لم يُقبّل أحداً منهم قطّ، فلامه النبيّ على قسوة قلبه. وكان النبيّ يقوم لابنته إذا أقبلت عليه ويُجلسها في مكانه، وكان يُكثر تقبيل ابنته ويحوطها بحنانه، وقد نقلت لنا التواريخ والسير أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله كان يمسح عيني الزهراء إذا بكت رحمة لها، بل كان يبكي لبكائها.

- وتحدثنا التواريخ أنَّ محبّة رسول الله لابنته لم تقلّ أبداً عندما كبرت وعندما تزوّجت، وأنَّه كان إذا أراد السفر ودّعها آخر من يودّع، فإن عاد من سفره بدأ بها قبل أزواجه. وسمعناه يقول لها - وقد سمعها تناديه بـ(يا رسول الله) -: قولي يا أبه، فإِنَّها تُحيي القلب

(١) مسكّن الفؤاد: ص١٠٣؛ بحار الأنوار ٧٩: ١٠٦.

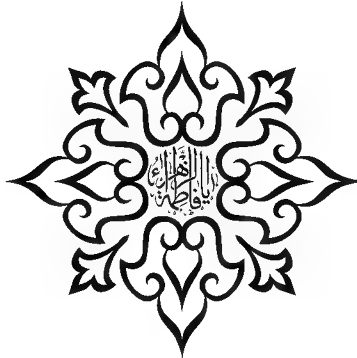
(٢) بحار الأنوار ٧٩: ١٠٦.

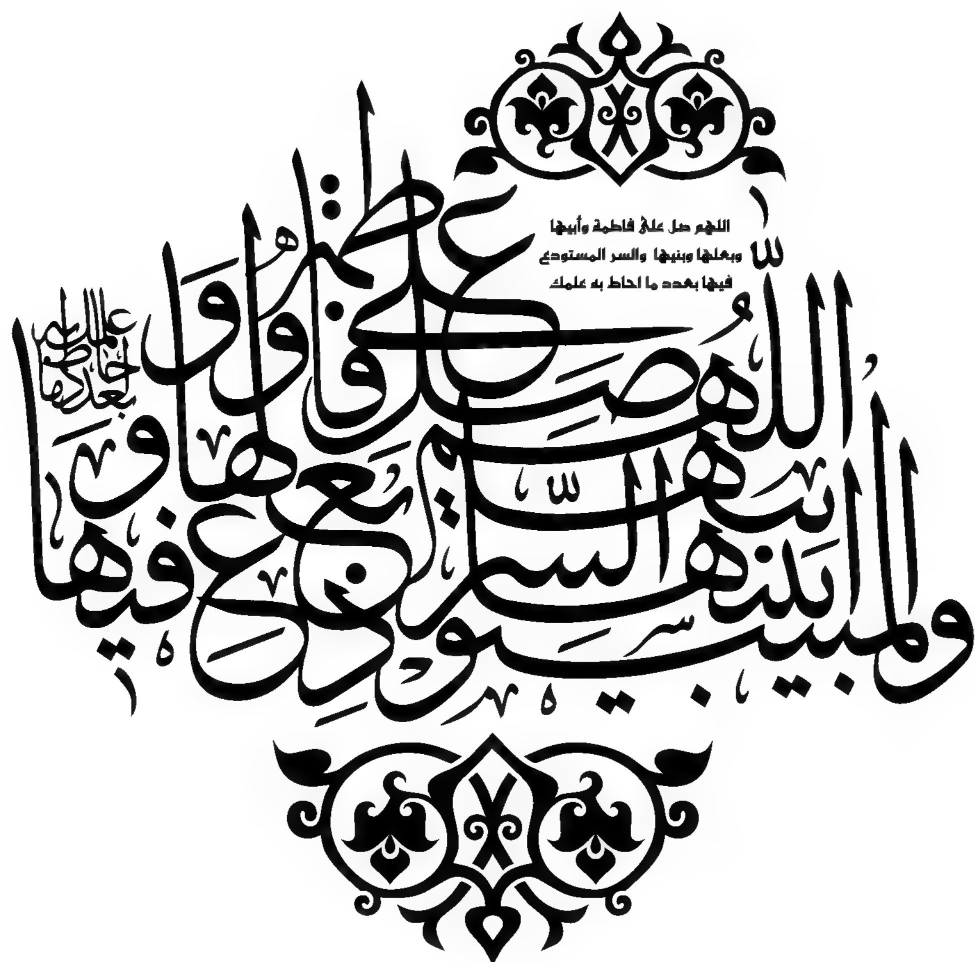
وترضي الربّ. وشاهدناه يقف بباب ابنته كلّ صباح طيلة شهور تسع فيناديها للصلاة ثم يتلو آية التطهير النازلة في شأنها وشأن زوجها وابنيها.

– وشاهدنا الأب الحنون يخوض امتحاناً عجيباً، فيُخيّر بين أن يموت ابنُه أو يموت ابنُ ابنته، فيفضّل أن يحزن فؤادُه وتدمع عينُه، ويأبى لابنته الحبيبة أن ينصدع قلبها لفقدان ولدها.

– وفي المقابل شاهدنا البنت تدافع عن أبيها أمام عتاة كفّار قريش، ورأيناها وهي تقف إلى جانبه وتضمّد جراحه النازفة في أشرس حروبه، ورأينا الزهراء تعوّض رسول الله عن حنان الأمِّ التي فارقته منذ نعومة أظفاره، حتى لقّبها لحنانها ومحبّتها الكبيرة بـ(أمّ أبيها). كما رأيناها تطوف على نسائه عند مرضه فتتحلّل له من أزواجه، ورأيناها وهي مستعدّة أن تقدّم ابنيها الأثيرين بدل والدها لينالا القصاص في قصّة عكاشة مع رسول الله التي وقعت في أواخر عمره الشريف.

– إنَّ المحبّة والحنان اللتين يزرعهما الأب في قلب أولاده، سرعان ما تثمران وفاءً وإخلاصاً لدى الأولاد تجاه أبيهم.




اللهم صل على فاطمة وأبيها
وبعلها وبنيها والسر المستودع
فيها بعدد ما احاط به علمك

الفصل الرابع

زواج الزهراء عليها السلام

ماذا قدّم الإسلام للمرأة؟

عاشت المرأة في الأُمم السابقة مقهورة مستضعفة لا يقام لها وزن في شؤون الحياة الاجتماعية، حتى أصبحت في نظرهم مثالاً للهوان والضعف والجبن، وكانت تعمل وتكدح فيصادر الذكور حاصل تعبها وناتج كدّها، بل ينظرون إليها كشيء يورث شأنه شأن الممتلكات المادية؛ وكان الابن الأكبر في عصر الجاهلية إذا مات أبوه قام فألقى رداءه على زوجة أبيه، يقصد بذلك أنَّها انتقلت إلى حيازته. فلما جاء الإسلام قدّم للمرأة خدمة كبيرة أعادت إليها آدميتها وكرامتها المستلبة، لأنَّه تعامل معها على أساس من البناء الفطري الذي وهبها إياه خالقها تعالى؛ ووضعها في كفة الميزان مقابل الرجل، لا فضل له عليها في الإنسانية، بل الفضل بينهما مرهون بالتقوى؛ قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

لقد نبّه الإسلام إلى حقيقة مهمة، وهي أنَّ المجتمع مكون من عنصرين اثنين هما الرجل والمرأة، قال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾[2]. ثم نبّه إلى أنَّ الجزاء مرهون بالعمل، لا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، قال عز من قائل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

ولقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في أمر تدبير شؤون الحياة بالإرادة والعمل،

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٧.

لأنّهما متساويان من حيث تعلق الإرادة بما يحتاج إليه البدن البشري في الأكل والشرب وغيرهما من لوازم البقاء، وقد قال تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾(١)، فأضحى بإمكان المرأة أن تستقل بالإرادة، وأن تستقل بالعمل وتمتلك نتاجهما، شأنها في ذلك شأن الرجل من غير فرق بينهما. غير أنَّ الإسلام ميّز المرأة عن الرجل في أمرين اثنين ميّزهما بهما الخالق الحكيم. أوّلهما أنَّ المرأة هي قوام تكوين الأُسرة، فهي بمنزلة الحرث في تكون النوع ونمائه ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾(٢) وعليها يعتمد النوع الإنساني في بقائه، وهي بهذا الاعتبار لها أحكامها الخاصة التي تمتاز بها عن الرجل؛ وقد ألغى الإسلام بهذه النظرة إلى المرأة ما كان سائداً زمن الجاهلية من أنَّ المرأة مجرّد وعاء يعيش فيه الطفل فترة ثم ينفصل عنه، قال الشاعر الجاهلي:

إنّـما أمَّـهـات الـنـاس أوعـيـةٌ ... مُـسـتـودَعـاتٌ، ولـلأنـسـاب آبـاءُ

والأمر الثاني: أنَّ وجود المرأة مبني على لطافة البنية ورقّة الشعور، ولذلك أيضاً تأثير في الوظائف الاجتماعية المحولة إليها. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٣) أي أنَّ الأعمال التي يقوم بها كلٌّ من الرجل والمرأة هي الملاك للفضل الذي سيختصّ به. وهناك أُمور ميّز الإسلام بها الرجل لحكمة ما، كتفضيله في سهم الإرث، حيث يسند الإسلام في مقابل ذلك إلى الرجل مسؤولية نفقة المرأة، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾(٤)؛ وهناك - في المقابل

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٥؛ النساء: الآية ٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٣.

(٣) سورة النساء: الآية ٣٢.

(٤) سورة النساء: الآية ٣٢.

أُمور ميّز الإسلام بها المرأة، كوضع النفقة عنها.

وأما في الأحكام المشتركة والمختصة فالمرأة تشارك الرجل في جميع الأحكام العبادية والحقوق الاجتماعية، فلها أن تستقل فيما يستقل به الرجل من غير فرق في إرث ولا كسب ولا معاملة ولا تعليم وتعلم ولا اقتناء حق ولا دفاع عن حق وغير ذلك إلا في موارد محدودة تقتضيها طباعها المختلفة عن طباع الرجل. ومن أهم هذه الموارد أنّها لا تتولى الحكومة والقضاء، ولا تتولى التصدّي للقتال، وأنَّ لها نصف سهم الرجل في الإرث (وعوّضها الإسلام عن ذلك بأن جعل نفقتها في رقبة الرجل، سواء كان أباها أو زوجها، وأنَّ عليها الحجاب وستر مواضع الزينة، وعليها أن تطيع زوجها فيما يرجع إلى التمتع منها، وأنَّ لها حق تربية الولد وحضانته)[(١)].

نظرة في زواج الرجل والمرأة

لقد أوضح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لأمَّته فوائد التزويج الذي يقوم على أساسه المجتمع السالم، سواء من جهة تشكيل الأُسرة السعيدة، أو من جهة حفظ التوازن الروحي والنفسي للرجل والمرأة، وتمكينهما من صرف ساعات العمر ولحظاته في ما يُرضي الله تعالى. وحث صلى الله عليه وآله أمَّته على التعجيل بالزواج، وبيّن أنَّ ضيق ذات يد الرجل يجب ألا يكون عائقاً أمام زواجه، بل إنَّ من ترك التزويج مخافة العيلة والفقر فقد أساء الظن بالله تعالى الذي تكفّل في قرآنه الكريم أنَّه سيُغني من فضله الفقير الذي يتزوّج. قال تعالى ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[(٢)].

---

(١) أنظر: قضايا المجتمع والأسرة للعلامة الطباطبائي: ص ١٠٦ – ١١٣.

(٢) سورة النور: الآية ٣٢.

وقد سلّط الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الضوء على أمر مهم يدور في خلد معظم النساء، وهو أنَّ المرأة قد تكون أقل حظاً من الرجل في تحصيل الأجر والثواب طالما منعها الإسلام من أداء بعض الأعمال أو ضيّق عليها في أدائها، بينما فتح – في المقابل – الباب على مصراعيه للرجل في أداء تلك الأُمور الواجبة أو المستحبة، كالجهاد في سبيل الله تعالى والمرابطة على ثغور البلاد الإسلامية والجمعة والجماعات، فأوضح صلى الله عليه وآله بأجلى بيان وأوجزه أنَّ حسن تبعّل المرأة لزوجها يعدل عند الله تعالى ما فضل الله تعالى به الرجال على النساء في تلك الأُمور. ويكفي أن تعلم المرأة المسلمة أنَّ جهادها في بيتها يعدل جهاد المجاهد الذي يسفك دمه دفاعاً عن الدين وعن ثغور المسلمين؛ لأنَّ الجندي يدافع عن الحدود الخارجية للبلاد الإسلامية ضد الأعداء المتربصين، بينما المرأة المسلمة الواعية التي تؤمّن لزوجها ولأطفالها الطمأنينة والأجواء الإسلامية الحميمة داخل البيت، والتي تصون نفسها وتحفظها تدافع عن الجبهة الداخلية للمجتمع المسلم. ألم تقل سيدة النساء عليها السلام إنَّ أدنى ما تكون به المرأة من ربها حين تكون في قعر بيتها؟! ألم تضرب سيدة النساء عليها السلام المثل الأعلى حين التزمت بتعاليم الإسلام فيما يخص النساء وحجابهن، حتى قال عنها أبوها خاتم الرسل بأنَّها بضعة منه؟!

بلى جاءتنا المدنية الحديثة بما أسمته حرية المرأة، فانتقلت – خلال دفاعها عن حقوق المرأة – من جانب التفريط في حق المرأة إلى الإفراط نتيجة عدم المعرفة الصحيحة بخلقة المرأة وتركيبها النفسي، فقدمت المرأة في صورة ممسوخة ودفعت بها إلى دور العرض والأزياء والنوادي، ووظّفتها أداة رخيصة لخدمة الأهداف المادية، وعرّفتها على أنَّها آلة للذّة والمتعة والإثارة، وأرخصت قدرها إلى الحدّ الذي صارت تُبجّل على مقاييس جسدها، وتشتهر على مستوى فتنتها وجمالها المادي؛ ولم تنظر هذه المدنية ذات العين

الواحدة إلى روح المرأة ولا إلى كرامتها ولا إلى شرفها وعزتها، وكانت النتيجة سقوط قيمة المرأة وانحطاط المجتمع تبعاً لذلك.

إنَّ ما جرّته المدنية الحديثة على المجتمع البشري من ويلات يتجسّد بتفكك القيم الأخلاقية والمعنوية، وانحطاط قيمة المرأة إلى ما دون البضاعة والسلعة التجارية الرخيصة، وتفكك عُرى العائلة على أثر إهمال القيم العائلية ورواج المفاسد الأخلاقية والاجتماعية، والإعراض المتزايد من قبل الشباب عن الزواج، وتفكك الأواصر العائلية، وارتفاع معدّلات الطلاق، وتزايد أعداد أطفال الشوارع الذين لا معيل لهم ولا كفيل، وتزايد مشاكل الاضطرابات النفسية والقلق بسبب تداعي بناء الأُسرة وفقدان الاطمئنان، مما زاد في إحصائيات الانتحار وحوادث السرقة والقتل، وتنامي إهمال الوالدين بحيث أضحى الوالدان يعيشان بقية عمرهما في دور العجزة والمسنّين أشبه بالسلع المتروكة المستغنى عنها.

الحث على التزويج

بناء الأُسرة المسلمة التي تمثل نواة الأُمَّة الإسلامية من الأهداف التي سعى الإسلام إلى تحقيقها، ذلك أنَّ الإسلام دين يتعامل مع الواقع تعاملاً منطقياً، فهو يؤمن بتلبية الحاجات الفطرية للفتى والفتاة وفق إطار يحفظ كرامتهما الإنسانيّة، فيوفّر لهما العلاقة السليمة التي تربطهما، ويوفّر لهما الاستقرار النفسيّ الذي يؤهلهما للمشاركة في بناء مجتمع سليم، وإلى توظيف طاقاتهما الكبيرة في الأُمور الإيجابية التي تعود عليهما وعلى مجتمعهما بالخير والنفع.

ونرى - في المقابل - أنَّ المجتمعات التي أعرضت عن هذه الحاجات الفطرية قد

فتحت الباب على مصراعيه للعلاقات المحرّمة، ونرى تفشي حالات الشذوذ والانحراف في هذه المجتمعات، كما نلحظ – من جانب آخر – فقدان الاستقرار النفسي بين الشباب، وانعدام الاستقرار العائلي والاجتماعي. نظرة عاجلة إلى الفضائح الكثيرة في الكنيسة – على سبيل المثال –، وإلى العلاقات الشاذة التي أسّس لها إعراض الكنيسة عن الحاجات الفطرية، تدلّل على عمق النظرة الواقعية التي تعامل بها الإسلام مع موضوع الزواج والحثّ على الزواج المبكّر وتقليل المهر. تكفينا مقولة واحدة لرسول الله صلى الله عليه وآله في بيان أهميّة الزواج رواها الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عنه صلى الله عليه وآله: «**ما استفاد امرؤٌ مسلم فائدةً بعد الإسلام أفضل من زوجةٍ مسلمة تسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله**».[(١)]

وروى الشيخ الصدوق بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بُني بِناءٌ في الإسلام أحبّ إلى الله تعالى من التزويج**»[(٢)].

وروى الشيخ الصدوق بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«**مَن سرّه أن يلقى الله طاهراً مطهّراً، فليلقه بزوجة؛ ومَن ترك التزويج مخافةَ العيلة فقد أساء الظن بالله عز وجل**»[(٣)].

وروى الكليني عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الحديث الذي يرويه الناس حق أنَّ رجلاً أتى النبيَّ صلى الله عليه وآله فشكا إليه الحاجة فأمره

(١) الكافي للكليني ٥: ٣٢٧/ ح١؛ وسائل الشيعة ١٤: ٢٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٥.

بالتزويج ففعل، ثم أتاه فشكا إليه الحاجة فأمره بالتزويج حتى أمره ثلاث مرات؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**(نعم) هو حق، ثم قال: الرزق مع النساء والعيال**».(١)

وروى الكليني عن محمد بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام) قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء ظنه بالله عز وجل، إنَّ الله عز وجل يقول**»: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾.(٢)

ثواب حسن تبعّل المرأة يعدل ثواب جهاد الرجل وأعماله الصالحة

لم يُغلق الإسلام سبيل التكامل في وجه المرأة، لتشارك الرجل في هذه المسيرة وتنافسه في نيل الدرجات والقربات. فحين أسقط عنها الجهاد في سبيل الله، وندبها لتربية النشأ، فإنَّه جعل حُسن تبعّل المرأة لزوجها طريقاً لنيل الثواب والأجر يعدل جهاد الرجل وأعماله التي اختصّ بها دون المرأة.

أخرج السيوطي في الدر المنثور عن البيهقي، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية، أنّها أتت النبيَّ صلى الله عليه (وآله)وسلم وهو بين أصحابه فقالت: بأبي أنت وأُمّي إنّي وافدة النساء إليك، وأعلم نفسي لك الفداء، أنَّه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلاَّ وهى على مثل رأيي، إنَّ الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنَّا - معشر النساء - محصورات مقسورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم؛ وإنَّكم معاشر الرجال فُضّلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضى وشهود الجنائز، والحجّ بعد الحج، وأفضل من ذلك

(١) الكافي ٥: ٣٣١/ ح٤.

(٢) الكافي ٥: ٣٣١/ ح٥.

الجهاد في سبيل الله؛ وإنَّ الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربّينا لكم أموالكم؛ فما نُشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت النبيُّ صلى الله عليه (وآله)وسلم إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: «**هل سمعتم مقالة امرأة قطّ أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟**»فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أنَّ امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي صلى الله عليه (وآله)وسلم إليها، ثم قال لها: «**انصرفي أيتها المرأة وأعلِمي مَن خلفك من النساء أنَّ حُسن تبعّل إحداكنّ لزوجها وطلبها مرضاته، واتّباعها موافقته يعدل ذلك كلّه، فأدبرت المرأة وهى تهلل وتكبّر**»[(١)].

السن المجاز لزواج البنت

تزوج عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام بفاطمة الزهراء عليها السلام في شهر رمضان من السنة الثانية، وبنى بها في ذي الحجة من السنة نفسها، وهذا هو المعتمد المشهور... وتبعاً لاختلافهم في ذلك، فإنَّهم يختلفون في تاريخ ولادة الحسنين عليهما السلام، وكان عمرها حين زواجها عشر سنين.[(٢)]

وجاء في رواية أنَّ سعيد بن المسيب سأل الإمام علي بن الحسين عليهما السّلام: فمتى زوّج رسول الله صلّى الله عليه وآله فاطمة عليها السّلام من عليٍّ عليه السّلام؟ فقال: «**بالمدينة بعد الهجرة بسنة وكان لها يومئذ تسع سنين**»[(٣)].

وقد حدد الشرع المبين سنّ تزويج البنت بتسع سنين، وعدّ ذلك السن سنّ البلوغ الشرعيّ، وجعل الزوج ضامناً إذا دخل بزوجته دون هذا السنّ. وقد وردت الرواية

(١) تفسير الدر المنثور ٢: ١٥٣؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٧: ٣٦٣.

(٢) الصحيح من سيرة الإمام علي، لجعفر مرتضى العاملي ٣: ٨.

(٣) روضة الكافي ص ٣٣٨ / ح ٥٣٦.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**إذا تزوّج الرجلُ الجارية وهي صغيرة فلا يدخل بها حتى يأتي لها تسع سنين**»[١].

وقال الشيخ حسن الجواهري: إنَّ من الواضح أنَّ الدخول بالمرأة لا يكون إلاّ بعد بلوغها (أي نضوجها جنسياً بحيث تصبح قابلة لذلك)، وقد صرحت الرواية بجواز الدخول إذا بلغت (أي أكملت) تسع سنين، وعدم جواز الدخول قبلها، فيفهم أنَّ البلوغ تسع سنين هو بلوغ شرعي[٢].

خصائص عائلة الزهراء عليها السلام

عائلة الزهراء عليها السلام هي العائلة النموذجية في الإسلام، التي تمتلك من المزايا والخصائص ما يجعلها تجسّد المثل الأعلى للعوائل الإسلاميّة، وإنّما أفردناها بالبحث - سوى عائلة الرسول الكريم وخديجة عليهما صلوات الله وسلامه - بسبب أنَّ الثانية قد تأسّست في ظلّ الإسلام وكانت تحت رعايةٍ وإشرافٍ مباشر من النبيِّ صلى الله عليه وآله كما سيأتي. ونلخّص فيما يأتي أبرز الخصائص والسمات في هذه العائلة المباركة:

١ - إنَّ طرفي هذه العائلة الكريمة يمتلكان أقرب رابطة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ففاطمة عليها السلام هي ابنته وبضعته وريحانته من الدنيا، كما أنَّها الوحيدة التي انحدر منها نسلُ النبي وملأ أرجاء المعمورة. أما أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام فأخو رسول الله - في واقعة المؤاخاة الشهيرة - وهو ابن عمّه وربيبه، وهو ناصره ومؤازره منذ الأيام الأُولى للإسلام وإلى آخر لحظات عمره الشريف صلوات الله وسلامه عليه، وهو

(١) وسائل الشيعة (ط. الإسلامية) - الحر العاملي ١٤: ٧٠.

(٢) بحوث في الفقه المعاصر ٦: ٩٤.

وصيّه الذي أحيا سنّته واقتفى أثره بعد رحيله.

٢- إنَّ طرفي هذه العائلة الكريمة هما أشرف الخلق بعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فأمير المؤمنين عليه السلام هو خير البرية بعد رسول الله كما في روايات متكاثرة وردت من طريق الفريقين.[1]، كما أنَّ فاطمة الزهراء هي سيّدة نساء العالمين، وهي سيّدة نساء الجنة. بل إنَّ الفروع المورقة من هذه الشجرة المونقة المباركة هما الحسنان سيّدا شباب أهل الجنّة وأُختهما عقيلة الهاشميين: الصدّيقة الصغرى زينب عليها السلام.

٣- إنَّ الزوجين ترعرعا في ظلّ الإسلام، ونشآ في ظل سننه وآدابه، وقد كان أمير المؤمنين صبياً يافعاً لا يتجاوز العشر سنين - على أكبر التقديرات - حين بُعث النبي الأمين صلى الله عليه وآله، فكان أوّل من آمن برسول الله وصدّق به من الذكور، ولذلك لقّبه رسول الله بـ(الصدّيق الأكبر)؛ أمَّا فاطمة عليها السلام فولدت بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله.

٤- إنَّ هذه العائلة المباركة تشكّلت بأمر الله عز وجل، فقد جرت الخطبة بأمر الله تبارك وتعالى، وتمت مراسمها الميمونة في السماء قبل إجرائها على الأرض، يضاف إلى ذلك أنَّ جميع مراحل الخطبة والزفاف وتربية الأولاد حصلت برعاية النبي وإشرافه المباشر وتبعاً لأوامره، ومن هنا كان زواج فاطمة وعليٍّ عليهما السلام إسلامياً بكل ما للكلمة من معنى، كما أنَّ جميع القيم الإسلامية الرفيعة قد تجلّت في هذا الزواج المبارك بأروع وأبهج صورها.

٥- أنَّ السماء قد صرّحت بمباركتها لهذه العائلة الكريمة في مناسبات لا تُحصى، فقد جعلت بيتها من البيوت التي أذن الله لها أن تُرفع ويُذكر فيها اسمُه، وتركتْ باب بيت

(١) تحدثنا عنها في الفصل الأول من كتابنا (خير البرية والألطاف الإلهية).

هذه العائلة الميمونة مُشرعاً إلى المسجد حين نزل الأمر الإلهي الصارم بإغلاق ما عداه من أبواب الأصحاب، وأنزلت في حقها من الآيات القرآنية الكثير، وأهبطتْ عليها من التُحف السماوية ما تناقلته كتب الحديث والسيرة.

فأضحى علينا لزاماً - حين نطالع المراحل المختلفة لتشكيل هذه العائلة النموذجية التي تجسّدت فيها عصارة التعاليم الإسلامية - أن نحكّم وجداننا في مدى قُربنا أو بُعدنا عن تلك التعاليم الأصيلة. ولا يفوتنا في هذا المجال أن ننبّه إلى حقيقة مهمة ينبغي أن نضعها نصب أعيننا ولا نغفل عنها، وهي أنَّ هذه العائلة الكريمة هي التجلي الحقيقي للكمال البشريّ الذي لا يبلغه أحد سواها، وإلى ذلك يشير الحديث - بل الأحاديث المتكاثرة - عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله «**نحن أهلُ بيتٍ لا يُقاس بنا أحد**».

فاطمة عليها السلام تجلي الحسن والكمال

لم يأتِ وصفٌ للزهراء عليها السلام أروع وأبدع ممّا وصفها به أبوها صلى الله عليه وآله «**لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم**»، فقد جمع في وصفها كلّ صفات الحسن والجمال، بحيث لو تجسّد الحُسن في هيئة بشرية لكان (فاطمة)، ثمّ بيّن صلى الله عليه وآله بأنّها أعظم من ذلك، لأنّ صفات الجمال تتحدّث عن المعاني المدركة في العقول البشرية ولا تتجاوزها، أمّا (الحوراء الإنسيّة) فتجمع جمال الحور العين مع جمال الإنسيّات، وتشتمل - فوق ذلك - على كمال العنصر والشرف والكرم.

روى الحاكم بإسناده عن أنس بن مالك، قال سألت أمّي عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: كانت كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماماً إذا خرج من

السحاب، بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشد الناس برسول الله صلى الله عليه وآله شبهاً[١].

وأخرج الزرندي عن أنس، قال: سألت أمّي عن صفة فاطمة بنت رسول الله فقالت: يا بني أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، بيضاء مشربة حمرة، كأنَّها القمر ليلة البدر أو كأنَّها الشمس كفر غماماً، لها شعرة سوداء تعثر فيها[٢].

أخرج الخوارزمي عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه (في حديث) «... **لو كان الحلم رجلاً لكان علياً، ولو كان العقل رجلاً لكان حَسَناً، ولو كان السخاء رجلاً لكان حُسيناً، ولو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم. إنَّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً**»[٣].

روى الكليني بإسناده عن زيد بن الحسن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**كان عليٌّ عليه السلام أشبه الناس طعمة وسيرة برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يأكل الخبز والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم، قال: وكان عليٌّ عليه السلام يستقي ويحتطب، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز وترقع، وكانت من أحسن الناس وجهاً، كأنَّ وجنتيها وردتان، صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وولدها الطاهرين**»[٤].

وقد أخرج المجلسي أنَّ الحسن بن الحسن عليه السلام خطب إلى عمه الحسين عليه

---

(١) المستدرك ٣: ١٦١.

(٢) نظم درر السمطين: ص١٨٠.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٦٠.

(٤) الكافي – الشيخ الكليني ٨: ١٦٥.

السلام إحدى ابنتيه، فقال له الحسين عليه السلام: «**اختر يا بني أحبهما إليك، فاستحيى الحسن ولم يحر جواباً، فقال له الحسين عليه السلام: فإنّي قد اخترت لك ابنتي فاطمة، فهي أكثرهما شبهاً بفاطمة أمّي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. وقبض الحسن بن الحسن وله خمس وثلاثون سنة رحمه الله وأخوه زيد بن الحسن حي، ووصى إلى أخيه من أمّه إبراهيم ابن محمد بن طلحة، ولما مات الحسن بن الحسن ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام على قبره فسطاطاً وكانت تقوم الليل وتصوم النهار، وكانت تشبه بالحور العين لجمالها**»[١].

ضوء وجه فاطمة ينير المدينة في الليل

شهد الأصدقاء والأعداء لفاطمة عليها السلام أنّ وجهها المبارك كان ينير بحيث كانت نساء المدينة يخطن الملابس وينظمن الإبرة في الليل - وهو عمل يحتاج نوراً كافياً - في ضوء وجهها دون أن تستعين إحداهنّ بمصباح! وشهد أبناؤها البررة سلام الله عليهم أنّ وجهها كان يُزهر بالنور ثلاث مرات في النهار، بحيث يفوق نوره نور الشمس، وبحيث كانت جدران حجرات بيوت المدينة تبيضّ تارة وتصفرّ تارة وتحمرّ تارة ثالثة حسب نور الزهراء عليها السلام، وهذا هو السرّ في تسميتها سلام الله عليها بـ(الزهراء).

أخرج المؤرخ القرماني عن عائشة، قالت: كنّا نخيط ونغزل وننظم الإبرة بالليل في ضوء وجه فاطمة[٢].

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٤: ١٦٧.

(٢) أخبار الدول: ص٨٧، ط بغداد؛ نقلاً عن شرح إحقاق الحق ج١٠: ٢.

وروى الصدوق في العلل عن أبان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: يابن رسول الله، لم سمّيت عليها السّلام الزهراء؟ فقال: «**لأنّها تزهر لأمير المؤمنين عليه السّلام في النهار ثلاث مرات بالنور؛ كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فراشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة فتبيضّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك، فيأتون النبيَّ صلّى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السّلام، فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلّي والنور يسطع من محرابها من وجهها، فيعلمون أنَّ الذي رأوه كان من نور فاطمة عليها السّلام**».

فإذا انتصف النهار وترتبت للصلاة، زهر نور وجهها عليها السّلام بالصفرة، فتدخل الصفرة في حجرات الناس فتصفرّ ثيابهم وألوانهم. فيأتون النبيَّ صلّى الله عليه وآله فيسألونه عمّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السّلام، فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها-صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها- بالصفرة، فيعلمون أنَّ الذي رأوا كان من نور وجهها.

فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس، احمرّ وجه فاطمة عليها السّلام فأشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً لله عز وجل. فكان تدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمرّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك ويأتون النبيَّ صلّى الله عليه وآله ويسألونه عن ذلك. فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السّلام، فيرونها جالسة تسبّح الله وتمجّده ونور وجهها يزهر بالحمرة، فيعلمون أنَّ الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة عليها السّلام.

فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى وُلد الحسين عليه السّلام، فهو يتقلّب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمة منّا أهل البيت إمام بعد إمام[1].

(١) علل الشرائع ١: ١٠٨ / ح ٢؛ بحار الأنوار ٤٣: ١١ / ح ٢، عن العلل.

عطر الزهراء عليها السلام

تكوّنت نطفة الزهراء عليها السلام من فاكهة الجنّة، فلا عجب في أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان كلما اشتاق إلى الجنّة وأحبّ تنسّم عطرها، شمّ ابنته الزهراء وقبّلها. وكانت عائشة كثيراً ما تعترض على رسول الله صلى الله عليه وآله في حنوّه الزائد على بضعته الحبيبة، متصوّرة أنّه كان مسوقاً في ذلك إلى مجرّد العاطفة التي تربط أي أب بابنته!

أخرج المجلسي والمحدّث النوري عن مؤلف الإمامة والتبصرة بسنده عن موسى بن جعفر، عن آبائه (عليهم السلام) قال:

قال صلى الله عليه وآله: «**رائحة الأنبياء رائحة السفرجل، ورائحة الحور العين رائحة الآس، ورائحة الملائكة رائحة الورد، ورائحة ابنتي فاطمة الزهراء عليها السلام رائحة السفرجل والآس والورد. ولا بعث الله نبياً ولا وصياً إلا وجد منه رائحة السفرجل. فكُلوها وأطعموا حُبالاكم، يحسن أولادكم**».(١)

وروى ابن المغازلي عن سعد بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «**ليلة أُسري بي أتاني جبرئيل عليه السلام بسَفَرجلَة من الجنّة فأكلتُها فواقعتُ خديجة فَعلِقَت بفاطمة، فكنتُ إذا اشتقتُ إلى رائحة الجنّة شَممتُ رقَبَة فاطمة فأجد رائحة الجنّة**».(٢)

وروى محمد بن سليمان الكوفي عن عائشة قالت: يا رسول الله ما لي أراك كلما قبلت فاطمة كأنّك تلعقها عسلاً أو تلعقك عسلاً؟ قال: «**يا عائشة لما أُسري بي إلى**

(١) مستدرك الوسائل للمحدث النوري ١: ٤٣٤؛ بحار الأنوار ٦٣: ١٧٧.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: ٢٨١ / ح ٣٥٤.

ربي أدخلني جبرئيل الجنة فناولني تفاحة فأكلتها فصارت نوراً في صلبي فلما أن كان مني ما كان إلى خديجة نزل (مني) ذلك النور وخلق منه فاطمة فإذا أردت أن أشم رائحة الجنة قبلت فاطمة».(١)

وروى ابن المغازلي عن ابن عبّاس قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يُكثِرُ القُبْلَ لِفاطِمَةَ عليها السّلام فقالت له عائشة: يا نبيّ الله إنّك لتُكْثِرُ قُبْلَ فاطِمَة؟ فقال النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم): «**إنّ جبرئيل عليه السلام ليلة أُسري بي أدخلني الجنّة وأطعمني من جميع ثِمار الجنّة فصار ماءً في صُلبي، فواقعتُ خديجة فحملت خديجة بفاطمة فإذا اشتقتُ إلى تلك الثّمار قبّلتُ فاطمة فأصبتُ من رائحتها قِصْم الثِّمار التي أكلتها»**.(٢)

خطبة أمير المؤمنين للزهراء عليهما السلام

كتب السيد محمد الحسيني الميلاني يقول في كتابه (قدّيسة الإسلام): (فلما استهلّ هلالُ جمال فاطمة عليها السّلام، وأشرق في الأُفق متعالياً نورُها شيئاً فشيئاً في سماء المجد والعظمة تحت ظل والدها العظيم المربي لها وفي أحضان الوالدة العظيمة الحريصة عليها، أخذت تستتم إشراقاً وكمالاً وجمالاً وبهاءً؛ حتى أصبحت في العقد الأول كالبدر ليلة تمامه وكماله، فبلغت سن بلوغ الفتيات وعمر زواج الغانيات من لداتها الفواطم الهاشميات، وإن لم ترَ ما تراه لداتها، بل كانت بتولاً عن الطمث دونهنّ.

وعندما أصبحت الزهراء عليها السّلام يافعة عذراء تفتحت فيها أزهار الحياة والحياء،

(١) مناقب الامام أمير المؤمنين للكوفي: ص٢٠٧ / ح ٦٧٧.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: ٢٨٠ / ح ٣٥٣.

فكانت إنسية حوراء، وإنسية هيفاء، وجميلة بيضاء، ووردة فيحاء، وجليلة حمراء، وأنيقة عيناء، وعطوفة حناء، وعفيفة شيماء، شاع اسمها بين الأشراف بالعفة والشرف، وعُرفت بالأوصاف الأصيلة الحميدة كلها حتى الدلال والشرف، فأحيت اسم أمِّها خديجة الشريفة أمِّ الشرف وتاجرة العرب، ورفعت رأس أبيها بفضائلها عالياً بين رؤوس العرب واشتهرت بالأدب، وكانت يُشار إليها بالبنان في مظاهر خَلقها وخُلقها.

فعندئذ تكاثر وتواتر خطّابها وطلاّبها، إذ جمعت شرف الأدب إلى شرف الحسب والنسب، ولكن فاطمة عليها السّلام مثلها مثل مريم العذراء، لا تعيش حياة النساء، بل كانت تعتكف في محراب العبادة لله والدعاء، فهي مشغولة بمناجاته، مهتمة بمكالمته وبطاعته وعبادته.

وفي ذلك اشتغال لها عمن سواه، فهواها هواه، بيد أنَّ السنة الإلهية والشريعة السماوية تفرض عليها الزواج ممن يليق وممن هو كفؤ لها، لقوله صلّى الله عليه وآله: «**النكاح سنّتي، فمَن رغب عن سنّتي فليس مني**». فمن يا ترى هو الكفؤ لها؟ أهل يكون الغني الثري الذي له القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والأموال أو الخيل المسومة والأنعام والحرث، كفواً لها فحسب؟ كما ظن ذلك عبد الرحمن بن عوف؟ كلا!! فحاشا لها أن يكون لها الأغنياء والأثرياء بل الملوك أكفاء، أو هل يكون رؤساء القبائل وشيوخ قريش ورجال المهاجرين والأنصار لها أكفاء؟ كلا، ثم كلا، وألف كلا!

فمن يا ترى يكون كفواً للزهراء؟ ومن الذي يليق لها؟ هذا سؤال دقيق ولا يسهل الجواب عليه في حينه، وكان يوجّهه كل من خطبها من أولئك النمط، فردّ رسول الله صلّى الله عليه وآله خطبته.

خطبها عتيق بن أبي قحافة فردّه رسول الله صلّى الله عليه وآله، فعرف أنَّه ليس كفؤاً لها. ثم خطبها عمر بن خطاب فردّه رسول الله صلّى الله عليه وآله أيضاً فعرف الجميع أنَّه ليس كفؤاً لها، وكانا يظنان أنَّ لهما حق المصاهرة لأنَّهما زوّجاه ببنتيهما ولأنَّه زوّج عثمان سابقاً، وخطبها عبد الرحمن الثري فردّه رسول الله صلّى الله عليه وآله أيضاً أشد ردّ، فرجع خائباً، وخطبها الكثيرون من شباب المهاجرين والأنصار فردّهم أيضاً. فمن هو الكفؤ لفاطمة عليها السّلام؟ ومن الذي لا ترد خطبته يا ترى؟ والكل بانتظار الجواب!

وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يعلم علم اليقين أنَّ لا كفؤ لها غير علي ابن أبي طالب عليه السّلام، لمعرفته إياه حق المعرفة أصلاً وحسباً ونسباً وديناً وخلقاً، فهو ربيبه. فعلي جوهرة ثمينة أبدعها الله ثم صاغها رسول الله صلّى الله عليه وآله بعناية الله، صياغة دقيقة حكيمة قويمة، وهو ابن عمها وابن عم أبيها. فالأصل واحد والشرف متكافئ والتربية واحدة، فقد ربّاه النبي كما ربى فاطمة عليها السّلام.

لكن الزواج حسب العرف والشرع لا بد فيه من إيجاب وقبول ليتحقق، ومن إقدام وخطبة من جانب الكفؤ للكريمة.

فكان النبي صلّى الله عليه وآله ينتظر أول بادرة من علي عليه السّلام في ذلك. ولم يمنع علياً من ذلك سوى قلة اليد وضئالة المهر، ثم الحياء ثم يتمه وفقده لأبيه عمران أبي طالب[1]. والأهم من ذلك كله علمه بأنَّ النبي صلىّ الله عليه وآله ينتظر أمر الله فيها فلا يتعدى الوحي الإلهي في جميع شؤونه، فكيف بموضع خطير كهذا!!

والحكم الإلهي لا يكون إلا عن حكمة إلهية ومصلحة واقعية، والنبي صلّى الله عليه

(١) عمران هو اسم أبي طالب. وقيل: عبد مناف. وقد ورد في الزيارة: (السلام على عمّك عمران أبي طالب). انظر: بحار الأنوار ٩٧: ١٨٩.

وآله لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. فحان دور الوحي الإلهي والحكم والتقدير الرباني والقسمة السماوية والمشيئة الربانية.

فشاء الله وأراد، فأهبط جبرئيل إلى النبي صلّى الله عليه وآله فقال: إنَّ الله يأمرك أن تزوّج فاطمة من علي. روى ذلك العامة والشيعة، ورواه من العامة ابن حجر الهيثمي في الصواعق (ص: ١٠٧).

وحقاً إنَّ هذه الرواية صاعقة سماوية تصيب رؤوس أعداء الزهراء عليها السّلام وحاسديها وخاذليها)؛ انتهى كلامه[١].

الله تعالى يتولى تزويج فاطمة في السماء

لم يكن زواج سيدة النساء سلام الله عليها عادياً، فقد شهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه أُمِرَ من السماء بتزويج أمير المؤمنين عليه السلام، وشهد بأنَّ الله تعالى هو الذي زوّج علياً من ابنة رسول الله من فوق سبع سماوات، وأنَّه تعالى أشهد على ذلك ملائكته المقرّبين. أمّا مراسم ذلك الزواج المبارك فخلاصتها أنَّ الله تعالى أمر جبرئيل أن يأمر رضوان خازن الجنة بتزيين الجنان الأربع، وأن يأمر شجرة طوبى وسدرة المنتهى بحمل الحلي والحلل، وأن يأمر الحور العين أن يتزينّ وأن يقفن تحت شجرة طوبى وسدرة المنتهى، ثم أمر راحيل (خطيب الملائكة) أن يخطب خطبة النكاح، فلمّا أتمّها نثرت طوبى الحلي والحلل والطيب، ثم أمر الله تعالى نبيّه بتزويج فاطمة من أمير المؤمنين عليهما السلام.

روى الصدوق في أماليه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله تبارك وتعالى آخى بيني وبين علي بن أبي طالب وزوّجه ابنتي من فوق سبع سماواته،**

(١) قديسة الإسلام للسيد الميلاني: ص ٤٤.

وأشهد على ذلك مقرّبي ملائكته وجعله لي وصياً وخليفة، فعليٌّ مني وأنا منه، محبه محبي، ومبغضه مبغضي، وإنَّ الملائكة لتتقرب إلى الله بمحبته»[١].

وروى الكليني عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّما أنا بشر مثلكم أتزوّج فيكم وأزوّجكم، إلا فاطمة عليها السلام فإنَّ تزويجها نزل من السماء**»[٢].

عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السلام: «**أُمرت بتزويجك من السماء**»[٣].

وأخرج المحب الطبري عن أنس، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فغشيه الوحي، فلمّا سُرّي عنه قال: «**يا أنس، أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**إنّ الله أمرني أن أُزوّج فاطمة من عليٍّ**»[٤].

وروى الطبراني عن عبدالله بن مسعود، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إنّ الله أمرني أن أُزوج فاطمة من عليٍّ، ففعلت**»[٥].

ونرى أنّ بعض الأصحاب قد تقدّموا لخطبة الزهراء عليها السلام، مستندين إلى كون إمكاناتهم المادية جيّدة، وقالوا أنّهم سيدفعون من المهر كذا وكذا، فردّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ردّاً خشناً، لأنّ مثل فاطمة الزهراء عليها السلام لا تليق إلا بكفء لها مثل أمير المؤمنين عليه السلام. وسنذكر قريباً رواية الطبري عن أنس في هذا الشأن.

---

(١) أمالي الصدوق: ص١٨٧؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ٩٧.

(٢) الكافي - الشيخ الكليني ٥: ٥٦٨.

(٣) فضائل فاطمة عليها السلام لابن شاهين: ص ٥٠ / ح٣٧.

(٤) ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري: ص ٣٠.

(٥) المعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٤٠٧ / ح١٠٢٠. ومجمع الزوائد للهيثمي ٩: ٢٠٤.



أخرج المجلسي عن المناقب حديثاً طويلاً عن أمِّ سلمة وسلمان الفارسي وعلي بن أبي طالب عليه السلام، جاء فيه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا الحسن أبشّرك؟ قال عليٌّ عليه السلام: قلت: نعم فداك أبي وأمّي، بشّرني فإنَّك لم تزل ميمون النقيبة، مبارك الطائر رشيد الأمر، صلى الله عليك. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أبشر يا أبا الحسن فإنَّ الله عز وجل قد زوّجكها في السماء من قبل أن أزوّجك في الأرض- الحديث بطوله-، وقد اقتطعنا منه موضع الشاهد، وسيأتي بتمامه قريباً**».(١)

حياء الزهراء

قال الخطيب الكجوري: (واعلم أنّ الحياء هو التغيير الحاصل في الإنسان ممّا يذمّه الناس ويسمّونه عيباً، والحياء رأس الإيمان وأصل الأخلاق الحسنة، وموجب لاجتناب المعاصي بل المكروهات، وينبغي الاهتمام به ورعايته؛ ففي الحديث «**مَن لا حياء له لا دين له**» ومعيار الحياء في المرأة والرجل قول النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله): «**مَن استحيى من الله فليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر الموتَ وطُولَ البلا، ويترك زينة الحياة الدنيا**».

وفي الحديث: «**إنّ آدم عليه السلام لما أكل الثمرة فانهزم؛ فناداه الله يا آدم! أفِراراً منّي؟ قال: بل حياءً منك**».

ولكن المعنى المستحسن في النساء من الحياء هو الاحتراز عن الرجال واجتناب إبداء الزينة لهم. والزينة على ثلاثة أقسام: الزينة للأجنبيّ، والزينة للمحارم، والزينة للأزواج.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٢٤ - ١٣٢.

ولكلّ واحدة من الثلاث حدود وردت في سورة النور في ذيل قوله تعالى: ﴿ولا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَر منها﴾[١].

وفي مجمع البيان عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): «**للزوج ما تحت الدِّرع، وللابن والأخ ما فوق الدرع، ولغير ذي محرم أربعة أثواب: درع وخمار وجلباب وإزار**». وروي عن أهل البيت (عليهم السلام): «**لا بأس بالنظر إلى رؤوس الأعراب وأهل السواد والعلوج وأهل الذمّة، لأنّهم إذا نُهوا لا ينتهينّ، وكذا النظر إلى المجنونة والمغلوب عقلها من الشعر والصدر) والله يحفظنا من شرور أنفسنا إن شاء الله تعالى) انتهى كلامه**»[٢].

عن علقمة: عن عبد الله قال: أصاب فاطمة عليها السّلام صبيحة العرس رعدة، فقال لها النبي صلّى الله عليه وآله: «**زوّجتك سيداً في الدنيا وإنَّه في الآخرة لمن الصالحين. يا فاطمة، إنِّي لما أردت أن أملكك بعلي أمر الله شجر الجنان فحملت حلياً وحللاً، وأمرها فنثرته على الملائكة. فمن أخذ منه يومئذ شيئاً أكثر مما أخذ منه صاحبه أو أحسن افتخر به على صاحبه يوم القيامة**».

قالت أمُّ سلمة: فلقد كانت فاطمة عليها السّلام تفتخر على النساء لأنَّ أول من خطب عليها جبرئيل[٣].

قال ابن عباس: كانت فاطمة عليها السّلام بنت رسول الله عليها السّلام تذكر، فلا يذكرها أحد لرسول الله صلّى الله عليه وآله إلا أعرض عنه وقال: «**أتوقّع الأمر من السماء، إنَّ أمرها إلى الله تعالى**»-الحديث وتعرض لخطبة أمير المؤمنين لفاطمة عليهما

(١) سورة النور: الآية ٣١.

(٢) الخصائص الفاطمية ٢: ٤٦ - ٤٩.

(٣) كشف الغمة ١: ٣٦٧، عن كفاية الطالب.

السلام، وجاء فيه:

«فلما دخل البيت دعا فاطمة عليها السّلام وقال لها: قد زوّجتك يا فاطمة عليها السّلام سيداً في الدنيا وإنَّه في الآخرة من الصالحين، ابن عمك علي بن أبي طالب. فبكت فاطمة عليها السّلام حياء ولفراق رسول الله صلّى الله عليه وآله» - الحديث(١).

قال الكعبي:... فأرسل صلّى الله عليه وآله إلى علي عليه السّلام وهو في المسجد، فجاء علي عليه السّلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو مطرق من جهة الحياء رأسه، فأجلسه رسول الله صلّى الله عليه وآله عن يمينه، وأمر أمَّ سلمة أو أمُّ أيمن أن تأتي بفاطمة عليها السّلام إليه. فلمّا أتتا إليها، قالت فاطمة عليها السّلام: «**من عند أبي**»؟

قالت: علي بن أبي طالب عليه السّلام. فبكت استحياء وقالت: «**واسوأتاه، كيف أحضر عند أبي ومعه رجل غيره**»؟!

قالت أمُّ سلمة: (جُعلت فداك، ليس هو بأجنبي منك، بل هو ابن عمّك وزوجك، وأقرب الناس سبباً ونسباً إليك). فلمّا أتت بها إليه وهي تسحب أذيالها، وقد تصبّبت عرقاً استحياء من رسول الله صلّى الله عليه وآله فعثرت، فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة. فلمّا وقفت بين يديه أجلسها عن يساره وكشف الرداء عن وجهها حتى رآها عليٌّ عليه السّلام فقال صلّى الله عليه وآله: يا علي! بارك الله لك في ابنة رسول الله، نعم الزوجة فاطمة، ويا فاطمة! نِعم البعل علي**»(٢).

عن ابن عباس في حديث طويل في تزويج فاطمة عليها السّلام، قال:

---

(١) كشف اليقين: ص ١٩٥.

(٢) فاطمة الزهراء عليها السّلام للكعبي ٢: ٩٠.

(... ثم صرخ صلّى الله عليه وآله بفاطمة عليها السّلام فأقبلت. فلما رأت علياً عليه السّلام جالساً جنب النبي صلّى الله عليه وآله حصرت وبكت، فأشفق النبي صلّى الله عليه وآله أن يكون بكاؤها لأنَّ علياً لا مال له. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**ما يبكيك؟ فما آلوتك في نفسي، فقد أصبت لك خير أهلي، وأيم الذي نفسي بيده لقد زوّجتك سيداً في الدنيا وإنَّه في الآخرة لمن الصالحين**»(١).

عن أبي عبد الله عليه السّلام: «**لما زوّج رسول الله صلّى الله عليه وآله علياً فاطمة عليهما السّلام دخل عليها وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ فو الله لو كان في أهل بيتي خير منه زوّجتك، وما أنا زوّجتك ولكن الله زوّجك وأصدق عنك الخمس ما دامت السموات والأرض**»- (الحديث وتطرّق إلى تفاصيل وليمة العرس، وجاء فيه):

حتى إذا انصرفت الشمس للغروب قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**يا أمُّ سلمة، هلمّي فاطمة. فانطلقت فأتت بها وهي تسحب أذيالها، وقد تصبت عرقاً حياء من رسول الله صلّى الله عليه وآله، فعثرت. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة. فلما وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتى رآها عليٌّ عليه السّلام. ثم أخذ يدها فوضعها في يد عليٍّ عليه السّلام وقال: بارك الله لك في ابنة رسول الله. يا عليُّ، نِعم الزوجة فاطمة؛ ويا فاطمة، نِعم البعل علي. انطلقا إلى منزلكما ولا تحدثا أمراً حتى آتيكما**».

قال عليٌّ عليه السّلام: «**فأخذت بيد فاطمة وانطلقت بها حتى جلست في جانب الصفة وجلست في جانبها، وهي مطرقة إلى الأرض حياءً مني وأنا مطرق إلى الأرض**

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٣٣٩/ ح ٣٥٩.

حياء منها»- الحديث[١].

قال الزبيدي في مادة (رتو): وفي حديث فاطمة عليها السّلام أنَّها أقبلت إلى النبي صلّى الله عليه وآله، فقال لها:«**ادني يا فاطمة، فدنت رتوة. ثم قال: ادني يا فاطمة، فدنت رتوة. الرتوة هيهنا الخطوة، وقيل: الرتوة البسطة**»[٢].

أقول: من الواضح أنَّ هذه الخطوات القصار للزهراء عليها السلام في حركتها تجاه أبيها في ذلك الحين تعبير عن الحياء الذي اعتراها عليها السلام.

أخرج المجلسي في بحار الأنوار روى عن الزهري، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال علي بن أبي طالب لفاطمة (عليها السلام): «**سألت أباك فيما سألت أين تلقينه يوم القيامة؟ قالت: نعم، قال لي: اطلبيني عند الحوض قلت: إن لم أجدك ههنا؟ قال: تجديني إذا مستظلاً بعرش ربي ولن يستظل به غيري، قالت فاطمة: فقلت: يا أبة أهل الدنيا يوم القيامة عراة؟ فقال: نعم يا بنية، فقلت: وأنا عريانة؟ قال: نعم وأنت عريانة وأنَّه لا يلتفت فيه أحد إلى أحد، قالت فاطمة (عليها السلام): فقلت له: وا سوأتاه يومئذ من الله عز وجل! فما خرجت حتى قال لي: هبط علي جبرئيل الروح الأمين عليه السلام فقال لي: يا محمد أقرئ فاطمة السلام وأعلمها أنَّها استحيت من الله تبارك وتعالى فاستحيى الله منها، فقد وعدها أن يكسوها يوم القيامة حلتين من نور. قال عليٌّ عليه السلام: فقلت لها: فهلا سألتيه عن ابن عمك؟ فقالت: قد فعلتُ فقال: إنَّ علياً أكرم على الله عز وجل من أن يعريه يوم القيامة**»[٣].

---

(١) أمالي الطوسي ١: ٣٩/ ح ٤ الجزء الثاني.

(٢) لسان العرب ٥: ١٣٤.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٥٥/ ح٤٨.

استشارة الفتاة في زواجها

الزواج اقتران روحَين وشخصيّتَين وإرادتَين في عقد مقدّس يعيش الزوجان في ظلّه في مودّة ووئام. ولم لا؟ فلقد جعل اللهُ تعالى بينهما مودّة ورحمة أضحى معها أحد الزوجين يؤثر الآخر على نفسه ويفديه بكيانه. ومثل هذا الارتباط العميق يحتاج إلى اختيار وتفحّص من كلا الطرفين لاختيار الطرف الأقرب في الخصال والسجايا، والأنسب في تشكيل أساس متين لهذه العائلة المستقبليّة.

ولا شكّ أنَّ الإسلام راعى كلّ هذه الأُمور حين أوجب استشارة الفتاة الباكر (التي هي الطرف الأضعف في المعادلة بلحاظ حيائها) في اختيار الزوج الذي تقترن معه برابطة العمر، وقد جعل سكوت الفتاة عند استشارتها بمثابة رضاها وإقرارها، فهي مهما بلغت درجة حيائها أحرى أن ترفض مَن لا ترغب في الاقتران به، لكنّها قد تخجل عن التصريح برضاها بمن تقدّم لخطبتها، فكان سكوتُها بمثابة الرضا.

أخرج المحدث النوري في المستدرك عن دعائم الإسلام: عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنَّه نهى أن تنكح المرأة حتى تُستأمَر.[١]

وعن عليٍّ عليه السلام، أنَّه قال: «**لا يُنكح أحدُكم ابنته حتى يستأمرها في نفسها، فهي أعلم بنفسها**» – الخبر.[٢]

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**لما زوّج فاطمة عليها السّلام من عليٍّ عليه السّلام ودخل بها، جعلت أمُّ أيمن معها تؤنسها، وفارقها من الليل ثم غدا إليها بالغداة يدقّ**

(١) مستدرك الوسائل ١٤: ٣١٤/ (١٦٨٢٣) ١

(٢) مستدرك الوسائل ١٤: ٣١٤/ (١٦٨٢٤) ٢

الباب، فقالت أمُّ أيمن: من هذا؟ قال:أنا رسول الله. فأتته مسرعة وهي تقول: (فداك أبي وأمّي)، وفتحت له الباب.

فقال لها: يا أمَّ أيمن، هاهنا أخي؟ قالت: يا نبي الله، ومن أخوك؟ قال: علي بن أبي طالب. قالت: يا نبي الله، إنّما عرف الناس الحلال والحرام بك، أتزوّج ابنتك من أخيك؟! قال: يا أمَّ أيمن، ليس هو أخي من أبي وأمّي الذي يحرم عليه نكاح ابنتي، هو أخي في الدين ومعي في أعلى عليين.

ثم دخل على فاطمة عليها السّلام، فوجد عندها أسماء بنت عميس، فقال صلّى الله عليه وآله لها: ما خلفك عند فاطمة؟ قالت: يا رسول الله، إنَّ الفتاة إذا زفّت إلى زوجها لابد أن يكون عندها امرأة تخبرها بحاجتها. قال: اللهم أسكن أسماء في الجنان.

ثم أقبل على فاطمة عليها السّلام فقال: أنا وأنت وهو في الرفيق الأعلى يا فاطمة. فقال:يا فاطمة، إنّي لم آلُكِ نصحاً ولا زوّجتك عن أمري، بل عن أمر ربي، لقد زوّجتك أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً وأكثرهم علماً في الدنيا من الأولين وفي الآخرة من الصالحين، أنا وأنت في الرفيق الأعلى.

يا فاطمة، إنَّ الله عز وجل اطّلع إلى الأرض اطلاعة، فاختارني منها وجعلني نبياً، ثم اطّلع عليها الثانية فاختار منها علياً بعلك وجعله لي وصياً»[(١)].

سكوت العذراء إقرارها ورضاها

استشار رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته الزهراء عليها السلام في أمر تزويجها، تثبيتاً منه صلى الله عليه وآله لسنّة استشارة البكر في تزويجها، ولم يشأ التخلّف عن هذه

(١) شرح الأخبار ٣: ٥٧ / ح ٩٧٦.

السنّة مع أنّ الخاطب كان أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد ذكرنا الروايات التي تحدّثت عن أنّ الله تعالى هو الذي زوّج فاطمة من أمير المؤمنين عليهما السلام، ورسولُ الله وابنته صلوات الله عليهما وآلهما من أشرف عباد الله المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

روى أحمد بإسناده عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: البكر تستأمر، والثيب تشاور. قيل: يا رسول الله إنَّ البكر تستحي، قال: «**سكوتها رضاها**»(١).

أخرج ابن شهر آشوب عن الضحاك، أنَّ النبي قال لفاطمة: «**إنَّ علي بن أبي طالب ممن قد عرفتِ قرابته وفضله من الإسلام، وإنِّي سألت ربي أن يزوّجك خير خلقه وأحبهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً، فما ترين؟ فسكتت، فخرج رسول الله وهو يقول: الله أكبر سكوتها إقرارها. وخطب النبيُّ على المنبر في تزويج فاطمة خطبة، رواها يحيى بن معين في أماليه، وابن بطة في الإبانة بإسنادهما عن أنس بن مالك مرفوعاً**»(٢).

أخرج الطوسي في الأمالي عن المفيد بإسناده عن الضحاك بن مزاحم قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «**أتاني أبو بكر وعمر فقالا: لو أتيتَ رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرت له فاطمة. قال: فأتيته فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وآله ضحك ثم قال: ما جاء بك يا أبا الحسن حاجتك؟ قال: فذكرت له قرابتي وقدمي في الإسلام ونصرتي له وجهادي فقال: يا علي صدقت فأنت أفضل مما تذكر، فقلت: يا رسول الله فاطمة تزوّجنيها، فقال: يا علي إنَّه قد ذكرها قبلك رجالٌ فذكرتُ ذلك لها**

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٢٢٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب – ابن شهر آشوب ٣: ١٢٧.

فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رِسلك حتى أخرج إليك. فدخل عليها، فقامت فأخذت رداءه ونزعت نعليه وأتته بالوضوء فوضّأته بيدها وغسلت رجليه، ثم قعدت، فقال لها: يا فاطمة! فقالت: لبّيك لبّيك حاجتك يا رسول الله؟ قال: إنَّ علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإنِّي قد سألتُ ربي أن يزوّجكِ خير خلقه وأحبهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً، فما ترين؟ فسكتت ولم تولّ وجهها ولم يرَ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر، سكوتُها إقرارها. فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد زوّجها علي بن أبي طالب فإنَّ الله قد رضيها له ورضيه لها، قال علي: فزوّجني رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أتاني فأخذ بيدي فقال: قم بسم الله وقل (على بركة الله وما شاء الله لا قوة إلا بالله توكّلت على الله) ثم جاءني حتى أقعدني عندها عليها السلام، ثم قال: اللهم إنَّهما أحبّ خلقك إلي فأحبهما وبارك في ذريتهما، واجعل عليهما منك حافظاً، وإنِّي أعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم»[1].

النصيحة عند الاستشارة للخطبة

من الموارد التي أوجبها الإسلام على من يُستشار في تزويج الشخص الخاطب، أن يمحض مَن يستشيره النصيحة ولا يُخفي عنه شيئاً. ومن الواضح أنَّ والد العروس حين يستشير أحداً في تزويج ابنته ممّن تقدّم لخطبتها فإنّه يريد منه أن يمحضه النُصح، وإنّ إخفاء عيوب الخاطب قد تؤدي إلى تعريض مستقبل الزواج إلى خطر كبير. وبإمكان المُستشار أن يُجمل عيوب الخاطب حذراً من الوقوع في الغيبة، فيتكلّم على نحو الكناية لا التصريح، كأن يقول:(ما أرضاه لك) وأمثال ذلك، كما في الرواية التالية.

(١) أمالي الطوسي: ص٣٩، تزويج علي وفاطمة عليهما السلام.

سُئل أبو عبد الله الصادق عليه السلام عن الرجل يسأل الرجلَ يخطب إليه فيسأل عنه، فيكون رجلَ سوء، فيخبره مثل ما أخبر النبي صلّى الله عليه وآله حين قال لفاطمة عليها السّلام: «معاوية عائل وأبو جهم عصاه على عاتقه» يكون غيبةً إن أخبره؟ قال: «**المستشار مُؤتمَن بخبره بما فيه وهو أظهر، ولكن يقول: ما أرضاه لك، ونحو هذا حسن**»[١].

عدم تأخير الفترة بين العقد والزواج

من الموارد التي يقع فيها البعض: تأخير الفترة بين العقد والزواج من دون أن يكون هناك مانع يحول دون الزواج، وإنَّ تأخير الزواج قد تكون له مردودات نفسيّة سلبيّة على روحيّة الزوجين اللذين عقدا عقد الزواج من أجل الوصول لحالة الاستقرار النفسيّ. ونلاحظ في الرواية التالية أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد تساءل حين طلبت منه أمُّ سلمة وبعض أزواجه أن يعجّل في زفاف فاطمة عليها السلام،فقال: «**فما بال علي لا يطلب منّي زوجته، فقد كنّا نتوقّع ذلك منه؟!**»، فالمتوقّع من الزوج أن يكون هو المبادر إلى الطلب من والد العروس في تعجيل أمر الزفاف، ويمكن له – إذا شعر بالحياء من والد العروس – الاستعانة بالآخرين في إيصال هذا المعنى إليه، كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام حين أقرّ لأمِّ سلمة ولبعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله أن يُفاتح رسول الله صلى الله عليه وآله في التعجيل بالزفاف.

عن أبي عبد الله عليه السّلام– في حديث–: «**قال علي عليه السّلام: فأقمت بعد ذلك شهراً أُصلّي مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وأرجع إلى منزلي، ولا أذكر شيئاً من أمر**

(١) الآداب الشرعية ١: ٢٦١.

فاطمة عليها السّلام، ثم قلن أزواج رسول الله صلّى الله عليه وآله: ألا نطلب لك من رسول الله صلّى الله عليه وآله دخول فاطمة عليك؟ فقلت: افعلنَ. فدخلن عليه فقالت أمُّ أيمن: يا رسول الله! لو أنَّ خديجة باقية لقرّت عينها بزفاف فاطمة، وإنَّ علياً يريد أهله، فقرّ عين فاطمة ببعلها واجمع شملها وقرّ عيوننا بذلك.

فقال صلّى الله عليه وآله: فما بال علي لا يطلب منّي زوجته، فقد كنّا نتوقّع ذلك منه؟ !قال علي عليه السّلام: فقلت: الحياء يمنعني يا رسول الله.

فالتفت إلى النساء فقال صلّى الله عليه وآله: مَن هاهنا؟ فقالت أمُّ سلمة: أنا أمُّ سلمة وهذه زينب، وهذه فلانة وفلانة. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: هيّئوا لابنتي وابن عمّي في حُجري بيتاً. فقالت أمُّ سلمة: في أي حجرة يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: في حجرتك. وأمر نساءه أن يزيّنّ ويصلحن من شأنها» - الحديث بطوله[١].

وعن جعفر بن محمد عليهما السّلام، قال: «تزوّج علي عليه السّلام فاطمة عليها السّلام في شهر رمضان، وبنى بها في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة»[٢]. وهذا القول هو المعتمد والمشهور[٣].

وقال ابن الجوزي: وذكر ابن سعد عن محمد بن علي، قال: «تزوّج علي عليه السّلام فاطمة عليها السّلام على إهاب شاة، وذلك في رجب بعد الهجرة بخمسة أشهر، وبنى بها بعد مرجعه من بدر»[٤].

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٥ / ح ٣٣، عن كشف الغمة بزيادة فيه.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٥.

(٣) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلىّ الله عليه وآله ٤: ٢٥.

(٤) تذكرة الخواص ص ٣٠٧، فصل في ذكر تزويجها وفضلها.

وروى الطبري عن أبي جعفر عليه السّلام: «**إنَّ علي بن أبي طالب عليه السّلام بنى بفاطمة عليها السّلام في ذي الحجّة على رأس اثنين وعشرين شهراً**»(١).

ضيق ذات اليد يجب أن لا يمنع الزواج

حثّ الإسلام على الزواج، ومهّد كلّ العوائق والصعوبات التي تقف في وجه الفتى والفتاة وتحول بينهما وبين إقامة هذه العلاقة الكريمة، حتى أنَّ الله تعالى تكفّل في القرآن الكريم بأنّه سيُغني من فضله كلّ من كان فقيراً لا يؤهّله وضعُه المادي الفعليّ للتفكير في الزواج خوفاً من مواجهة أعباء الأُسرة والبيت الجديد. قال تعالى ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢). وليس المعيار في الزوج أن يكون غنياً، بل أن يكون ذا أمانةٍ ودِين. يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا جاءكم مَن ترضون دينه وأمانته يخطب إليكم فزوّجوه، إلاّ تفعلوا ذلك تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير**»؛ وقال: «**أفضلُ نساء أُمتي أصبحهن وجهاً وأقلهنّ مهراً**».ويبقى زواج أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام – وهما أفضل الخلق بعد رسول الله – الأنموذج الأعلى الذي رسمه الإسلام لكلّ الأجيال في تجاوز كلّ العقبات التي تؤخّر زواج الشباب، وفي أنّ بإمكان الزوجين بدء حياتهما المشتركة القائمة على المحبّة والمودة والتفاهم بأقلّ الإمكانات وأبسطها.

عن عليٍّ عليه السّلام قال: «**لما خطبتُ فاطمة عليها السّلام قال النبي صلّى الله عليه وآله: هل لك من مهر؟ قلت: معي راحلتي ودرعي. قال: فبعها بأربعمائة. وقال: أكثروا**

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٨٦، على ما في العوالم.

(٢) سورة النور: الآية ٣٢.

الطيب لفاطمة، فإنَّها امرأة من النساء»[١].

محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: لما زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من علي عليهما السلام أتاه أناس فقالوا له: إنَّك قد زوّجت علياً بمهر خسيس، فقال: «**ما أنا زوّجته، ولكن الله زوّجه (إلى أن قال): فلما كان ليلة الزفاف أتى النبي صلى الله عليه وآله ببغلته الشهباء وثنى عليها قطيفة، وقال لفاطمة: اركبي! وأمر سلمان أن يقودها، والنبي صلى الله عليه وآله يسوقها، فبينما هو في بعض الطريق إذ سمع النبي صلى الله عليه وآله وجبة، فإذا بجبرئيل في سبعين ألفاً وميكائيل في سبعين ألفاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أهبطكم إلى الأرض؟ فقالوا: جئنا نزفّ فاطمة إلى زوجها، وكبّر جبرئيل وكبّر ميكائيل وكبّرت الملائكة وكبّر محمد صلى الله عليه وآله، فوُضع التكبير على العرائس من تلك الليلة»**[٢].

ويروى أنَّ علياً عليه السّلام كان يستقي الماء ليهودي كل دلو بتمرة. ويروى أنَّه آجر نفسه يسقي نخلاً بشيء من شعير ليلة حتى أصبح[٣].

وروى البخاري عن عليٍّ عليه السلام قال: كانت لي شارف من نصيبي في المغنم، وكان النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم أعطاني شارفاً من الخمس، فلمّا أردت أن ابتني بفاطمة عليها السّلام واعدتُ رجلاً صوّاغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي، فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصوّاغين وأستعين به على وليمة عرسي[٤].

---

(١) كنز العمال ١٣: ٦٨٢ / ح ٣٧٧٤٨.

(٢) وسائل الشيعة (ط. الإسلامية) - الحر العاملي ١٤: ٦٢ - ٦٣

(٣) أنظر: سنن ابن ماجة ٢: ٨١٨؛ مستدرك الوسائل ١٤: ٢٨؛ أسباب النزول للواحدي: ص ٣٣١.

(٤) صحيح البخاري ٣: ١٣.

قال ابن الجوزي: وذكر ابن سعد عن محمد بن علي، قال: «**تزوّج علي عليه السّلام فاطمة عليها السّلام على إهاب شاة، وذلك في رجب بعد الهجرة بخمسة أشهر، وبنى بها بعد مرجعه من بدر**»[1].

قال ابن الأثير: وفي حديث أسماء بنت عميس: قيل لعلي عليه السّلام: ألا تتزوّج ابنة رسول الله؟فقال: «**ما لي صفراء ولا بيضاء ولست بمأبور في ديني فيورّي بها رسول الله صلّى الله عليه وآله عنّي، إنّي لأوّل مَن أسلم. ثم قال ابن الأثير: (المأبور: من أبرته العقرب: أي لسعته بإبرتها، يعني: لست غير الصحيح الدين، ولا المتّهم في الإسلام فيتألّفني عليه بتزويجها إياي**»[2].

قال مأمون غريب: (وتقدّم علي بن أبي طالب عليه السّلام طالباً يدها...تقدّم علي وهو يعلم أنه لا يملك من متاع الدنيا شيئاً إلا ما يملكه المجاهد في سبيل الله... الفرس والدرع والسيف.وتهلّل وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله عند ما تقدم علي للزواج من أحب بناته إلى نفسه وطلب منه أن يبيع درعه، الذي بيع بأربعمائة وثمانين درهماً لعثمان بن عفان، وكان هذا هو مهر فاطمة!

وحضر أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبعض الصحابة، دعاهم على طبق من التمر!وكان جهاز فاطمة بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام جهاز بسيط... سريراً عليه بسيط من الصوف، ووسادة من جلد حشوتها من الليف، ورحى وقدر مصنوع من الفخار... وقربة ماء وفروة كبش!بجانب ما اشتراه عليه الصلاة والسلام للعروسين: بعض الثياب.. وسوارين من فضة!

---

(١) تذكرة الخواص: ص ٣٠٧، فصل في ذكر تزويجها وفضلها.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١: ١٤.

هذا هو كل أثاث منزل علي بن أبي طالب عليه السّلام وزوجته فاطمة الزهراء عليها السّلام... كان علي بن أبي طالب عليه السّلام أكبر منها ببضع سنوات.

ويروي بعض الرواة أنَّ فاطمة بكت عند ما خطبها علي بن أبي طالب عليه السّلام، فقال لها الرسول صلّى الله عليه وآله: «**ما لك تبكين يا فاطمة؟ فو الله لقد أنكحتك أكثرهم علماً وأفضلهم حلماً، وأولهم سلماً**».

ويروي الرواة أيضاً أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام قال لها:«**ما آليتُ أن أزوّجكِ خير أهلي**»(١).

وقال السيد الأمين: (... وبعد ما استقرّت قدم علي عليه السّلام بالمدينة ونزل مع النبي صلّى الله عليه وآله في دار أبي أيوب الأنصاري، كان من اللازم أن يقترن بزوجة، وكان على النبي صلّى الله عليه وآله أن يزوّجه فهو شاب قد بلغ العشرين أو تجاوزها؛ والتزويج من السنة، ومَن أحق من النبي وعلي صلوات الله عليهما باتّباع السنة. ومَن هي هذه الزوجة التي يخطبها علي عليه السّلام ويقترن بها، ومن هي هذه الزوجة التي يختارها له النبي صلّى الله عليه وآله ويقضي بذلك حقه وحق أبيه أبي طالب؟

ليست إلا ابنة عمه فاطمة عليها السّلام، فلا أكمل ولا أفضل منها في النساء ولا أكمل ولا أفضل من عليّ في الرجال. إذاً فتحتّم على علي أن يختارها زوجة وعلى الرسول صلّى الله عليه وآله أن يختارها له، ولذلك قال النبي صلّى الله عليه وآله: «**لولا علي عليه السّلام لم يكن لفاطمة عليه السّلام كفؤ**».

ولكنَّ النبي صلّى الله عليه وآله عند دخوله المدينة كان قد نزل في دار أبي أيوب

(١) فاطمة الزهراء عليها السّلام لمأمون غريب: ص ٤٥.

الأنصاري وكان علي عليه السّلام معه فيها كما مرّ، ولم يكن قد بنى لنفسه بيتاً ولا لعلي عليه السّلام، ولذلك لم يزوّج علياً أول وروده المدينة وانتظر بناء بيت له، ومع ذلك ففي بعض الروايات الآتية في آخر الكلام أنَّه زوّجه بها بعد مقدمه المدينة بخمسة أشهر، وبنى بها مرجعه من بدر. فيكون قد عقد له عليها وهو في دار أبي أيوب ودخل بها بعد خروجه من دار أبي أيوب بشهرين كما ستعرف)(١).

وقال الكتاني: (تزوّجت فاطمة عليها السّلام من علي بن أبي طالب عليه السّلام في السنة الثانية من الهجرة وهو في الثالثة والعشرين من عمره،وهي حينما بلغت العاشرة، وقد أكّد النبي صلّى الله عليه وآله لأصحابه أن تفضيل علي عليه السّلام من بين الخاطبين الكثير لفاطمة عليها السّلام كان بنصيحة من الغيب وبعدم رضاها بغير علي عليه السّلام.

لقد رضيت به دون سواه بالرغم من محاولات كثيرة بذلها النساء في المدينة، حيث نصحن فاطمة بعدم الإقدام على الزواج من علي عليه السّلام لفقره ولانصرافه للجهاد المستمر ولصلابته في ذات الله)(٢).

الكفوية في الزوجين

من الطبيعي أن يكون الزواج ناجحاً وموفّقاً حين يكون الزوجان متماثلين في الإيمان وفي الفهم والإدراك، متشابهين في الرغبات والتطلّعات، أمّا الأمور الأُخرى - كالأُمور المادية - فلا تمتلك أهميّة تذكر في تحديد مصير هذا الزواج. وقد أكّد الإسلام على أهميّة عاملي (الدين) و(الأمانة) في الخاطب، وجعلهما مفتاحاً لأهليّة الخاطب، وحذّر بأشد

(١) أعيان الشيعة ٣: ١٦٠.

(٢) فاطمة الزهراء عليها السّلام وتر في غمد للكتاني: ص ٢٥.

العبارات من رفض تزويج الخاطب المؤهّل الذي يرتضي والد العروس وأهلها دينه وأمانته. وإنَّ التعبير الذي استخدمه رسول الله صلى الله عليه وآله يدلّل على خطورة عدم الالتزام بهذا المقياس في تقييم الخاطب، فـ(فتنة في الأرض) و(فساد كبير) هما النتيجة المتوقّعة لتجاهل هذا المعيار والمقياس. وما الانحلال الخلقي التعيس الذي تعيشه الأُمم الأوروبية، والمشاكل التي تعاني منها مجتمعاتنا الإسلاميّة اليوم إلاّ صورة لهذا الفساد الكبير الذي أنذر به رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا جاءكم مَن ترضون دينه وأمانته يخطب إليكم فزوّجوه، إلاّ تفعلوا ذلك تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير**»[1].

عن علي بن الحسن بن فضال، عن محمد بن عبد الله بن زرارة عن عيسى ابن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا جاءكم مَن ترضون خلقه ودينه فزوّجوه**»؛ قلت: يا رسول الله وإن كان دنيّاً في نسبه؟ قال: «**إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه، إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»[2].

روى الصدوق عن علي عليه السّلام قال: «**قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا علي، لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وتزوّجت علياً! فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوّجته، بل الله تعالى منعكم وزوّجه. فهبط عليّ جبرئيل فقال: يا محمد، إنَّ الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق علياً لما كان لفاطمة ابنتك**

(١) وسائل الشيعة (ط. الإسلامية) - الحر العاملي ١٤ :هامش ص ٥٢، عن أمالي ابن الشيخ: ص ٣٣٠.
(٢) وسائل الشيعة (ط. الإسلامية) - الحر العاملي ١٤: ٥٢.

كفو على وجه الأرض، آدم فمن دونه»[١].

أخرج الديلمي عن رسول الله صلى الله عليه وآله مرفوعاً: «**لولا علي لما كان لفاطمة كفء**»[٢].

وأخرج القندوزي عن الهمداني في مودة القربى عن العباس بن عبد المطلب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أبشّرك يا عمّاه أنَّ الله أيّدني بسيد الوصيين علي فجعله كفواً لفاطمة ابنتي**»[٣].

وروى الصدوق أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «**لو لا أنَّ الله تعالى خلق فاطمة عليها السّلام لعلي عليه السّلام، ما كان لها على وجه الأرض كفو، آدم فمن دونه**».[٤]

وأخرج المجلسي عن علي عليه السّلام قال: جاء رسول الله صلّى الله عليه وآله يطلبني فقال: «**أين أخي يا أمَّ أيمن**»؟ قالت:

ومن أخوك؟ قال: «**علي**». قالت: يا رسول الله، تزوّجه ابنتك وهو أخوك؟! قال: «**نعم، أما والله يا أمَّ أيمن، لقد زوّجتها كفواً شريفاً وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين**».[٥]

وأخرج ابن شهر آشوب أنَّ الصاحب بن عبّاد قال:

يا كفو بنت محمد، لولاكَ ما ... زفُّت إلى بشرٍ مدى الأحقابِ
يا أصل عدة أحمد، لولاك لم ... يكُ أحمد المبعوث ذا أعقاب[٦]

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام ١: ١٧٧ / ح ٣.

(٢) فردوس الأخبار ٣: ٣٧٣ / ح ٥٣١٠.

(٣) ينابيع المودة ٢: ٦٨ / الرقم ٥٩.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٤٩ / ح ٣.

(٥) بحار الأنوار ٤٣: ١٠٥ / ح ١٨، عن أمالي الطوسي.

(٦) مناقب ابن شهر آشوب ٢: ١٨١.

تحرّي الخاطب المؤهل

من واجبات والد العروس (أو من ينوب عنه) أن يتحرّى لابنته عريساً مؤهلاً مناسباً، وأن يسعى في اختيار أفضل الخاطبين وأليقهم بابنته. وإذا كان الخاطبون مؤهّلين للزواج، فلا ريب أنّ بينهم تفاضلاً في الملكات والمؤهّلات، وعلى والد العروس أن يتحرّى لابنته أفضلهم. ونلاحظ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستثني أمير المؤمنين عليه السلام من هذا الأمر، فيقول صلى الله عليه وآله لها «**فوالله لو كان في أهلي خيرٌ منه ما زوّجتكه**»، ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام أفضل أهل رسول الله، بل أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

روى الكليني في الكافي بإسناده عن يعقوب بن شعيب قال: لما زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله علياً فاطمة دخل عليها وهي تبكي، فقال لها: «**ما يبكيك؟ فوالله لو كان في أهلي خير منه ما زوّجتكه، وما أنا زوّجتكه ولكن الله زوّجك**»[١].

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لفاطمة عليها السّلام: «**ما آلوتك يا بنية أنّي أُنكحتك أحب أهلي إليّ**»[٢].

قال ابن شاذان: قيل: جاءت فاطمة عليها السّلام إلى أبيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وهي باكية، فقال:«**ما يبكيك يا قرة عيني، لا أبكى لك الله عيناً؟ قالت: يا أبتي، إنَّ نساء قريش يعيّرنني ويقلن: إنَّ أباك زوّجك بفقير لا مال له.**

فقال صلّى الله عليه وآله: يا فاطمة، اعلمي أنَّ الله اطلع على الأرض اطلاعة فاختار

(١) الكافي ٥: ٣٧٨؛ بحار الأنوار ٤٣: ١٤٤.

(٢) تاريخ دمشق ١: ٢٠٠، على ما في ملحقات الإحقاق.

منها أباك، ثم اطلع اطلاعة ثانية فاختار منها بعلك ابن عمك، ثم أمرني أن أُزوجك به. أفلا ترضين أن تكوني زوجة من اختاره الله وجعله لك بعلاً. فقالت عليها السّلام: رضيت وفوق الرضا يا رسول الله، صلى الله عليك»[(١)].

وروى ابن سعد عن علباء بن أحمر اليشكري، أنَّ أبا بكر خطب فاطمة عليها السّلام إلى النبي صلّى الله عليه وآله فقال: يا أبا بكر، أنتظر بها القضاء. فذكر ذلك أبو بكر لعمر، فقال له عمر: ردّك يا أبا بكر. ثم إنَّ أبا بكر قال لعمر: اخطب فاطمة إلى النبي، فخطبها، فقال له: مثل ما قال لأبي بكر: أنتظر بها القضاء. فجاء عمر إلى أبي بكر فأخبره فقال له: ردّك يا عمر.

ثم إنَّ أهل علي عليه السّلام قالوا لعلي عليه السّلام: اخطب فاطمة إلى رسول الله، فخطبها، فزوّجه النبي صلّى الله عليه وآله. فباع علي عليه السّلام بعيراً له وبعض متاعه، فبلغ أربعمائة وثمانين، فقال له النبي صلّى الله عليه وآله: سأجعل ثلثين في الطيب، وثلثاً في المتاع[(٢)].

وعن ابن عباس- في حديث-: ثم إنَّ النبي صلّى الله عليه وآله قام حتى دخل على النساء، فقال: «**إنِّي زوّجت ابنتي ابن عمّي، وقد علمتنّ منزلتها منّي، وإنِّي لدافعها إليه، ألا فدونكنّ ابنتكن! فقام النساء فغلفنها من طيبهنّ وحليّهن، وجعلن في بيتها فراشاً حشوه ليف، ووسادة وكساءً خيبرياً ومخضباً، واتّخذن أُمَّ أيمن بوّابة**».

ثم إنّ النبي صلّى الله عليه وآله دخل، فلما رآه النساء وثبن وبينهن وبين النبي صلّى الله عليه وآله سترة، وتخلّفت أسماء بنت عميس، فقال لها النبي صلّى الله عليه وآله: «**كما أنت**

(١) الفضائل لابن شاذان: ص ٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨: ١٩.

على رسلك، من أنت»؟ قالت: أنا التي أحرس ابنتك، إنَّ الفتاة ليلة يبنى بها لا بدّ لها من امرأة تكون قريبة منها إن عرضت لها حاجة أو أرادت شيئاً أفضت بذلك إليها.

قال صلّى الله عليه وآله: «**فإنّي أسأل الله أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم**». - الحديث.

قال ابن عباس: فاخبرتني أسماء بنت عميس: أنّها رمقت رسول الله صلّى الله عليه وآله فلم يزل يدعو لهما خاصّة، لا يشركهما في دعائه أحداً حتى توارى في حجرته(١).

الغنى ليس مقياساً لأهلية الزوج

يتخيّل البعض أنَّ الغنى والثروة من مؤهلات الخاطب المهمة، بل قد يتخيّل البعض أنَّ ثروته تشفع له إذا افتقد المؤهلات الأُخرى، ونلاحظ في الرواية التالية أنَّ صحابيّين قد تقدّما لخطبة الزهراء عليها السلام، وأنّهما تحدّثا عن (الصداق) الذي بإمكانهما أن يبذلانه في محاولة للتأثير على رسول الله صلى الله عليه وآله، ونلاحظ الجواب الحادّ الذي قابل به رسول الله صلى الله عليه وآله هذين الخاطبين، فقد حصب أحدهما بكفّ من الحصى قائلاً له (إنّك تهول عليّ بمالك؟!) فتحوّلت الحصى درراً تساوي قيمة إحداها كلّ ما يملك ذلك الخاطب!

عن أنس بن مالك، قال: ورد عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان إلى النبي صلّى الله عليه وآله، فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله، تزوّجني فاطمة ابنتك، وقد بذلت لها من الصداق مائة ناقة سوداء زرق العيون محمّلة كلها قباطي مصر، وعشرة آلاف دينار.

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٤٢ / ح ٣٧، عن كشف الغمة شطراً منه وزيادة في آخره.

فقال عثمان: بذلت لها ذلك وأنا أقدم من عبد الرحمن إسلاماً.فغضب النبي صلّى الله عليه وآله من مقالتهما، ثم تناول كفاً من الحصى فحصب به عبد الرحمن وقال له: إنَّك تهول عليّ بمالك؟! قال: فتحوّل الحصى درّاً، فقوّمت درّة من تلك الدرر فإذا هي تفي بكل ما يملكه عبد الرحمن.

وهبط جبرئيل في تلك الساعة فقال: «**يا أحمد، إنَّ الله تعالى يقرؤك السلام ويقول: قم إلى علي بن أبي طالب فإنّما مثله مثل الكعبة يُحجّ إليها ولا تحجّ إلى أحد. إنَّ الله (تعالى) أمرني أن آمر رضوان خازن الجنة أن يزين الأربع جِنان، وأمر شجرة طوبى وسدرة المنتهى أن تحملا الحلي والحلل، وأمر الحور العين أن يتزينّ، وأن يقفن تحت شجرة طوبى وسدرة المنتهى، وأمر ملكاً من الملائكة، يقال له (راحيل) وليس في الملائكة أفصح منه لساناً، ولا أعذب منطقاً، ولا أحسن وجهاً، أن يحضر إلى ساق العرش**».

فلما حضرت الملائكة والملك أجمعون، أمرني أن أنصب منبراً من النور، وأمر راحيل - ذلك الملَك - أن يرقى، فخطب خطبة بليغة من خطب النكاح، وزوّج علياً من فاطمة بخمس الدنيا لها ولولدها إلى يوم القيامة. وكنت أنا وميكائيل شاهدين، وكان وليها الله (تعالى). وأمر شجرة طوبى وسدرة المنتهى أن تنثرا ما فيهما من الحلي والحلل والطيب، وأمر الحور أن يلقطن ذلك، وأن يفتخرن به إلى يوم القيامة - الحديث وقد اختصرناه[١].

(١) دلائل الإمامة للطبري الإمامي: ص ١٢.

المرأة الصالحة لا تقدر بثمن

المرأة هي العماد الذي يقوم على أساسه المجتمع، والمرأة هي الأمُّ الحانية والأُخت المشفقة والبنت الوفيّة المخلصة، ولولا المرأة لاستحال استمرار الحياة، ولولاها غدت الحياة جافّة خشنة قاسية. وفي تاريخنا الإسلامي لمعت أسماء كبيرة لمؤمنات رفدن المسيرة الإسلاميّة بتضحياتهن ومواقفهنّ الشجاعة، فلا ضير إنْ كانت إحداهنّ تجلّ عن الوصف. وهل بإمكان الكلمات أن تصف مثل سيّدة النساء أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد سلام الله عليها؟! هل بإمكان الكلمات أن تصف مثل سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام؟! هل تتّسع التعابير لوصف مثل فخر النساء زينب الكبرى؟! لكنّ الحقيقة الثابتة هي أنّ المرأة المؤمنة ذات الإيمان الكامل نادرة الوجود، وأنَّها أندر من المؤمن، وأنَّ المؤمن الحقيقيّ أعزّ وأندر من الكبريت الأحمر. ولذلك كلّه أضحت المرأة المؤمنة الصالحة لا تقدّر بثمن، أمّا المرأة الطالحة فالتراب خيرٌ منها على حدّ تعبير الرواية.

روى الكليني في الكافي عن محمد بن سنان، عن قتيبة الأعشى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**المؤمنة أعز من المؤمن، والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر**»؟(١)

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**ليس للمرأة خطر، لا لصالحتهن ولا لطالحتهن؛ أما صالحتهن فليس خطرها الذهب والفضة؛ وأما طالحتهن فليس التراب خطرها، التراب خير منها**»(٢).

(١) الكافي ٢: ٢٤٢/ ح١.

(٢) بحار الأنوار ١٠٣: ٢٣٦.

خير النساء

وضع الإسلام مواصفات للزوجة الصالحة التي عبّر عنها بأنّها من عمّال الله في أرضه، من أبرزها طاعتها لزوجها ووفاؤها له، التي تحفظ زوجها إن غاب عنها في بيته وماله وولده. ومن الصفات الحميدة في النساء أن تكون ولوداً، عفيفة، تنفق بمعروف وتمسك بمعروف، وأن تصبّر زوجها وتواسيه في الشدّة، وتكون له نِعم العون في أُمور الدين والدنيا.

روى الكليني في الكافي بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«خير نسائكم الخمس. قيل: يا أمير المؤمنين! وما الخمس؟ قال: الهينة، اللينة، المؤاتية، التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضى، وإذا غاب عنها زوجها حفظته في غيبته، فتلك عامل من عمّال الله؛ وعامل الله لا يخيب»[1].

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«خير نسائكم الطيبة الريح، الطيبة الطبيخ، التي إذا أنفقتْ أنفقت بمعروف، وإن أمسكتْ أمسكت بمعروف. فتلك عامل من عمّال الله؛ وعامل الله لا يخيب ولا يندم»[2].

روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، قال:

«إنَّ من خير نسائكم الولود، الستيرة، العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها، الحصان مع غيره، التي تسمع له وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت ما أراد منها»[3].

---

(١) الكافي ٥: ٣٢٥.

(٢) وسائل الشيعة ١٤: ١٥.

(٣) بحار الأنوار ١٠٣: ٢٣٩.

وروي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، قال:

«**خير نسائكم التي إن غضبت أو غضب تقول لزوجها: يدي في يدك، لا أكتحل عيني بغمض حتى ترضى عني**»(١).

وأخرج الحر العاملي عن الشيخ الصدوق بإسناده قال:

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنَّ زوجة لي إذا دخلتُ تلقّتني، وإذا خرجت شيّعتني، واذا رأتني مهموماً قالت لي: وما يهمّك؟ إن كنتَ تهتمّ لرزقك فقد تكفّل لك به غيرُك؛ وإن كنتَ تهتم لأمر آخرتك فزادك الله همّاً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ لله عمالاً، وهذه من عماله. لها نصف أجر شهيد**»(٢).

طاعة المرأة لزوجها

جاء في الروايات السابقة أنَّ خير النساء هي التي تطيع زوجها ولا تكتحل بغمض إذا غضب زوجها حتّى ترضيه، وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر النساء بطاعة أزواجهنّ.

وقد روى الكليني عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنَّ رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في بعض حوائجه، فعهد إلى امرأته عهداً ألا تخرج من بيتها حتى يقدم. قال: وإنَّ أباها مرض، فبعثت المرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالت: إنَّ زوجي خرج وعهد إلي أن لا أخرج من بيتي حتى يقدم وإنَّ**

(١) بحار الأنوار ١٠٣: ٢٣٩.

(٢) وسائل الشيعة ١٤: ١٧.

أبي قد مرض فتأمرني أن أعوده؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله: لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك! قال: فثقل فأرسلت إليه ثانياً بذلك، فقالت: فتأمرني أن أعوده؟ فقال: اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قال: فمات أبوها فبعثت إليه أنَّ أبي قد مات فتأمرني أن أُصلي عليه؟ فقال: لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك. قال: فدفن الرجل، فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّ الله قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك».[(١)]

وإنَّ الزهراء عليها السلام هي القدوة في طاعة الزوج، باعتبار أنَّها سيّدة نساء العالمين. وكانت طاعتها إيّاه باعتبار أنَّه زوجها، وباعتبار أنَّه إمامها الذي افترض الله تعالى طاعته على الخلائق.

خدمة الزوج حجاب من النار

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح؛ وأيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق الله عنها سبعة أبواب النار، وفتح لها ثمانية أبواب الجنة، تدخل من أيّها شاءت»[(٢)].

كرّم الإسلام المرأة الصالحة، لأنَّه اختارها لتنشئة الأطفال ورعاية الأُسرة التي هي نواة المجتمع، وحثّ الزوجة على رعاية زوجها، ووعدها على ذلك أن يُدخلها من أيّ أبواب الجنّة شاءت، وأن يغلق عنها (بالعفو عن ذنوبها) أبواب النار.

ومن الطبيعي أن نجد أنَّ الزهراء عليها السلام (التي هي سيّدة نساء العالمين، بل سيّدة نساء الجنّة) هي الأُنموذج الأكمل في رعاية زوجها أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) الكافي ٥: ٥١٣ / ح١.

(٢) وسائل الشيعة ١٤: ١٢٣.

شفاعة الزهراء عليها السلام للمؤمنات المطيعات لأزواجهنّ

تناقل الفريقان روايات متكاثرة في أنَّ الزهراء عليها السلام هي سيدة نساء العالمين، وأنَّها سيّدة نساء أهل الجنّة، وفي الرواية المقبلة بشارة من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المؤمنات الصالحات المواليات، أنَّهنّ سيدخلن الجنّة بشفاعة سيّدتهنّ فاطمة عليها السلام، وأنَّها هي التي ستقودهنّ إلى الجنّة والملائكة تحفّ بها.

روى الشيخ الصدوق في الأمالي حديثاً عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، جاء فيه قوله صلى الله عليه وآله: «... **وكأنّي أنظر إلى ابنتي فاطمة قد أقبلتْ يوم القيامة على نجيب من نور، عن يمينها سبعون ألف ملك، وعن يسارها سبعون ألف ملك، وبين يديها سبعون ألف ملك، وخلفها سبعون ألف ملَك، تقود مؤمنات أمَّتي إلى الجنة، فأيما امرأة صلّت في اليوم والليلة خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحجّت بيت الله الحرام، وزكّت مالها، وأطاعت زوجها، ووالت علياً بعدي، دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة، وإنَّها لسيدة نساء العالمين**».[(١)]

فاطمة وعلي والآصرة التي لا تنفصم

الآصرة التي توثّقت بأمر الله تعالى بين أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام أقوى وأمتن من أن توهنها مصائب الدهر ومكدّراته، خاصة وأنَّ الزوجين متماثلان في الإيمان، متشابهان في الملكات والسجايا، ولولا أمير المؤمنين عليه السلام لما كان لفاطمة كفء، ولولا فاطمة لما كان لأمير المؤمنين كفء. وسيأتي قريباً أنَّ فاطمة عليها السلام هي زوجة أمير المؤمنين عليه السلام في الآخرة كما كانت زوجته في الدنيا.

(١) أمالي الصدوق: ص ٥٧٤، المجلس ٧٢.

أخرج ابن عساكر بالإسناد عن زيد بن أبي أوفى، قال: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله- فذكر قصة مؤاخاة رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال-: قال علي عليه السّلام: «**لقد ذهب روحي وانقطع ظهري حين رأيتُك فعلتَ بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان هذا من سخط عليَّ فلك العتبى والكرامة. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحق ما اخترتك إلا لنفسي، فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أَنَّه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووزيري ووارثي.**

قال: قال: وما أرث منك يا رسول الله؟ قال: ما ورّث الأنبياء قبلك؛ كتاب الله وسنة نبيهم، وأنت معي في قصري في الجنة مع ابنتي فاطمة عليها السّلام، وأنت أخي ورفيقي». ثم تلا رسول الله صلّى الله عليه وآله: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[1]، المتحابّون في الله، ينظر بعضهم إلى بعض[2].

وقال محمد بن العباس (رحمه الله): حدثنا أحمد بن القاسم، عن عيسى بن مهران، عن داود بن المجير، عن الوليد بن محمد، عن زيد بن جدعان، عن عمه علي بن زيد قال: قال عبد الله بن عمر: كنا نفاضل فنقول: أبو بكر، وعمر وعثمان ويقول: قائلهم فلان وفلان. فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن فعليٌّ؟ قال: علي من أهل بيت لا يُقاس بهم أحد من الناس، عليٌّ مع النبي في درجته، إنَّ الله عز وجل يقول ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[3]. ففاطمة ذرية النبي صلى الله عليه وآله هي معه في درجته، وعلي مع فاطمة صلى الله عليهما[4].

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٥٣؛ بحار الأنوار ٣٨: ٣٤٢/ ح ١٨.

(٣) سورة الطور: الآية ٢١.

(٤) تأويل الآيات – شرف الدين الحسيني ٢: ٦١٨ – ٦١٩.

وقال أيضاً: حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد الحسيني، عن محمد بن الحسين، عن حميد بن والق عن محمد بن يحيى المازني، عن الكلبي عن الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام قال: «**إذا كان يوم القيامة، نادى منادٍ من لدن العرش: يا معشر الخلائق غضّوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد، فتكون أول من يُكسى ويستقبلها من الفردوس اثنا عشرة ألف حوراء معهن خمسون ألف ملك على نجائب من ياقوت أجنحتها وأزمتها اللؤلؤ الرطب والزبرجد، عليها رحائل من درّ، على كل رحل نمرقة من سندس حتى تجوز بها الصراط، ويأتون الفردوس فيتباشر بها أهل الجنة وتجلس على عرش من نور ويجلسون حولها. وفي بطنان العرش قصران: قصر أبيض وقصر أصفر من لؤلؤ من عرق واحد. وإنَّ في القصر الأبيض سبعين ألف دار مساكن محمد وآل محمد. وإنَّ في القصر الأصفر سبعين ألف دار مساكن إبراهيم وآل إبراهيم، ويبعث الله إليها ملكاً لم يبعث إلى أحد قبلها، ولا يبعث إلى أحد بعدها. فيقول لها: إنَّ ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: سَليني أُعطك! فتقول: قد أتمّ علي نعمته، وأباحني جنّته، وهنأني كرامته، وفضّلني على نساء خلقه؛ أساله أن يشفّعني في ولدي وذريتي ومَن ودّهم بعدي وحفظهم بعدي. قال: فيوحي الله إلى ذلك الملك من غير أن يتحول من مكانه: أنْ خبّرها أنّي قد شفّعتها في ولدها وذريتها ومن ودّهم وأحبهم وحفظهم بعدها. قال: فتقول: الحمد لله الذي أذهب عني الحزن وأقرّ عيني. ثم قال جعفر عليه السلام: كان أبي إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية**» ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾(١) و(٢).

---

(١) سورة الطور: الآية ٢١.

(٢) تأويل الآيات – شرف الدين الحسيني ٢: ٦١٨ – ٦١٩.

فاطمة زوجة أمير المؤمنين في الدنيا والآخرة

أكرم الله تعالى سيدة نساء العالمين عليها السلام فجعلها زوجة أمير المؤمنين عليه السلام يوم القيامة، ليس له زوجة من نساء الدنيا غيرها، كما أكرمها تعالى في سورة (الإنسان) التي وصف فيها نعيم الجنّة دون أنَّ يتطرّق فيها إلى ذِكر الحور العين. وقد مرّ قريباً في رواية السيّد شرف الدين أن فاطمة ذرية النبي صلى الله عليه وآله مع النبيّ في درجته، وأنّ أمير المؤمنين علياً مع فاطمة صلى الله عليهما، وجاء في رواية ابن عساكر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر أمير المؤمنين بأنَّه معه في قصره في الجنة مع ابنته فاطمة عليها السّلام.

أخرج ابن شهر آشوب عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي صالح، في قوله ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[١] قال: ما من مؤمن يوم القيامة إلا إذا قطع الصراط زوّجه الله على باب الجنة بأربع نسوة من نساء الدنيا وسبعين ألف حورية من حور الجنة، إلا علي بن أبي طالب فإنَّه زوج البتول فاطمة في الدنيا وهو زوجها في الآخرة في الجنة، ليست له زوجة في الجنة غيرها من نساء الدنيا، لكن له في الجنان سبعون ألف حوراء، لكل حوراء سبعون ألف خادم[٢].

نظرة في بكاء الزهراء عليها السلام عند زواجها

أقول: ورد في بعض روايات الخاصة والعامة أنَّ الزهراء فاطمة سلام الله عليها بكت لما زوّجها أبوها من أمير المؤمنين علي عليه السلام. ونورد فيما يلي تلك الروايات، ثم

---

(١) سورة التكوير: الآية ٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب – ابن شهر آشوب ٣: ١٠٦.

نتعرض باختصار لمناقشة الأسباب التي وردت في تلك الروايات لبكاء الصديقة الزهراء عليها السلام.

١- أما روايات الخاصة، فقد أخرج ابن شاذان في الروضة عن ابن عباس يرفعه إلى سلمان الفارسي قال: كنت واقفاً بين يدي رسول الله أسكب الماء على يديه إذ دخلت فاطمة وهي تبكي، فوضع النبي صلى الله عليه وآله يده على رأسها وقال: «**ما يبكيك لا أبكى الله عينيك يا حورية، قالت: مررت على ملأ من نساء قريش وهن مخضبات، فلما نظرن إلي وقعوا فيّ وفي ابن عمي. فقال لها: وما سمعت منهن؟ قالت: قلن: كان قد عز على محمد أن يزوج ابنته من رجل فقير قريش وأقلهم مالاً، فقال لها: والله يا بنية ما زوّجتك ولكن الله زوّجك من علي. ثم ذكر لها النبي أنَّ الله تعالى هو الذي زوّجها من علي. قال ابن عباس: فرفعت رأسها وتبسمت بعد بكائها، وقالت: رضيت بما رضي الله ورسوله. فقال صلى الله عليه وآله: ألا أزيدك يا فاطمة في علي رغبة؟ قالت: بلى! ثم حدث رسول الله ابنته بمناقب أمير المؤمنين عليه السلام، فقامت الزهراء عليها السلام وقالت: رضيت بالله رباً، وبك يا أبتاه نبياً، وبابن عمي بعلاً وولياً**»[١].

وروى ابن شاذان في الفضائل؛ قال: قيل: جاءت فاطمة عليها السّلام إلى أبيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وهي باكية، فقال: «**ما يبكيك يا قرة عيني، لا أبكى لك الله عيناً؟ قالت: يا أبتي، إنَّ نساء قريش يعيّرنني ويقلن: إنّ أباك زوّجك بفقير لا مال له. فقال صلّى الله عليه وآله: يا فاطمة، اعلمي أنَّ الله اطلع على الأرض اطلاعة فاختار منها أباك، ثم اطلع اطلاعة ثانية فاختار منها بعلك ابن عمك، ثم أمرني أن أزوّجك به. أفلا ترضين أن تكوني زوجة من اختاره الله وجعله لك بعلاً. فقالت عليها السّلام: رضيت وفوق**

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين: ص٧٣، حديث علي سيف الله على أعدائه.

الرضا يا رسول الله، صلى الله عليك»[١].

وأخرج العلامة الحلي في كشف اليقين عن ابن عباس قال: كانت فاطمة عليها السّلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تذكر، فلا يذكرها أحد لرسول الله صلّى الله عليه وآله إلا أعرض عنه وقال: «**أتوقّع الأمر من السماء، إنَّ أمرها إلى الله تعالى**»-الحديث ثم تعرض لخطبة أمير المؤمنين لفاطمة عليهما السلام، وجاء فيه:

فلما دخل البيت دعا فاطمة عليها السّلام وقال لها: «**قد زوّجتك يا فاطمة سيداً في الدنيا وإنَّه في الآخرة من الصالحين، ابن عمك علي بن أبي طالب**». فبكت فاطمة عليها السّلام حياءً ولفراق رسول الله صلّى الله عليه وآله - الحديث[٢].

٢- وأما روايات العامة، فمنها رواية الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي البغدادي المتوفى سنة ٨٨٤ في نزهة المجالس (٢: ٢٢٦ ط القاهرة) قال: رأيت في العقائق، أنَّ فاطمة - عليها السلام - بكت ليلة عرسها، فسألها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، فقالت له: «**تعلم أنّي لا أحب الدنيا ولكن نظرت إلى فقري في هذه الليلة، فخشيت أن يقول لي علي بأي شيء جئتِ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لك الأمان، فإنَّ علياً لم يزل راضياً مرضياً**». ثم يذكر نزول التحف السماوية على الزهراء عليها السلام[٣].

ومنها رواية الخطيب الخوارزمي في المناقب؛ وجاء فيها:... ثم صرخ صلّى الله عليه وآله بفاطمة عليها السّلام فأقبلت. فلما رأت علياً عليه السّلام جالساً جنب النبي صلّى

(١) الفضائل لابن شاذان: ص١٢٠.

(٢) كشف اليقين: ص١٩٥.

(٣) نقلًا عن شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي ١٠: ٤٠١ - ٤٠٢.

الله عليه وآله حصرت وبكت، فأشفق النبي صلّى الله عليه وآله أن يكون بكاؤها لأَنَّ علياً لا مال له. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**ما يبكيك؟ فما آلوتك في نفسي، فقد أصبت لك خير أهلي، وأيم الذي نفسي بيده لقد زوّجتك سيداً في الدنيا وإنَّه في الآخرة لمن الصالحين**»(١).

مناقشة الروايات: تعرضت الروايات الشيعية لبكاء الزهراء فاطمة عليها السلام، لكنها ذكرت بكاء الزهراء عليها السلام - كما في رواية الكافي الأولى - دون تعليل، بينما تعرضت لذكر سبب البكاء في الروايات الأُخرى. وقد ذكرت تلك الروايات سببين لبكاء البتول عليها السلام، أولهما كلام نساء قريش اللاتي وقعن في الزهراء وفي ابن عمها أمير المؤمنين عليهما السلام بعد زواجهما المبارك الميمون؛ وثانيهما أنَّ الزهراء عليها السلام بكت حياءً من رسول الله وحزناً على مفارقتها إياه بانتقالها إلى بيت زوجها.

أما رواية الكافي الأُولى فذكرت أنَّ الزهراء عليها السلام بكت، فسألها أبوها صلى الله عيه وآله: «**ما يبكيك**»؟ ثم استطرد فذكر لها أمرين: أولهما أنَّه زوجها خير أهله، وأنَّه صلى الله عليه وآله لو كان في أهله خير من أمير المؤمنين عليه السلام، لما زوّجها منه؛ وقد جاء في الرواية أنَّه لولا علي لما كان لفاطمة كفء؛ والأمر الثاني أنَّ زواجها قد حصل بأمر من الله تعالى ولا دخل لرسول الله صلى الله عليه وآله فيه؛ وإذا كان الاختيار ربّانياً فإنَّ من شأن مثل الزهراء عليها السلام أن تعلم أنَّ الله تبارك وتعالى لا يفعل إلا الخير، كما أنَّه تعالى ﴿يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾؛ بل إنَّنا نعلم يقيناً أنَّ الزهراء عليها السلام الحوراء الإنسية كانت تعلم منزلة أمير المؤمنين عليه السلام وتعلم أنَّ نسل النبي صلى الله عليه وآله سيكون منهما (منها ومن علي عليهما السلام)؛ فيكون بكاؤها عليها السلام

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٣٣٩/ ح ٣٥٩.

قد حصل بسبب فراقها لأبيها.

أما بكاء البتول بسبب طعن نساء قريش فيها وفي ابن عمها - كما في رواية ابن شاذان التي صدّرها بلفظ (قيل) ولم يذكر المصدر الذي نقل منه- فإنَّ من الواضح أنَّ الإنسان يتألم إذا ناله أحد بطعن أو تجريح، كما إنَّ من شأن الزوجة الوفية المخلصة أن تتأذى أيما أذى إذا تناول أحد زوجها بالطعن والانتقاص، ومثل الزهراء الوفية لزوجها وإيمانها بولايته ومنزلته عند الله تعالى يصيبها الألم الكبير - لا ريب - عند سماعها انتقاصاً من مقام زوجها أول الناس إسلاماً وأقدمهم إيماناً وأبرزهم في ساحات الجهاد والفداء من أجل رفع راية الإسلام خفاقة عالية؛ هذا على فرض صحة الرواية المجهولة المصدر التي نقلها ابن شاذان.

وأما بكاؤها عليها السلام بسبب الحياء (في رواية كشف اليقين التي تتحدث عن فترة قبل الزواج)، فإنَّه لا يخفى على أحد أنَّ الزهراء ورثت الحياء عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان أشد حياء من العذراء في خدرها، وقد عرفت الصديقة البتول عليها السلام بالحياءً، ذلك الحياء الذي جعلها تتصبب عرقاً حين دعاها أبوها في محضر أمير المؤمنين عليه السلام، حتى أنَّها عثرت في سيرها، فقال لها النبي: «**أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة**»! ولا ريب أنَّ الزهراء عليها السلام التي كانت تحتجب حتى من الأعمى، والتي اعتبرت أنَّ أفضل شيء للنساء أن لا ينظر إليهن أحد من الرجال وأن لا ينظرن إلى أحد منهم؛ مثل الزهراء عليها السلام سيعرض لها الحياء حين يدعوها أبوها فتلبي دعوته، وتشاهد فجأة أنَّ العريس يجلس إلى جنب أبيها؛ فيصيبها الارتباك والحياء الشديد ويدفعان بها إلى حالة البكاء المقترنة بالتأثر العاطفي العميق.

أما بكاؤها حزناً على فراق أبيها، فلا يخفى أمر العطف والحنان الذي غمرت به

الزهراء أباها طوال وجودها في بيته، وللذين استمرت بغمره صلى الله عليه وآله بها بعد انتقالها إلى بيت الزوجية؛ ولا ريب أنَّ القلب الكبير الحنون - كقلب الزهراء فاطمة عليها السلام - سيتأثر بمفارقتها أباها الذي عاشت معه في أحلك الظروف وعوّضته بحنانها ورعايتها عن فقدانه لأُمِّه آمنة بنت وهب سلام الله عليها حتى دعاها (أُمُّ أبيها)، ولذلك لم تستطع الزهراء الفتاة العطوف عليها السلام أن تغالب دموعها، فهطلت سخية. ونلاحظ أنَّ أباها رسول الله صلى الله عليه وآله طيّب خاطرها بأنَّ الله تعالى هو الذي أمر بزواجها وانتقالها إلى بيت علي عليه السلام، ثم ذكر لها بعض مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، فقالت: «**رضيت وفوق الرضا يا رسول الله، صلى الله عليك**»!

وفي بعض الروايات: «**رضيت بالله رباً، وبك يا أبتاه نبياً، وبابن عمي بعلاً ووليّاً**»!

أما الروايات العامية فقد ذكرت سببين آخرين لبكاء الزهراء عليها السلام، أولهما أنَّها لما ناداها أبوها أقبلت فشاهدت علياً عليه السّلام جالساً جنب أبيها صلّى الله عليه وآله، فحصرت وبكت، فأشفق النبي صلّى الله عليه وآله أن يكون بكاؤها لأنَّ علياً لا مال له. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: ما يبكيك؟ فما آلوتك في نفسي، فقد أصبت لك خير أهلي. ويبدو أنَّ عبارة (فأشفق النبي صلّى الله عليه وآله أن يكون بكاؤها لأنَّ علياً لا مال له.) قد أقحمت في الرواية من قبل أحد الرواة، حيث إنَّ الرواية - بدون هذه الفقرة مماثلة للرواية الشيعية. أما السبب الثاني الذي ذكرته الروايات العامية لبكاء الزهراء، فهو أنَّ الزهراء عليها السلام نظرت إلى فقرها في ليلة زواجها، فخشيَتْ أن يقول لها علي بأي شيء جئتِ، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لكِ الأمان، فإنَّ علياً لم يزل راضياً مرضياً. ثم تذكر الرواية نزول تحف المتاع من السماء على الزهراء عليها السلام.

ويلاحظ أنَّ الروايات العامية بعيدة عن فهم طبيعة شخصية رسول الله وابنته سيدة

نساء العالمين سلام الله عليهما، فمثل النبي صلى الله عليه وآله لا يمكن نسبة مثل هذا التصور له، وكيف يتصور النبي أنَّ ابنته التي رباها بيده وقال عنها أنَّها بضعة منه تبكي لأنَّه زوّجها من رجل بلغ من السموّ في درجات التقوى والعلم والقرب من الله تعالى والجهاد في سبيله الدرجة العليا، لكنه يعد فقيراً من الناحية المادية؟ ألم يخطبها منه قبل أمير المؤمنين - كما أسلفنا - عبد الرحمن بن عوف وعثمان وبذلا لها المهر الكبير، فكان جواب النبي الأكرم صلى الله عليه على عرضهما أن حصبهما وبيّن لهما أنَّ الثروة ليس لها لديه أي قيمة، بل أظهر لهما أنَّه إذا شاء حوّل صلى الله عليه وآله الحصباء دراً ويواقيت وجواهر؟! ألم يخطب الزهراء - قبل علي عليهما السلام - أبو بكر وعمر، فردهما رسول الله صلى الله عليه وآله بحزم وقال بأنَّه ينتظر بها أمر الله تعالى؟!

كما أَنَّ الروايات السنية بعيدة عن فهم طبيعة تفكير الزهراء عليها السلام، ولذلك نسبت إليها أنَّها خشيت أن يعيّرها أمير المؤمنين عليه السلام بفقرها!! وهو تفكير لا يناسب - أدنى مناسبة - سيدة نساء العالمين التي بلغت من الزهد في الأُمور المادية حداً جعلها تهدي السائل ثوب زفافها الجديد في ليلة زفافها إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام، والتي افتخرت بأنَّها وزوجها ليس لهما إلا جلد كبش ينامان عليه ليلاً، فإذا أصبح الصباح قلباه وعلفا عليه ناضحهما!! ولا يناسب شخصية البتول التي عاشت مع زوجها سنوات دون أن تطلب منه أن يجلب شيئاً للبيت، لأنَّ أباها صلى الله عليه وآله أوصاها أن لا تطلب من زوجها شيئاً. ولا يناسب نفسية الزهراء فاطمة عليها السلام التي آثرت الفقير على طعامها، فحملت إفطارها وإفطار زوجها وابنيها وخادمتهم لثلاث ليال وأعطته لمسكين ويتيم وأسير لمجرد القربة إلى الله تعالى!!

كما ينطوي هذا القول على نسبة عدم معرفة الزهراء عليها السلام لشخصية أمير

المؤمنين عليه السلام، مع أنّهما ترعرعا في بيت واحد وتربيا على يد رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد جاء في رواية علي بن إبراهيم القمي في تفسيره أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما قال لابنته بأنَّ الله ما بعث نبياً إلا جعل له ذريته من صلبه، وأنَّه تعالى جعل ذرية رسول الله من صلب علي عليه السّلام، وأنَّه لولا علي عليه السّلام ما كانت لرسول الله ذرية؛ قالت فاطمة عليها السّلام: يا رسول الله، ما أختار عليه أحداً من أهل الأرض، فزوّجها رسول الله صلّى الله عليه وآله[١].

٣- جاء في روايات الفريقين أنَّ النبي استشار فاطمة في تزويجها من أمير المؤمنين عليه السلام، وأنَّها سكتت، فقال النبي: «**الله أكبر، سكوتها إقرارها!!**» وإنَّ استشارة الزهراء عليها في أمر زواجها يقطع الطريق أمام التقولات الفجة التي قد تتحدث عن عدم قناعة الزهراء بزوجها!

(انظر رواية الطوسي في الأمالي١: ٣٧؛ ورواية ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ٣: ١٢٧ عن الضحاك. ثم قال ابن شهر آشوب رواها يحيى بن معين في أماليه، وابن بطة في الإبانة بإسنادهما عن أنس بن مالك مرفوعاً).

وقد جاء في رواية الأربلي في كشف الغمة (١: ٣٦٧) عن كفاية الطالب عن أمِّ سلمة أنَّ فاطمة عليها السّلام كانت تفتخر على النساء لأنَّ أول من خطب عليها جبرئيل.

٤- إنَّ الحقيقة التي لا مراء فيها أنَّ الزهراء عليها السلام كانت تعرف منزلة أمير المؤمنين عليه السلام وقدره، وقد صرحت لأبيها - كما في رواية القمي في تفسيره- بأنَّها لا تعدل بأمير المؤمنين أحداً. كما أنَّها لما تحدث لها أبوها عن بعض مناقب أمير المؤمنين عليه السلام قالت: «**رضيت وفوق الرضا يا رسول الله**»! وقد عاشت الزهراء عليها

(١) انظر تفسير القمي ٢: ٣٣٨.

السلام مع بعلها حياة ضربا فيها أروع الأمثلة على المحبة والتعاون والإيثار. يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن زوجته البتول عليهما السلام: «**فو الله ما أغضبتُها ولا أكرهتها من بعد ذلك على أمر حتى قبضها الله عز وجل إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً. ولقد كنت أنظر إليها فتكشف عني الغموم والأحزان بنظري إليها**»[١].

٥- لقد أكّد النبي صلّى الله عليه وآله لأصحابه - كما يقول الكتاني في كتابه - بأنَّ تفضيله علياً عليه السّلام من بين الخاطبين الكثر لفاطمة عليها السّلام كان بنصيحة من الغيب وبعدم رضاها بغير علي عليه السّلام. لقد رضيت به دون سواه على الرغم من محاولات كثيرة بذلها النساء في المدينة، حيث نصحن فاطمة بعدم الإقدام على الزواج من علي عليه السّلام لفقره ولانصرافه للجهاد المستمر ولصلابته في ذات الله[٢].

٦- روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عن علي عليه السّلام أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال له: «**يا علي، لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وتزوّجت علياً! فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوّجته، بل الله تعالى منعكم وزوّجه**»[٣].

وما الذي يمنع هؤلاء الرجال الخائبين من التقوّل على منافسهم الذي وفّق حيث فشلوا، وحاز قصب السبق حيث خابوا، الذين عاتبوا رسول الله على رده إياهم وتزويجه ابنته من سواهم، فيقولون إنَّ فاطمة عليها السلام لم تكن راضية به، وأنَّها قالت لأبيها: زوّجتني من رجل فقير عائل!!

---

(١) أنظر: بحار الأنوار ٤٣: ١٢٤.

(٢) أنظر: كتاب فاطمة الزهراء عليها السّلام وتر في غمد للكتاني: ص ٢٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السّلام ١: ١٧٧ / ح ٣.

٧- على أنَّ لمهر الزهراء القليل حكمة كبيرة لا بد من الإشارة إليها في خاتمة المطاف، فقد أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يسنّ لأمَّته سنّة حسنة في تخفيفه مهر الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين وجعله إيّاه مهر السنة، حيث لن تشعر أي امرأة سواها بالغبن حين يكون مهرها قليلاً، وسيكون في وسع الشباب أن يقدموا على الزواج طالما كان مهره يسيراً، وسيكون ذلك مدعاة لانتشار سنة الزواج واختفاء ظاهرة العزوبية المقيتة التي تستبطن المعاصي والآثام والأمراض الروحية المختلفة لكلا الجنسين.

٨- جاء في رواية رواها ابن المغازلي بإسناده عن عَبايَة بن ربعيّ عن أبي أيّوب الأنصاري أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرض مرضةً فدخلت عليه فاطمة صلّى الله عليها تعوده، وهو ناقِهٌ من مَرَضه، فلمّا رأت ما برسول الله من الجهد والضعف خَنَقَتْها العَبرَةُ حتّى خرجت دَمعَتُها فقال لها: «**يا فاطمة إنّ الله عزّ وجلّ اطّلع إلى الأرض اطّلاعة فاختار منها أباك فبعثه نبيّاً ثمّ اطلع إليها ثانية فاختار منها بعلَك فأوحى إليّ فأنكحتهُ واتّخذتُه وصيّاً. أما علمت يا فاطمة أنّ لكرامة الله إيّاك زوّجك أعظمهم حِلماً، وأقدَمهم سِلماً، وأعلَمهم عِلماً؟ فسرّت بذلك فاطمة عليها السلام واستبشرت.ثمّ قال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا فاطمة لعليّ ثمانية أضراس ثواقب: إيمان بالله وبرسوله وحكمته، وتزويجه فاطمة، وسبطاه الحسن والحسين وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقضاؤه بكتاب الله عزّ وجلّ.**

يا فاطمة! إنّا أهل بيت أُعطينا سبع خصال لم يُعطها أحد من الأوّلين ولا الآخرين قبلنا - أو قال: ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا؛ نبينا أفضل الأنبياء وهو أبوك، ووصيّنا خير الأوصياء وهو بعلُك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عمّ أبيك، ومنّا من له جَناحان يَطيرُ بهما في الجنّة حيث يشاء وهو جعفر ابن عمّك، ومنّا سبطا هذه الأُمّة وهما

ابناك، ومنّا والذي نفسي بيده مَهدِيُّ هذه الأُمّة».[١]

ونلاحظ في هذه الرواية أنّ الزهراء عليها السلام قد بكت لمرض أبيها، وأنَّه صلى الله عليه وآله سرّى عنها حزنها لمرضه بتحديثها إيّاها عن المنزلة التي أعطاها الله تعالى لأبيها وزوجها وعمّ أبيها حمزة ولابنيها.

الزهراء وأمير المؤمنين مصداق (مرج البحرين يلتقيان)

مرت قريباً رواية الطبري في دلائل الإمامة، وجاء في نهايتها قول جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله:

(... وقد أمركَ الله تعالى أن تزوّجه بفاطمة عليها السّلام في الأرض، وأن تقول لعثمان: أما سمعتَ قولي في القرآن: ﴿بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ*، مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ، بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ﴾[٢]؟! (أ)وما سمعتَ في كتابي: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾[٣])؟!

وروى الشيخ الصدوق عن يحيى بن سعيد القطان قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله عز وجل ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾، قال: علي وفاطمة عليهما السلام بحران من العلم، عميقان، لا يبغي أحدهما على صاحبه. ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين عليهما السلام.[٤]

(١) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ص١٠٦ / ح١٣٠.

(٢) سورة الرحمن: الآيتان ١٩ و٢٠.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٥٤.

(٤) الخصال: ص ٦٥/ ح٩٦.

فاطمة لا تختار على أمير المؤمنين أحداً

مرّ في رواية ابن المغازلي أنَّ الزهراء عليها السلام سرّت واستبشرت حين أخبرها رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة أمير المؤمنين عليه السلام، ومرّ في رواية ابن شاذان أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله سأل ابنته: «**أفلا ترضين أن تكوني زوجةَ مَن اختاره اللهُ وجعله لكِ بعلاً**». فقالت عليها السّلام: «**رضيتُ وفوق الرضا يا رسول الله، صلى الله عليك**».كما جاء في رواية الروضة في فضائل أمير المؤمنين أنَّ فاطمة عليها السلام قالت: «**رضيتُ بالله رباً، وبك يا أبتاه نبياً، وبابن عمي بعلاً وولياً**».

وجاء في رواية علي بن إبراهيم القمي، أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال:«**... يا فاطمة، ما بعث الله نبياً إلا جعل له ذريته من صلبه، وجعل ذريتي من صلب علي عليه السّلام، ولولا علي عليه السّلام ما كانت لي ذرية. فقالت فاطمة عليها السّلام: يا رسول الله، ما أختار عليه أحداً من أهل الأرض! فزوّجها رسول الله صلّى الله عليه وآله**»[١].

فرية وقوع خصومة بين عليٍّ وفاطمة عليهما السلام

أورد الشيخ الصدوق رواية في علل الشرائع بإسناده عن حبيب بن أبي ثابت قال: كان بين علي وفاطمة (عليهما السلام) كلام، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وألقي له مثال فاضطجع عليه، فجاءت فاطمة عليها السلام فاضطجعت من جانب، وجاء علي عليه السلام فاضطجع من جانب، قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يد علي فوضعها على سرته، وأخذ يد فاطمة فوضعها على سرته، فلم يزل حتى أصلح بينهما، ثم خرج، فقيل له: «**يا رسول الله دخلت وأنت على حال، وخرجت ونحن نرى البشرى في**

(١) تفسير القمي ٢: ٣٣٨.

وجهك، قال: (و) ما يمنعني وقد أصلحت بين اثنين أحب من على وجه الأرض إلي».

ثم قال الصدوق - رحمه الله -: ليس هذا الخبر عندي بمعتمد، ولا هو لي بمعتقد في هذه العلة، لأنَّ علياً وفاطمة (عليهما السلام) ما كانا ليقع بينهما كلام يحتاج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإصلاح بينهما، لأنَّه عليه السلام سيد الوصيين، وهي سيدة نساء العالمين، مقتديان بنبي الله صلى الله عليه وآله في حسن الخُلق[1].

الروضة، الفضائل: عن ابن عباس يرفعه إلى سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال: كنت واقفاً بين يدي رسول الله أسكب الماء على يديه إذ دخلت فاطمة وهي تبكي، فوضع النبي صلى الله عليه وآله يده على رأسها وقال: «**ما يبكيك لا أبكى الله عينيك يا حورية، قالت: مررت على ملأ من نساء قريش وهن مخضبات، فلما نظرن إلي وقعوا فيّ وفي ابن عمي**» فقال لها: وما سمعت منهن؟ قالت: قلن: كان قد عز على محمد أن يزوج ابنته من رجل فقير قريش وأقلهم مالاً، فقال لها: والله يا بنية ما زوّجتك ولكن الله زوّجك من علي فكان بدوه منه. وذلك أنَّه خطبك فلان وفلان فعند ذلك جعلت أمرك إلى الله تعالى وأمسكت عن الناس، فبينا صليت يوم الجمعة صلاة الفجر إذ سمعت حفيف الملائكة، وإذا بحبيبي جبرئيل ومعه سبعون صفاً من الملائكة متوجين، مقرطين، مدملجين فقلت: ما هذه القعقعة من السماء يا أخي جبرئيل؟ فقال: «**يا محمد إنَّ الله عز وجل اطلع إلى الأرض اطلاعة، فاختار منها من الرجال علياً عليه السلام ومن النساء فاطمة عليها السلام، فزوّج فاطمة من علي، فرفعت رأسها وتبسمت بعد بكائها، وقالت: رضيت بما رضي الله ورسوله. فقال صلى الله عليه وآله: ألا أزيدك يا فاطمة في علي رغبة؟ قالت: بلى، قال: لا يرد على الله عز وجل ركبان أكرم منا أربعة: أخي صالح على ناقته،**

(١) علل الشرايع ١: ١٥٦، الباب ١٧٥؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٤٦ - ١٤٧.

وعمي حمزة على ناقتي العضباء، وأنا على البراق، وبعلك علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة. فقالت: صف لي الناقة من أي شيء خلقت؟ قال: ناقة خلقت من نور الله عز وجل، مدبجة الجنبين، صفراء، حمراء الرأس، سوداء الحدق، قوائمها من الذهب، خطامها من اللؤلؤ الرطب، عيناها من الياقوت، وبطنها من الزبرجد الأخضر. عليها قبة من لؤلؤة بيضاء، يرى باطنها من ظاهرها، وظاهرها من باطنها، خلقت من عفو الله عز وجل. تلك الناقة من نوق الله، لها سبعون ألف ركناً، بين الركن والركن سبعون ألف ملك يسبحون الله عز وجل بأنواع التسبيح لا يمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا: من هذا العبد؟ ما أكرمه على الله عز وجل أتراه نبياً مرسلاً، أو ملكاً مقرباً، أو حامل عرش، أو حامل كرسي؟ فينادي مناد من بطنان العرش: أيها الناس، ليس هذا بنبي مرسل، ولا ملك مقرب، هذا علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه! فيبدرون رجالاً رجالاً، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، حدثونا فلم نصدق، ونصحونا فلم نقبل، والذين يحبونه تعلقوا بالعروة الوثقى، كذلك ينجون في الآخرة. يا فاطمة ألا أزيدك في علي رغبة، قالت: زدني يا أبتاه. قال النبي صلى الله عليه وآله: إنَّ علياً أكرم على الله من هارون، لأنَّ هارون أغضب موسى، وعلي لم يُغضبني قط. والذي بعث أباك بالحق نبياً ما غضبتُ عليه يوماً قط، وما نظرتُ في وجه علي إلا ذهب الغضب عني. يا فاطمة ألا أزيدك في علي رغبة؟ قالت: زدني يا نبي الله. قال: هبط علي جبرئيل وقال: يا محمد اقرأ علياً من السلامِ السلامَ. فقامت وقالت فاطمة عليها السلام: رضيتُ بالله رباً، وبك يا أبتاه نبياً، وبابن عمي بعلاً وولياً»[1].

أقول: مرّت مناقشة هذه الرواية ومثيلاتها.

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين: ص٧٣؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٤٩ - ١٥٠.

مصباح الأنوار: عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: «**شكت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً، فقالت: يا رسول الله لا يدع شيئاً من رزقه إلا وزّعه على المساكين، فقال لها: يا فاطمة أتسخطيني في أخي وابن عمي؟! إنّ سخطه سخطي، وإنّ سخطي سخط الله عز وجل**»(١).

أقول: حاشا للزهراء عليها السلام أن تسخط شيئاً يرضي اللهَ تعالى ورسولَه، وهي عليها السلام أعلى قدراً وأسمى نفساً من أن تشتكي لأبيها أن زوجها لا يدع من رزقه شيئاً إلا وزّعه على المساكين، فهي التي آثرت على نفسها سائلة فقيرة فأعطتها قميص زفافها، وآثرت على نفسها وزوجها وابنيها - وهم جياع لثلاثة أيام - فقطعت عقدها من عنقها وأعطته أعرابياً فقيراً جائعاً؛ وهي التي نزلت في حقّها سورة (هل أتى) في إيثارها المسكين واليتيم والأسير الذين أعطتهم طعام إفطارها وإفطار بعلها وابنيها لثلاثة أيام لم يذوقوا خلالها إلا الماء القراح وهم خلال ذلك صائمون لربهم! الزهراء المؤثرة التي تؤثر أباها على كسرة خبز خلال حفر الخندق وتبقى دونه جائعة! ليس من شأن الصديقة الطاهرة الاعتراض على إيثار زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، بل هي سعيدة بمشاركته جشوبة العيش، وهي التي لما رآها أبوها صلّى الله عليه وآله وعليها كساء من أجلة الإبل، وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، دمعت عيناه صلّى الله عليه وآله فقال: «**يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة!**» فقالت: «**يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه**». وقد عقدنا فصلاً كاملاً في الحديث عن إيثار الزهراء عليها السلام.

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٥٣.

مهر الزهراء عليها السلام

حثّ الإسلام على تقليل المهر في سعيٍ واضح لإزالة العائق الأصلي الذي يحول دون زواج الشباب، وكان مهر أفضل نساء العالمين الزهراء عليها السلام درساً للأجيال ينبغي الوقوف عنده طويلاً. وإنّ المرء يحار حين يقرأ في الرواية التي رواها الكليني في الكافي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**أفضل نساء أُمتي أصبحهن وجهاً وأقلهنّ مهراً**»(١)، ثم يجد أنَّ بعض العوائل المسلمة تشترط لزواج فتياتها أعلى المهور!!

عن أبي بكير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «**زوّج رسول الله صلّى الله عليه وآله علياً عليه السّلام فاطمة عليها السّلام على درع له حطمية تساوي ثلاثين درهماً**»(٢).

روى الطبرسي عن أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السّلام أنَّه قال في خطبة زواجه بأمِّ الفضل: «**الحمد للهِّ إقراراً بنعمته، ولا إله إلاّ الله إخلاصاً لوحدانيته، وصلّى الله على سيد بريته والأصفياء من عترته**».

«**أما بعد، فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام؛ فقال سبحانه:** ﴿وَأَنْكِحُوا الأيامى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ الله مِنْ فَضْلِهِ وَالله واسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٣).

ثم إنَّ محمد بن علي بن موسى يخطب أمَّ الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من صداق مهر جدته فاطمة بنت محمد صلّى الله عليه وآله، وهو خمسمائة درهم جياد، فهل

(١) الكافي ٥: ٣٢٤/ ح ٤.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ١٠٥ / ح ٢٠، عن قرب الإسناد.

(٣) سورة النور: الآية ٣٢.

زوّجتَه يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟ قال المأمون: نعم، قد زوّجتك يا أبا جعفر أمَّ الفضل ابنتي على الصداق المذكور، فهل قبلتَ النكاح؟» قال أبو جعفر عليه السّلام: نعم، قد قبلتُ ذلك ورضيتُ به(١).

عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: «**زوّج رسول الله صلّى الله عليه وآله علياً على درع حطمية، وكان فراشها إهاب كبش، يجعلان الصوف إذا اضطجعا تحت جنوبهما**»(٢).

عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: «**كان صداق فاطمة عليها السّلام: جرد برد حبرة، ودرع حطمية، وكان فراشها إهاب كبش، يُلقيانه ويفرشانه وينامان عليه**»(٣).

عن علي عليه السّلام أنَّه قال: «**ما نكح رسول الله صلّى الله عليه وآله من نسائه إِلَّا على اثنتي عشرة أوقية ونصف الأوقية من فضة، وعلى ذلك أنكحني فاطمة عليها السّلام، فالأوقية: أربعون درهماً**».

قال جعفر بن محمد عليه السّلام: «**وكانت الدرهم يومئذ وزن ستّة**»(٤).

روى البيهقي بسنده عن علي عليه السّلام حديثاً جاء فيه أَنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «**هل عندك من شيء تستحلّها به؟ قال: قلت: لا والله يا رسول الله. قال: فما فعلتَ بالدرع التي كنت تستحلها؟ قال علي عليه السّلام: والله إنَّها لدرع حطمية، ما ثمنها إِلَّا أربعمائة درهم. قال: اذهب فقد زوّجتكها، وابعث بها إليها فاستحلّها به**»(٥).

---

(١) الاحتجاج ٢: ٢٤٢.

(٢) فروع الكافي ٥: ٣٧٧ / ح ٣.

(٣) فروع الكافي ٥: ٣٧٨ / ح ٥.

(٤) مستدرك الوسائل ١٥: ٦٢ / ح ١، عن دعائم الإسلام.

(٥) ملحقات إحقاق الحق ١٠: ٣٥٣ عن السنن الكبرى للبيهقي.

عن زين العابدين عليه السّلام قال: خطب النبي صلّى الله عليه وآله حين زوّج فاطمة عليها السّلام من علي عليه السّلام فقال: «**الحمد للّه المحمود لنعمته، المعبود بقدرته، المطاع لسلطانه، المرهوب من عذابه، المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره في سمائه وأرضه. ثم إنَّ الله عز وجل أمرني أن أُزوّج فاطمة من علي، فقد زوّجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي**».

ثم دعا بطبق بسر فقال: انتهبوا! فبينا ننتهب إذ دخل علي عليه السّلام. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**يا علي، أعلمت أنَّ الله أمرني أن أُزوّجك فاطمة، فقد زوّجتكها على أربعمائة مثقال فضة إن رضيت؟ فقال علي عليه السلام: رضيتُ بذلك عن الله ورسوله. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: جمع الله شملكما، وأسعد جدكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً**»[1].

عن مولانا الصادق عليه السّلام قال: «**لما أظهر رسول الله صلّى الله عليه وآله فضل أمير المؤمنين كان المنافقون يتخافتون بذلك ويسترونه خوفاً من رسول الله، إلى أن خطب أكابر قريش فاطمة، وبذلوا في تزويجها الرغائب، فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله لا يزوّج أحداً منهم، حتى خطبها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا علي، ما خطبتها ابنتي فاطمة لتزويجها إلّا والله زوّجك إياها في السماء، لأنَّ الله وعد ذلك فيك وفي ابنتي فاطمة**»- الحديث؛ وجاء فيه:

قال حذيفة بن اليمان: ما نحلتها في الأرض يا رسول الله؟ قال: «**يا أبا عبد الله، نحلتها ما تكون سنّة من نساء أُمَّتي من آمن منهن واتّقى**». قال: وكم هو يا رسول الله؟ قال: «**خمسمائة درهم**». قال حذيفة: يا رسول الله لا يزداد عليها في نساء الأُمَّة، فإنَّ بيوتات العرب تعظم

(١) بحار الأنوار ١٠٠: ٢٦٥ / ح ٦، عن مكارم الأخلاق.

النحلة وتتنافس فيها؟! قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الخمسمائة درهم تأديبٌ من الله ورحمة، وللأُمَّة في ابنتي وأخي أُسوة**». قال حذيفة بن اليمان: يا رسول الله، فمن لم يبلغ الخمسمائة درهم؟ قال «**صلّى الله عليه وآله له: تكون النحلة ما تراضيا عليه**». قال حذيفة: يا رسول الله. فإن أحبّ أحد من الأُمَّة الزيادة على الخمسمائة درهم؟ فقال له صلّى الله عليه وآله: «**يجعل ما يعطيها من عرض الدنيا براً ولا يزيد على الخمسمائة درهم**». فقال حذيفة: صدقت يا رسول الله فيما بلغتنا إياه عن الله عز وجل في قوله عز من قائل: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾[١].

قال النبي صلّى الله عليه وآله: «**ما وجب لهن ذلك إلّا عند الإفضاء إليهن. ألا ترى يا أبا عبد الله حذيفة وتسمع قوله عز وجل**»: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢] «**فأعلم عزّ ذِكره أنَّه إذا لم يُفضَ إليهن ولم يُمسسن أن لا تأخذوا شيئاً**»- الحديث بطوله، وقد نقلنا منه قدر الحاجة[٣].

عن علي عليه السّلام قال: «**لما خطبتُ فاطمة عليها السّلام، قال النبي صلّى الله عليه وآله: هل لك من مهر؟ قلت: معي راحلتي ودرعي. قال: فبعها بأربعمائة. قال: أكثروا الطيب لفاطمة، فإنَّها امرأة من النساء**».[٤]

(١) سورة النساء: الآيتان ٢٠ و٢١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

(٣) الهداية الكبرى للخصيبي: ص ١١٢.

(٤) كنز العمال ١٣:٦٨٢ / ح ٣٧٧٤٨.

مهر فاطمة عليها السلام الجنّة والنار

أمهر الله تعالى الصدّيقة الكبرى الجنّة والنار، فهي تُدخل أولياءها الجنّة، وتُدخل أعداءها النار؛ وجعل تعالى أمير المؤمنين عليه السلام قسيم الجنّة والنار، يُدخل أولياءه الجنة، ويُدخل أعداءه النار. فما أكرمهما على الله من زوجين!! ولقد نحل الله تعالى أَمَته فاطمة شجرة طوبى، فجعلها في بيت علي، فما أشرفه من بيتٍ أذن اللهُ له أن يُرفع ويُذكر فيه اسمُه!

عن أمالي الطوسي بسنده عن إسحاق بن عمار وأبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنَّ الله تبارك وتعالى أمهر فاطمة عليها السلام رُبع الدنيا، فربعها لها، وأمهرها الجنّة والنار: تُدخل أعداءها النار، وتدخل أولياءها الجنة، وهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرونُ الأُولى**»(١).

أمالي الصدوق بسنده عن الحسين بن أبي العلا، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**دخلت أمُّ أيمن على النبي صلى الله عليه وآله وفي ملحفتها شيء، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما معك يا أمَّ أيمن؟ فقالت: إنَّ فلانة أملكوها فنثروا عليها فأخذت من نثارها، ثم بكت أمُّ أيمن وقالت: يا رسول الله فاطمة زوّجتها ولم تنثر عليها شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أمَّ أيمن لم تكذبين، فإنَّ الله تبارك وتعالى لما زوّجتُ فاطمة علياً (عليهما السلام) أمر أشجار الجنة أن تنثر عليهم من حليها وحللها وياقوتها ودرها وزمردها واستبرقها، فأخذوا منها ما لا يعلمون، ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة عليها السلام، فجعلها في منزل علي عليه السلام**».(٢)

(١) أمالي الطوسي: ص٦٦٨ / ح ١٣٩٩ ٦؛ بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣ : ١٠٥ عن أمالي الطوسي.

(٢) بحار الأنوار ٤٣ : ٩٨ – ٩٩ عن أمالي الصدوق.

الدنيا حرام على مبغض أمير المؤمنين عليه السلام

جاء في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو قسيم الجنّة والنار، لكنّ الرواية المقبلة تتحدّث عن أنَّ مبغض أمير المؤمنين عليه السلام يمشي على الأرض حراماً، لأنَّ رُبع الدنيا - أو خُمسها - هو مهر فاطمة عليها السلام، والزهراء عليها السلام لا تُجيز لمبغض أمير المؤمنين أن يمشي في مُلكها، بل لا تُجيز له أن يعيش في ملكها!

عن عتبة بن الأزهري، عن يحيى بن عقيل قال: سمعت علياً يقول: «**قال (لي) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ الله أمرني أن أُزوّجك فاطمة على خُمس الدنيا - أو على ربعها؛ شك عتبة - فمن مشى على الأرض وهو يبغضك، فالدنيا عليه حرام، ومشى عليها حراماً**»[1].

سر تخفيف مهر الزهراء عليها السلام

قال الميلاني في كتابه قدّيسة الإسلام:

(ولا بدّ هنا أن أنوّه إلى سرّ تخفيف مهر فاطمة عليها السّلام، فليس ذلك لقلّة ذات يد علي عليه السّلام؛ إذ كان يمتلك بعيراً ناضحاً وفرساً وسيفاً وغيرها، وكان بإمكان النبي صلّى الله عليه وآله أن يأمره ببيعها كلّها ويطلب منه مهراً غالياً. فالسرّ في ذلك أنَّه صلّى الله عليه وآله يريد أن يشرّع مهر السنّة أوّلاً، ثم إنَّه يريد أن يعلّم المسلمين كيف يحاربون العادات الجاهلية.

(١) ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي ٢: ٣١٤/ الرقم ٩٠٤.

وثانياً: يقصد صلّى الله عليه وآله من ذلك إعلان المبدأ الإسلامي بالنسبة إلى الزواج القائم على أساس تخفيف المهور ورفع الأثقال عن كاهل الشباب، لكي يقدموا على الزواج ويحرزوا ثلثي دينهم بالزواج؛ فالمهر الثقيل هو مانع طبيعي في طريق كثير منهم،

وليس من المنطقي تحميل الزواج مهراً غالياً جدّاً فيئنّ من ثقله في بدء حياته الزوجية فلا يهنأ بالزواج كما ينبغي، وأما إذا كان المهر خفيفاً فلا مانع أمام الشباب الذي يريد أن يعيش الحياة الزوجية، فيقدم برغبة كاملة على الزواج، فيصون نفسه ودينه ويحصن عرضه من التلوّث بالانحرافات الجنسية والخلقية.

فصلّى الله على رسول الله كما خفّف المهر، وسلام الله على فاطمة كما رضيت بذلك ولم تطلب أكثر، والذل والعار لمن يعترض على ذلك. فعلى الأمَّة الإسلامية مراعاة مهر السنّة- وهو مهر فاطمة عليها السّلام- إن أرادوا أن يعالجوا كثيراً من المشاكل الاجتماعية والأخلاقية والجنسية، وليسهّلوا نفقات الزواج على الشباب حتى لا يبقى شاب محروماً من الزواج، ولم تبق شابّة تنتظر من يخطبها فلا تجد، فاتقوا الله يا مسلمين! ولا تركضوا وراء العادات المستوردة من الأجانب، فتخسروا عزّ الدنيا والآخرة)؛انتهى كلامه[1].

صداق الزهراء عليها السلام

للزهراء عليها السلام صداق ومهرٌ أرضيّ ساقه إليها أمير المؤمنين عليها السلام، ولها كذلك صداق ومهر سماويّ، لأَنَّ الله تعالى هو الذي زوّجها من فوق سبع سماوات كما ذكرنا.

روى الشيخ الطوسي عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «**لما زوّج رسول الله صلّى الله**

(١) قدّيسة الإسلام: ص ٦٨.

عليه وآله علياً فاطمة عليهما السّلام دخل عليها وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ فو الله لو كان في أهل بيتي خير منه زوّجتك، وما أنا زوّجتك، ولكن الله زوّجك وأصدق عنك الخمس ما دامت السموات والأرض»- الحديث.[(١)]

أقول: لا يخفى أن بكاء الزهراء عليها السلام كان خجلاً وحياءً، كما كان حزناً على فراق أبيها صلى الله عليه وآله.

روى الفتال النيسابوري أنَّه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: قد علمنا مهر فاطمة في الأرض، فما مهرها في السماء؟

فقال: «**سل ما يعنيك، ودَعْ ما لا يعنيك**»؛ قيل: هذا مما يعنينا يا رسول الله.

قال: «**كان مهرها في السماء خُمس الأرض، فمن مشى عليها مُبغضاً لها أو لولدها، مشى عليها حراماً إلى أن تقوم الساعة**».[(٢)]

وعن كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي بإسناده عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا علي إنَّ الله عز وجل زوّجك فاطمة وجعل صداقها الأرض، فمن مشى عليها مبغضاً لك، مشى حراماً**»[(٣)].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (لعلي): «**إنَّ الله زوّجك فاطمة وجعل صداقها الأرض، فمن مشى عليها مبغضاً لك، مشى حراماً**»[(٤)].

أخرج القندوزي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) أمالي الطوسي: ص ٤٠ / ح ٤٥ ١٤ المجلس الثاني.

(٢) روضة الواعظين: ص١٤٧.

(٣) الفردوس ٥: ٣١٩ ح/ ٨٣١٠؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٣٧: ٧٠؛ و٤٠: ٧٨.

(٤) المناقب - الموفق الخوارزمي: ص ٣٢٨.

وسلم لعلي: «**يا علي إنَّ الله (عز وجل) زوّجك فاطمة وجعل صداقها الأرض، فمَن مشى عليها مبغضاً لك، مشى حراماً**»(١).

قال ابن شهر آشوب: في حديث خباب بن الأرت: ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: «**زوّجت ابنتي فاطمة منك بأمر الله تعالى على صداق خُمس الأرض وأربعمائة وثمانين درهماً، للآجل خمس الأرض، والعاجل أربعمائة وثمانين درهماً**».

إسحاق بن عمار، وأبو بصير قال الصادق (عليه السلام): «**إنَّ الله تعالى مهر فاطمة رُبع الدنيا، فربعها لها، ومهرها الجنة والنار، فتدخل أولياءها الجنة وأعداءها النار**».

قال العبدي:

وزوّج في السماء بأمر ربي ... بفاطمة المهذبة الطهور
وصيّر مهرها خمساً بأرض ... لما تحويه من كرم وحور
فذا خير الرجال وتلك خير ... النساء ومهرها خير المهور

وله أيضاً:

وزوّجه بفاطم ذي المعالي ... على الإرغام من أهل النفاق
وخُمس الأرض كان لها صداقاً ... ألا لله ذلك من صداق

وله أيضاً:

صدّيقةٌ خلقت لصدّيقٍ ... شريف في المناسبْ
اختاره واختارها ... طُهرَين من دنس المعايب
أسماهما قُرناً على سطرٍ ... بظلّ العرش راتب

(١) ينابيع المودة لذوي القربى – القندوزي ٢: ٢٤١/ الرقم ٦٧٧.

كـــان الإلـــــه ولـيّـهـــا   وأمـيـنـه جـبـريـلُ خـاطِـب
والمـهـر خُمـس الأرض مـو   هـبـة تـعـالـت في المـواهـب
ونهـابهـا مـن حمـل طـوبـى   طُـيّـبـت تـلـك المـنـاهـب[1]

مهر الزهراء شفاعة المذنبين من أمَّة أبيها

ورد في الخبر أنَّ الزهراء لما سمعت بأنَّ أباها زوّجها وجعل الدراهم مهراً لها، فقالت يا رسول الله: «**إنَّ بنات الناس يتزوجن بالدراهم، فما الفرق بيني وبينهن؟! أسألك (أن) تردّها وتدعو الله تعالى أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة أمّتك**».

فنزل جبريل عليه السلام ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: «**جعل اللهُ مهرَ فاطمة الزهراء شفاعةَ المذنبين من أُمَّة أبيها**».

فلمّا احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن فوضعت، وقالت: «**إذا حُشرتُ يوم القيامة رفعتُ تلك البطاقة بيدي وشفعتُ في عُصاة أُمَّة أبي**».[2]

حلوى تزويج بنت خاتم الأنبياء

قال السيد الأمين:

(تفديك يا سيدة النساء كلُّ امرأة أظلّتها السماء! ما ضرّك - وأنت ابنة سيد الأنبياء ومخطوبة سيد الأوصياء وخير امرأة ولدتها حواء - أن تكون حلوى تزويجك طبق تمر تواضعاً مع الفقراء وتباعداً عن الكبرياء وسرف الأغنياء!! وهل كان ما يُنهب في تزويج

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٢٩.

(٢) أخبار الدول للقرماني: ص ٨٨، نقلًا عن شرح إحقاق الحق ١٠: ٣٧٦.

بنات الملوك والأمراء من أنواع الحلوى الفاخرة النفيسة جاعلاً قدرهنّ مُدانياً لقدرك، ومُلحقاً شأوهنّ بشأوك؟ كلا فقد انخفض شأن بوران وازميدخت ابنة ساسان، وزبيدة ابنة جعفر الذي كان مبنياً على السطوة والسلطان، ولم ينفعهن ما أُنهب في تزويجهنّ من فاخر الحلوى ونفيسها، وبقي شأنُك - يا درّة الكون - عالياً سامياً متلألئاً في جبين الدهر ما بقي الدهر)[١].

جهاز الزهراء فاطمة عليها السلام

أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يجهّزوا فاطمة عليها السلام، فجهّزوها بسرير مشروط، ووسادة من أدم حشوها ليف، وخميلة، وسقاء، وقربة، وجرّتين، وتور من أدم، ومنخل، ومنشفة، وقدح، ومسك كبش، ورحائين، ومُلء البيت رملاً، وأُتي لهم بتين وزبيب[٢].

وفي رواية ابن الجوزي في التذكرة: أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله جهّزها ومعها: قربة من أدم، ووسادة من أدم حشوها ليف، وجلد كبش ينامان عليه بالليل، يعلفان الناضح عليه في النهار، ورحى، وجرّة[٣].

وجاء عن عائشة وأمّ سلمة، قالتا: أمرنا رسول الله صلّى الله عليه وآله أن نجهّز فاطمة عليها السّلام حتى ندخلها على علي عليه السّلام، فعمدنا إلى البيت ففرشناه تراباً ليّناً من أعراض البطحاء، ثم حشونا مرفقتين ليفاً فنفشناه بأيدينا، ثم أطعمنا تمراً وزبيباً، وسقينا ماء عذباً، وعمدنا إلى عود فعرضناه في جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلّق عليه

(١) أعيان الشيعة للعاملي ١: ٣٧٧.

(٢) إحقاق الحق: ١٠: ٣٧٧، عن رشفة الصادي.

(٣) التذكرة لابن الجوزي: ص ٣٠٨.

السقاء، فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة عليها السّلام[١].

قال السيد الأمين:

(هكذا كان جهاز سيدة النساء وجهاز بيت سيد الأوصياء، وهو مما يدلنا على هوان الدنيا على الله، وما ضرّ علياً وفاطمة ولا أنقص من عزّهما أن يكون جهاز فاطمة في عرسها قميصاً بسبعة دراهم وخماراً بأربعة، وقطيفة سوداء لكنها خيبرية، وعباءة بيضاء لكنها قطوانية، وحصيراً لكنه هجري، ولا بد أن يكون ما صنع بخيبر أجود ممّا يصنع بالمدينة، وما صنع بقطوان وهجر أجود ممّا يصنع بالحجاز، فلذلك اختيرت هذه لجهاز العرس، وسريراً من جريد النخل لا من ساج ولا آبنوس ولا شيء من المعادن، مشبك بخوص النخل المفتول ولم يزين بعاج ولا ذهب ولا فضة، وفراشان من مشاقة الكتان حشو أحدهما ليف، ومتكات من الجلود محشوة بنبات الأرض، ونطع من جلد لا من طنافس ايران، وستر من صوف، ورحى لتطحن بها سيدة النساء لقوتها وقوت علي وقد يساعدها علي على الطحن، وإناء نحاس لتغسل فيه الثياب وربما عجنت فيه، وقربة صغيرة وأخرى كبيرة لتستقي بها، وقربة صغيرة عتيقة لتبريد الماء، ووعاء مصنوع من ورق النخل مزفت تغسل به يديها ويدي ابن عمها، وقدح من خشب لا من الصيني، وجرة لكنها خضراء والخضراء أجود من سواها ولذلك اختيرت لجهاز العرس، وكيزان من الفخار، ولم يكن في جهازها أساور ولا أقراط من ذهب ولا فضة، ولا عقود من جواهر أو لؤلؤ، بل تزينت بحلي مستعار، وأن يكون تجهيز علي بيته المعد لعرسه بفرش رمل في داره، لكنه لين لا خشن طبعاً لأنَّه معد للعرس فلا يناسب أن يكون خشناً، ونصب خشبة من حائط إلى حائط لتعليق الثياب، فهي ثياب العرس لا يوافق أن تُوضع

(١) ملحقات إحقاق الحق ٢٥: ٤٤٧، عن آل بيت الرسول صلىّ الله عليه وآله.

على الأرض، وبسط جلد كبش ومخدة ليف وقربة ومنخل لتنخل به الزهراء الدقيق الذي تطحنه ومنشفة وقدح، ويمكن أنَّ هذه كلها كانت عنده وهي أثاث بيته ولم يشتر منها شيئاً، ولذلك لم يكتف بالقربة التي كانت في جهاز الزهراء وهو عليه السلام قد باع درعه لأداء المهر، فلم يكن عنده شيء من المال لشراء شيء. ما ضرّ علياً وفاطمة ولا أنقص من عزّهما أن يكون جهاز عرسهما ما ذكرناه وهو سيد الأوصياء وهي سيدة النساء ابنة سيد الأنبياء)[1].

وقالت الأميرة قدرية أفندي: (... جملة ما بعثه الرسول صلّى الله عليه وآله مع ابنته سيدة النساء عليها السّلام:

١. ثوبان من الصوف.

٢. خميلة.

٣. سواران من الفضة.

٤. طافية.

٥. قدر.

٦. رحى.

٧. وعاءان صغيران للماء.

٨. وعاء صغير للماء.

٩. كوز.

(١) أعيان الشيعة للعاملي ١: ٣٧٧.

١٠. حشيتان: إحداهما من ليف النخل والأخرى من قطع الجلد.

١١. أربع وسادات: اثنتان منها محشوّتان صوفاً والأُخريان ليفاً.

ثم قالت الأميرة أفندي: هاهو جهاز سيدة النساء، كريمة فخر الأنبياء، في السنة الثانية من الهجرة، فما أبلغه درساً في الاقتصاد للأُمَّة الإسلامية)[1].

مراسم عقد الزهراء في السماء

كان للسماء احتفالها الأروع والأجمل باقتران نورَين عظيمَين جليلَين: نور أمير المؤمنين علي عليه السلام ونور سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام. كان الآمر بإجراء الاحتفال ملِكُ السماوات والأرضين، والذي ألقى خطبة القران المبارك خطيب الملائكة راحيل. تزيّنت الجِنان بأمر ربّها بمفارشها ونضودها وأنهارها وأشجارها، أمّا العطر والطيب فقد تكفّلت به ريح الجنة التي يقال لها المثيرة. ولقد احتفلت الحور العين فقرأن سورة طه ويس، ثمّ جاءت سحابة بيضاء مؤتمرة بأمر ربّها فمطرت على أهل الجنة من لؤلؤها وزبرجدها وياقوتها. فما أشدّ بركة هذا الاحتفال الذي وهب لكلّ محبّ لأهل البيت عليهم السلام صكاً نثرته شجرةُ طوبى فيه فكاكه من النار!

أخرج الخوارزمي عن أبي العلا الحافظ الهمداني يرفعه إلى الحسين بن علي (عليهما السلام) قال: «**بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أمِّ سلمة إذ هبط عليه مَلَك له عشرون رأساً، في كل رأس ألف لسان، يسبّح الله ويقدّسه بلغة لا تشبه الأُخرى، وراحته أوسع من سبع سماوات وسبع أرضين، فحسب النبي صلى الله عليه وآله أنّه جبرئيل فقال:**

(١) شهيرات النساء في العالم الإسلامي ١٦:٢؛ نقلًا عن (الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ٤: ٢٨٩).

يا جبرئيل لم تأتني في مثل هذه الصورة قط قال: ما أنا جبرئيل، أنا صرصائيل، بعثني الله إليك لتزوّج النور من النور، فقال النبي صلى الله عليه وآله: مَن مِمّن؟ قال: ابنتك فاطمة من علي بن أبي طالب، فزوّج النبي صلى الله عليه وآله فاطمة من علي بشهادة جبرئيل وميكائيل وصرصائيل. قال: فنظر النبي صلى الله عليه وآله فإذا بين كتفي صرصائيل: (لا إله إلَّا الله، محمد رسول الله، علي بن أبي طالب مُقيم الحجّة)، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا صرصائيل منذ كم هذا كُتب بين كتفيك؟ قال: من قبل أن يخلق الله الدنيا باثني عشر ألف سنة»[1].

وأخرج الخوارزمي عن بلال بن حمامة قال: طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ووجهه مشرق كدارة القمر، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟ قال: «**بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي، وأنَّ الله زوّج علياً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهزّ شجرة طوبى فحملت رقاعاً - يعني صكاكاً - بعدد محبي أهل بيتي، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور ودفع إلى كل ملك صكاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق، فلا يبقى محب لأهل البيت إلَّا دفعت إليه صكاً فيه فكاكه من النار، بأخي وابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أمّتي من النار**»[2].

روى الطبري بإسناده عن وهب بن وهب، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام أنَّه قال: «**هممت بتزويج فاطمة حيناً ولم أجسر على أن أذكره لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكان ذلك يختلج في صدري ليلاً ونهاراً، حتى**

(١) المناقب للخوارزمي: ص٣٤٠ / ح٣٦٠؛ بحار الأنوار العلامة المجلسي ٣٤: ١٢٣.

(٢) المناقب للخوارزمي: ص٣٤١ / ح٣٦١؛ بحار الأنوار ٣٤: ١٢٤.

دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي، فقلت: لبيك يا رسول الله فقال: هل لك في التزويج؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، فظننت أنَّه يريد أن يزوّجني ببعض نساء قريش وقلبي خائف من فوت فاطمة، ففارقته على هذا، فوالله ما شعرت حتى أتاني رسول رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أجب يا علي وأسرع! قال: فأسرعت المضي إليه فلما دخلت نظرت إليه، فلمّا رأيته ما رأيته أشد فرحاً من ذلك اليوم وهو في حجرة أمِّ سلمة، فلما أبصر بي تهلل وتبسّم حتى نظرت إلى بياض أسنانه لها بريق قال: هلمّ يا علي فإنَّ الله قد كفاني ما أهمّني فيك من أمر تزويجك، فقلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: أتاني جبرئيل ومعه من قرنفل الجنة وسنبلها قطعتان فناولنيها، فأخذته فشممته فسطع منها رائحة المسك، ثم أخذها مني، فقلت: يا جبرئيل ما سبيلها؟ فقال: إنَّ الله أمر سكّان الجنة أن يزيّنوا الجنان كلها بمفارشها ونضودها وأنهارها وأشجارها، وأمر ريح الجنة التي يقال لها المثيرة فهبّت في الجنة بأنواع العطر والطيب، وأمر حور عينها يقرؤا فيها سورة طه ويس فرفعوا أصواتهن بها، ثم نادى مناد: ألا إنَّ اليوم يوم وليمة فاطمة بنت محمد وعلي بن أبي طالب رضىً مني بهما، ثم بعث الله تعالى سحابة بيضاء فمطرت على أهل الجنة من لؤلؤها وزبرجدها وياقوتها، وأمر خدّام الجنة أن يلقطوها، وأمر ملكاً من الملائكة يقال له: راحيل، فخطب راحيل بخطبة لم يسمع أهل السماء بمثلها، ثم نادى منادٍ: ملائكتي وسكان جنّتي باركوا على نكاح فاطمة بنت محمد وعلي بن أبي طالب فإنِّي زوّجت أحب النساء إليّ من أحب الرجال إليّ بعد محمد. ثم قال: يا علي أبشِر أبشر فإنِّي قد زوّجتك بابنتي فاطمة على ما زوّجك الرحمن من فوق عرشه، فقد رضيتُ لها ولك ما رضي الله لكما، فدونك أهلك وكفى - يا علي - برضاي رضاً فيك، فقال: يا رسول الله أوَ بلغ من شأني أن أُذكر في أهل الجنة وزوّجني الله في ملائكته؟ فقال: يا علي إنَّ الله إذا أحب

عبداً أكرمه بما لا عينٌ رأتْ ولا أذن سمعتْ ولا خطر على قلب بشر، فقال علي: يا ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ، فقال النبي صلى الله عليه وآله:آمين آمين.

وقال علي: لما أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله خاطباً ابنته فاطمة قال: وما عندك تُنقدني؟ قلت له: ليس عندي إلا بعيري وفرسي ودرعي؛ قال: أما فرسك فلا بدّ لك منه تقاتل عليه، وأما بعيرك فحامل أهلك، وأما درعك فقد زوّجك الله بها. قال علي فخرجت من عنده والدرع على عاتقي الأيسر، فدعيت إلى سوق الليل فبعتها بأربعمائة درهم سود هجرية، ثم أتيت بها إلى النبي صلى الله عليه وآله فصببتها بين يديه، فوالله ماسألني عن عددها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله سويّ الكف، فدعا بلالاً وملأ قبضته فقال: يا بلال ابتع بها طيباً لابنتي فاطمة! ثم دعا أمَّ سلمة فقال: يا أمَّ سلمة ابتاعي لابنتي فراشاً من حليس مصر واحشيه ليفاً، واتخذي لها مدرعة وعباية قطوانية، ولا تتخذي لها أكثر من ذلك فيكونا من المسرفين. وصبرت أياماً ما أذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً من أمر ابنته، حتى دخلت على أمِّ سلمة فقالت لي: يا علي لم لا تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله يدخلك على أهلك؟ قال: قلت: أستحي منه أن أذكر له شيئاً من هذا، فقالت أمُّ سلمة: أدخل عليه فإنَّه سيعلم ما في نفسك. قال علي: فدخلت عليه ثم خرجت ثم دخلت ثم خرجت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحسبك أنَّك تشتهي الدخول على أهلك؟ قال، قلت: نعم فداك أبي وأُمِّي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وآله: غداً إن شاء الله تعالى»[1].

وأخرج ابن شهر آشوب قال: وقد جاء في بعض الكتب أنَّه خطب راحيل في البيت المعمور في جمع من أهل السماوات السبع، فقال: الحمد لله الأول قبل أوّلية الأولين،

(١) دلائل الإمامة: ص٨٦؛ بحار الأنوار العلامة المجلسي ١٠١: ٨٧.

الباقي بعد فناء العالمين، نحمده إذ جعلنا ملائكة روحانيين، وبربوبيته مُذعنين، وله على ما أنعم علينا شاكرين: حجبنا من الذنوب، وسترنا من العيوب، أسكننا في السماوات، وقرّبنا إلى السرادقات، وحجب عنا النهم للشهوات، وجعل نهمتنا وشهوتنا في تقديسه وتسبيحه. الباسط رحمته، الواهب نعمته، جلّ عن إلحاد أهل الأرض من المشركين، وتعالى بعظمته عن إفك الملحدين – ثم قال بعد كلام – اختار الملك الجبار صفوة كرمه، وعبد عظمته لأَمَته سيدة النساء، بنت خير النبيين، وسيد المرسلين وإمام المتقين، فوصل حبله بحبل رجل من أهله وصاحبه، المصدّق دعوته، المبادر إلى كلمته، علي الوصول بفاطمة البتول ابنة الرسول[١].

وروى عبد الرزاق بإسناده إلى أمِّ أيمن (في خبر طويل عن النبي صلى الله عليه وآله، جاء فيه): «**وعقد جبرئيل وميكائيل في السماء نكاح علي وفاطمة، فكان جبرئيل المتكلم عن علي وميكائيل الراد عني. وفي حديث خباب بن الأرت أنَّ الله تعالى أوحى إلى جبرئيل: زوّج النور من النور، وكان الولي الله، والخطيب جبرئيل، والمنادي ميكائيل، والداعي إسرافيل، والناثر عزرائيل، والشهود ملائكة السماوات والأرضين؛ ثم أوحى إلى شجرة طوبى أن انثري ما عليك! فنثرت الدرّ الأبيض والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر واللؤلؤ الرطب، فبادرن الحور العين يلتقطن ويهدين بعضهن إلى بعض**»[٢].

روى الشيخ الصدوق عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «**لقد هممت بالتزويج فلم أجترىء أن أذكر ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنَّ ذلك اختلج في صدري ليلى ونهاري حتى دخلت**

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٢٥؛ بحار الأنوار العلامة المجلسي ٣٤: ١١٠.
(٢) بحار الأنوار العلامة المجلسي ٣٤: ١٠٩ – ١١٠.

على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لي: يا علي! قلت: لبيك يا رسول الله. قال: هل لك في التزويج؟ قلت: رسول الله أعلم - وظننت أنَّه يريد أن يزوّجني بعض نساء قريش وإنِّي لخائف على فوت فاطمة - فما شعرت بشيء إذ دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأتيته في بيت أمِّ سلمة فلما نظر إليّ تهلل وجهه وتبسم حتى نظرت إلى بياض أسنانه يبرق فقال لي: يا علي أبشر فإنَّ الله تبارك وتعالى قد كفاني ما كان همني من أمر تزويجك. قلت: وكيف كان ذاك يا رسول الله؟ قال: أتاني جبرئيل عليه السلام ومعه من سنبل الجنة وقرنفلها فناولنيهما فأخذتهما فشممتهما وقلت: يا جبرئيل ما سبب هذا السنبل والقرنفل؟ فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى أمر سكان الجنان من الملائكة ومن فيها أن يزينوا الجنان كلها بمغارسها وأنهارها وثمارها وأشجارها وقصورها، وأمر رياحها فهبت بأنواع العطر والطيب، وأمر حور عينها بالقراءة فيها طه وطس وحمعسق، ثم أمر الله عز وجل منادياً فنادى:

ألا يا ملائكتي وسكان جنتي اشهدوا أنِّي قد زوّجت فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) من علي بن أبي طالب رضى مني بعضهما لبعض، ثم أمر الله تبارك وتعالى ملكاً من ملائكة الجنة يقال له: راحيل وليس في الملائكة أبلغ منه فخطب بخطبة لم يخطب بمثلها أهل السماء ولا أهل الأرض، ثم منادياً فنادى: ألا يا ملائكتي وسكان جنتي باركوا على علي بن أبي طالب عليه السلام حبيب محمد (صلى الله عليه وآله) وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله)، فإنِّي قد باركت عليهما فقال راحيل: يا رب وما بركتك عليهما أكثر مما رأينا لهما في جنانك ودارك؟ فقال الله عز وجل: يا راحيل إنَّ من بركتي عليهما أنِّي أجمعهما على محبتي وأَجعلهما حجتي على خلقي. وعزتي وجلالي لأخلقنّ منهما خلقاً، ولأنشأن منهما ذرية أجعلهم خزاني في أرضي، ومعادن لحكمي، بهم أحتج على خلقي بعد النبيين

والمرسلين. فأبشر يا علي فإنّي قد زوّجتك ابنتي فاطمة على ما زوّجك الرحمن وقد رضيت لها بما رضي الله لها، فدونك أهلك فإنّك أحق بها مني، ولقد أخبرني جبريل عليه السلام أنّ الجنة وأهلها مشتاقون إليكما، ولولا أنّ الله تبارك وتعالى أراد أن يتخذ منكما ما يتخذ به على الخلق حجة لأجاب فيكما الجنة وأهلها؛ فنعم الأخ أنت ونعم الختن أنت، ونعم الصاحب أنت، وكفاك برضاء الله رضا. فقال علي عليه السلام: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): آمين».[١]

نور الزهراء يُضيء الفردوس

تعجّب آدمُ أبو البشر عليه السلام حين نظر إلى عليّ وفاطمة عليهما السلام يرتعان في الجنّة، ولم يدُر في خُلده أَنَّ الله تعالى خلق خلقاً غيره وغير حوّاء، فتبختر وزوجه في الجنّة وظنّا أَنَّ الله تعالى لم يخلق غيرهما، فأراه اللهُ فاطمة وعلياً ومعهما الحسنان عليهم السلام، تضيء أنوارُهم الجنّة. ثمّ عصى آدم ربّه فألهمه الله أن يتوسّل إليه بأسمائهم ليغفر له، وذلك في قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[٢]، حيث روي في الكافي أَنَّه سأله بحق محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة (صلى الله عليهم)[٣].

أخرج الخطيب الكجوري عن كتاب (نزهة المجالس ومنتخب النّفايس) للشّيخ عبد الرّحمن الصّفوري الشافعي:

روي أنّ آدم نظر إلى حوّاء ونظرت إليه فدهشا من جمالها، فقالا: سبحانك يا الله، أخلقتَ خلقاً أفضل منّا؟ فأوحى الله إلى جبرئيل أن خُذ آدم وحوّاء إلى الفردوس الأعلى

(١) عيون أخبار الرضا ١: ٢٠٢ / ح١؛ أمالي الصدوق: ص٦٥٣ / ح٨٩٠/ ١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٣) الكافي ٨: ٣٠٥ / ح٤٧٢.

وافتح باب قصر من قصوره لهما، فأراهما جبرئيل قصراً من ياقوت أحمر، فيه عرش من الذّهب، قوائمه من الدرّ الأبيض، وعليه جارية لم يرَ آدم وحوّاء مثلها، قد أضاء نور حسنها وبهائها ذلك القصر، بل أضاء نورها الفردوس، وعلى رأسها تاج مرصّع بجواهر. فقال آدم: مَن هذه الجارية؟ فقال جبرئيل: هذه فاطمة الزهراء بنت محمّد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قال: ومَن زوجها؟ فجاء النّداء: افتح القصر الآخر من الياقوت، ففتحه فكان فيه قبّة من كافور وعرش من الذهب، عليه فتى يفوق حُسن وجهه حسن يوسف الصدّيق. قال: هذا زوجها عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فسأل آدم عليه السلام: أله ولد؟ فأُوحي إلى جبرئيل: افتح له قصر اللؤلؤ، ففتحه فإذا فيه قبّة من زبرجد وعرش من عنبر أشهب، وعليه غلامان هما الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السلام)، فندم آدم على كلامه.(١)

وأخرج المجلسي عن كتاب الآل لابن خالويه، رفعه عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام عن آبائه الكرام، عن النبيّ (صلى الله عليه وآله): «**لمّا خلق الله تعالى آدم وحوّاء تبخترا في الجنّة، فقال آدم عليه السلام لحواء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منّا، فأوحى الله – عزّ وجلّ – إلى جبرئيل أن ائتني بعبدتي التي في جنّة الفردوس الأعلى، فلمّا دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك من درانيك الجنّة، على رأسها تاج من نور، وفي أُذنيها قرطان من نور قد أشرقت الجنان من حسن وجهها، قال آدم عليه السلام: حبيبي جبرئيل، من هذه الجارية التي قد أشرقت الجنان من حسن وجهها؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمّد** (صلى الله عليه وآله) **نبيّ من وُلدك يكون في آخر الزمان قال: من هذا التاج الذي على رأسها؟ قال: بعلها عليّ بن أبي طالب. قال: من القرطان اللذان في أُذنيها؟**

(١) الخصائص الفاطمية ١: ٥٩٠.

قال: ولداها الحسن والحسين. قال آدم عليه السلام: حبيبي جبرئيل! أخُلقوا قبلي؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله عزّ وجلّ قبل أن تُخلق بأربعة آلاف سنة».(١)

مراسم زفاف الزهراء عليها السلام

كانت مراسم زفاف الزهراء عليها السلام بسيطة خالية من التكلّف والإسراف، فقد أُجلست سيّدة النساء عليها السلام على بغلة رسول الله الشهباء بعد أن غُطّيت بقطيفة، وكان سلمان يقود البغلة ورسول الله يسوقها وهو يكبّر ومعه الملائكة. لم يأنف رسولُ الله صلى الله عليه وآله أن يُشارك في مراسم زفاف ابنته الحبيبة كما يفعل البعض في زماننا حين يتوارون من القوم خشية أن يراهم أحد، فلقد أعزّ اللهُ الحلالَ وأمر بإظهاره. وكان رسول الله صلّى الله عليه ومعه حمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلف الزهراء عليها السلام مشهرين سيوفهم، وكانت بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار يرتجزن بالأشعار. ثم إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وضع يد ابنته في يد زوجها وأمرهما أن ينطلقا إلى بيتهما وأن لا يحدثا شيئاً حتى يأتيهما، وقال مقولته المشهورة (جدع الحلالُ أنفَ الغيرة)(٢).

روى الشيخ الطوسي عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «**لما زوّج رسول الله صلّى الله عليه وآله علياً فاطمة عليهما السّلام دخل عليها وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ فو الله لو كان في أهل بيتي خير منه زوّجتك، وما أنا زوّجتك ولكن الله زوّجك وأصدق عنك الخمس ما دامت السموات والأرض**»...(الحديث بطوله، وجاء فيه:)

(١) بحار الأنوار ٢٥: ٥.

(٢) أنظر: مجمع الأمثال للميداني ١: ١٧١؛ الصحيح من سيرة الإمام علي ٣: ٧١.

قال علي عليه السّلام: «فأقمت بعد ذلك شهراً أُصلّي مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وأرجع إلى منزلي ولا أذكر شيئاً من أمر فاطمة عليها السّلام. ثم قلن أزواج رسول الله صلّى الله عليه وآله: ألا نطلب لك من رسول الله دخول فاطمة عليك؟ فقلت: افعلن. فدخلن عليه فقالت أمُّ أيمن: يا رسول الله، لو أنَّ خديجة باقية لقرّت عينها بزفاف فاطمة، وإنَّ علياً يريد أهله، فقرّ عين فاطمة ببعلها واجمع شملها وقرّ عيوننا بذلك.

فقال: فما بال علي لا يطلب مني زوجته، فقد كنا نتوقّع ذلك منه. قال علي عليه السّلام: فقلت: الحياء يمنعني يا رسول الله.

فالتفت إلى النساء فقال: من ههنا؟ فقالت أمُّ سلمة: أنا أمُّ سلمة وهذه زينب وهذه فلانة وفلانة. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: هيّئوا لابنتي وابن عمي في حجري بيتاً. فقالت أمُّ سلمة: في أي حجرة يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: في حجرتك، وأمر نساءه أن يزيّنّ ويصلحن من شأنها. قالت أمُّ سلمة: فسألت فاطمة عليها السّلام: هل عندك طيب ادّخرتيه لنفسك؟ قالت: نعم، فأتت بقارورة فسكبت منها في راحتي فشممت منها رائحة ما شممت مثلها قط، فقلت: ما هذا؟ فقالت: كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله فيقول لي: يا فاطمة، هات الوسادة فاطرحيها لعمك. فأطرح له الوسادة فيجلس عليها، فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه. فسأل علي عليه السّلام رسول الله صلّى الله عليه وآله عن ذلك فقال: هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل.

قال علي عليه السّلام: ثم قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا علي، اصنع لأهلك طعاماً فاضلاً. ثم قال: من عندنا اللحم والخبز، وعليك التمر والسمن. فاشتريت تمراً وسمناً، فحسر رسول الله صلّى الله عليه وآله عن ذراعه وجعل يشدخ التمر في السمن

حتى اتخذه حيساً وبعث إلينا كبشاً سميناً فذُبح وخُبز لنا خبز كثير. ثم قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: ادعُ من أحببت، فأتيت المسجد وهو مشحّن بالصحابة، فاستحييت أن أشخّص قوماً وأدع قوماً، ثم صعدت على ربوة هناك وناديت: أجيبوا إلى وليمة فاطمة.

فأقبل الناس إرسالاً، فاستحييت من كثرة الناس وقلّة الطعام، فعلم رسول الله صلّى الله عليه وآله ما تداخلني فقال: يا علي، إنّي سأدعو الله بالبركة. قال علي عليه السّلام: فأكل القوم عن آخرهم طعامي، وشربوا شرابي، ودعوا لي بالبركة، وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل، ولم ينقص من الطعام شيء.

ثم دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله بالصحاف فمُلئت ووجّه بها إلى منازل أزواجه، ثم أخذ صحفة وجعل فيها طعاماً وقال: هذا لفاطمة وبعلها، حتى إذا انصرفت الشمس للغروب قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا أُمَّ سلمة، هلمّي فاطمة. فانطلقت فأتت بها وهي تسحب أذيالها، وقد تصبت عرقاً حياءً من رسول الله صلّى الله عليه وآله، فعثرت. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة.

فلما وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتى رآها علي عليه السّلام. ثم أخذ يدها فوضعها في يد علي عليه السّلام وقال: بارك الله لك في ابنة رسول الله. يا علي، نِعم الزوجة فاطمة؛ ويا فاطمة، نِعم البعل علي. انطلقا إلى منزلكما ولا تحدثا أمراً حتى آتيكما.

قال علي عليه السّلام: فأخذت بيد فاطمة وانطلقت بها حتى جلست في جانب الصفة وجلست في جانبها، وهي مطرقة إلى الأرض حياءً مني، وأنا مطرق إلى الأرض حياءً منها.

ثم جاء رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: مَن ههنا؟ فقلنا: أدخل يا رسول الله، مرحباً بك زائراً وداخلاً. فدخل فأجلس فاطمة عليها السّلام من جانبه ثم قال: يا فاطمة، ايتيني



بماء. فقامت إلى قعب في البيت فملأته ماء ثم أتته به، فأخذ جرعة فتمضمض بها ثم مجّها في القعب ثم صبّ منها على رأسها، ثم قال: أقبلي! فلما أقبلت نضح منه بين ثدييها. ثم قال: أدبري، فأدبرت فنضح منه بين كتفيها؛ ثم قال: اللهم هذه ابنتي وأحب الخلق إلي، اللهم وهذا أخي وأحب الخلق إليّ. اللهم اجعله لك وليّاً وبك حفيّاً، وبارك له في أهله. ثم قال:يا علي، ادخل بأهلك، بارك الله لك ورحمة الله وبركاته عليكم، إنَّه حميد مجيد»[1].

عن جابر الأنصاري، قال: لمّا زوّج رسول الله صلّى الله عليه وآله فاطمة عليها السّلام من علي عليه السّلام أتاه أناس... (إلى أن قال:) فلمّا كانت ليلة الزفاف أتى النبي صلّى الله عليه وآله ببغلته الشهباء، وثنى عليها قطيفة وقال لفاطمة عليها السّلام: «اركبي. وأمر سلمان أن يقودها والنبي صلّى الله عليه وآله يسوقها، فبينا هو في بعض الطريق إذ سمع النبي صلّى الله عليه وآله وجبة، فإذا هو بجبرائيل عليه السّلام في سبعين ألفاً، وميكائيل في سبعين ألفاً، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: ما أهبطكم إلى الأرض؟ قالوا: جئنا نزفّ فاطمة عليها السّلام إلى زوجها، وكبّر ميكائيل، وكبّرت الملائكة، وكبّر محمد صلّى الله عليه وآله، فوضع التكبير على العرائس من تلك الليلة.

قال علي عليه السّلام: ثم دخل إلى منزلي فدخلت إليه ودنوت منه، فوضع كفّ فاطمة الطيبة في كفّي وقال: ادخلا المنزل ولا تحدثا أمراً حتى آتيكما.

قال عليه السّلام: فدخلنا المنزل فما كان إِلَّا أن دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وبيده مصباح، فوضعه في ناحية المنزل وقال لي: يا علي، خذ في ذلك القعب ماء من تلك الشكوة. ففعلت، ثم أتيته به. فتفل فيه تفلات، ثم ناولني القعب فقال صلّى الله عليه وآله: اشرب منه. فشربت، ثم رددته إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فناوله فاطمة

(١) أمالي الطوسي ١: ٣٩/ح ٤ الجزء الثاني.

عليها السّلام وقال: اشربي حبيبتي. فشربت منه ثلاث جرعات، ثم رددته إليه، فأخذ ما بقي من الماء فنضحه على صدري وصدرها وقال صلّى الله عليه وآله»: ﴿إِنَّما يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ...﴾[1] الآية. «**ثم رفع يديه وقال صلىّ الله عليه وآله: يا رب! إنَّك لم تبعث نبيّاً إلاَّ وقد جعلت له عترة، اللهم فاجعل عترتي الهادية من علي وفاطمة. ثم خرج**»[2].

روى الكليني في الكافي بإسناده عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله الصادق عليه السّلام قال: «**لا غيرة في الحلال بعد قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا تحدثا شيئاً حتى أرجع إليكما، فلما أتاهما أدخل رجليه بينهما في الفراش**».[3]

أشعار نساء النبي في زفاف الزهراء

سارت نساء النبي وبنات عبد المطلب ومعهن نساء المهاجرين والأنصار أمام الزهراء عليها السلام وهنّ يكبّرن ويحمدن ويرجزن، وكانت إحداهنّ تنشيء شيئاً من الشعر وكانت النسوة يرجعن أوّل بيت من كل رجز ثم يكبّرن، وكانت الأشعار تتمحور حول شكر الله تعالى وحمده وتعداد بعض نِعمه وآلائه.

أخرج ابن شهر آشوب عن ابن بابويه في خبر: أمر النبي صلّى الله عليه وآله بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة عليها السّلام، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن، ولا يقلن ما لا يرضي الله.

قال جابر: فأركبها على ناقته- وفي رواية: على بغلته الشهباء- وأخذ سلمان زمامها،

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) روضة المتقين ٨: ١٨٦.

(٣) الكافي ٥: ٥٣٧.

وحولها سبعون ألف حوراء، والنبي صلّى الله عليه وآله وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم، ونساء النبي صلّى الله عليه وآله قدّامها يرجزن، فأنشأت أمُّ سلمة:

سِرن بعون الله جاراتي — واشكرنه في كل حالاتِ
واذكرن ما أنعم ربّ العُلى — من كشف مكروهٍ وآفات
فقد هدانا بعد كفرٍ وقد — أنعشنا ربّ السماوات
وسرن معْ خير نساء الورى — تُفدى بعمّات وخالات
يا بنتَ مَن فضّله ذو العلى — بالوحي منه والرسالات

ثم قالت معاذة أمُّ سعد بن معاذ:

أقول قولاً فيه ما فيه — وأذكر الخير وأبديه
محمد خير بني آدم — ما فيه من كبر ولا تيه
بفضله عرّفنا رُشدنا — فالله بالخير يجازيه
ونحن مع بنت نبي الهدى — ذي شرف قد مكنت فيه
في ذروة شامخة أصلها — فما أرى شيئاً يدانيه

وكانت النسوة يرجعن أوّل بيت من كل رجز ثم يكبّرن. ودخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى علي عليه السّلام ودعاه إلى المسجد، ثم دعا فاطمة عليها السّلام فأخذ يديها ووضعهما في يده وقال صلّى الله عليه وآله: بارك الله في ابنة رسول الله(١).

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٣٠؛ بحار الأنوار ٤٣: ١١٥ / ح ٢٤، عن المناقب، نقلًا عن مولد فاطمة عليها السّلام.

الملائكة تزف الزهراء إلى بيت أمير المؤمنين عليهما السلام

شاركت الملائكة في زواج الزهراء عليها السلام منذ اللحظات الأَولى، فقد كان راحيل خطيب الملائكة هو الذي أنشأ خطبة العقد في السماء الرابعة، وشهدت الملائكة على ذلك العقد وانتهبوا من نثار شجرة طوبى فهم يتهادونه بينهم إلى يوم القيامة. أما في الأرض فقد شاركت الملائكة في زفاف الزهراء عليها السلام وساروا خلفها، وستأتي عدة أحاديث خلال العناوين اللاحقة، في مشاركة الملائكة في زفاف الزهراء عليها السلام إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام.

كشف الغمة: ومن المناقب عن ابن عباس قال: لما أن كانت ليلة زفّت فاطمة إلى علي بن أبي طالب كان النبي صلى الله عليه وآله قدامها، وجبرئيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من ورائها يسبّحون الله ويقدّسونه حتى طلع الفجر[1].

سنّة التكبير في زفاف العروس

كبّر جبريل الأمين وكبّرت الملائكة في زفاف الزهراء عليها السلام فرحاً وابتهاجاً، وكبّر خاتم الرسل صلى الله عليه وآله فرحاً بزفاف سيّدة النساء إلى خير البريّة بعد رسول الله، فوضع التكبير على العرائس من تلك الليلة وأضحى سنّة. فما مقدار التزامنا بهذه السنّة الجميلة؟! أليس من المؤسف أن يستعيض شبابُنا عن هذه السنّة ذات البهجة الروحيّة التي تُرضي الله ورسوله بالرقص والغناء والصخب؟! أليس من المؤلم أن تصبح مجالس الزواج أماكن تُرتكب فيها المعاصي وتُقترف فيها الذنوب؟ هل نتوقّع من أمثال هذه الزيجات أن يُبارك اللهُ فيها فتُثمر وتنجح وتدوم؟! على مَن يزرع الحنظل أن لا ينتظر

(١) كشف الغمة ١: ٣٦٢.

أن يقطف سوى الحنظل! أمّا من يزرع النبات المبارك المثمر، فليبشر بقطاف الثمر الجنّيّ!

عن جابر الأنصاري، قال: لما زوّج رسول الله صلّى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام من علي عليه السّلام أتاه أناس من قريش فقالوا: إنَّك زوّجت علياً بمهر خسيس. فقال: «**ما أنا زوّجت علياً ولكن الله زوّجه ليلة أُسري بي عند سدرة المنتهى، أوحى الله عز وجل إلى السدرة أن انثري، فنثرت الدر والجواهر على الحور العين، فهن يتهادينه ويتفاخرن ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمد**». فلما كانت ليلة الزفاف أتى النبي صلّى الله عليه وآله ببغلته الشهباء، وثنى عليها قطيفة وقال لفاطمة عليها السّلام: اركبي وأمر سلمان أن يقودها والنبي صلّى الله عليه وآله يسوقها. فبينا هم في بعض الطريق إذ سمع النبي صلّى الله عليه وآله وجبة فإذا هو بجبرئيل في سبعين ألفاً من الملائكة وميكائيل في سبعين ألفاً، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**ما أهبطكم إلى الأرض؟ قالوا: جئنا نزفّ فاطمة إلى زوجها، وكبّر جبرئيل وكبّر ميكائيل، وكبرت الملائكة ومحمد صلّى الله عليه وآله. فوضع التكبير على العرائس من تلك الليلة**»[1].

وحدثني أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أحمد بن علي بن مهدي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جده جعفر، عن أبيه الباقر عليهم السلام، قال: «**حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: لما كانت الليلة التي أهدى فيها رسول الله فاطمة إلى علي عليهم السلام، دعا بعلي فأجلسه عن يمينه، ودعا بها عليها السلام فأجلسها عن شماله، ثم جمع رأسيهما، ثم قام، وقاما وهو بينهما، يريد منزل علي عليه السلام، فكبر جبرئيل في الملائكة، فسمع**

(١) مكارم الأخلاق: ص ٢٠٨؛ وسائل الشيعة (ط. الإسلامية) – الحر العاملي ١٤: ٦٢ – ٦٣.

النبي التكبير، فكبر وكبر المسلمون، وهو أول تكبير كان في زفاف، فصارت سنّة»[١].

في شرح الأخبار عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: لّما زفّت فاطمة عليها السّلام إلى علي عليه السّلام كبّر رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكان بلال بين يديه فكبّر، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**لم كبّرتَ يا بلال**»؟ فقال: يا رسول الله! كبّرتَ فكبّرتُ. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**ما كبّرتُ أنا حتى كبّر جبرائيل**»[٢].

خطبة التزويج

من المستحب أن يخطب الرجل خطبة التزويج، وبناءً على ذلك فقد طلب رسول الله صلى الله عليه وآله من أمير المؤمنين عليه السلام أن يخطب، فقام أمير المؤمنين وخطب خطبة بليغة موجزة ذكر فيها أنَّ رسول الله زوّجه ابنته فاطمة على صداق معيّن ذكر مقداره، ثم ذكر بأنّه قد رضي بهذا التزويج، ثم طلب من الحاضرين أن يسألوا رسول الله ويشهدوا على أمر الزواج، فسألوا رسول الله فصدّق رسولُ الله كلام أمير المؤمنين. ومن الجدير بالذكر أنَّ الخطبة لا تجب في الزواج، وقد سئل الصادق عليه السلام عن التزويج بغير خطبة، فقال: «**أو ليس عامّة ما يتزوّج فتياتنا ونحن نتعرّق الطعام على الخوان نقول: يا فلان، زوّج فلاناً فلانة، فيقول: قد فعلت**».[٣]

عن جعفر بن محمد عليه السّلام، عن أبيه عليه السّلام، عن جده عليه السّلام، عن جابر قال: لما أراد رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يزوّج فاطمة عليها السّلام علياً عليه السّلام قال له: «**اخرج يا أبا الحسن إلى المسجد فإنِّي خارجٌ في أثرك ومزوّجك بحضرة**

(١) دلائل الإمامة محمد بن جرير الطبري (الشيعي) – ص ١٠٢؛ دلائل المعجزات لحسين بن عبد الوهاب: ص٥١.

(٢) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السّلام ٣: ٦٥/ح ٩٨٩.

(٣) هداية الأمة للحر العاملي ٧: ١١٢.

الناس وذاكرٌ من فضلك ما تقرّ به عينك».

قال علي عليه السلام: «فخرجت من عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنا لا أعقل فرحاً وسروراً. فاستقبلني أبو بكر وعمر؛ قالا: ما وراك يا أبا الحسن؟ فقلت: يزوّجني رسول الله فاطمة وأخبرني أنَّ الله قد زوّجنيها، وهذا رسول الله خارج في أثري ليذكر بحضرة الناس، ففرحا وسرّا ودخلا معي المسجد».

قال علي عليه السّلام: «فو الله ما توسّطناه حتى لحق بنا رسول الله، وإنَّ وجهه يتهلّل فرحاً وسروراً. فقال: أين بلال؟ فأجاب: لبيك وسعديك يا رسول الله! ثم قال: أين المقداد؟ فأجاب: لبيك يا رسول الله. ثم قال: أين سلمان؟ فأجاب: لبيك يا رسول الله. ثم قال: أين أبوذر؟ فأجاب: لبيك يا رسول الله. فلما مثّلوا بين يديه قال: انطلقوا بأجمعكم فقوموا في جنبات المدينة وأجمعوا المهاجرين والأنصار والمسلمين. فانطلقوا لأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وأقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله فجلس على أعلى درجة من منبره. فلما حشد المسجد بأهله قام رسول الله صلّى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه فقال: الحمد لله الذي رفع السماء فبناها، وبسط الأرض فدحاها، وأثبتها بالجبال فأرسيها، أخرج منها ماءها ومرعيها، الذي تعاظم عن صفات الواصفين، وتجلّل عن تحبير لغات الناطقين، وجعل الجنة ثواب المتقين، والنار عقاب الظالمين، وجعلني نقمة للكافرين، ورحمة ورأفة على المؤمنين.

عباد الله، إنّكم في دار أمل، ووعد وأجل، وصحة وعلل، دار زوال وتقلب أحوال، جعلت سبباً للارتحال. فرحم الله امرءاً قصر من أمله، وجدّ في عمله، وأنفق الفضل

من ماله، وأمسك الفضل من قوته. قدّم ليوم فاقته يوم يحشر فيه الأموات، وتخشع له الأصوات، وتذكر الأولاد والأمّهات، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، يوم يوفّيهم الله دينهم الحق، ويعلمون أنَّ الله هو الحق المبين. يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أَنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً، من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، ليوم تبطل فيه الأنساب، وتقطع الأسباب، ويشتد فيه على المجرمين الحساب، ويدفعون إلى العذاب. فمن زُحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور.

أيها الناس، إنـمّا الأنبياء حجج الله في أرضه، الناطقون بكتابه، العاملون بوحيه. إنَّ الله عز وجل أمرني أن أزوّج كريمتي فاطمة بأخي وابن عمي وأَولى الناس بي علي بن أبي طالب، وإنَّ الله قد زوّجه في السماء بشهادة الملائكة، وأمرني أن أزوّجه وأُشهدكم على ذلك.

ثم جلس رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثم قال: قم يا علي، فاخطب لنفسك. قال: يا رسول الله، أخطب وأنت حاضر؟! قال: اخطب، فهكذا أمرني جبرئيل أن آمرك أن تخطب لنفسك، ولولا أنَّ الخطيب في الجنان داود لكنت أنت يا علي. ثم قال النبي صلّى الله عليه وآله: أيها الناس، اسمعوا قول نبيكم: (إنَّ الله بعث أربعة آلاف نبي لكل نبي وصي، وأنا خير الأنبياء ووصيي خير الأوصياء).

ثم أمسك رسول الله صلّى الله عليه وآله وابتدأ علي عليه السّلام فقال: الحمد للهّ الذي ألهم بفواتح علمه الناطقين، وأنار بثواقب عظمته قلوب المتقين وأوضح بدلائل أحكامه طرق الفاصلين، وأنهج بابن عمي المصطفى العالمين، وعلت دعوته لرواعي الملحدين، واستظهرت كلمته على بواطل المبطلين، وجعله خاتم النبيين

وسيد المرسلين. فبلّغ رسالة ربه، وصدع بأمره وبلغ عن الله آياته، والحمد لله الذي خلق العباد بقدرته وأعزّهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد، ورحم وكرّم وشرّف وعظّم. والحمد لله على نعمائه وأياديه وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه، وصلى الله على محمد صلاة تربحه وتحظيه. والنكاح مما أمر الله به وأذن فيه، ومجلسنا هذا مما قضاه ورضيه، وهذا محمد ابن عبد الله زوّجني ابنته فاطمة على صداق أربعمائة درهم ودينار، قد رضيت بذلك فاسألوه واشهدوا. فقال المسلمون: زوّجته يا رسول الله؟ قال: نعم. قال المسلمون: بارك الله لهما وعليهما وجمع شملهما»[(١)].

قال ابن مردويه: إنَّه صلّى الله عليه وآله قال لعلي عليه السّلام: «**تكلّم خطيباً لنفسك.**

فقال علي عليه السّلام: الحمد لله الذي قرب من حامديه..- إلى أن قال:- والنكاح مما أمر الله به ويرضيه، واجتماعنا مما قدّره الله وأذن فيه، وهذا رسول الله صلّى الله عليه وآله زوّجني ابنته فاطمة على خمسمائة درهم وقد رضيت، فاسألوه واشهدوا»[(٢)].

الزفاف ليلاً

من السنّة في الزفاف أن يكون ليلاً، وقد علّل أهل البيت ذلك بكون الليل سكناً ولأنَّ النساء سكن. ومن الطبيعي أنَّ الليل أستر للنساء اللواتي قد يشتركن في مراسم الزفاف، كما أنَّه يكون عادة في وقت تكون الأعمال فيه معطّلة، فلا يستدعي الاشتراك فيه تأخير الأعمال.

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه

(١) بحار الأنوار ١٠٠: ٢٦٩ / ح ٢١، عن مسند فاطمة عليها السّلام.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ١١٢ / ح ٢٤، عن المناقب.

السلام قال: «**زفّوا عرائسكم ليلاً، وأطعموا ضحى**». ورواه الصدوق بإسناده عن السكوني مثله[١].

وعن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشا عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال. سمعته يقول في التزويج قال: «**من السنّة التزويج بالليل، لأنّ الله جعل الليل سكناً، والنساء إنّما هن سكن**»[٢].

نوادر الراوندي: بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا سهر إلّا في ثلاث، تهجّد بالقرآن، أو طلب علم، أو عروس تُهدى إلى زوجها**»[٣].

وروي: أنّ زفاف فاطمة عليها السلام كان بالليل، وأنّها ركبت بغلة شهباء.[٤]

كشف الغمة: ومن المناقب عن ابن عباس قال: لما أن كانت ليلة زفّت فاطمة إلى علي بن أبي طالب كان النبي صلى الله عليه وآله قدامها، وجبرئيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من ورائها يسبّحون الله ويقدّسونه حتى طلع الفجر[٥].

الدعاء للعريسين

كان من عادة الناس في الجاهليّة أن يقولوا للمتزوّج حديثاً (بالرفاء والبنين)، والرفاء - كما يقول الجزري - هو الالتيام والاتفاق، والبركة، والنماء، فلمّا جاء الإسلام نهى عنه

(١) وسائل الشيعة ٢٠: ٩١.

(٢) وسائل الشيعة (ط. الإسلامية) - الحر العاملي ١٤: ٦٢.

(٣) النوادر للراوندي: ص١١٨؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ١٠٠: ٢٦٧.

(٤) هداية الأمة للحر العاملي ٧: ١٠٩.

(٥) كشف الغمة ١: ٣٦٢.

باعتباره من مخلّفات الجاهليّة،وسنّ فيه أن يقال (على الخير والبركة).

روى الكليني بإسناده عن أبي عبد الله البرقي رفعه قال: لما زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمةَ، قالوا: بالرفاء والبنين، قال: «**لا بل على الخير والبركة**».[١]

منع العروس من بعض الأطعمة

من الوصايا الطبية والصحية التي قدّمها الإسلام للمتزوّج حديثاً، أن يمنع الرجل زوجته من تناول بعض الأطعمة في الأيام القليلة التي تعقب الزواج، باعتبار أنَّها تؤثّر في مدى قابليّة المرأة على الإنجاب.

فقد جاء في وصيّة النبيّ صلَّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام قال: «**امنع العروس في أسبوعك من الألبان، والخلّ، والكزبرة، والتفّاح الحامض، لأنّ الرحم يعقم ويبرد من هذه الأشياء الأربعة عن الولد**».[٢]

لا بد للعروس من امرأة تبيت قريباً منها

في الليلة الأُولى للزواج لابد للعروس من امرأة تبيت قريباً منها لتتعاهدها عسى أن يطرأ عليها ما تحتاج معه إلى معونة، وقد جرت العادة أن تكون أمُّ الفتاة هي التي تبات قربها باعتبار أنَّها أقرب الناس إلى ابنتها. وقد ورد في بعض الروايات أنَّ خديجة سلام الله عليها لمـّا حضرتها الوفاة عهدت إلى أسماء بنت عميس أن تبيت عند فاطمة في الليلة الأُولى لزواجها، وقد وفت أسماء بوعدها فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) الكافي ٥: ٥٦٨.

(٢) هداية الأمّة للحرّ العاملي ٧: ١١٥.

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لما زوّج فاطمة عليها السّلام من علي عليه السّلام ودخل بها، جعلت أمُّ أيمن معها تؤنسها، وفارقها من الليل ثم غدا إليها بالغداة يدقّ الباب، فقالت أمُّ أيمن: من هذا؟ قال: أنا رسول الله. فأتته مسرعة وهي تقول: فداك أبي وأمّي، وفتحت له الباب.

فقال لها: يا أمَّ أيمن، هاهنا أخي؟ قالت: يا نبي الله، ومن أخوك؟ قال: علي بن أبي طالب. قالت: يا نبي الله، إنّما عرف الناس الحلال والحرام بك، أتزوّج ابنتك من أخيك؟! قال: يا أمَّ أيمن، ليس هو أخي من أبي وأمّي الذي يحرم عليه نكاح ابنتي، هو أخي في الدين ومعي في أعلى عليين.

ثم دخل على فاطمة عليها السّلام، فوجد عندها أسماء بنت عميس، فقال صلّى الله عليه وآله لها: ما خلّفك عند فاطمة؟ قالت: يا رسول الله، إنَّ الفتاة إذا زفّت إلى زوجها لابد أن يكون عندها امرأة تخبرها بحاجتها. قال: اللهم أسكن أسماء في الجنان.

ثم أقبل على فاطمة عليها السّلام فقال: أنا وأنت وهو في الرفيق الأعلى يا فاطمة. (ثم) قال:

يا فاطمة، إنّي لم آلك نصحاً ولا زوّجتك عن أمري، بل عن أمر ربي، لقد زوّجتك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً، في الدنيا من الأولين، وفي الآخرة من الصالحين، أنا وأنت في الرفيق الأعلى.

يا فاطمة، إنَّ الله عز وجل اطلع إلى الأرض اطلاعة، فاختارني منها وجعلني نبياً، ثم اطلع عليها الثانية فاختار منها علياً بعلك وجعله لي وصياً»[١].

(١) شرح الأخبار ٣: ٥٧ / ح ٩٧٦.

وعن أسماء بنت عميس قالت: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما أصبحنا جاء النبي صلى الله عليه وآله إلى الباب فقال: «**يا أُمَّ أيمن ادعي لي أخي**»، قالت: هو أخوك وتنكحه ابنتك؟ قال: «**نعم يا أُمَّ أيمن**»، قالت: وسمع النساء صوت النبي صلى الله عليه وآله فتنحين واختبيت أنا في ناحية، فجاء علي عليه السلام فنضح النبي صلى الله عليه وآله من الماء، ودعا له. ثم قال: «**ادعي لي فاطمة، فجاءت خرقة من الحياء، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: اسكني لقد أنكحتُك أحب أهل بيتي إلي، ثم نضح عليها من الماء، ودعا لها**». قالت: ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله فرأى سواداً بين يديه، فقال: «**من هذا**»؟ فقلت: أنا أسماء بنت عميس، قال: «**جئت في زفاف فاطمة تكرمينها**»؟ قلت: نعم، قالت: فدعا لي[1].

نثار عرس الزهراء عليها السلام

إظهار الفرح بالزواج من المندوبات التي ندب الإسلامُ إليها، ومن ذلك نثار الحلوى في مراسم زفاف العروس. لكنّ السماء شاركت الأرض في الاحتفال بزواج سيدة النساء عليها السلام، فقد نثرت شجرة طوبى اللؤلؤ الرطب والدرّ الأبيض والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، فسارعت الحور العين إلى التقاطه وبقين يتهادينه بينهن إلى يوم القيامة.

روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: دخلت أُمُّ أيمن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي تبكي، فقال لها: «**ما يبكيك لا أبكى الله عينيك**»؟ قالت: بكيت يا رسول الله لأنّي دخلت منزل رجل من الأنصار قد زوج ابنته رجلاً من الأنصار، فنثر على رأسها اللوز والسكر، فذكرت تزويجك فاطمة من علي بن أبي طالب ولم تنثر

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٧ - ١٣٨.

عليهما شيئاً. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تبكي يا أمَّ أيمن، فوالذي بعثني بالكرامة واستخصّني بالرسالة ما أنا زوّجته ولكن الله زوّجه، ما رضيت حتى رضي علي، وما رضيت فاطمة حتى رضي الله رب العالمين. يا أمَّ أيمن إنَّ الله لما أن زوج فاطمة من علي أمر الملائكة المقربين أن يحدقوا بالعرش فيهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، وأمر الجنان أن تزخرف فتزخرفت، وأمر الحور العين أن تتزين فتزينت، وكان الخاطب الله، وكانت الملائكة الشهود، ثم أمر شجرة طوبى أن تنثر فنثرت عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدر الأبيض، مع الياقوت الأحمر، مع الزبرجد الأخضر، فابتدر الحور العين من الجنان يرفلن في الحلي والحلل يلتقطنه ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمد، فهن يتهادينه بينهن إلى يوم القيامة**»[(١)].

وروى الصدوق في الأمالي عن ابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، عن علي بن الحكم عن الحسين بن أبي العلا، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام دخلت أمُّ أيمن على النبي صلى الله عليه وآله وفي ملحفتها شيء، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما معك يا أُمَّ أيمن؟ فقالت: إنَّ فلانة أملكوها فنثروا عليها فأخذتُ من نثارها، ثم بكت أُمُّ أيمن وقالت: يا رسول الله فاطمة زوّجتها ولم تنثر عليها شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أُمَّ أيمن لم تكذبين، فإنَّ الله تبارك وتعالى لما زوّجت فاطمة علياً (عليهما السلام) أمر أشجار الجنة أن تنثر عليهم من حليها وحللها وياقوتها ودرها وزمردها واستبرقها، فأخذوا منها ما لا يعلمون، ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة عليها السلام فجعلها في منزل علي عليه السلام**»[(٢)].

---

(١) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ١: ٢٣٤ ط بيروت.

(٢) أمالي الصدوق: ص٣٦٣؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ٩٨ - ٩٩.

وأخرج المجلسي عن تاريخي الخطيب والبلاذري وحلية أبي نعيم، وإبانة العكبري: سفيان الثوري عن الأعمش، عن الثوري، عن علقمة، عن ابن مسعود، قال: أصاب فاطمة صبيحة يوم العرس رعدة، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: «**يا فاطمة زوّجتك سيداً في الدنيا وإنَّه في الآخرة لمن الصالحين، يا فاطمة لما أراد الله تعالى أن أملكك بعلي أمر الله تعالى جبرئيل فقام في السماء الرابعة فصفّ الملائكة صفوفاً ثم خطب عليهم فزوّجك من علي، ثم أمر الله سبحانه شجر الجنان فحملت الحلي والحلل، ثم أمرها فنثرته على الملائكة، فمن أخذ منهم يومئذ شيئاً أكثر مما أخذ غيره افتخر به إلى يوم القيامة. قالت أُمُّ سلمة: لقد كانت فاطمة عليها السلام تفتخر على النساء لأَنَّها من خطب عليها جبرئيل عليه السلام**»[1].

روى محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، عن أبي هريرة قال: قالت فاطمة: «**يا رسول الله زوّجتني علي بن أبي طالب وهو فقير لا مال له، فقال: يا فاطمة أما ترضين أَنَّ الله أطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها رجلين: أحدهما أبوك، والآخر بعلك**».

وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أيها الناس هذا علي بن أبي طالب وأنتم تزعمون أَنِّي أنا زوّجته ابنتي فاطمة، ولقد خطبها إلي أشراف قريش فلم أجب كل ذلك أتوقع الخبر من السماء حتى جاءني جبرئيل ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان: فقال: يا محمد العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، وقد جمع الروحانيين والكروبيين في واد يقال له: الأفيح، تحت شجرة طوبى، وزوّج فاطمة علياً، وأمرني فكنت الخاطب والله تعالى الولي، وأمر شجرة طوبى فحملت الحلي والحلل والدر والياقوت ثم نثرته، وأمر**

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ١٠٨.

الحور العين فاجتمعن فلقطن، فهن يتهادينه إلى يوم القيامة ويقلن: هذا نثار فاطمة»[١].

قرنفل الجنة وسنابلها ورود زواج علي وفاطمة عليهما السلام

ما سرّ هذا القرنفل والسنبل الذي أتى به جبرئيل من الجنّة فأراه لرسول الله صلى الله عليه وآله ثم أخذه منه؟! يقول النبي صلى الله عليه وآله أنَّه شمّ قطعتَي القرنفل والسنبل فسطع منهما رائحة المسك! ولا نعلم من هاتين الهديتين الفوّاحتين إلاّ أنَّهما من نثار الملائكة، وأنَّهما مما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر! كما أنَّنا نعجز عن تصوّر ريح الجنّة (المثيرة) الهابّة بأنواع العطر والطيب، وعن السحابة البيضاء الماطرة على أهل الجنّة - بأمر الحقّ تعالى - باللؤلؤ والزبرجد والياقوت؛ فهل يكفي هذا في بيان فرحة السماء بتزويج فاطمة من عليّ عليهما آلاف التحيّة والسلام؟!

روى محمد بن جرير الطبري في دلائل الإمامة بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، أنَّه قال: «**هممت بتزويج فاطمة حيناً، ولم أجسر على أن أذكره لرسول الله صلى الله عليه وآله، وكان ذلك يختلج في صدري ليلاً ونهاراً، حتى دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي. فقلت: لبيك يا رسول الله. فقال: هل لك في التزويج؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. فظننت أنَّه يريد أن يزوّجني ببعض نساء قريش، وقلبي خائف من فوت فاطمة. ففارقته على هذا، فوالله ما شعرتُ حتى أتاني رسول رسول الله، فقال: أجِب يا علي، وأسرع. قال: فأسرعت المضي إليه، فلما دخلت نظرت إليه، فلما رأيته ما رأيته أشد فرحاً من ذلك اليوم، وهو في حجرة أُمِّ سلمة، فلما أبصرني تهلل وتبسم، حتى نظرت إلى بياض أسنانه لها بريق،**

(١) كفاية الطالب: ص١٦٤؛ كشف الغمة ١: ٣٧٧؛ بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٣٩.

قال: يا علي هلمّ فإنَّ الله قد كفاني ما همني فيك من أمر تزويجك. فقلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: أتاني جبرئيل، ومعه من قرنفل الجنة وسنبلها قطعتان، فناولنيها، فأخذتهما وشممتهما، فسطع منها رائحة المسك، ثم أخذها مني، فقلت: يا جبرئيل، ما شأنهما؟ فقال: إنَّ الله أمر سكان الجنة أن يزيّنوا الجنان كلها بمفارشها ونضودها وأنهارها وأشجارها، وأمر ريح الجنة التي يقال لها (المثيرة) فهبت في الجنة بأنواع العطر والطيب، وأمر الحور العين بقراءة سورتي طه ويس، فرفعن أصواتهن بهما. ثم نادى مناد: ألا إنَّ اليوم يوم وليمة فاطمة بنت محمد وعلي بن أبي طالب رضى مني بهما. ثم بعث الله (تعالى) سحابة بيضاء فمطرت على أهل الجنة من لؤلؤها وزبرجدها وياقوتها، وأمر خدام الجنة أن يلقطوها، وأمر ملكاً من الملائكة يقال له: (راحيل) فخطب خطبة لم يسمع أهل السماء بمثلها. ثم نادى (تعالى): يا ملائكتي وسكان جنتي، باركوا على نكاح فاطمة بنت محمد وعلي بن أبي طالب، فإنِّي زوّجت أحب النساء إلي من أحب الرجال إلي بعد محمد. ثم قال صلى الله عليه وآله: يا علي، أبشِر، أبشر، فإنِّي قد زوّجتك بابنتي فاطمة على ما زوّجك الرحمن من فوق عرشه، وقد رضيت لها ولك ما رضي الله لكما، فدونك أهلك، وكفى – يا علي – برضاي رضى فيك. فقال: يا رسول الله، أوَ بلغ من شأني أن أُذكر في أهل الجنة وزوّجني الله في ملائكته؟! فقال صلى الله عليه وآله: يا علي، إنَّ الله إذا أحبَّ عبداً أكرمه بما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر. فقال علي عليه السلام: يا ربّ، أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي. فقال النبي: آمين آمين» – الحديث[1].

وأخرج ابن شهر آشوب عن الإمام الصادق عليه السلام في خبر (عن علي عليه السلام): «أنّه دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أبشر يا علي فإنَّ الله قد كفاني ما

(١) دلائل الإمامة – محمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص ٨٥ – ٨٨.

كان من همتي تزويجك، أتاني جبرئيل ومعه من سنبل الجنة وقرنفلها فتناولتهما وأخذتهما فشممتهما، فقلت: ما سبب هذا السنبل والقرنفل؟ قال: إنَّ الله أمر سكان الجنة من الملائكة ومن فيها أن يزينوا الجنان كلها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها، وأمر ريحها فهبت بأنواع العطر والطيب، وأمر حور عينها بالقراءة فيها طه ويس وطواسين وحم وعسق، ثم نادى مناد من تحت العرش: ألا إنَّ اليوم يوم وليمة علي؛ ألا إنِّي أُشهدكم أنِّي زوّجت فاطمة من علي رضى مني ببعضهما لبعض! ثم بعث الله سبحانه سحابة بيضاء فقطرت من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها، وقامت الملائكة فنثرن من سنبلها وقرنفلها، وهذا مما نثرت الملائكة» - إلى آخر الخبر(١)

إظهار الفرح في العرس

أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله بإعلان النكاح وإظهار السرور والفرح، تمييزاً بينه وبين السفاح الحرام.

قال ابن شهر آشوب: وفي خبر أنَّ رسول الله قال لأمير المؤمنين: «**زوّجتك ابنتي فاطمة على ما زوّجك الرحمن، وقد رضيت بما رضي الله لها، فدونك أهلك فإنّك أحقّ بها منّي**».

وفي خبر قال صلّى الله عليه وآله: «**فنعم الأخ أنت، ونعم الختن أنت، ونعم الصاحب أنت، وكفاك برضى الله رضى. فخرّ علي عليه السّلام ساجداً شكراً للهّ تعالى، وهو يقول**»: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ...﴾(٢) الآية. فقال النبي صلّى الله

---

(١) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ٣: ١٢٤؛ دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص ٩٣ - ٩٤.

(٢) سورة النمل: الآية ١٩.

عليه وآله: «آمين». فلمّا رفع رأسه قال النبي صلّى الله عليه وآله: «**بارك الله عليكما وأسعد جدّكما، وجمع بينكما وأخرج منكما الكثير الطيّب...**»(١).

لا بد للعرس من وليمة

إطعام الطعام من الأُمور المستحبّة في الإسلام، فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه يحبّ أن يكون من سنّة أُمَّته الطعام عند النكاح. والإطعام من جملة الأُمور التي تزيد التآلف بين الناس وتقوّي ترابطهم فيما بينهم. ومن جملة الموارد التي يُستحب فيها الوليمة: العرس. وقد أوصى رسول الله أمير المؤمنين عليه السلام بإعداد وليمة بمناسبة زواجه بفاطمة عليها السلام. ونلاحظ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعان زوج ابنته في أمر الوليمة، فقد تكفّل باللحم والخبز وأمر أمير المؤمنين عليه السلام بإحضار التمر والسمن، ثمّ أنَّهُ صلى الله عليه وآله أعان أمير المؤمنين عليه السلام في إعداد الخبيص، حيث حسر عن ذراعه الشريفة وجعل يشدخ التمر في السمن حتى اتخذه خبيصاً.

أورد الصدوق في الخصال: فيما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام: «**يا علي لا وليمة إلَّا في خمس: في عرس، أو خرس، أو عذار، أو وكار، أو ركاز! والعرس التزويج، والخرس النفاس بالولد، والعذار الختان، والوكار في شري الدار، والركاز الذي يقدم من مكة**»(٢).

وعن ابن بريدة، عن أبيه قال: قال نفر من الأنصار لعلي بن أبي طالب عليه السلام: اخطب فاطمة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فسلّم عليه، فقال له: ما حاجة علي

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٥١.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٠٠ - ص ٢٧٥.

بن أبي طالب؟ قال: يا رسول الله ذكرتُ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: مرحباً وأهلاً، لم يزد عليها، فخرج علي على أولئك الرهط من الأنصار، وكانوا ينتظرونه. قالوا: ما وراك؟ قال: ما أدري غير أنَّه صلى الله عليه وآله قال: مرحباً وأهلاً، قالوا: يكفيك من رسول الله أحدهما: أعطاك الأهل والرحب. فلما كان بعد ذلك قال: يا علي إنَّه لا بد للعرس من وليمة، فقال سعد: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعاً من ذرة، فلما كان ليلة البناء قال: لا تحدثن شيئاً حتى تلقاني، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بماء فتوضأ منه، ثم أفرغه على علي وقال: اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في شبليهما. وقال ابن ناصر: (في نسليهما)[1].

أخرج الشيخ الطوسي في الأمالي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام تفصيل زواج الزهراء عليها السلام، إلى أن يصل إلى قوله:

«قال علي عليه السلام: ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، اصنع لأهلك طعاماً فاضلاً. ثم قال: مِن عندنا اللحم والخبز، وعليك التمر والسمن، فاشتريت تمراً وسمناً، فحسر رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذراعه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى اتخذه خبيصاً، وبعث إلينا كبشاً سميناً فذُبح وخبز لنا خبزاً كثيراً، ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: ادع من أحببت، فأتيت المسجد وهو مشحن بالصحابة، فاستحييت أن أشخّص قوماً وأدع قوماً، ثم صعدت على ربوة هناك، وناديت: أجيبوا إلى وليمة فاطمة، فأقبل الناس أرسالاً، فاستحييت من كثرة الناس وقلة الطعام، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما تداخلني، فقال: يا علي، إنِّي سأدعو الله بالبركة. قال علي عليه السلام: وأكل القوم عن آخرهم طعامي، وشربوا شرابي، ودعوا لي بالبركة، وصدروا

(١) الذرية الطاهرة للدولابي: ص ٩٥؛ بحار الأنوار ٤٣: ١٣٧.

وهم أكثر من أربعة آلاف رجل، ولم ينقص من الطعام شيء، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصحاف فملئت ووجّه بها إلى منازل أزواجه، ثم أخذ صحفة وجعل فيها طعاماً، وقال: هذا لفاطمة وبعلها» - الحديث بطوله وقد أوردناه بكامله[١].

عن أسماء بنت عميس، قالت: أهديت جدّتك فاطمة عليها السّلام إلى جدّك علي عليه السّلام، فما كان حشو فراشها ووسادتها إلّا ليفاً، ولقد أولم علي عليه السّلام على فاطمة عليها السّلام، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته، ورهن درعه عند يهودي بشطر شعير[٢].

روى أحمد عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: لّما خطب علي فاطمة عليهما السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إنّه لا بدّ للعروس من وليمة. قال سعد: عليّ كبش، وقال فلان: عليّ كذا وكذا من ذرة**»[٣].

أبو بكر مردويه في حديثه: فمكث علي تسعاً وعشرين ليلة، فقال له جعفر وعقيل: سله أن يدخل عليك أهلك، فعرفت أمُّ أيمن ذلك وقالت: هذا من أمر النساء: وخلت به أمُّ سلمة فطالبته بذلك، فدعاه النبي صلى الله عليه وآله وقال: حباً وكرامة! فأتى الصحابة بالهدايا فأمر بطحن البر وخبزه وأمر علياً بذبح البقر والغنم، فكان النبي صلى الله عليه وآله يفصل ولم يُر على يده أثر دم، فلما فرغوا من الطبخ أمر النبي صلى الله عليه وآله أن ينادى على رأس داره: أجيبوا رسول الله، وذلك كقوله ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ**﴾[٤] فأجابوا من النخلات والزروع، فبسط النطوع في المسجد، وصدر الناس

(١) أمالي الطوسي ١: ٣٩/ ح ٤؛ بحار الأنوار ٤٣: ٩٤ - ٩٦.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٣٨/ ح ٣٤، عن كشف الغمة.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٥٩.

(٤) سورة الحج: الآية ٢٧.

وهم أكثر من أربعة آلاف رجل وسائر نساء المدينة، ورفعوا منها ما أرادوا ولم ينقص من الطعام شيء، ثم عادوا في اليوم الثاني وأكلوا، وفي اليوم الثالث أكلوا مبعوثة أبي أيوب. ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصحاف فملئت ووجه إلى منازل أزواجه، ثم أخذ صفحة وقال: «**هذا لفاطمة وبعلها، ثم دعا فاطمة وأخذ يدها فوضعها في يد علي وقال: بارك الله لك في ابنة رسول الله. يا علي! نِعم الزوج فاطمة؛ ويا فاطمة نِعم البعل علي**»[1].

مستحبّات الزفاف

يستحب في الزفاف اثنا عشر شيئاً:

١- أن يكون الزفاف بالليل.

٢- أن يقدّم الزوج جميع المهر، أو بعضه، أو شيئاً ما إن عجز.

٣- أن يكون العريسان على طهارة.

٤- أن يصلي العريسان ركعتين.

٥- أن يسأل الزوج ربه تبارك وتعالى ودّ زوجته ورضاها.

٦- أن يأخذ الزوج بناصية زوجته إذا دخل عليها.

٧- أن يستقبل الزوج بزوجته القِبلة.

٨- أن يدعو الزوج بالأدعية المتعارفة.

٩- أن يخلع الزوج خُفّ زوجته.

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ١١٤.

١٠- أن يغسل الزوج رِجل زوجته إذا جلست.

١١- أن يصبَ الزوج الماء في جوانب الدار من الباب إلى أقصاها.

١٢- وينبغي للزوج أن يجنّب الزوجة في الأسبوع الأوّل من الزواج من أربعة أشياء: اللبن، والخل، والكزبرة، والتفاح الحامض.(١)

أخرج الطبرسي في مكارم الأخلاق عن أبي سعيد الخدري قال: أوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: «**يا علي إذا أدخلتَ العروس بيتك فاخلع خفّها حين تجلس، واغسل رجليها، وصبّ الماء من باب دارك إلى أقصى دارك، فإنّك إذا فعلت ذلك أخرج الله من دارك سبعين ألف لون من الفقر وأدخل فيها سبعين ألف لون من الغنى وسبعين لوناً من البركة وأنزل عليك سبعين رحمة ترفرف على رأس عروسك حتى تنال بركتها كل زاوية في بيتك وتأمن العروس من الجنون والجذام والبرص أن يصيبها ما دامت في تلك الدار. وامنع العروس في أسبوعها من الألبان والخل والكزبرة والتفاح الحامض من هذه الأربعة الأشياء، فقال علي (عليه السلام): يا رسول الله ولأي شيء أمنعها هذه الأشياء الأربعة؟ قال: لأنَّ الرحم تعقم وتبرد من هذه الأربعة الأشياء عن الولد**».(٢)

هدية جبرئيل في وليمة الزهراء عليها السلام

كان لأمين وحي الله جبرئيل عليه السلام فرحته وهديّته الخاصّة بزواج أمير المؤمنين وسيّدة النساء عليهما السلام، فقد هبط بسلّة سماوية فيها من فواكه الجنّة وطعامها، فضلاً

(١) الوسيلة لابن حمزة الطوسي: ص٣١٣.

(٢) مكارم الأخلاق للطبرسي: ص٢٠٩، الفصل الرابع في آداب الزفاف.

عن سفرجلة من طعام الجنّة تناصف بين الزوجين، فقد روى الراوندي في الخرائج أنَّه لما كان وقت زفاف فاطمة عليها السلام اتخذ النبي صلى الله عليه وآله طعاماً وخبيصاً. وقال لعلي: ادع الناس، قال علي عليه السلام: جئت إلى الناس فقلت: أجيبوا الوليمة، فأقبلوا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أدخل عشرة، فدخلوا وقدّم إليهم الطعام والثريد، فأكلوا، ثم أطعمهم السمن والتمر فلا يزداد الطعام إلا بركة، فلما أطعم الرجال عمد إلى ما فضل منها فتفل فيها وبارك عليها، وبعث منها إلى نسائه، وقال: «**قل لهن: كلن وأطعمن من غشيكن**». ثم إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا بصحفة فجعل فيها نصيباً فقال: هذا لك ولأهلك. وهبط جبرئيل في زمرة من الملائكة بهدية. فقال لأمِّ سلمة: املئي القعب ماء! فقال لي: «**يا علي اشرب نصفه**»، ثم قال لفاطمة: «**اشربي وأبقي**»، ثم أخذ الباقي فصبّه على وجهها ونحرها، ثم فتح السلة فإذا فيها كعك وموز وزبيب، فقال: «**هذا هدية جبرئيل**»؛ ثم أقلب من يده سفرجلة فشقّها نصفين وقال: «**هذه هدية من الجنة إليكما**»، وأعطى علياً نصفاً وفاطمة نصفاً[1].

الزهراء تؤثر على نفسها فتعطي ثوب عرسها لسائل

لم تترك الزهراء عليها السلام إيثارها وخُلقها العالي حتى ليلة زفافها، فآثرت السائل حين سأل قميصاً خلقاً يستر به بدنه، ومثلُها المصداق الأكمل لقوله تعالى ﴿لن تنالوا البِرّ حتّى تُنفقوا مما تحبّون﴾[2]، فدفعت ثوبها الجديد الذي ادّخرته للزفاف، فاستجاب لها الرب الكريم وأرسل لها من جنانه ثوباً من السندس الأخضر، هبط به جبرئيل وقد لفّه بأجنحته كي لا يخطف نوره الأبصار!

---

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ١٠٥ – ١٠٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٢.

قال العلامة الصفوري في نزهة المجالس[(١)]: ذكر ابن الجوزي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صنع لها قميصاً جديداً ليلة عرسها وزفافها، وكان لها قميص مرقوع، وإذا بسائل على الباب، يقول: أطلب من بيت النبوة قميصاً خلقاً، فأرادت أن تدفع إليه القميص المرقوع، فتذكرت قوله تعالى ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فدفعت له الجديد، فلما قرب الزفاف، نزل جبريل، وقال: يا محمد إنَّ الله يقرؤك السلام، وأمرني أن أسلم على فاطمة، وقد أرسل لها معي هدية من ثياب الجنة من السندس الأخضر، فلما بلغها السلام، وألبسها القميص الذي جاء به لفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعباءة، ولفها جبريل بأجنحته، حتى لا يأخذ نور القميص بالأبصار، فلما جلست بين النساء الكافرات ومع كل واحدة شمعة، ومع فاطمة - عليها السلام - سراج، رفع جبريل جناحه، ورفع العباءة، وإذا بالأنوار قد طبقت المشرق والمغرب، فلما وقع النور على أبصار الكافرات، خرج الكفر من قلوبهن وأظهرن الشهادتين[(٢)].

وقال الكجوري في الخصائص الفاطمية: أروي ما في كتاب (التبر المذاب)، لأنّي أردت نقل بعض الأخبار عن طرق العامّة ممّا تسالم عليه الفريقان، وهو ما رواه أيضاً ابن الجوزي، ليعلم محبّو هذه الأسرة إذعان الآخرين بهذه الفضائل واتفاقهم عليها مع الخاصّة في الجملة.

(اعلم لما حضرت الوفاة سيّدة العصمة والعفاف دخل عليها أمير المؤمنين فوجد عندها حقّة، فسألها عنها فقالت: «**فيها حرير أخضر، وفي الحرير ورقة بيضاء، وفي الورقة عدّة سطور يسطع منها النور**». فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وماذا كتب فيها يا بنت**

(١) نزهة المجالس ٢: ٢٢٦، طبع القاهرة.

(٢) (نقلًا عن شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي ١٠: ٤٠١ - ٤٠٢).

خديجة الكبرى»؟ قالت: «يا سفينة النجاة ويا بن عمّ رسول الله، لمّا زوّجني أبي منك وأخبر أنّ عقدي قرئ تحت شجرة طوبى فنثرت الحلي والحلل - وقد ذكرنا نثار شجرة طوبى مراراً - كان عندي ثوبان أحدهما قديم والآخر جديد، وكنت جالسة للعبادة ليلة الزفاف فإذا بسائل ينادي: يا أهل بيت النبوّة ومعدن الخير والفتوة أعطوني ثوباً قديماً فإنّي فقير، فأعطيته الثوب الجديد، فلمّا أصبح الصباح غدا علينا رسول الله بوجهه المنوّر»، فقال: «أين ثوبك الجديد ما أراك تلبسينه»؟! فقلت: «ألم تَقُل إنَّ الصدقة باقية فإنّي تصدّقت به». فقال: «لو تصدّقت بالقديم ولبست الجديد فهو أرعى لزوجك وللفقير، وأحفظ لك من حرارة الصيف في أيّام الصيام». فقلت: «لقد اقتديتُ بك يوم تزوّجت بخديجة فبذلت مالها وجاءك السائل فأعطيته ثوبك واشتملت بالحصير، ورأيتك تصنع مثل ذلك كثيراً ممّا لا يفعله غيرك، حتّى جعلت الجنّة لك ونزل فيك»: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾[1] فبكى النبيّ وضمّني إلى صدره، وقال: «هبط الأمين جبرئيل وقال: أقرئ فاطمة السلام وقل لها فلتطلب ما في الغبراء والخضراء، وبشّرها أنّي أحبّها».

فقلت: «يا رسول الله: شغلتني عن مسألته لذّة خدمته، لا حاجة لي غير النظر إلى وجهه الكريم في دار السلام». فقال: «ارفعي يديك، فرفعت يدي ورفع النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) يده حتّى بان بياض أبطيه، ثمّ دعا لأُمّته» فقال: «اللهم اغفر لأُمّتي». فقلت: آمين، فهبط جبرئيل وقال: قال الله: «غفرتُ لمن أحب فاطمة وأباها وبعلها وبنيها من أُمّتك، فطلبت كتاباً فجاءني جبرئيل الأمين بهذا الحرير الأخضر وفيه هذه الرقعة البيضاء مكتوب فيه بيد القدرة» ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[2] وشهد

(١) سورة الإسراء: ٢٩.

(٢) سورة الأنعام: ٥٤.

على ذلك جبرئيل وميكائيل فقال أبي: «**احفظي ذلك وأوصي أن يُدفن معك في قبرك؛ فإذا كان يوم القيامة وتصاعد لهيب النيران أدفعه إلى أبي ليأخذ لي بها وعدني ربّي**».(١)

الحاجة إلى وجود امرأة تتعاهد العروس ليلة الزفاف

تحتاج الفتاة الباكر ليلةَ زفافها إلى امرأةٍ تتعهّدها وتتولّى أمرها وتتواجد قريباً منها، وينبغي أن تكون هذه المرأة من أقارب العروس، ويفضل أن تكون أُمَّها أو أُختها المتزوّجة. وقد أوصت أُمُّ المؤمنين خديجة الكبرى أسماء أن تنوب عنها في هذه المهمّة، فوعدتها أسماء بذلك ووفت به، فشكرها رسول الله ودعا لها.

أخرج المجلسي حديثاً طويلاً عن زواج فاطمة الزهراء عليها السلام (وسيأتي قريباً) قال فيه:

... قال علي عليه السّلام: «**ومكث رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل علينا. فلما كان في صبيحة اليوم الرابع جاءنا ليدخل علينا، فصادف في حجرتنا أسماء بنت عميس الخثعمية، فقال لها: ما يوقفك هاهنا وفي الحجرة رجل؟! فقالت له: فداك أبي وأُمّي، إنَّ الفتاة إذا زفّت إلى زوجها تحتاج إلى امرأة تتعهدها وتقوم بحوائجها. فأقمت هاهنا لأقضي حوائج فاطمة وأقوم بأمرها. فتغرغرت عينا رسول الله بالدموع وقال: يا أسماء، قضى الله لك حوائج الدنيا والآخرة**»- الحديث.(٢)

قال علي بن عيسى: وحدثني السيد جلال الدين عبد الحميد بن فخار الموسوي بما هذا معناه، وربما اختلف الألفاظ (قال) قالت أسماء بنت عميس هذه:

---

(١) الخصائص الفاطمية ٢: ٣٨٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٢.

حضرت وفاة خديجة عليها السلام فبكت، فقلت: أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين، وأنت زوجة النبي صلى الله عليه وآله مبشرة على لسانه بالجنة، فقالت: ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لا بد لها من امرأة تفضي إليها بسرها، وتستعين بها على حوائجها، وفاطمة حديثة عهدٍ بصبا، وأخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذ؛ فقلت: يا سيدتي لك (عَلَيَّ) عهد الله إن بقيتُ إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر، فلما كانت تلك الليلة وجاء النبي صلى الله عليه وآله أمر النساء فخرجن وبقيت، فلما أراد الخروج رأى سوادي فقال: من أنت؟ فقلت: أسماء بنت عميس، فقال: ألم آمرك أن تخرجي؟ فقلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمّي، وما قصدت خلافك، ولكني أعطيت خديجة عهداً - وحدثته - فبكى، فقال: بالله لهذا وقفتِ؟ فقلت: نعم والله، فدعا لي.[1]

أقول: يعترض البعض على اسم (أسماء بنت عميس) ويورد شواهد على وجودها في الحبشة يومذاك، ويعتقد أنَّ المرأة المذكورة هي (أسماء بنت يزيد ابن السكن الأنصاري) وهي صحابية لها روايات نقلتها عن رسول الله. ولا نتعرّض لمناقشة هذا الموضوع في هذا الكتاب، لأنَّ الغرض هو التأكيد على ضرورة وجود امرأة قرب العروس ليلة زفافها، ولا يطعن في الرواية أكانت المرأة بنت عميس أم بنت يزيد بن السكن.

الزهراء وبعلها يتهجّدان في المحراب ليلة الزفاف

القلوب التي تأنس بذِكر الله تعالى والتهجّد إليه لا تترك أُنسها لأي طارىء أو ذريعة، وليلة الزفاف أوّل ليلة في الحياة الزوجية المشتركة التي يجب إرساء دعائمها على أساس متين من تقوى الله تعالى وطاعته، فهو تعالى الذي يؤلّف بين قلبي الزوجين، وهو الذي

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٨.

جعل بينهما مودّة ورحمة. وما أحرى الزوجين أن يشكرا الله تعالى على نعمته بالتأليف بين قلبيهما. ويضرب أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام المثل الأعلى في العبادة والتقوى، وهما اللذان أذن الله لبيتهما أن يُرفع ويُذكر فيه اسمُه.

أخرج العلامة الشيخ عبد الله الحنفي المتوفى بعد سنة ٨٠٠ هـ في كتاب (الرقائق) المعروف بالأخوانيات[١] حديثاً طويلًا عن زواج أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام، جاء فيه:

(... ثم دعا رسول الله صلى الله عليه -وآله- وسلم بفاطمة وعلي فأخذ علياً بيمينه وأخذ فاطمة بشماله وجعلهما إلى صدره وقبّل بين عينيهما، ثم رفعهما إليه وقال: «**يا أبا الحسن نِعم الزوجة زوجتك**»، ثم قام يمشي معهما إلى البيت الذي لهما، ثم خرج وأخذ بعضادتي الباب وقال: «**جمع الله شملكما أستودعكما الله وأَستخلفه عليكما**»، فأقبل علي - عليه السلام - على فاطمة يلاطفها بالكلام حتى جنّ الظلام، فأخذت فاطمة في البكاء، فقال لها: «**ما يبكيك يا سيدة نساء العالمين؟ ألم ترضي أن أكون لك بعلاً وتكونين لي أهلاً**»؟ فقال: «**يا بن العم كيف لا أرضى وأنت الرضا وفوق الرضا، وإِنَّما فكّرتُ في حالي وأمري عند ذهاب عمري، ونزولي في قبري، فشبّهت دخولي إلى فراش عزي وفخري، كدخولي لحدي وقبري، وأنا أسألك يا بن العم بحق محمد إلاّ ما بلغتني قصدي وإربي، وقمتَ بنا إلى محرابنا نتعبّد في هذه الليلة فهو أحق وأحرى بنا، فنهضا إلى المحراب وقاما إلى التهجد في خدمة رب الأرباب**».[٢]

(١) ص ٢٥٠ (مخطوط).

(٢) شرح إحقاق الحق ٤: ٤٧٤ - ٤٨١.

لا غيرة في الحلال

ليس في الوجود أغير من الله تعالى، فلذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن كما في الحديث الشريف، وليس في الناس - كلّ الناس - أغير من رسول الله صلى الله عليه وآله، لكنّ الغيرة يجب أن تنحصر في الحرام دون الحلال، فلقد «**جدع الحلالُ أنفَ الحرام**» على حدّ تعبير الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله. وها هو سيد الأنبياء والمرسلين يعطي أُمَّته درساً في إلغاء الغيرة الجاهليّة التي لا تميّز بين ما يرضى به الله وما لا يرضى به، فنراه يلقى ابنته الوحيدة الحبيبة وزوجها نائمين في فراشها، فيجلس بينهما ويدخل رِجليه بينهما في الفراش. ونسمعه قبل ذلك يقول «**لا تحدثا شيئاً حتى أرجع إليكما**»! فأين من هذا غيرة من لا يحضر في مراسم زواج ابنته أو أُخته، ويستحيي من الناس كأنّه ارتكب إثماً، ويتوارى عن الأنظار حتى تنتهي المراسم فيتنفّس حينذاك الصعداء!

روى الكليني بإسناده عن أبي عبد الله الصادق عليه السّلام قال: «**لا غيرة في الحلال بعد قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: (لا تُحدثا شيئاً حتى أرجع إليكما)؛ فلمّا أتاهما أدخل رجليه بينهما في الفراش**»[1].

وأخرج الأربلي عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال نفر من الأنصار لعلي ابن أبي طالب عليه السّلام:.. فلمّا كان ليلة البناء قال صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السّلام: لا تحدثنّ شيئاً حتى تلقاني. فدعا رسول الله صلّى الله عليه وآله بماء فتوضّأ منه، ثم أفرغه على علي عليه السّلام وقال: «**اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في شبليهما**». وقال ابن ناصر: «**في نسليهما**»[2].

(١) الكافي ٥: ٥٣٧ / ح ١.

(٢) كشف الغمة ١: ٣٦٥.

وأخرج الأربلي عن عبد العزيز الجنابذي، قال: لمّا كانت ليلة أهديت فاطمة عليها السّلام إلى علي عليه السّلام قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: لا تحدث شيئاً حتى آتيك. فلم يلبث رسول الله صلّى الله عليه وآله أن اتّبعها، فقام علي عليه السّلام بالباب. فاستأذن فدخل، فإذا علي عليه السّلام متنبذٌ منها، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إنّي قد علمت أنّك تهاب الله ورسوله**». فدعا بماء فتمضمض به، ثم أعاده في الإناء، ثم نضح به صدرها وصدره(١).

قال الآبي: قال صلّى الله عليه وآله: «**لمّا زفّ فاطمة عليها السّلام إلى علي عليه السّلام: جدع الحلالُ أنفَ الغيرة**»(٢).

تعويذ العريس

يلجأ المخلوق في الاستعاذة من شرور شياطين الإنس والجنّ إلى الخالق الجبّار المهيمن، ونجد نبينا الكريم يعوّذ ابنته وصهره بالمعوذتين وبسورة الإخلاص، ويدعو لهما بالبركة، كما وجدناه فيما بعد يعوّذ الحسنين عليهما السلام بالمعوّذتين كلّما مرضا.عن علي عليه السّلام، عن النبي صلّى الله عليه وآله حيث زوّجه فاطمة عليها السّلام دعا بماء فمجّه ثم أدخله في فيه فرشّه في جيبه وبين كتفيه وعوّذه بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، والمعوّذتين(٣).

قال ابن سعد: إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لما أُدخل علي عليه السّلام على فاطمة عليها السّلام جاء فطرق الباب وقال: أين أخي؟! فجاءت أمُّ أيمن، فقالت: يا رسول الله! كيف يكون أخاك وقد زوّجته ابنتك؟! قال: هو ذاك. ثم دخل عليهما فدعا لهما

---

(١) كشف الغمة ١: ٣٧٣.

(٢) نثر الدرر للآبي: ص ١٥٥.

(٣) بحار الأنوار ٨٩: ٣٥٧/ ح ٢٣، عن الدر المنثور.

ووقّاهما. قال: وإنّما فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله ذلك لأَنَّ اليهود كانوا يأخذون الرجل عن أهله[(١)].

وحضر رسول الله صلّى الله عليه وآله دخولها، وباركهما فقال: «**اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك في شملهما**»، ثم قرأ سورة الإخلاص والمعوّذتين، وأشار إلى علي عليه السّلام وقال له: «**قم وادخل بأهلك باسم الله والبركة**»[(٢)].

سنّة الإكثار من الطيب

من سنّة نبيّنا الكريم الإكثار من الطيب، وقد روي عن صادق أهل البيت عليهم السلام عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُنفق في الطيب أكثر مما ينفق في الطعام[(٣)]، وأَنَّ الطيب من سُنن المُرسَلين[(٤)]؛ وأَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: طيب النساء ما ظهر لونُه وخفي ريحُه، وطيب الرجال ما ظهر ريحُه وخفي لونُه[(٥)].

عن علي عليه السّلام: «**أنه لما تزوّج فاطمة عليها السّلام، قال له النبي صلّى الله عليه وآله: اجعل عامّة الصداق في الطيب**»[(٦)].

وكان النبي صلى الله عليه وآله أمر نساءه أن يزينها ويصلحن من شأنها في حجرة أُمِّ

(١) تذكرة الخواص: ص ٣٠٨، عن الطبقات، أي يحولون بين الرجل وبين أهله عند اللقاء.

(٢) ملحقات إحقاق الحق ٣٣: ٣٤٨، عن معجز محمد صلّى الله عليه وآله.

(٣) انظر الكافي للكليني ٦: ٥١٢ / ح١٨.

(٤) انظر الكافي للكليني ٦: ٥١٠ / ح٢.

(٥) انظر الكافي للكليني ٦: ٥١٢ / ح١٧.

(٦) ملحقات إحقاق الحق ١٠: ٣٥٩، عن منتخب كنز العمّال.

سلمة فاستدعين من فاطمة عليها السلام طيباً، فأتت بقارورة، فسئلت عنها فقالت: كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول لي: يا فاطمة هاتي الوسادة فاطرحيها لعمك، فكان إذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه، فسئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال: هو عنبر يسقط من أجنحة جبرئيل، وأتت بماء ورد فسألت أُمُّ سلمة عنه فقالت: هذا عرَق رسول الله صلى الله عليه وآله، كنت آخذه عند قيلولة النبي صلى الله عليه وآله عندي[1].

روى البيهقي في السنن الكبرى عن علي عليه السّلام قال: «**لما خطبت فاطمة عليها السّلام قال النبي صلّى الله عليه وآله: هل لك من مهر؟ قلت: معي راحلتي ودرعي. قال: فبعها بأربعمائة. قال: أكثروا الطيب لفاطمة، فإنّها امرأة من النساء**»[2].

أخرج المتقي الهندي عن علباء بن أحمر قال قال علي بن أبي طالب: «**خطب إلى النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم ابنته فاطمة، قال: فباع علي درعاً له وبعض ما باع من متاعه فبلغ أربعمائة درهم، قال: وأمر النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم أن يجعل ثُلثيه في الطيب وثلثاً في الثياب، ومجّ في جرة من ماء فأمرهم أن يغتسلوا به**» – الحديث.[3]

سنة تزيين العروس

تزيين العروس ليلة الزفاف من الأُمور المستحبّة، بل ورد أنَّ من حق الزوج على زوجته أن تتزيّن له، كما أَنَّ من حقّها عليه أن يتهيأ لها، وسنتحدّث في هذا الموضوع في الفصل القادم. وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّ امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ١١٤ – ١١٥.

(٢) السنن الكبرى ٧: ٢٥٤؛ كنز العمال ١٣: ٦٨٢ / ح ٣٧٧٤٨.

(٣) كنز العمال ١٣: ٦٨٠ / ح٣٧٧٤٢.

وآله فسألته عن حقّ الزوج، فقال: «**ليس لها أن تصوم إلا بإذنه - يعني تطوّعاً - ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وعليها أن تتطيب بأطيب طيبها، وتلبس بأحسن ثيابها، وتزين بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية، وأكثر من ذلك حقوقه عليها**»(١).

قال العلامة محب الله السهالوي في (وسيلة النجاة)(٢): وفي فصل الخطاب عن أبي بكر أَنَّه قال: لما زوّج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة من علي قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**زيّنوا حبيبتي وقرة عيني فاطمة بأفضل زينتكم، وأكثروا الطيب، ولا تنسوا الخباء**»(٣) عن فاطمة(٤).

تهيئة بيت الزوجية

يشترط الإسلام وجود بيت يعيش فيه الزوجان، لكنه لا يشترط في ذلك البيت أن يكون فخماً أو مؤثثاً، فأبسط البيوت يمكن أن تقوم بين جدرانه أحلى حياة زوجية إذا كانت دعائم تلك الحياة قائمة على أساس المحبّة والتفاهم. ودليلُنا في هذا الكلام الحياةُ الزوجية التي قامت بين أشرف زوجين على البسيطة: فاطمة وعلي عليهما السلام، والتي امتازت بالبساطة المتناهية، والقناعة المبنيّة على غنى النفس، تلك الحياة الطافحة بالمودّة والدفء والإيثار.

عن ابن شهاب الزهري، في حديث طويل:... فزوّجه رسول الله صلّى الله عليه وآله

---

(١) الحدائق الناضرة للمحقق البحراني ٢٣: ١١٩.

(٢) - ص٢٢٠، طبعة كلشن فيض في لكهنو.

(٣) الخباء: ما يُعمل من وبر أو صوف أو شعر للسكن؛ والخباء: الستر. يقصد صلى الله عليه وآله التأكيد على النساء بالاهتمام بستر ابنته سيّدة نساء العالمين عليها السلام عن الأنظار.

(٤) نقلًا عن ملحقات إحقاق الحق - السيد المرعشي ١٨: ١٨٢.

على اثنتي عشرة أوقية ونش، ودفع إليه درعه، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: هيّئ منزلاً حتى تحوّل فاطمة إليه. فقال علي عليه السّلام: يا رسول الله! ما هاهنا إلاّ منزل حارثة بن النعمان.

وكان لفاطمة عليها السّلام يوم بنى بها أمير المؤمنين عليه السّلام تسع سنين.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**والله لقد استحيينا من حارثة بن النعمان، قد أخذنا عامّة منازله**».

فبلغ ذلك حارثة، فجاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: «**يا رسول الله، أنا ومالي لله ولرسوله، والله ما شيء أحب إليّ مما تأخذه، والذي تأخذه أحب إليّ مما تتركه. فجزّاه الله عن رسول الله صلّى الله عليه وآله خيراً**».

فحوّلت فاطمة إلى علي عليه السّلام في منزل حارثة، وكان فراشهما إهاب كبش، جعلا صوفه تحت جنوبهما[1].

عن أبي جعفر، قال: لما قدم رسول الله صلّى الله عليه وآله المدينة نزل على أبي أيوب سنة أو نحوها؛ فلما تزوّج علي فاطمة عليها السّلام قال لعلي عليه السّلام: اطلب منزلاً. فطلب علي عليه السّلام منزلاً فأصابه مستأخراً عن النبي صلّى الله عليه وآله قليلاً، فبنى بها فيه.

فجاء النبي صلّى الله عليه وآله إليها فقال: إنِّي أُريد أن أحوّلك إليّ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: فكلِّم حارثة بن النعمان أن يتحول عني. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: قد تحوّل حارثة عنا حتى قد استحييت منه، فبلغ ذلك حارثة فتحوّل وجاء

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٧١.

إلى النبي صلّى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! إنَّه بلغني أنَّك تحوّل فاطمة عليها السّلام إليك، وهذه منازلي وهي أسقب بيوت بني النجار بك، وإنَّما أنا ومالي لله ولرسوله. والله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحب إلي من الذي تدع. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: صدقت بارك الله عليك. فحوّلها رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى بيت حارثة[1].

والد العروس يزور ابنته وصهره صبيحة اليوم الرابع

زار والد العروس العريسين صبيحة اليوم الرابع بعد أن مكث ثلاثة أيام لا يزورهما، ثم جلس عند رأسي العريسين فدعا لهما، ثم اختلى بابنته وسألها عن زوجها، ثم أوصاها بطاعته، ثم نادى العريس فأوصاه أن يلطف بزوجته ويرفق بها.

عن أُمِّ سلمة وسلمان الفارسي وعلي بن أبي طالب عليه السّلام (في حديث طويل جاء فيه):

قال علي عليه السّلام: «**ومكث رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل علينا. فلما كان في صبيحة اليوم الرابع جاءنا ليدخل علينا، فصادف في حجرتنا أسماء بنت عميس الخثعمية، فقال لها: ما يوقفك هاهنا وفي الحجرة رجل؟! فقالت له: فداك أبي وأُمّي، إنَّ الفتاة إذا زفّت إلى زوجها تحتاج إلى امرأة تتعهدها وتقوم بحوائجها. فأقمت هاهنا لأقضي حوائج فاطمة وأقوم بأمرها. فتغرغرت عينا رسول الله بالدموع وقال: يا أسماء، قضى الله لك حوائج الدنيا والآخرة**».

قال علي عليه السّلام: «**وكانت غداة قرة وكنت أنا وفاطمة تحت العباء. فلما سمعنا كلام رسول الله لأسماء ذهبنا لنقوم، فنظر إلينا رسول الله فقال: سألتكما بحقي عليكما لا تفترقا حتى أدخل عليكما. فرجع كل واحد منا إلى صاحبه ودخل علينا رسول الله**

(١) زوجات النبي صلّى الله عليه وآله وأولاده: ص ٣٢٩.

فقعد عند رؤوسنا وأدخل رجليه فيما بيننا، فأخذت رجله اليمنى وضممتها إلى صدري، وأخذت فاطمة رجله اليسرى فضمّتها إلى صدرها وجعلنا ندفئ رجلي رسول الله من القرّ، حتى إذا دفئت رجله قال لي: «يا علي، آتني بكوز من ماء»، فأتيته بكوز من ماء فتفل فيه ثلاثاً وقرأ عليه آيات من كتاب الله عز وجل وقال: «يا علي، اشربه واترك منه قليلاً» ففعلت ذلك. فرشّ رسول الله صلّى الله عليه وآله باقي الماء على رأسي وصدري وقال: أذهب الله عنك الرجس يا أبا الحسن وطهّرك تطهيراً.

ثم قال: (آتني بماء جديد) فتفل فيه ثلاثاً وقرأ عليه آيات من كتاب الله عز وجل ودفعه إلى ابنته فاطمة وقال: (اشربي هذا الماء واتركي منه قليلاً). ففعلت ذلك فاطمة ورشّ النبي صلّى الله عليه وآله باقي الماء على رأسها وصدرها وقال: (أذهب الله عنك الرجس وطهّرك تطهيراً)، وأمرني بالخروج عن البيت وخلا بابنته وقال: (كيف أنت يا بنية كيف رأيت زوجك)؟ قالت: يا أبة، خير زوج، إلّا أنّه دخل عليّ نساء قريش وقلن لي: (زوّجك رسول الله من رجل فقير لا مال له).

فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما أبوك بفقير ولا بعلك بفقير، ولقد عرضت عليّ خزائن الأرض من الذهب والفضة، فاخترتُ ما عند ربي عز وجل. لو تعلمين ما يعلم أبوك لسمحت الدنيا في عينك. والله يا بنية، ما آلوتكِ نُصحاً أن زوّجتك أقدمهم سِلماً وأكثرهم عِلماً وأعظمهم حِلماً. يا بنية، إنَّ الله عز وجل اطّلع إلى الأرض اطلاعة فاختار من أهلها رجلين، فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك. يا بُنية، نِعم الزوج زوجك، لا تعصين له أمراً.

ثم صاح بي رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا علي. فقلت: لبيك يا رسول الله. قال: أدخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها، فإنَّ فاطمة بضعة مني، يؤلمني ما يؤلمها، ويسرّني

ما يسرّها. أستودعكما الله وأستخلفه عليكما».

قال علي عليه السّلام: «**فو الله ما أغضبتها ولا أكرهتها من بعد ذلك على أمر حتى قبضها الله عز وجل إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً. ولقد كنت أنظر إليها فتكشف عني الغموم والأحزان بنظري إليها**»- الحديث»[1].

دروس الزهراء عليها السلام الأخلاقية والسلوكية للنساء

تعلم المدرسة الفاطمية نساءنا وفتياتنا أن يكنّ ممّن يقدّرن المسؤولية، وممّن يتحمّلن المسؤولية، وأن يلتفتن في حياتهنّ إلى أَنَّ كلّ امرءٍ سيُحاسب يوم القيامة على أعماله وقابليّاته. وإنَّ حياة الزهراء عليها السلام تعلّم الجميع أَنْ يسيروا في طريق الخالق دون سواه، وأن يعيشوا لأجله، تعلّم الزهراء عليها السلام النساء أن لا يصرفن لحظة واحدة من أعمارهنّ أو يهدرن شيئاً من قابلياتهنّ عبثاً، وأن يكون لحياتهنّ بكلّ تفاصيلها برنامجٌ وخطة عمل، وأن لا يغفلن عن الجهاد في سبيل الله وفي طريق خدمة خلقه لحظة واحدة.

تعلّمنا الزهراء عليها السلام كيف نمتلك حياة طيبة، وكيف نتمتع بحياة إنسانيّة مثمرة، وكيف نطوي طريق القرب الإلهي والتكامل الإنسانيّ، وأن لا نخطو خطوة إلاَّ في طريق التضحية من أجل الإسلام.

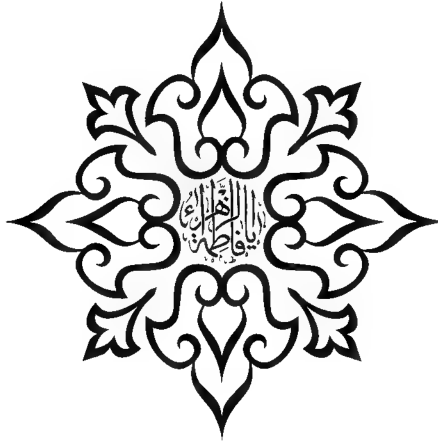
لقد كانت فاطمة عليها السلام أسوة في تحطيم السنن والعادات الجاهليّة، تلك السنن التي شاعت وترسّخت في المجتمع على نحو خاطئ وأضحى الناس - بحسب العادة - أسرى لها. ولقد كانت الزهراء عليها السلام الروضة التي غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله وتعاهدها بيديه الكريمتين وسهر في رعايتها وطبّق في شأنها كلّ التعاليم

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٢٤ / ح ٣٢ عن كشف الغمة؛ المناقب للخوارزمي: ص ٣٤٣ / ح ٣٦٤.

والأُسس والبرامج الإسلاميّة التي جاءت في شأن النساء.

لقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال الزهراء عليها السلام كيف يتقبّل الوالدان قدوم وليدتهما بالفرح الغامر، وكيف يحبّانها ويُغدقان عليها ألوان الحبّ والرعاية، وفي عصر كان الآباء فيه يدفنون بناتهم أحياء كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّل يد ابنته فاطمة عليها السلام، ثم إِنَّه صلى الله عليه وآله دلّ أُمَّته على الأسلوب الأمثل في التعامل مع المرأة وكيفية النظر إليها. أظهر الرسول لأُمَّته بجلاء أنّه ليس (أبترَ) بوجود فاطمة عليها السلام الكوثر المعطاء الذي يفيض بالخير الكثير.

وكانت الزهراء عليها السلام أسوة في تحطيم السنن الجاهليّة في عصر كانت بنات الزعماء والأشراف لا يتزوّجن إلاّ بأبناء الزعماء والأشراف، لكنّ فاطمة عليها السلام حطّمت هذه السنّة وتزوّجت من أمير المؤمنين عليه السلام المؤمن المجاهد الذي لم يكن لديه مال، والذي لجأ إلى درعه يبيعه من أجل تهيئة مهر زوجته.





سَيِّدَةُ نِسَاءِ العَالَمِينَ

الفصل الخامس

فاطمة في بيت أمير المؤمنين عليهما السلام

الزهراء هي الركن الذي يستند عليه أمير المؤمنين عليهما السلام

الحياة المشتركة في طاعة الله تعالى

انتقلت فاطمة الطاهرة عليها السلام إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام، وفُتحت صفحة جديدة في حياة هذه السيدة الجليلة طافحة بالعظمة وزاخرة بصور الوفاء والإيثار. دخلت الزهراء عليها السلام في بيت أمير المؤمنين عليه السلام فانفتحت بدخولها صفحة من المودّة والمحبّة عبّرت عنها الآية الكريمة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1]. ولقد كانت سيدة نساء العالمين كفواً لأعظم رجل عرفه التاريخ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وحين دخلت حياته الزاخرة بالجهاد، الطافحة بالتضحيات، والملوّنة في الوقت نفسه بالبساطة المتناهية، لم تكن الزهراء مجرّد زوجة لأمير المؤمنين تشاركه حياته في البيت فحسب؛ بل شاطرته همومه الكبيرة وجهاده، وكانت له رفيقة طريق جهاده والمؤتمنة على أسراره وموضع استشارته، والمدافع عن ولايته! وكانت تسلّيه حين يضيق صدره، وتغسل سيفه حين يعود من ساحة الحرب، وبلغ بها الأمر أنّها رافقته إلى بيوت الأنصار بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله تحثّهم على نُصرته، ثم تحدثت إلى نساء الأنصار ولفتت أنظارهن إلى عظم الخطيئة التي ارتكبها رجالهن حين بايعوا غير أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) سورة الروم: الآية ٢١.

لقد عاشت سيدة نساء العالمين عليها السلام في بيتها الجديد المفروش بالبساطة، والمزيّن بالقناعة؛ فكانت لبعلها نعم العون على طاعة الله تعالى، حتى قال عنها أبوها إنّها أحد ركني أمير المؤمنين عليه السلام اللذين يستند عليهما ويأوي إليهما. كانت المحبة والتفاهم هي اللغة الحاكمة على هذا البيت المتواضع بإمكاناته، الشامخ بمنزلته عند الله تبارك وتعالى، وكان الزوج المجاهد الذي ما قام الإسلام إلا ببركة تضحياته وجهاده يأوي إلى البيت مكدوداً، لكنَّه ما إن ينظر إلى زوجته حتى تنكشف عنه الهموم والأحزان، وينسى إلى جانبها آلامه وجراحاته، ولم يسمع من زوجته الحبيبة كلمة آه واحدة ولم يرَ منها تذمراً ولا تلكؤاً في أداء واجباتها الثقيلة في البيت.

ومنذ اليوم الأول لهذه الحياة الجديدة ضمنت الزهراء لعلي عليهما السّلام عمل البيت: العجين والخبز وقمّ البيت؛ وضمن لها علي عليه السّلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب وأن يجيء بالطعام. لكنَّ أمير المؤمنين عليه السلام رجل الجهاد والحرب كان في بيته رجل اللطف والمعونة لزوجته، فكان يساعدها حيثما وجد إلى ذلك سبيلاً، ودخل عليهما رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فشاهد علياً عليه السلام ينقي العدس وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر، فأشاد بموقف أمير المؤمنين عليه السلام وأخبره بالثواب الكبير الذي أعده الله تعالى لمن يعين زوجته في أعمال البيت ولا يأنف من خدمة عياله. ثم دخل صلى الله عليه وآله عليهما يوماً آخر فوجدهما يطحنان في الجاروش، فقال: أيكما أعيى؟ فقال: علي عليه السّلام: فاطمة يا رسول الله. فقال لها: قومي يا بنية! ثم أنَّه صلى الله عليه وآله جلس موضع ابنته يعين علياً عليه السلام في طحن الحب!

هذا البيت البسيط كان موضع اهتمام خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله الذي ما برح شهوراً عدة يأتيه صباح كل يوم فينادي أهله للصلاة ثم يتلو آية التطهير.

كما كان هذا البيت محطّ أنظار السماء ومهبط ملائكتها، ولا عجب أن شاءت إرادةُ الرب الودود لهذا البيت أن يُرفع ويُذكر فيه اسمه، كما لا عجب في أن تأمر السماءُ خاتم الأنبياء أن يستثني هذا البيت - الذي أذهبت الرجس عن ساكنيه وطهّرتهم تطهيراً - من أمر سدّ الأبواب فتبقى بابه شارعة إلى المسجد. استثنت السماء هذا البيت الطاهر الذي سقفه عرش رب العالمين، وفي قعره فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً، وفي كل ساعة وطرفة عين على حد تعبير الإمام الباقر عليه السلام.

وتمر الأيام وتزداد مشاغل الزهراء عليها السلام بقدوم الحسنين عليهما السلام، فيعطيها خاتم الأنبياء خادماً تساعدها في أعمال البيت، لكنَّ أُمَّ أبيها عليها السلام تعاملها معاملة إنسانية لم تعامل بها سيدة خادمتها قط، فقد جعلت عليها يوماً للخدمة، وجعلت على خادمتها يوماً، فإذا كان يوم استراحة الخادمة تكفّلت أُمُّ الحسنين عليها السلام بجميع أعمال البيت ولم تكلّف الخادمة بشيء. وحين سمع خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله بذلك لم يتمالك عينيه أن فاضتا بالدموع وقال: ﴿ الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ ﴾[1].

وقفت الزهراء عليها السلام إلى جانب زوجها أمير المؤمنين عليه السلام تشد من أزره وتسانده وتسلّي خاطره، وفي يوم المباهلة آخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وترك أمير المؤمنين علياً عليه السلام دون أن يؤاخي بينه وبين أحد، وشاهدت الزهراء عليها السلام زوجها مكدّر الخاطر لأنَّ النبي لم يؤاخ بينه وبين أحد، فسلّت خاطره وقالت: لا يحزنك الله، لعله ذخرك لنفسه! وصدق حدس الزهراء الطاهرة عليها

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

السلام فسرعان ما أرسل النبي صلى الله عليه وآله وأخبره أنَّه إنّما استبقاه لنفسه ليؤاخيه، وأخبره أنَّه من رسول الله بمنزلة هارون من موسى وأنَّه مولى المؤمنين! ونرى الزهراء عليها السلام في موقف آخر تشاهد زوجها يتطوّع لأداء مهمة قتالية خطرة، ثم يغيب ثلاثة أيام دون أن تعرف خبره، فتحزن البتول الطاهرة وتحمل ولديها وتمضي باكية إلى أبيها صلى الله عليه وآله وتقول: وأقبلت فاطمة بالحسن والحسين عليهم السّلام على وركيها تقول: أوشك أن يؤتم هذان الغلامان. ويتأثر النبي لقلق ابنته، ويهزها منظرها ومنظر طفليها، فيسبل عينيه بالدموع ويقول: معاشر الناس! من يأتيني بخبر علي عليه السّلام أبشّره بالجنة! ثم يأتي البشير بقدوم علي عليه السلام سالماً منتصراً!

طاعة الزوج

روى الصدوق بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام: أَنَّ رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في بعض حوائجه وعهد إلى امرأته عهداً ألا تخرج من بيتها حتى يقدم. قال: وإنَّ أباها مرض، فبعثت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: إنَّ زوجي خرج وعهد إلي أن لا أخرج من بيتي حتى يقدم، وإنَّ أبي مريض، فتأمرني أن أعوده؟ فقال: «**لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك**». قال: فمات فبعثت إليه، فقالت: يا رسول الله! إنَّ أبي قد مات، فتأمرني أن أُصلي عليه؟ فقال: «**لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك**». قال: فدفن الرجل، فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ الله عز وجل قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك**»[1].

وقد ضربت الزهراء عليها السلام المثل الأعلى للمرأة الصابرة المطيعة لزوجها،

(١) من لا يحضره الفقيه، ٣: ٤٤٢.

فلـم يعهد مـن هذين الزوجين في حياتهما المشـتركة إلا التفاهم والـود في أحلى صورهما. وقـد سـجّل التاريـخ بأحـرف من نـور المحادثـة التـي دارت بـين الزهـراء وبعلها أمير المؤمـنين عليهـما السـلام في السـاعات الأخـيرة لحياة الزهـراء عليهـا السـلام، فقـد خاطبتـه بقولهـا: «**يا بن عـم ما عهدتنـي كاذبة ولا خائنـة ولا خالفتك منـذ عاشرتني**»؛ فـرد عليـه السـلام عليها: «**معـاذ الله! أنـت أعلم بـالله وأبر وأتقـى وأكرم وأشـد خوفاً مـن الله (مـن) أن أوبّخـك بمخالفتي**»!

الزهراء فاطمة عليها السلام التي يرضى الله لرضاها هي أعلم بالله تعالى وأبر وأتقى وأشد خوفاً من الله من أن ترتكب أمراً لا يرضي الله تعالى، أو تخالف زوجها الذي فرض الله تعالى عليها طاعته. ولقد أثبتت هذا الأمر وبرهنت عليه في المواقف العصيبة من حياتها، فحين هجم القوم على دارها واقتحموه بعد حادثة السقيفة، ثم خرجوا يقتادون زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، خرجت الزهراء خلفهم إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهددتهم أنَّها ستأتي قبر أبيها صلى الله عليه وآله فتنشر شعرها وتشق جيبها وتصيح إلى ربها. ثم أنَّها توجّهت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان - وقد رأى جنبتي المدينة تكفئان -: أدرك ابنة محمد! ثم أخبره أنَّها إذا فعلت ذلك فإنَّ الله تعالى لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها! فأدركها سلمان رضي الله عنه فقال: يا بنت محمد إنَّ الله إنَّما بُعث أباك رحمة، فارجعي! فأبت أن تعود، فلما أخبرها سلمان أنَّ أمير المؤمنين بعثه إليها يأمرها أن ترجع إلى بيتها وتنصرف، قالت: «**إذاً أرجع وأصبر وأسمع له وأُطيع**»!

وحـين غصبهـا الرجـلان حقهـا في فـدك فحاججتهـما بكتـاب الله تعالى فلـم يقبلا، وأتـت لهـما بشـهود يشـهدون لهـا عـلى صـدق دعواهـا - وهـي التي شـهد لهـا خالقها

بالطهـارة والعصمـة - فطعنـا في الشـهود، فغضبـت عليهـا وهجرتهـا، ثـم جـاء الرجـلان فترجّيـا أمـير المؤمنـين عليـه السـلام أن يكلّمهـا لعلهـا تـرضى عنهـا، فقال لهـا: «**أيتهـا الحـرة! فـلان وفلان بالبـاب، يريـدان أن يسـلما عليك، فـما تريـن**»؟ قالت: «**البيـت بيتـك، والحـرة زوجتـك، افعـل ما تشـاء**»!

هكذا تضرب الزهراء عليها السلام المثل الأعلى للمرأة المطيعة لزوجها: «**البيت بيتك، والحرّة زوجتك، افعل ما تشاء**»!

فاطمة عليها السلام الأُنموذج الأكمل لطاعة الزوج

أوصى النبي صلى الله عليه وآله بضعته الطاهرة أن تطيع زوجها ولا تعصي له أمراً، وفي الرواية المقبلة التي نقلها المجلسي في بحاره نجد أَنَّ الزهراء عليها السلام تجسّد أكمل مصداق للزوجة المطيعة لزوجها، فهي موعوكة موتورة، قد ظلمها الرجلان وغصبا حقّها وهاجما بيتها وانتهكا حُرمته بأبشع صورة، لكنّها حين يُخبرها أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّ الرجلين يريدان أن يسلّما عليها، ويسألها عن رأيها في السماح لهما بذلك، نراها تقول «**البيت بيتك، والحرّة زوجتك، افعل ما تشاء**»! إنَّ الحرّة الموتورة - يا أمير المؤمنين - لا تخرج عن كونها زوجتك الماثلة في بيتك، وهي ممتثلة لأمرك، فافعل ما تراه مناسباً! وفي موقف آخر نرى الزهراء عليها السلام تخرج إلى المسجد فتهدد الحاكم وصاحبه أن يُطلقا علياً عليه السلام وإلاَّ دعت عليهما بالويل والثبور، ثم خرجت متجهة إلى قبر النبي لتنفّذ تهديدها، فلحق بها سلمان ورجاها أن ترجع فأبت، فأخبرها أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي بعثه إليها، وأنّه يطلب منها أن ترجع، فقالت «**إذاً أرجع وأصبر وأسمع له وأُطيع**»!

وكان علي عليه السلام يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فكلّما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ إلى أن ثقلت فسألا عنها وقالا: قد كان بيننا وبينها ما قد علمت، فإن رأيتَ أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا، قال: ذلك إليكما. فقاما فجلسا بالباب ودخل علي عليه السلام على فاطمة عليها السلام فقال لها: «**أيتها الحرة! فلان وفلان بالباب، يريدان أن يسلما عليك، فما ترين**»؟ قالت: «**البيت بيتك، والحرة زوجتك، افعل ما تشاء**»، فقال: «**سدّي قناعك**»! فسدّت قناعها، وحوّلت وجهها إلى الحائط، فدخلا وسلّما وقالا: ارضي عنا رضي الله عنك، فقالت: «**ما دعاكما إلى هذا**»؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة، ورجونا أن تعفي عنا وتخرجي سخيمتك، فقالت: «**إنْ كنتما صادقَين فأخبراني عمّا أسألكما عنه، فإنّي لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفة بأنّكما تعلمانه، فإنْ صَدَقتما علمتُ أنّكما صادقان في مجيئكما**»، قالا: سَلي عمّا بدا لك، قالت: «**نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني**»؟ قالا: نعم، فرفعت يدها إلى السماء فقالت: «**اللهم إنّهما قد آذياني، فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأُخبره بما صنعتما، فيكون هو الحاكم فيكما**»- الحديث[1].

روى العياشي في تفسيره عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه، عن جده قصّة الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، إلى أن يصل إلى قوله:

(ثم دخلوا فأخرجوا علياً عليه السلام ملبّباً، فخرجت فاطمة عليها السلام فقالت: «**يا أبا بكر أتريد أن ترملني من زوجي؟ والله لئن لم تكف عنه لأنشرنّ شعري، ولأشقنّ جيبي، ولآتين قبر أبي، ولأصيحنّ إلى ربي**»! فأخذت بيد الحسن والحسين (عليهما السلام)

(١) سليم بن قيس الهلالي: ص ٣٩١؛ بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٢٨: ٣٠١ - ٣٠٤.

وخرجت تريد قبر النبي صلى الله عليه وآله. فقال علي عليه السلام لسلمان: «**أدرك ابنة محمد، فإنِّي أرى جنبتي المدينة تكفئان. والله إن نشرت شعرها وشقّت جيبها وأتت قبر أبيها وصاحت إلى ربها، لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها (وبمن فيها)**»! فأدركها سلمان رضي الله عنه فقال: يا بنت محمد، إنَّ الله إنَّما بعث أباك رحمة، فارجعي! فقالت: «**يا سلمان يريدون قتل علي، ما عليّ صبر، فدعني حتى آتي قبر أبي فأنشر شعري، وأشق جيبي، وأصيح إلى ربي**»، فقال سلمان: إنِّي أخاف أن يُخسف بالمدينة، وعلي بعثني إليك يأمرك أن ترجعي له إلى بيتك وتنصرفي؛ فقالت: «**إذاً أرجع وأصبر وأسمع له وأُطيع**» - الحديث[1].

وروى المفيد في الاختصاص عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه (في حديث)، قال: (... لما انتهوا إلى الباب ضرب عمر الباب برجله فكسره، وكان من سعف، فدخلوا على علي وأخرجوه ملبباً فخرجت فاطمة فقالت: «**يا أبا بكر وعمر تريدان أن ترملاني من زوجي، والله لئن لم تكفّا لأنشرنّ شعري، ولأشقنّ جيبي، ولآتين قبر أبي، ولأصيحنّ إلى ربي**»، قال: فخرجت وأخذت بيد الحسن والحسين متوجهة إلى القبر فقال علي عليه السلام لسلمان: «**أدرك ابنة محمد فإنِّي أرى جنبي المدينة تكفئان، فوالله لئن فعلت لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها قال: فلحقها سلمان فقال: يا ابنة محمد إنَّ الله تبارك وتعالى إنَّما بُعث أباك رحمة فانصرفي، فقالت: «يا سلمان ما عليَّ صبر، فدعني حتى آتي قبر أبي فأصيح إلى ربي**».

قال سلمان: فإنَّ علياً بعثني إليك وأمرك بالرجوع فقالت: «**أسمع له وأُطيع**»، فرجعت وأخرجوا علياً ملبباً.[2]

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٢٨: ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٢) الاختصاص للمفيد: ص١٨٦؛ غاية المرام للسيد هاشم البحراني ٥: ٣٣٨.

فاطمة عليها السلام أحد الركنين اللذين يستند عليهما أمير المؤمنين

خاطب رسولُ الله صلى الله عليه وآله أميرَ المؤمنين بقوله «**سلامٌ عليك يا أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتي من الدنيا، فعن قليل ينهدّ رُكناك**». وقد قصد رسول الله صلى الله عليه وآله بالريحانتين: الحسنين عليهما السلام، وقد أوصى رسولُ الله أباهما أمير المؤمنين عليه السلام أن يتعاهدها قبل أن ينهدّ ركناه. أما أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان يستند إلى ركنين وثيقين وقفا إلى جانبه في مراحل حياته المختلفة، أحدهما رسول الله صلى الله عليه وآله الذي جعل القرآنُ علياً له بمثابة نفسه في آية المباهلة، والذي آخى أمير المؤمنين في قصّة مؤاخاة المهاجرين والأنصار، والذي عبّر عن محبّته لأمير المؤمنين في مئات الأحاديث التي تغصّ بذكرها كتبُ الفريقين. أما الركن الثاني الذي استند إليه أمير المؤمنين فكان زوجته فاطمة عليها السلام، فاطمة التي آزرته وساندته ووقفت إلى جانبه وكانت أوّل شهيد يُستشهد في الدفاع عن أمير المؤمنين وتثبيت أمر ولايته، وشاهدنا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يمتنع عن البيعة ما دامت فاطمة إلى جانبه، فلمّا ارتحلت استنكر أميرُ المؤمنين وجوهَ الناس وافتقد المؤازرة الحقيقيّة، فاضطرّ إلى البيعة مكرهاً.

أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي: «**سلام عليكم أبا الريحانتين! أوصيك بريحانتي من الدنيا من قبل أن ينهد ركناك، والله عز وجل خليفتي عليك**». قال: فلما مات النبي قال علي: «**هذا أحد الركنين الذي قال رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ فلما ماتت فاطمة قال: هذا الركن الثاني الذي قال رسول الله صلّى الله عليه وآله**»[1].

وروى الصدوق عن حماد بن عيسى، عن الصادق، عن أبيه (عليهما السلام) قال: قال

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٦٦.

جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام قبل موته بثلاث: «**سلام عليك يا أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتي من الدنيا، فعن قليل ينهدّ رُكناك، والله خليفتي عليك**». فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله قال علي عليه السلام: «**هذا أحد ركنيّ الذي قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما ماتت فاطمة عليها السلام قال علي عليه السلام: هذا الركن الثاني الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله**»(١).

وأخرج البخاري في كتابه المدعوّ بالصحيح:... وكان لعليّ من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلمّا توفيت استنكر عليّ وجوهَ الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر(٢).

وأخرج البيهقي في سننه عن عائشة (في حديث) قالت: (...فكان لعلي – عليه السلام – من الناس وجه حياة فاطمة – عليها السلام –، فلما توفيت فاطمة – عليها السلام – انصرف وجوه الناس عنه عند ذلك. قال معمر قلت للزهري: كم مكثت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه (وآله)وسلم؟ قال: ستة أشهر. فقال رجل للزهري: فلم يبايعه علي – عليه السلام – حتى ماتت فاطمة – عليها السلام –؟! قال: ولا أحد من بني هاشم). ثم قال البيهقي: رواه البخاري في الصحيح من وجهين عن معمر(٣).

---

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ١٧٣.

(٢) صحيح البخاري ٥: ٨٣، باب غزوة خيبر.

(٣) سنن البيهقي ٦: ٣٠٠، باب بيان مصرف أربعة أخماس الفيء بعد رسول الله.

فاطمة نِعم العون لعلي عليهما السلام على طاعة الله

الزوجة الصالحة تكون نِعم العون لزوجها على طاعة الله تعالى، وتكون نعم العون له في مواجهة مصاعب الحياة. وقد ورد في الحديث الشريف أنَّ من مصاديق دعاء القنوت ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾(١): الزوجة الصالحة.

وقد روى الكليني عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «**ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله**».(٢)

وروى الكليني عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**مِن سعادة المرء الزوجة الصالحة**».(٣)

وأخرج ابن شهر آشوب حديثاً عن النبي صلّى الله عليه وآله في بيان ما جرى منه عليه السّلام أيام تزويج فاطمة عليها السّلام من علي عليه السّلام، جاء فيه أنّ رسول الله سأل علياً عليه السّلام: «**كيف وجدتَ أهلك؟ قال: نِعم العون على طاعة الله. وسأل فاطمة عليها السّلام فقالت: خير بعل. فقال: اللهم اجمع شملهما واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم**»(٤).

وقد ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد معركة أُحد وما أبلى فيها أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

(٢) الكافي ٥: ٣٢٧/ ح ١.

(٣) الكافي ٥: ٣٢٧/ ح ٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب عليه السّلام لابن شهر آشوب ٣: ٣٥٦.

في نصرة النبي صلى الله عليه وآله؛ ثم قال:

وانصرف النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة، فاستقبلته فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء فغسل به وجهه، ولحقه أمير المؤمنين عليه السلام وقد خضب الدم يده إلى كتفه ومعه ذو الفقار، فناوله فاطمة عليها السلام وقال لها: خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم. وأنشأ يقول:

أفاطم هاك السيف غير ذميم ... فلست برعديدٍ ولا بمليمِ

لعمري لقد أعذرتُ في نصر أحمد ... وطاعة رب بالعباد عليم

أميطي دماء القوم عنه فإنَّه ... سقى آلَ عبد الدار كأس حميم

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خذيه يا فاطمة، فقد أدّى بعلُك ما عليه، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش**»(١).

الزهراء تدافع عن موقف أمير المؤمنين عليهما السلام يوم فتح مكّة

بلغ علياً عليه السلام أنَّ أمَّ هاني بنت أبي طالب آوت ناساً من بني مخزوم، منهم: الحارث بن هشام، وقيس بن السائب، (وعند الواقدي: عبد الله بن ربيعة)، فقصد عليه السلام نحو دارها مقنَّعاً بالحديد، فنادى: (أخرجوا من آويتم).فجعلوا يذرقون كما تذرق الحبارى، خوفاً منه.

فخرجت إليه أمَّ هانئ - وهي لا تعرفه - فقالت: يا عبد الله، أنا أمَّ هانئ، بنت عمِّ رسول الله صلى الله عليه وآله، واخت علي بن أبي طالب، انصرفْ عن داري.

(١) الإرشاد - الشيخ المفيد ١: ٨٩ - ٩٠.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أخرجوهم**»! فقالت: واللهِ لأشكونَّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فنزع المغفر عن رأسه، فعرفته، فجاءت تشتد حتى التزمته، وقالت: فديتُك، حلفت لأشكونّك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال لها: «**اذهبي، فبرّي قسمك، فإنَّه بأعلى الوادي**».

قالت أُمُّ هانئ: فجئت إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو في قبّة يغتسل، وفاطمة عليها السلام تستره، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله كلامي، قال: «**مرحباً بك يا أُمَّ هانئ وأهلاً**».

قلت: بأبي أنت وأُمّي، أشكو إليك ما لقيتُ من علي اليوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**قد أجرتُ من أجرتِ**».

فقالت فاطمة عليها السلام: «**إنَّما جئتِ يا أُمَّ هانئ تشتكين علياً عليه السلام في أنَّه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله**»؟!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**قد شكر اللهُ لعلي سعيه، وأجرتُ من أجارت أُمَّ هانئ، لمكانها من علي بن أبي طالب**»[١].

أقول: لقد آمن النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة من أغلق بابه ومن دخل دار أبي سفيان ومن ألقى سلاحه كما تذكر المصادر[٢]؛ ولم يؤمن عامّة الناس، ولذلك لاحق أميرُ المؤمنين هذين الشخصين وأصرّ على قتلهما، وقد شكر اللهُ له

(١) الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، للسيد جعفر مرتضى العاملي ٥: ٢٦٢.

(٢) انظر: الخصال للصدوق: ٢٧٦؛ نيل الأوطار للشوكاني ٨: ١٦٥؛ بحار الأنوار ٩٧: ١٧.

سعيه حسب تصريح النبي صلى الله عليه وآله، وكان موقف الزهراء عليها السلام مطابقاً لموقف أمير المؤمنين عليه السلام، ولذلك عاتبت أُمَّ هانيء على أَنَّها جاءت تشتكي مَن أخاف أعداءَ الله وأعداء رسوله.

تهيئة الطعام من قِبل الزهراء عليها السلام

بذلت فاطمة عليها السلام قصارى جهدها في توفير الجوّ العائلي المناسب لزوجها وأولادها، فكانت تستقي بالقربة حتّى أثّر ذلك في صدرها، وتطحن بالرحى حتى مجلت يداها الدمثتان ولوّنت دماؤهما خشبة الرحى، وتكسح البيت حتّى اغبرت ثيابها، وتوقد النار تحت القدر لإعداد الطعام حتى دكنت ثيابها، وحتى أصابها من ذلك ضرر شديد حسب تعبير أمير المؤمنين عليه السلام.

روى الكليني في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز**»(١).

الاستفادة من النِعم بمقدار الضرورة

لوّنت القناعة والزهد والبساطة حياة فاطمة وبعلها وأولادهما عليهم السلام، وكانوا يتناولون الأطعمة البسيطة، وقد روي عن الزهراء عليها السلام أنّها قالت: «**نِعم تُحفة المؤمن التمرُ**».(٢) لكنّ ذلك لا يعني أنهّم كانوا لا يتناولون الأطعمة المناسبة إذا تهيّأ لهم تناولها، فقد روى الحميري في قرب الإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

---

(١) الكافي ٥: ٨٦.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨: ٢٨٤.

«دخلت السوق فابتعت لحماً بدرهم وذرة بدرهم، فأتيت به فاطمة عليها السلام، حتى إذا فرغت من الخبز والطبخ قالت: لو دعوتَ أبي»!

فأتيته وهو مضطجع وهو يقول: أعوذ بالله من الجوع ضجيعاً. فقلت له: يا رسول الله إنَّ عندنا طعاماً، فقام واتكأ عليَّ ومضينا نحو فاطمة عليها السلام، فلما دخلنا قال: هلمّ طعامكِ يا فاطمة، فقدمت إليه البرمة والقرص، فغطّى القرص وقال: اللهمّ بارك لنا في طعامنا. ثم قال: اغرفي لعائشة فغرفت، ثم قال: اغرفي لأُمِّ سلمة فغرفت، فما زالت تغرف حتى وجّهت إلى نسائه التسع قرصة قرصة ومرقاً. ثم قال: اغرفي لأبيك وبعلك، ثم قال: اغرفي وكُلي وأهدي لجاراتك، ففعلتْ وبقي عندهم أياماً يأكلون.[١] ونلحظ في هذ المجال البركة التي سبّبها دعاء النبي صلى الله عليه وآله.

وروى ابن المغازلي عن أُم سلمة أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كان في بيتها على مَنامَة تحته كساء خَيبَريٌّ فجاءت فاطمة صلوات الله عليها بِبرمَة فيها خَزيرَة فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **«ادعي زوجَكِ وابنَيكِ حسناً وحسيناً، فدَعَوتُهُم فبينا هم يأكلون إذ نزلت على النبيّ صلى الله عليه وآله»**: ﴿إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّرَكُم تَطهِيراً﴾[٢] فأخذ النبيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بفضلَة الكساء فغَطّاهم ثمّ قال: **«اللهمّ هؤلاء أهلُ بيتي، فَأَذْهِب عَنهُم الرِّجسَ وطهِّرهُم تَطهِيراً»**.[٣]

---

(١) قرب الإسناد للحميري: ص٣٢٥.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ص٣٣٦ / ح٤٣٣.

البساطة في العيش

تعامل النبي صلى الله عليه وآله مع صهره أمير المؤمنين عليه السلام تعامل الوالد الشفيق، ولمّا علِم منه أنّه لا يمتلك إلا سيفه ودرعه وناضحه، لم يأمره ببيع سيفه، لأنَّ المجاهد الذي قام الإسلامُ بسيفه لا يستغني عن هذا السيف، ولم يأمره ببيع الناضح، لأنّه لم يشأ أن يبيع صهره شيئاً يحتاجه في تمشية أُمور معيشته، فقد كانت الحياة لا تصلح يومذاك من دون أن يمتلك المرء ناضحاً يستقي به الماء ويحمل عليه الأثاث، لكنه صلى الله عليه وآله أمره ببيع الدرع، وما أيسره! فلمّا باع أمير المؤمنين درعه سكب الدراهم في حجر رسول الله، ولم يسأل النبي علياً عن عدد الدراهم، لكنه قبض منها قبضة واحدة جعلها في الطيب، ثم قبض منها بكلتا يديه فجعلها في الثياب وعامة الأثاث، فيتبيّن أَنَّ حصة الطيب من الدراهم كانت الثُلث. هكذا بدأ التعامل سلساً سهلاً، فكانت الأُمور التي تلته مصطبغة بصبغة البساطة والقناعة. ولم ينقص من سعادة الزوجين أَنَّ بيتهما كان خالياً من أسباب الترف، ولم يقلّل دفء حياتهما أَنَّ أرض بيتهما فرشت بالرمل بدلاً من السجاجيد الفاخرة. وقد تحدثنا في الفصل السابق عن جهاز الزهراء عليها السلام وبساطته، حيث كان أبلغ درس في الاقتصاد والزهد والقناعة.

أخرج المجلسي عن أبي عبد الله عليه السّلام في حديث طويل:.. قال علي عليه السّلام: «**قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قُم فبع الدرع، فقمت فبعته وأخذت الثمن، ودخلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله، فسكبت الدراهم في حِجره، فلم يسألني كم هي ولا أنا أخبرته، ثم قبض قبضة ودعا بلالاً فأعطاه وقال: ابتع لفاطمة طيباً. ثم قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله من الدراهم بكلتا يديه فأعطاه أبا بكر وقال: ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت، وأردفه بعمّار بن ياسر وبعدّة من أصحابه.**

فحضروا السوق فكان مما اشتروه قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم وقطيفة سوداء خيبرية، وسرير مزمل بشريط، وفراشان من خيش مصر حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من جز الغنم، وأربع مرافق من أدم الطائف حشوها أذخر، وستر من صوف، وحصير هجري، ورحى لليد، ومخضب من نحاس، وسقاء من أدم، وقعب للبن، وشنّ للماء، ومطهرة مزفتة، وجرّة خضراء، وكيزان خزف، حتى إذا استكمل الشراء حمل أبو بكر بعض المتاع، وحمل أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله الذين كانوا معه الباقي، فلما عرض المتاع على رسول الله صلّى الله عليه وآله جعل يقلبه بيده ويقول: بارك الله لأهل البيت – وفي رواية أنَّه لما وضع بين يديه بكى ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم بارك لقوم جلّ آنيتهم الخزف...». إلى آخر الحديث[1].

وروي عن أنس، قال: لمّا تزوّج علي عليه السّلام بفاطمة عليها السّلام قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأسماء بنت عميس: «**اذهبي فهيئي منزلهما**». فجاءت أسماء إلى البيت فعملت فراشاً من رمل، والثاني من أدم حشوها ليف، ومرقعة من أدم حشوها ليف. فلما صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله العشاء الآخرة انصرف إلى بيت فاطمة عليها السّلام، فنظر إليها ودعا لها بالبركة، فانصرف فبعث بفاطمة عليها السّلام إلى علي عليه السّلام في ذلك البيت.

وروي عن الحسن البصري، قال: كان لعلي وفاطمة عليهما السّلام قطيفة إذا لبساها بطول انكشفت ظهورهما، وإذا لبساها بالعرض انكشفت رؤوسهما.

وفي رواية: إنَّه بنى بها بعد تسع وعشرين ليلة من النكاح، وكان جهازها في هذه الرواية فراشين من خيوش، أحدهما محشوّ بليف، والآخر بحذو الحذائين، وأربع وسائد،

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٩٤ / ح ٥ عن أمالي الشيخ.

وسادتين من ليف واثنتين من صوف.

وروي عن جابر، قال: حضرنا عرس علي وفاطمة عليهما السّلام، فما رأينا عرساً كان أحسن منه حسناً، هيّأ لنا رسول الله صلّى الله عليه وآله زيتاً وتمراً فأكلنا، وكان فراشهما ليلة عرسهما إهاب كبش[1].

عن علي عليه السّلام: «**إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا زوّجه فاطمة عليها السّلام بعث معها بخميلة، ووسادة أدم حشوها ليف، ورحائين، وسقاء، وجرّتين**».

فقال علي عليه السّلام لفاطمة عليها السّلام ذات يوم: «**والله لقد سنوت[2] حتى اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه. فقالت عليها السّلام: وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت[3] يداي**».

إلى أن قال: «**وأتاهما النبي صلّى الله عليه وآله وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطّيا رؤوسهما انكشفت أقدامهما، وإذا غطّيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال صلّى الله عليه وآله: مكانكما**».. الحديث[4].

الاهتمام بآداب الطعام واللباس والكلام

أكّدت الزهراء عليها السلام على أمر الاهتمام بالحذر من الإسراف في الطعام فوق حاجة البدن، والإسراف في ارتداء الملابس وتنويعها من غير ضرورة،

---

(١) ملحقات إحقاق الحق ١٩: ١٤٤، عن تاريخ الخميس.

(٢) (سنوت) بفتح السين المهملة والنون أي: استقيت من البئر فكنت مكان السانية، وهي الناقة. عمدة القاري للعيني ٢٢: ٢٨٨.

(٣) المجل: أثر العمل في اليد، يغلظ جلدها، ويجتمع تحته ماء.

(٤) ملحقات إحقاق الحق ١٠: ٣٧١، عن صفة الصفوة.

والإسراف في الحديث والتشدّق فيه. ونقلت عن أبيها المرسل صلى الله عليه وآله قوله «**شرار أُمَّتي: الذين غذوا بالنعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدّقون في الكلام**»(١).

رعاية آداب النوم والراحة

الإخلاد إلى النوم ليلاً والاستراحة نهاراً من احتياجات البدن البشري التي لا يمكن تجاهلها، وكان لرسول الله وأهل بيته المعصومين – والزهراء منهم – عليهم السلام نهج خاص أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقد كان دأبه صلى الله عليه وآله أن ينام مبكراً ثم يقوم للعبادة وإحياء قسط كبير من الليل بالصلاة وتلاوة القرآن والتهجّد. وكان ينام على طهارة، وكان يتوضأ وضوءه للصلاة ثم يرقد. وكان لا يلين فراشه الذي ينام عليه، وكان ينام متوجهاً إلى القبلة، وينام على جنبه الأيمن ويضع يده اليمنى تحت خده، وكان ينام ذاكراً لله تعالى، غير ممتلىء البطن من الطعام، فإذا استيقظ استاك وتوضأ وسجد لله ونظر إلى السماء وقرأ الآيات الأواخر من سورة آل عمران.

وقد أخرج المتقي الهندي عن ابن السني عن فاطمة عليها السلام أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها: «**إذا أخذتِ مضجعك فقولي (الحمد لله الكافي، سبحان الله الأَعلى، حسبي الله وكفى، ما شاء الله قضى، سمع الله لمن دعا، ليس من الله ملجأ، ولا وراء الله ملتجأ، توكّلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها، إنَّ ربّي على صراط مستقيم، الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبّره تكبيراً) ما من مسلم يقولها عند منامه ثم ينام وسط الشياطين والهوام فتضرّه**»(٢).

---

(١) مسند فاطمة للسيوطي: ص٢٧.

(٢) كنز العمال ١٥: ٣٤١/ح ٤١٣٠٣.

وروى الشيخ الصدوق في علل الشرايع عن علي (عليه السلام) حديثاً ذكر فيه أَنَّ الزهراء عليها السلام طلبت من أبيها خادماً يُعينها في أداء أعمال البيت التي أثقلت عليها حتى أصابها منها ضرر شديد، وأَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لهما: «**أفلا أعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم؟! إذا أخذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين**». قال: فأخرجت فاطمة عليها السلام رأسها فقالت: «**رضيتُ عن الله ورسوله، ورضيت عن الله ورسوله، ورضيت عن الله ورسوله**».(١)

وفي رواية أُخرى رواها المتقي الهندي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب أَنَّه قال لفاطمة: «**اذهبي إلى أبيك فسليه يعطك خادماً يقيك الرحى وحر التنور! فأتته فسألته، فقال: إذا جاء سبي فأتينا! فجاء سبي من ناحية البحرين، فلم يزل الناس يطلبون ويسألونه إياه، وكان رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم معطاءً لا يُسئل شيئاً إلا أعطاه، حتى إذا لم يبق شيء أتته تطلب، فقال لها رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم: جاءنا سبي فطلبه الناس، ولكن أعلّمك ما هو خير لك من خادم! إذا أويت إلى فراشك فقولي: (اللهمّ ربَّ السماوات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، مُنزل التوراة والإنجيل والقرآن، وفالق الحب والنوى، إنِّي أعوذ بك من شرّ كل شيء أنت آخذٌ بناصيته، أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، اقض عنّا الدين، وأغننا من الفقر) فانصرفت فاطمة راضية بذلك من الجارية. قال علي: فما تركتُها منذ علّمني رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم، قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين**».(٢)

---

(١) علل الشرايع ٢: ٣٦٦، باب تسبيح فاطمة عليها السلام.

(٢) كنز العمال ١٥: ٥٠٢ / ح ٤١٩٧٥.

المنافقون يلومون النبي على تزويجه فاطمة من أمير المؤمنين

يبقى المنافقون الأعداء الدائميين لأمير المؤمنين عليه السلام، فهم وراء كلّ فتنة أو طعن أو انتقاص من شأن أمير المؤمنين عليه السلام. فلقد طعنوا في استخلاف رسول الله إيّاه في المدينة في غزوة تبوك، وقالوا بأنّه ما خلّفه إلاّ استثقالاً له؛ وطعنوا في تزويج النبي فاطمة منه، واستقلّوا المهر الذي دفعه أمير المؤمنين علي عليه السلام. ونلاحظ الجواب الحكيم لرسول الله صلى الله عليه وآله حين أظهر لهؤلاء المنافقين بأنّ الله تعالى هو الذي زوّج علياً من فاطمة في ليلة الإسراء، مبيّناً أنّ هؤلاء المنافقين إنّما يطعنون في الله تعالى وليس في نبيّه.

روى الطوسي في أماليه عن موسى بن إبراهيم المروزي، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، عن جابر بن عبد الله قال: لما زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من علي أتاه أُناس من قريش فقالوا: إنَّك زوّجت علياً بمهر خسيس، فقال: «**ما أنا زوّجت علياً، ولكن الله عز وجل زوّجه ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى، أوحى الله إلى السدرة أن انثري ما عليك! فنثرت الدر والجوهر والمرجان، فابتدر الحور العين فالتقطن، فهن يتهادينه ويتفاخرن ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله. فلما كانت ليلة الزفاف أتى النبي ببغلته الشهباء، وثنى عليها قطفة، وقال لفاطمة: اركبي وأمر سلمان أن يقودها والنبي صلى الله عليه وآله يسوقها، فبينما هو في بعض الطريق إذ سمع النبي صلى الله عليه وآله وجبة فإذا هو بجبرئيل في سبعين ألفاً، وميكائيل في سبعين ألفاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أهبطكم إلى الأرض؟ قالوا: جئنا نزف فاطمة إلى علي بن أبي طالب فكبر جبرئيل، وكبر ميكائيل، وكبرت الملائكة،**

وكبر محمد صلى الله عليه وآله، فوقع التكبير على العرائس من تلك الليلة»[(١)].

النبي يحدث فاطمة عن بعض مناقب أمير المؤمنين

دأب النبي صلى الله عليه وآله في أكثر من مناسبة على تحديث فاطمة بمناقب أمير المؤمنين عليهما السلام، كما دأب على تحديث أمير المؤمنين بمناقب فاطمة عليهما السلام.

عن أبي أيوب الأنصاري قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرض مرضة فأتته فاطمة عليها السلام تعوده وهو ناقهٌ من مرضه، فلما رأت ما برسول الله صلى الله عليه وآله من الجهد والضعف خنقتها العبرة حتى جرت دمعتها على خدها، فقال النبي صلى الله عليه وآله لها: «**يا فاطمة إنَّ الله جلّ ذِكره اطّلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها بعلك، فأوحى إلي فأنكحتُكه، أما علمتِ يا فاطمة أنَّ لكرامة الله إياك زوّجك أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً**». قال: فسرّت بذلك فاطمة عليها السلام واستبشرت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يزيدها مزيد الخير كله من الذي قسمه الله له ولمحمد وآل محمد، فقال: «**يا فاطمة لعلي ثمان خصال: إيمانه بالله وبرسوله، وعلمه، وحكمته وزوجته، وسبطاه الحسن والحسين، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، وقضاؤه بكتاب الله. يا فاطمة إنَّا أهل بيت أُعطينا سبع خصال لم يُعطها أحدٌ من الأوّلين قبلنا، ولا يُدركها أحد من الآخرين بعدنا: نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا سيد الشهداء وهو حمزة عم أبيك، ومنّا من له جناحان يطير بهما في الجنة وهو جعفر، ومنّا سبطا هذه الأمّة وهما ابناك**»[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٠٤؛ دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص ١٠٠ - ١٠٢.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ٩٧ - ٩٨.

وروى الكليني في الكافي عن يعقوب بن شعيب قال: لما زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله علياً فاطمة دخل عليها وهي تبكي فقال لها: «**ما يُبكيكِ؟ فوالله لو كان في أهلي خير منه ما زوّجتكه، وما أنا زوّجتكه ولكن الله زوّجكِ وأصدق عنك الخمس ما دامت السماوات والأرض**»(١).

الطرائف: ذكر شيخ المحدثين ببغداد بإسناده عن أسماء بنت واثلة قالت: سمعت أسماء بنت عميس تقول: سمعت سيدتي فاطمة عليها السلام تقول: «**ليلة دخل بي علي عليه السلام أفزعني في فراشي، قلت: بماذا أفزعك يا سيدة نساء العالمين؟ قالت: سمعت الأرض تحدّثه ويحدّثها، فأصبحت وأنا فزعة، فأخبرت والدي صلى الله عليه وآله فسجد سجدة طويلة ثم رفع رأسه وقال: يا فاطمة أبشري بطيب النسل، فإنَّ الله فضّل بعلك على سائر خلقه، وأمر به الأرض أن تحدّثه بأخبارها وما يجري على وجهها من شرقها إلى غربها**».(٢)

النبي يحدث أمير المؤمنين عن بعض مناقب فاطمة

روي أنَّ النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم قال لعلي (عليه السلام): «**يا علي أُعطيتَ ثلاثاً لم أُعطهن، فقال: يا رسول الله، وما أُعطيت؟ قال: أُعطيتَ صهراً مثلي، وأُعطيتَ مثل زوجتك فاطمة ولم أُعطها، وأُعطيت مثل الحسن والحسين. وفي رواية: أُوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا: أُوتيتَ صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي، وأوتيت صديقة مثل بنتي ولم أوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوتَ من صلبي مثلهما،**

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٤٤.

(٢) بحار الأنوار ٤١: ٢٧٢.

ولكنكم مني وأنا منكم».(١)

وروى أبو سعيد في شرف النبوة أنَّ رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم قال لعلي، **«أوتيتَ ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا: أوتيت صهراً مثلي ولم أؤت أنا مثلك، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي، ولم أؤت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك، ولم أؤت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكم».**(٢)

وعكة تلمّ بالزهراء، وفضيلة لأمير المؤمنين

أخرج ابن أبي الحديد المعتزلي حديثاً عن رجل حلف بأنَّ أمير المؤمنين علياً خير هذه الأُمَّة وإلا فامرأته طالق ثلاثاً، فأراد أبوها التفريق بينهما، (ثم ساق الحديث إلى أن وصل إلى قوله):

«... نشدتك الله يا أمير المؤمنين، ألم تعلم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام وهو عندها في بيتها عائد لها: يا بنية، ما علّتك؟ قالت: الوعك يا أبتاه - وكان عليّ غائباً في بعض حوائج النبي صلى الله عليه وآله - فقال لها: أتشتهين شيئاً؟ قالت: نعم أشتهي عنباً، وأنا أعلم أنَّه عزيز، وليس وقت عنب، فقال صلى الله عليه وآله: إنَّ الله قادر على أن يجيئنا به، ثم قال: اللهمّ ائتنا به مع أفضل أمّتي عندك منزلة، فطرق عليّ الباب، ودخل ومعه مكتل قد ألقى عليه طرف ردائه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما هذا يا علي؟ قال: عنب التمستُه لفاطمة، فقال: الله أكبر، الله أكبر، اللهم كما سررتني بأن خصصت علياً بدعوتي، فاجعل فيه شفاء بنيتي، ثم قال: كُلي على اسم الله يا بنية، فأكلت،

(١) نظم درر السمطين للزرندي: ص١١٤.

(٢) الرياض النضرة للمحب الطبري ٣: ١٧٣.

وما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى استقلت وبرأت» - الحديث.[١]

نظرة في حديث نزول المتاع لفاطمة عليها السلام من السماء ليلة عرسها

أخرج السيد المرعشي (ره) في شرح إحقاق الحق رواية عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي البغدادي (المتوفى سنة ٨٨٤ هـ) في نزهة المجالس[٢]، قال: رأيت في العقائق، أنَّ فاطمة - عليها السلام - بكت ليلة عرسها، فسألها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، فقالت له: «**تعلم أنّي لا أحب الدنيا، ولكن نظرت إلى فقري في هذه الليلة، فخشيت أن يقول لي علي بأي شيء جئت**»، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**لك الأمان، فإنَّ علياً لم يزل راضياً مرضياً**»، ثم بعد ذلك تزوّجت امرأة من اليهود وكانت كثيرة المال، فدعت النساء إلى عرسها فلبسن أفخر ثيابهن، ثم قلن: نريد أن ننظر إلى بنت محمد وفقرها. فدعونها، فنزل جبريل بحلّة من الجنة، فلمّا لبستها واتّزرت وجلست بينهن رفعت الإزار فلمعت الأنوار، فقالت النساء: من أين لك هذا يا فاطمة؟ فقالت: «**من أبي**»، فقلن: من أين لأبيك؟ قالت: «**من جبريل**»، قلن: من أين لجبريل؟ قالت: «**من الجنة**»، فقلن: نشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمداً رسول الله، فمن أسلم زوجها استمرّت معه، وإلَّا تزوّجت غيره[٣].

أقول: هذا الحديث فضلاً عن تعارضه مع أحاديث متكاثرة رواها علماء الفريقين تناولت بالتفصيل المتاع البسيط الذي بدأ به علي وفاطمة سلام الله عليهما حياتهما المشتركة المباركة، والذي ضربا به المثل الأعلى في الزهد والقناعة، وبرهنّا بما لا مزيد فوقه أنَّ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٢٥.

(٢) ٢: ٢٢٦، طبع القاهرة.

(٣) شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي ١٠: ٤٠١ - ٤٠٢.

السعادة الزوجية لا علاقة لها بالأُمور المادية ولا بالإنفاق الزائد في توفير مستلزمات بيت الزوجية، بل تقوم ركائزها على المحبة المتبادلة والتفاهم المشترك والتعاون بين طرفي هذه العلاقة المباركة، فإنَّ الحديث المذكور لم يرد إلَّا عن طرق أهل السنة كما نوّه السيد المرعشي في بداية الحديث؛ فضلاً عن أنَّ سيدة نساء العالمين سلام الله عليها لا تحضر مجالس اليهود! وقد وردت أحاديث أُخرى نقلها أهل السنة، مضمونها أنَّ فاطمة عليها السلام بكت أمام أبيها وشكت له أنَّ نساء قريش عيّرنها أنَّ أباها زوّجها من رجل فقير لا مال له!! فراح رسول الله يحدّثها عن مناقب أمير المؤمنين عليه السلام حتى رضيت. وقد روى الحافظ الكنجي وغيره - وستأتي روايته قريباً - عن أمِّ سلمة أنَّ فاطمة عليها السّلام كانت تفتخر على النساء بزواجها من أمير المؤمنين عليه السلام لأنَّ أول من خطب عليها جبرئيل.

رعاية الحجاب

جاء في تفسير الأمثل: (الحجاب في اللغة هو الشيء الذي يحول بين شيئين، ولذلك أُطلق على الغشاء الموجود بين الأمعاء والقلب والرئة اسم الحجاب الحاجز.

وقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة بمعنى الحائل أو الساتر في عدة مواضع، كالآية (٤٥) من سورة الإسراء حيث تقول: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾. ونقرأ في الآية (٣٢) من سورة ص: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾، وجاء في الآية (٥١) من سورة الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

أما في كلمات الفقهاء فقد استعملت كلمة (الستر) فيما يتعلق بلباس النساء منذ

قديم الأيام وإلى يومنا هذا، وورد أيضاً في الروايات الإسلامية هذا التعبير أو ما يشبهه، واستعمال كلمة (الحجاب) في شأن لباس المرأة اصطلاح ظهر في عصرنا على الأكثر، وإذا وجد في التواريخ والروايات فقليل جداً)[١].

روي أنَّ النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم قال: «**أيّ شيء خير للنساء؟**» فلم يجب أحد، فقالت فاطمة – عليها السلام –: «**ألاّ يرين الرجال ولا يروهن**»، فقال النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم: «**إنَّها بضعة مني**».[٢]

وروى البزار بإسناده عن سعيد بن المسيب عن علي – عليه السلام –، أنَّه كان عند رسول الله صلى عليه – وآله – وسلم فقال: «**أيّ شيء خير للمرأة**»؟ فسكتوا، فلما رجعت قلت لفاطمة: «**أي شيء خير للنساء**»؟ قالت: «**ألاّ يراهن الرجال**»، فذكرتُ ذلك للنبي صلى الله عليه – وآله – وسلم فقال: «**إنّما فاطمة بضعة مني – عليها السلام –**». ثم قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم له إسناداً عن علي – عليه السلام – إلَّا هذا الإسناد.[٣]

أقول: الحديث الذي رواه البزار بإسناده وقال بأنَّه لا يعلم له إسناداً عن علي عليه السلام غير الإسناد الذي ذكره قد ورد بلفظ (فسكتوا) وليس بلفظ (فسكتنا)، مما يدلّ على أنَّ المخاطب بالسؤال هم أصحاب رسول الله دون أمير المؤمنين عليه السلام، وأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد ذكر ذلك السؤال لزوجته فاطمة عليها السلام (ربّما من باب الاختبار وبيان الفضل)، ثم إنَّه نقل جوابها لرسول الله فقال: «**إنَّما فاطمة بضعة مني**». وليس في الحديث بصيغته المذكورة ما يدلّ على عدم علم أمير المؤمنين عليه السلام – وهو باب علم رسول الله – بالجواب.

(١) تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم ١٣: ٣٣٠.

(٢) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ٢: ١٤٠.

(٣) البحر الزخار للبزار ٢: ١٥٩، نقلًا عن (بعض ما ورد في علم فاطمة عليها السلام) ط مركز المصطفى.

رعاية الحجاب بعد الموت

أخرج المحب الطبري عن أُمِّ أبي جعفر أَنَّ فاطمة عليها السلام قالت لأسماء بنت عميس: «**يا أسماء إنِّي قد استقبحت ما يصنع بالنساء، إنَّه يُطرح على المرأة الثوب فيصفها**»، فقالت أسماء: يا ابنة رسول الله، ألا أُريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة؟! فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: «**ما أحسن هذا وأجمله لا تعرف به المرأة من الرجل! فإذا أنا مت فاغسليني أنت وعلي ولا يدخل عليّ أحد**». فلما توفيت جاءت عائشة تدخل فقالت أسماء: لا تدخلي! فشكت (عائشة) إلى أبي بكر (و) قالت: إنَّ هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد جعلت لها مثل هودج العروس، فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال: يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدخلن على بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت لها مثل العروس؟ فقالت: أمرتني أن لا يدخل عليها أحد، وأريتُها هذا الذي صنعتُ وهي حية، فأمرتني أن أصنع ذلك لها. قال أبو بكر: اصنعي ما أمرتكِ! ثم انصرف وغسلها علي وأسماء. خرجه أبو عمر وخرج الدولابي معناه مختصراً[(١)].

وأخرج الأربلي في كشف الغمة عن ابن عباس قال: مرضت فاطمة عليها السلام مرضاً شديداً فقالت لأسماء بنت عميس: «**ألا ترين إلى ما بلغت؟ فلا تحمليني على سرير ظاهر**»، فقالت: لا، لعمري، ولكن أصنع نعشاً كما رأيت يصنع بالحبشة، قالت: فأرينيه، فأرسلت إلى جرائد رطبة فقطعت من الأسواق، ثم جعلت على السرير نعشاً، وهو أول ما كان النعش، فتبسمتْ وما رأيتها متبسمة إلا يومئذ، ثم حملناها فدفناها ليلاً[(٢)].

---

(١) ذخائر العقبى – أحمد بن عبد الله الطبري: ص ٥٣.

(٢) كشف الغمة ١: ١٢٦؛ وسائل الشيعة (ط. آل البيت) – الحر العاملي ٣: ٢٢٠ – ٢٢١.

وعن أسماء بنت عميس أنَّ فاطمة عليها السلام قالت: «**لها إنِّي قد استقبحت ما يصنع بالنساء، إنَّه يُطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى**»، فقلت: يا بنت رسول الله أنا أصنع لك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، قالت: «**فدعوت بجريدة رطبة**» فحبستها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: «**ما أحسن هذا وأجمله، لا تُعرف به المرأة من الرجل، فإذا متّ فاغسليني أنت**» - إلى أن قال - فلما ماتت عليها السلام غسلها علي وأسماء(١).

لماذا الحجاب؟

قال السيد جعفر مرتضى العاملي تحت عنوان (لماذا الحجاب؟!):

(وبعد.. فإنَّ من الواضح: أنَّ الله سبحانه قد أراد لهذا الإنسان أن يعمر الكون، وأن يوصله بكل ما فيه إلى كماله، وقد رسم له من الأحكام والضوابط السلوكية ما يحفظ له مسيرته في هذا الاتجاه، وينسجم مع طبيعة تكوينه، ويمكِّنه من الوصول إلى هدفه هذا.. ويكون به ضمان سلامته وسلامة كل من يحيط به، أو يتعاطى معه، ويكون له درجة من التأثر به، أو التأثير فيه.

وقد كان لحياة الإنسان الأسرية أو المجتمعية حظ من هذه العناية الإلهية من حيث إسهامها في صناعة وصياغة مكونات شخصيته وخصائصه وحالاته، التي لها تأثير عميق في نشوء قدراته، وتبلور إراداته الفاعلة والمؤثرة في جهده المحفِّز للقوى الكامنة، والذي يسهم في تغيير المسار، ليصبح في هذا الاتجاه أو ذاك.

وكما اقتضت الحكمة الإلهية أن تخضع العلاقة بين الرجل والمرأة في داخل الأسرة وفي خارجها لضوابط ومعايير إنسانية وأخلاقية، والتزامات وأحكام شرعية لا يصح

(١) وسائل الشيعة (ط. آل البيت) - الحر العاملي ٣: ٢٢١.

تجاوزها؛ فإنَّها اقتضت أيضاً أن يكون الطهر والعفاف، والقيم والمبادئ هي الأساس لذلك كله. وقد ارتكز ذلك كله إلى حقيقة اقتضاها التكوين في نطاق دائرة التسبيب، وهي أنَّ مساحات الجمال، ومناشئ وموجبات الإغراء، التي تهيئ للانجذاب الغريزي لدى المرأة، أوفر وأوسع مما هي عليه لدى الرجل، لأَنَّ ذلك هو ما تفرضه ضرورة أن تقوم هذه المساحات بوظائفها في تحقيق الانجذاب الغريزي في نطاق ضابطة العفة والطهر والالتزام.

ثم جاءت التشريعات والتوجيهات، وكذلك التربية على القيم والمبادئ والفضائل، ورفض الرذائل، لتساعد على إبقاء المساحات الجمالية ومواقع الجذب الغرائزي ضمن دائرة السيطرة، لكي تتمكن من القيام بمهماتها في بناء الحياة بصورة صحيحة وسليمة، وعلى أفضل وجه وأتمه.

كان لا بد أن تأتي هذه التشريعات في منتهى الدقة، والشمولية؛ لأنَّها تعنى بإبعاد كلا الجنسين - ما داما خارج دائرة الإباحة الشرعية - عن الأجواء الغرائزية، حتى على مستوى الوهم والتخيل لأية علاقة غير سليمة، وإزالة أية درجة من درجات الإثارة التي لا تخضع للالتزامات والضوابط المفروضة من ناحية الشارع المقدس.

من هنا نجد: أنَّ فاطمة الزهراء (عليها السلام) لا ترضى بدخول الأعمى إلى مجلسها، لأنَّها تراه، ولأنَّه يشم الريح.. كما أنَّ الشارع الحكيم قد كره للرجل أن يجلس في الموضع الذي تقوم عنه المرأة قبل أن يبرد، وهذا بحد ذاته يكفي للتعريف بما يرمي إليه الشارع، حين فرض على المرأة ستر مساحات الجمال والإغراء في جسدها عن نظر الرجل. وقد جاء تغطية الوجه أيضاً في هذا السياق).(١)

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم جعفر مرتضى العاملي ١٦: ١٧٢.

الزهراء عليها السلام والمعنى الأعمق للحجاب

أخرج ابن المغازلي عن علي بن أبي طالب، أنَّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: «**لم حجبتيه وهو لا يراك**»؟ فقالت: «**يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشمّ الريح**». فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**أشهد أنّك بضعة منّي**»[1].

فاطمة الزهراء عليها السلام تستتر عن الأبصار يوم القيامة

احتجبت الزهراء المعصومة عن أبصار الخلائق في الدنيا، واحتجبت عن الأعمى خشية أن تراه أو أن يشمّ رائحتها، واحتجبت عن الأبصار وهي متوفّاة بأن أوصت أن يُعمل لها تابوت خاصّ يُخفي بدنها، فكافأها ربّها بأن حجبها عن أبصار الخلائق يوم القيامة.

أخرج الزرندي الحنفي عن الأصبغ بن نباتة، عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله: «**إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم نادى من بطون العرش: إنَّ الجليل جلّ جلاله يقول: (نكّسوا رؤوسكم وغضّوا أبصاركم، فإنَّ هذه فاطمة بنت محمد تريد أن تمرّ على الصراط)**»[2].

روي عن الزهري، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام لفاطمة:

«**سألت أباك فيما سألتِ أين تلقينه يوم القيامة؟ قالت: نعم، قال لي: أطلبيني عند**

(١) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ص٣٨١/ ح ٤٢٨.

(٢) نظم درر السمطين: ص١٨٢.

الحوض، قلت: إن لم أجدك هيهنا؟ قال: تجديني إذاً مستظلاً بعرش ربّي، ولن يستظلّ به غيري، قالت فاطمة: فقلت: يا أبة أهل الدنيا يوم القيامة عراة؟ فقال: نعم يا بنيّة، فقلت له: وأنا عريانة؟ قال: نعم، وأنت عريانة، وأنّه لا يلتفت فيه أحد إلى أحد، قالت فاطمة (عليها السلام): فقلت له: واسوأتاه يومئذ من الله عزّ وجلّ، فما خرجتُ حتّى قال لي: هبط عليّ جبرئيل الروح الأمين عليه السلام فقال لي: يا محمّد اقرأ فاطمة السلام وأعلمها أنّها استحيت من الله تبارك وتعالى فاستحى الله منها، فقد وعدها أن يكسوها يوم القيامة حُلَّتين من نور، قال علي عليه السلام: فقلت لها: فهلاّ سألتيه عن ابن عمّك؟ فقالت: قد فعلت، فقال: إنّ علياً أكرم على الله عزّ وجلّ من أن يعريه يوم القيامة».[1]

ملابس الزهراء عليها السلام سنّة للنساء

تعامل رسول الله صلى الله عليه وآله مع الزهراء عليها السلام تارة باعتبار خصائصها التي تمتاز بها وحدها، فهي بضعة منه، وهي الطاهرة التي لا ترى ما تراه النساء، وهي المطهّرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهّرها تطهيراً؛ وتعامل معها أُخرى باعتبارها ممثّل جنس النساء، فهي سيّدتهنّ وقدوتهنّ التي يجب عليهنّ الاقتداء بها والتزام نهجها. ونعثر على نماذج من هذا التعامل الأخير في تعليم النبي ابنته الطاهرة ارتداء الإزار بحيث يغطّي القدمين بصورة كاملة، وفي تعليمه إيّاها كيفيّة الاستتار بالعباءة إذا لم يكن على المرأة غيرها.

روى عبد الرزاق الصنعاني بإسناده عن الحسن أَنَّ النبي صلّى الله عليه وآله أزّر فاطمة فأرخاه شبراً، ثم قال: «**هكذا. ثم قال: هذه سنّة للنساء في ذيولهن**»[2].

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤٣.

(٢) المصنف ١١: ٨٣/ ح١٩٩٨٥.

وأخرج أحمد في مسنده عن أُمِّ سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ذيول النساء شبر**»، قلت: إذاً تبدو أقدامهنّ يا رسول الله! قال: «**فذراع، لا تزدن عليه**».[1]

أخرج الزرندي الحنفي عن عمران بن حصين أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله عاد فاطمة في وجع لها، فقال: «**يا بنية كيف تجدينك**»؟ قالت: «**إنِّي لوجعة، وإنَّه ليزيدني وجعاً أن ليس لي طعام آكله**». فقال: «**أما ترضين أَنَّك سيدة نساء العالمين**»؟ قال، فقالت: «**يا أبة، فأين مريم بنت عمران**»؟ قال: «**تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك، أما وقد زوّجتك سيداً في الدنيا وسيداً في الآخرة**». فقالت: «**والله ما عليَّ إلاّ عباءة**». فقال النبي صلى الله عليه وآله لها: «**اصنعي بها كذا يعلّمها كيف تستتر**»قالت: «**والله ما على رأسي خمار**». قال: «**فأخذ خلق ملاءة كانت عليه**»فقال: «**اختمري بها**»[2].

الزينة للمرأة والرجل في محيط البيت

تشبّه الرجال بالنساء وتشبّه النساء بالرجال من الأُمور المنهيّة في الشريعة، حتى أنَّه ورد أنَّ على المرأة أن لا تعطّل نفسها من الزينة، ولو أن تعلّق في عنقها قلادة، حتى لو كانت مسنّة لا يطمع الرجال في أمثالها. وقد أخرج الحر العاملي عن الإمام الباقر عليه السلام، قال:

«**لا ينبغي للمرأة أن تعطّل نفسها، ولو أن تعلّق في عنقها قلادة؛ ولا ينبغي أن تدع يدها من الخضاب، ولو أن تمسحها مسحاً بالحناء وإن كانت مسنّة**»[3]. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه «**أمر رسول الله صلى اللهَّ عليه وآله النساء بالخضاب ذات البعل**

(١) مسند أحمد ٦: ٢٩٦؛ كنز العمال ١٥: ٣٢٥/ح ٤١٢٤٣.

(٢) نظم درر السمطين: ص١٧٩ – ١٨٠.

(٣) وسائل الشيعة ١٥: ١١٨.

وغير ذات البعل، أما ذات البعل فتزين لزوجها وأما غير ذات البعل، فلا تشبه يدها يد الرجال»[١]. وقد روى الشيخ المفيد عن عروة بن عبد الله بن قشير الجعفي قال: دخلت على فاطمة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام وهي عجوز كبيرة، وفي عنقها خرز، وفي يدها مسكتان (أي سواران)، فقالت: «**يُكره للنساء أن يتشبهن بالرجال**» - الحديث[٢].

وقد روى الكليني في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه دخلت عليه امرأة فقالت: أصلحك الله إنِّي امرأة متبتّلة، فقال: «**وما التبتّل عندك**»؟ قالت: لا أتزوّج، قال: «**ولم**»؟ قالت: ألتمس بذلك الفضل، فقال: «**انصرفي فلو كان ذلك فضلاً لكانت فاطمة عليها السلام أحقّ به منك، إنَّه ليس أحد يسبقها إلى الفضل**».[٣]

وقد امتدح النبي صلى الله عليه وآله الزوجة التي تتزيّن لزوجها في البيت وتبذل له ما يريد منها، وعدّ مثل هذه المرأة من خيار النساء. روى الكليني عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله فقال: «**إنَّ خير نسائكم الولود الودود العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها، المتبرّجة مع زوجها، الحصان على غيره، التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها، ولم تبذل كتبذل الرجل**».[٤]

وقد روى الكليني في الكافي أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قدم من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة، فدخل على فاطمة سلام الله عليها وهي قد أحلّت (من إحرامها) فوجد ريحاً طيبة ووجد عليها ثياباً مصبوغة، فقال: «**ما هذا يا فاطمة؟ فقالت أمرنا بهذا رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله**

(١) وسائل الشيعة، ٢: ٩٧ / الباب ٥٢ / ح٢.

(٢) أمالي المفيد: المجلس الحادي عشر، ص ٩٤.

(٣) الكافي ٥: ٥٠٩ / ح٣.

(٤) الكافي ٥: ٣٢٤/ ح١.

عليه وآله مستفتياً، فقال: يا رسول الله إنّي رأيت فاطمة قد أحلّت وعليها ثياب مصبوغة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا أمرت الناس بذلك» – الحديث.[١]

أقول: مما لا شك فيه أنَّ موضوع زينة الزوجة لزوجها، وكذلك زينة الزوج لزوجته من الأُمور التي تستدعي دوام الحياة الزوجية، وتزيد في محبة الزوجين لبعضهما، ولذلك فإنَّ من السنّة للمرأة أن لا تعطل نفسها في بيت زوجها. أما الزينة لغير الزوج من غير المحارم فهو من أشد المنهيّات في الشريعة الغراء، وهو أمر يترك آثاره السيئة في محيط العائلة وعلى المجتمع الإسلامي بأسره.وقد نقلنا رواية جاء فيها أنَّ الزهراء احتجبت من رجل أعمى استأذن في الدخول عليها،وعلّلت ذلك لأبيها بأنَّ الأعمى يشمّ رائحة العطر. وينسحب موضوع رعاية الزينة على الرجل أيضاً، إذ مما لا شك فيه أنَّ المرأة تحب أن ترى زوجها في صورة حسنة وملابس جميلة، فذلك أجلب لمحبتها وأدعى لزيادة عفّتها. وفي الرواية المقبلة عن الإمام الرضا عليه السلام بيان لهذه الحقيقة.

روى الكليني في الكافي بإسناده عن الحسن بن الجهم، قال:

رأيت أبا الحسن عليه السلام اختضب، فقلت: جُعلت فداك! اختضبت؟! فقال: **«نعم، إنَّ التهيّة مما يزيد في عفّة النساء، ولقد ترك النساء العفّة بترك أزواجهن التهيّة. ثم قال: أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنتَ على غير تهيّة»؟** قلت: لا. قال: **«فهو ذاك. ثم قال: من أخلاق الأنبياء التنظف والتطيب وحلق الشعر وكثرة الطروقة»**[٢].

(١) الكافي ٤: ٢٤٥ ٢٤٦ / ح٤.

(٢) الكافي ٥: ٥٦٧؛ وسائل الشيعة ١٤: ١٨٣.

التفاهم السائد في بيت الزوجية

عاشت فاطمة عليها السلام في بيت أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن البيت الذي يضمّهما إلاّ بمثابة سقف يكنّهما من أشعة الشمس اللاهبة صيفاً، ويقيهما بلل المطر المنهمر شتاء، وكان بيتهما يفتقر إلى ما تزدحم به في العادة بيوت أغلب الناس، لكنّ حرارة الإيمان ودفء المحبّة بين الزوجين كانا يعمران هذا البيت البسيط الصغير. هذا البيت البسيط كان غنياً بعناية الله تعالى، فهو من أفضل البيوت التي أذن الله تعالى أن تُرفع ويُذكر فيها اسمُه، وهو من البيوت التي لا تنفكّ القلوب تنبض بتقديسها وحبّ ساكنيها. ولم يكن ساكنا هذا البيت يلقيان بالاً للثروة والمال، ولذا لم يغيّرا طراز معيشتهما البسيط الموشّح بالقناعة حين انثالت عليهما عائدات (فدك) قبل أن تمتدّ يد السلطة فتستأثر بتلك الضيعة وتأخذها غصباً.

قال ابن عباس في قصة زواج فاطمة عليها السّلام في حديث طويل:

قال علي عليه السّلام: «... **ثم صاح بي رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا علي. فقلت: لبيك يا رسول الله. قال: ادخل بيتك، الطف بزوجتك وارفق بها، فإنَّ فاطمة عليها السّلام بضعة مني، يؤلمني ما يؤلمها، ويسرّني ما يسرّها، أستودعكما الله وأستخلفه عليكما**».

قال علي عليه السّلام: «**فو الله ما أغضبتُها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان**»- الحديث بطوله وقد اقتطعنا منه موضع الشاهد[1].

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٢ / ح ٣٢، عن كشف الغمة؛ المناقب للخوارزمي: ص ٣٤٣ / ح ٣٦٤.

الفخر لأمور الآخرة لا الدنيا

يفتخر البعض بحطام الدنيا الفانية، فقد ألهاهم التكاثر بالأموال والأولاد والجاه والسلطان، لكنّ أولياء الله تعالى يفخرون –حين يفخرون – بنِعم الله تعالى ومواهبه التي أكرمهم بها. ولقد نقلت لنا أُمُّ المؤمنين أُمُّ سلمة أَنَّ الزهراء عليها السلام كانت تفتخر أَنَّ أوّل من خطب عليها هو أمين وحي الله جبرئيل حين نصب في الجنة منبراً فارتقاه فخطب خطبة زواج النورين: علي وفاطمة، فلمّا انتهى من ذلك نثر على الملائكة من حليّ شجر الجنان وحللها. تفتخر فاطمة عليها السلام بأَنَّ الله تعالى زوّجها خير خلقه بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوّل من آمن به ونصره وبات في فراشه يفديه بروحه. وسيأتي قريباً افتخار أمير المؤمنين عليه السلام بزواجه من سيدة نساء العالمين.

عن علقمة: عن عبد الله قال: أصاب فاطمة عليها السّلام صبيحة العرس رعدة، فقال لها النبي صلّى الله عليه وآله: «**زوّجتك سيداً في الدنيا وإنَّه في الآخرة لمن الصالحين. يا فاطمة، إنِّي لما أردت أن أملكك بعلي أمر الله شجر الجنان فحملت حلياً وحللاً، وأمرها فنثرته على الملائكة. فمن أخذ منه يومئذ شيئاً أكثر مما أخذ منه صاحبه أو أحسن افتخر به على صاحبه يوم القيامة**».

قالت أُمُّ سلمة: فلقد كانت فاطمة عليها السّلام تفتخر على النساء لأَنَّ أول من خطب عليها جبرئيل[1].

قال ابن مسعود: لما أراد النبي صلّى الله عليه وآله أن يوجّه بفاطمة عليها السّلام إلى علي عليه السّلام أخذتها رعدة، فقال لها النبي صلّى الله عليه وآله: «**يا بنية، لا تجزعنّ، إنِّي لم**

(١) كشف الغمة ١: ٣٦٧، عن كفاية الطالب.

أزوّجك من علي، إنَّ الله أمرني أن أزوّجك منه. إنَّ الله عز وجل لما أمرني أن أزوّجك من علي أمر الملائكة أن يصطفّوا صفوفاً في الجنة، ثم أمر شجر الجنان أن تحمل الحلي والحلل، ثم أمر جبرئيل عليه السّلام فنصب في الجنة منبراً، ثم صعد عليه جبرئيل فاختطب. فلما أن فرغ نثر عليهم من ذلك، فمن أخذ أحسن أو أكثر من صاحبه افتخر به إلى يوم القيامة»(١).

أخرج ابن شهر آشوب عن ابن مردويه في كتابه بإسناده عن علقمة، قال: لما تزوّج عليّ فاطمة تناثر ثمار الجنة على الملائكة(٢).

وأخرج عن عبد الرزاق بإسناده إلى أمِّ أيمن في خبر طويل عن النبي صلّى الله عليه وآله: «**وعقد جبرئيل وميكائيل في السماء نكاح علي وفاطمة، فكان جبرئيل المتكلم عن علي، وميكائيل الرادّ عني**»(٣).

عن أنس بن مالك، قال: كنا جلوساً عند النبي صلّى الله عليه وآله إذ أقبل علي بن أبي طالب فقعد وراء المجلس. فدعاه النبي صلّى الله عليه وآله حتى أجلسه بين يديه، فقال: «**يا علي، أكرمك الله بأربع خصال**».

فجثا علي عليه السّلام بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله في التراب وقال: «**فداك أبي وأُمّي يا رسول الله، فهل يكون للعبد على السيد فضل**»؟ فقال: «**يا علي، إنَّ الله عز وجل إذا أكرم عبداً أكرمه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**».

قال أنس: قلنا: يا رسول الله، بيّنها لنا لنعرفها. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إنَّ الله رزقه زوجة مثل فاطمة ولم أُرزق، ورزقه مثلي ولم أُرزق، ورزقه ولدين**

---

(١) فرائد السمطين ٢: ٦٠ / ح ٣٨٥؛ ذخائر العقبى: ص ٣١، عن طريق الغساني.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١٢٤.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤٦.

مثل الحسن والحسين ولم أُرزق، وزوّجه الله عز وجل فاطمة من فوق عرشه وكان خاطبها جبرئيل ولم أُرزق»[١].

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**أيها الناس، هذا علي بن أبي طالب، أنتم تزعمون أنّني أنا زوّجته ابنتي فاطمة، ولقد خطبها إليّ أشراف قريش فلم أُجب؛ كل ذلك أتوقّع الخبر من السماء حتى جاءني جبرئيل عليه السّلام ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان فقال: يا محمد، العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، وقد جمع الروحانيين والكروبيين في واد يقال له «الأفيح» تحت شجرة طوبى، فحملت الحلي والحلل والدر والياقوت ثم نثرته، وأمر الحور العين فاجتمعن فلقطن؛ فهن يتهادينه إلى يوم القيامة ويقلن: هذا نثار فاطمة**»[٢].

قال سبط ابن الجوزي بعد ذكر حديث عن جدّه في زواج فاطمة عليها السّلام: قلت: وقد ذكر جدي أبو الفرج في كتاب «المنتخب في فضائل فاطمة عليها السّلام»: وقد أمر الله تعالى الجنان ليلة عرسها فحملت حللاً وحليّاً فنثرته على الملائكة.

ثم قال جدّي عقيب هذا: يا عجباً! يكون الحلل والحلي لمن يكون فراشها جلد كبش. هلاّ حلت لها منها حلة؟! ثم قال: كلاّ، مركب الملك أجلّ من أن يحلّى[٣].

تقسيم العمل في البيت

ما أعظم فرحة الزهراء عليها السلام! وما أعظم السرور الذي أدخله أميرُ المؤمنين على قلب زوجته الزهراء عليهما السلام حين ضمن لها ما كان من عمل خارج البيت!

---

(١) ملحقات إحقاق الحق ٢٢: ٢٧٧، عن الوسيلة للموصلي.

(٢) كفاية الطالب للكنجي: ص ٣٠٠ / الباب ٧٩.

(٣) تذكرة الخواص: ص ٣٠٩.

وأن ينقل لها الحطب ويأتي لها بالطعام، وتكفّلت له بعمل البيت دون أن تتذمّر أو تشكو. ولم تشعر ريحانة رسول الله بالسرور لأَنَّ زوجها كان يُعينها في أعمال البيت قدر سرورها بتكفّله بالأعمال التي تتطلّب تحمّل رقاب الرجال على حدّ وصف الزهراء عليها السلام.

عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: «**كان أمير المؤمنين عليه السّلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السّلام تطحن وتعجن وتخبز**»(١).

عن سيف، عن نجم، عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: «**إنَّ فاطمة عليها السّلام ضمنت لعلي عليه السّلام عمل البيت؛ العجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها علي عليه السّلام ما كان خلف الباب؛ نقل الحطب وأن يجيء بالطعام**».

«**فقال لها يوماً: يا فاطمة، هل عندك شيء؟ قالت: والذي عظّم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء نقريك به. قال: أفلا أخبرتني؟ قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئاً. فقال: لا تسألي ابن عمك شيئاً إن جاءك بشيء عفو(اً)، وإلا فلا تسأليه**»(٢).

عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السّلام، قال: «**تقاضى علي وفاطمة عليهما السّلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله في الخدمة. فقضى على فاطمة عليها السّلام بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي عليه السّلام بما خلفه. قال:**

فقالت فاطمة عليها السّلام: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله، بإكفائي رسول الله صلّى الله عليه وآله تحمّل رقاب الرجال»(٣).

---

(١) الكافي ٥: ٨٦/ ح ١.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٧١/ ح ٤١.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٨١/ ح ١.

أمير المؤمنين يساعد الزهراء عليهما السلام في أعمال البيت

المرأة - كما يصفها رسول الله صلى الله عليه وآله - هي ريحانة وليست بقهرمانة، وإذا كان رسول الله قد قسم الأعمال بين الرجل والمرأة، فذلك لا يعني أن لا يُعين الرجلُ زوجته إذا سنحت له الفرصة لإعانتها، أو إذا شاهد تراكم الأعمال عليها. فـ«**مَن لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب**» على حدّ كلام الصادق المصدّق صلى الله عليه وآله، وإنَّ «**خدمة العيال كفّارة للكبائر، ويطفئ غضب الرب، ومهور حور العين، ويزيد في الحسنات والدرجات**» كما يقول صلى الله عليه وآله، ولأنَّه «**لا يخدم العيال إلّا صدّيق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة**» كما يشهد صلى الله عليه وآله.

جامع الأخبار: عن علي عليه السلام قال: «**دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر، وأنا أُنقي العدس، قال: يا أبا الحسن، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: اسمع وما أقول إلّا ما أمر ربي: ما من رجل يُعين امرأته في بيتها إلّا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله من الثواب ما أعطاه الله الصابرين وداود النبي ويعقوب وعيسى عليهم السلام.**

يا علي من كان في خدمة عياله في البيت ولم يأنف، كتب الله اسمه في ديوان الشهداء، وكتب الله (له) بكل يوم وليلة ثواب ألف شهيد، وكتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة، وأعطاه الله تعالى بكل عرق في جسده مدينة في الجنة.

يا علي، ساعة في خدمة البيت، خير من عبادة ألف سنة، وألف حج، وألف عمرة، وخير من عتق ألف رقبة، وألف غزوة، وألف مريض عاده، وألف جمعة، وألف جنازة، وألف جائع يشبعهم، وألف عار يكسوهم، وألف فرس يوجهه في سبيل الله، وخير له

من ألف دينار يتصدق على المساكين، وخير له من أن يقرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن ألف أسير اشتراها فأعتقها، وخير له من ألف بدنة يعطي للمساكين، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة.

يا علي، من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب. يا علي خدمة العيال كفارة للكبائر، ويطفئ غضب الرب، ومهور حور العين، ويزيد في الحسنات والدرجات. يا علي، لا يخدم العيال إِلَّا صدّيق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة»(١).

مساعدة الزوج اقتصادياً

قسم النبي صلى الله عليه وآله عمل البيت بين أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام، فقضى لأمير المؤمنين بالأعمال خارج البيت، وقضى لفاطمة بالأعمال داخل البيت. أخرج المجلسي عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السّلام، قال: «**تقاضى علي وفاطمة عليهما السّلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله في الخدمة. فقضى على فاطمة عليها السّلام بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي عليه السّلام بما خلفه. قال: فقالت فاطمة عليها السّلام: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله، بإكفائي رسول الله صلّى الله عليه وآله تحمّل رقاب الرجال**»(٢).

لكن هذا التقسيم لم يكن يعني أنَّ أحدهما لم يكن يُعين الآخر في أداء ما في عُهدته، بل على العكس، فقد شاهدنا أمير المؤمنين وهو يُعين الزهراء وخاصة حين ازدادت تكاليفها بعد ولادة الحسنين عليهما السلام، كما شاهدنا الزهراء عليها السلام وهي تعين زوجها

---

(١) بحار الأنوار ١٠١: ١٣٢؛ مستدرك الوسائل - الميرزا النوري ١٣: ٤٨ - ٤٩.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٨١ / ح ١.

من الناحية الاقتصادية، فقد تكفّلت بعمل البيت والعجين والخبز وقمّ البيت، وكانت تستقي الماء وتوقد تحت القدر وتقوم بكافة الأعمال المنزلية على أفضل صورة، بل كانت تسهم في تمشية أُمور البيت بتبني أعمال أُخرى كغزل الصوف. وقد شاهدنا - على سبيل المثال - أمير المؤمنين يقترض من شمعون اليهودي ثلاثة أصوع من شعير ويأخذ منه جزّة من صوف تغزله الزهراء عليها السلام. فأعطاه اليهودي الشعير والصوف، فانطلق إلى منزل فاطمة عليها السّلام، فقال لها: يا ابنة رسول الله، كُلي هذا، واغزلي هذا[1].

تقسيم العمل مع الخادم

كبرت عائلة الزهراء عليها السلام وازدادت مشاغلها، وصار عليها أن تصرف جزءاً كبيراً من وقتها في تربية الحسنين عليهما السلام، وها هو سلمان يشهد أنَّ الزهراء الطاهرة كانت جالسة تطحن الشعير بالرحى، وأنّ يديها الشريفتين قد لوّنت عمود الرحى بالدماء النازفة من جرّاء العمل القاسي، وأنّ ولدها الحسين عليه السلام كان يبكي في البيت دون أن تمتلك القدرة على إسكاته، ولعلّها كانت تطحن له الشعير لتوفر له الخبز. ومع كل الأعمال الزائدة والمتراكمة، لم تسمح الزهراء عليها السلام لنفسها أن تكلّف خادمتها بعمل في يوم استراحتها.

سلمان، قال: كانت فاطمة عليها السّلام جالسة، قدّامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين عليه السّلام في ناحية الدار يبكي. فقلت: يا بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله! دبرت كفّاك وهذه فضة! فقالت: «**أوصاني رسول الله صلّى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يوماً ولي يوماً، فكان أمس يوم خدمتها**». قال سلمان:

(١) مستدرك الوسائل ١٣: ١٨٧ / ح ٣، عن تفسير فرات.

إنِّي مولى عتاقة، إما أن أطحن الشعير أو أُسكت لك الحسين عليه السّلام؟ فقالت: «**أنا بتسكنيه أرفق، وأنت تطحن الشعير**».

فإذا أنا بالإقامة؛ فمضيت وصلّيت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله. فلما فرغت قلت لعلي عليه السّلام ما رأيت، فبكى وخرج، ثم عاد يتبسم. فسأله عن ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: «**دخلت على فاطمة عليها السّلام وهي مستلقية لقفاها والحسين عليه السّلام نائم على صدرها وقدّامها الرحى تدور من غير يد**»! فتبسّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: «**يا علي، أما علمت أنَّ لله ملائكة سيارة في الأرض، يخدمون محمداً وآل محمد إلى أن تقوم الساعة**»؟![1]

ابن صخر في فوائده، وابن بشكوال في كتاب «المستغيثين» بالإسناد عن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ، عن أبيه، عن عليّ عليهم السلام: «**أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخدم فاطمة ابنته جارية اسمها فضّة النوبيّة، وكانت تشاطرها الخدمة، فعلّمها رسول الله صلى الله عليه وآله دعاءً تدعو به**».

فقالت لها فاطمة عليها السلام: أتعجنين أو تخبزين؟ فقالت: بل أعجن يا سيّدتي! وأَحتطب. فذهبت واحتطبت بيدها حزمة وأرادت حملها، فعجزت، فدعت بالدعاء الّذي علّمها، وهو:

(يَا واحِدُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ أحَدٌ، تُميتُ كُلَّ أحَدٍ وتُفْني كُلَّ أحَدٍ، وَأنْتَ عَلى عَرْشِكَ واحِدٌ، وَلا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَومٌ).

فجاء أعرابيّ كأنّه من أزد شنوءة، فحمل الحزمة إلى باب فاطمة عليها السلام[2].

مقتل الحسين عليه السلام: بإسناده، عن محمّد بن عليّ، عن أبيه عليهما السلام: أنّه

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٥٣٠.

(٢) العوالم ١١: ٢٦٨، عن الإصابة.

ذكر تزويج فاطمة عليها السلام، ثمّ ذكر: أنّ فاطمة عليها السلام سألت من رسول الله صلى الله عليه وآله خادماً... إلى أن قال: «**ثمّ غزا رسول الله صلى الله عليه وآله ساحل البحر، فأصاب سبياً، فقسّمه، فأمسك امرأتين إحداهما شابة، والأُخرى امرأة قد دخلت في السنّ، ليست بشابة**».

فبعث إلى فاطمة عليها السلام وأخذ بيد المرأة، فوضعها في يد فاطمة عليها السلام، وقال: «**يا فاطمة! هذه لك ولا تضربيها، فإنّي رأيتها تصلّي، وأنّ جبرئيل نهاني أن أضرب المصلّين. وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يوصيها بها، فلمّا رأت فاطمة عليها السلام ما يوصيها بها التفتت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: يا رسول الله! عليّ يوم وعليها يوم.**

ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله بالبكاء، وقال: الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ»[١].

(فجعله نسباً وصهراً) نزلت في تزويج النبي علياً وفاطمة

أخبرونا عن ابن عقدة قال: حدثنا محمد بن منصور، قال: حدثنا أحمد ابن عبد الرحمن قال: حدثنا الحسن بن محمد بن فرقد الأسدي قال: حدثنا الحكم بن ظهير قال: حدثنا السدي (في) قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾[٢] قال: نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي، زوج فاطمة علياً وهو ابن عمه وزوج ابنته، كان نسباً وكان صهراً[٣].

(١) العوالم ١١: ٢٦٨ و٢٦.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٥٤.

(٣) شواهد التنزيل – الحاكم الحسكاني ١: ٥٣٨.

وقوف النبي في باب فاطمة عدة أشهر وقراءته آية التطهير

لماذا يأتي النبي صلى الله عليه وآله عند صلاة الغداة (أو عند كلّ صلاة) إلى باب علي وفاطمة طيلة ثمانية أشهر أو تسعة أشهر فيناديهم للصلاة ثم يتلو آية التطهير؟ ألم يكن يكفي رسول الله أن ينفّذ أمر ربّه في آية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ أن يتلوها على مسامع ابنته وزوجها مرّة أو مرّتين؟! لقد حرص رسول الله على الوقوف عند باب بيت الزهراء طيلة هذه الشهور ليناديهم للصلاة (وحاشاهم أن يحتاجوا إلى مذكّر)، وليتلو على مسامع الموجودين آية التطهير. لقد كان صلى الله عليه وآله يعيّن - بوقوفه المكرر وندائه وتلاوته - المصداقَ الوحيد لـ(أهل البيت) عليهم السلام الذين أذهب اللهُ عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. لقد كان صلى الله عليه وآله يقول ببيان واضح بأنّ ابنته الطاهرة المطهّرة لا تقول إلّا حقاً وأنّها لا تدّعي ما ليس لها، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو المطهّر الوحيد الذي يصلح لخلافة رسول الله من بعده.

روى الحاكم النيسابوري بإسناده عن عبد الله بن الحسن، عن أبيه عن جده قال: قال أبو الحمراء خادم النبي صلى الله عليه وآله: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأتي باب علي وفاطمة (عند) كل صلاة فيقول: «**الصلاة رحمكم الله**» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الآية (٣٣/ الأحزاب)[١].

وروى الحاكم النيسابوري بإسناده عن عطية العوفي: عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ كان يجئ نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى باب علي صلاة الغداة ثمانية أشهر، ثم يقول: «**الصلاة رحمكم الله**» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

(١) شواهد التنزيل ١: ٤٩٧.

عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١].

وروى الحاكم النيسابوري بإسناده عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لما) نزلت هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ قال: كان يجيء إلى باب علي تسعة أشهر كل صلاة غداة ويقول: «**الصلاة رحمكم الله**» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢].

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر وابن النجار عن أبي سعيد الخدري قال لما نزلت ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾[٣] كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجيء إلى باب عليٍّ صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: «**الصلاة رحمكم الله**»، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٤].

أمير المؤمنين يفتخر بزوجته

ذكرنا سابقاً افتخار فاطمة عليها السلام بزوجها أمير المؤمنين عليه السلام، ونتطرق إلى افتخار أمير المؤمنين عليه السلام بزوجته الزهراء عليها السلام في مواطن مهمة، كيوم الشورى الذي احتجّ فيه على أصحاب الشورى الذين عيّنهم عمر لينافسوا أمير المؤمنين عليه السلام في تولّي زمام الخلافة، وفي الرسالة التي ردّ فيها على حاكم الشام المتمرّد حين زعم أنّ له فضائل كثيرة تجعله مرشّحاً للخلافة ومستحقّاً لها. ونجد أصحاب الشورى الذين استحلفهم أمير المؤمنين عليه السلام بالله إنْ كان لأحدهم منقبة من

(١) شواهد التنزيل ٢: ٤٦.

(٢) شواهد التنزيل ٢: ٤٧.

(٣) سورة طه: الآية ١٣٢.

(٤) الدر المنثور – جلال الدين السيوطي ٤: ٣١٣.

مناقبه الكثيرة، وهم ينفون امتلاك أيٍّ منهم منقبة توازي أو تماثل مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ومنها منقبة تزويجه بفاطمة الزهراء عليها السلام واتّحاده معها في المواقف، حيث يعبّر عنها في شعره:

وبنت محمد سَكني وعُرسي   مَسوطٌ لحمُها بدمي ولحمي

روى الفقيه الحافظ ابن المغازليّ الشافعيّ بإسناده عن عامر بن واثلة، قال: كنتُ مع عليّ عليه السلام في البيت يوم الشورى، فسمعت علياً يقول لهم: «**لأحتجّنّ عليكم بما لا يستطيع عربيّكم ولا عجميّكم يغيّر ذلك. ثمّ قال: أنشُدُكم بالله أيّها النفر جميعاً! أفيكم أحد وحّد الله قبلي**»؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: «**فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد له أخ مثل أخي جعفر الطيّار في الجنّة معالملائكة غيري**»؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: «**فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد له عمّ مثل عمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله سيّد الشهداء غيري**»؟ قالوا: اللهمّ لا. قال: «**فأنشدكم بالله، هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمّد سيّدة نساء أهل الجنَّة غيري**»؟ قالوا: اللهمّ لا- الحديث بطوله[1].

وروى أبو عبيدة، قال: كتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السّلام: إنَّ لي فضائل كثيرة؛ كان أبي سيداً في الجاهلية وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله صلّى الله عليه وآله وخال المؤمنين وكاتب الوحي.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «**أبالفضائل يبغي عليّ ابنُ آكلة الأكباد**»؟! اكتب إليه يا غلام:

محمد النبي أخي وصنوي   وحمزة سيد الشهداء عمي

(١) مناقب علّي بن أبيطالب عليه السلام لابن المغازلي:ص١١٢ ١١٨/ ح١٥.

وجعفر الذي يمسي ويضحى يطير مع الملائكة ابن أمّي
وبنت محمد سكني وعرسي مَسوطٌ لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها فأيّكمُ له سهم كسهمي
سبقتكمُ إلى الإسلام طراً غلاماً ما بلغتُ أوان حلمي
وصلّيت الصلاة وكنت طفلاً مقرّاً بالنبي في بطن أمّي
وأوجب لي ولايته عليكم رسولُ الله يوم غدير خمّ
فويلٌ ثم ويل ثم ويل لمن يلقى الإله غداً بظلمي
أنا الرجل الذي لا تنكروه ليوم كريهة أو يوم سلم

فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب، لا يقرأه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب(١).

المودّة بين الزوجين

دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله على علي عليه السّلام فوجده هو وفاطمة عليها السّلام يطحنان في الجاروش. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**أيكما أعيى؟ فقال: علي عليه السّلام: فاطمة يا رسول الله. فقال لها: قومي يا بنية. فقامت وجلس النبي صلّى الله عليه وآله موضعها مع علي عليه السّلام، فواساه في طحن الحبّ**»(٢).

إبن إدريس، عن أبيه، عن الأشعريّ، عن ابن هاشم، عن عمرو بن عثمان، عن محمّد بن عذافر، عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحزور، عن القاسم ابن أبي سعيد، قال: أتت فاطمة عليها السلام النبيّ صلى الله عليه وآله وذكرت عنده ضعف الحال.

---

(١) الاحتجاج ١: ٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٥١ / ح ٤٧، عن الفضائل والروضة.

فقال لها: «أما تدرين ما منزلة عليّ عندي؟

كفاني أمري وهو ابن اثنتي عشرة سنة؛ وضرب بين يديّ بالسيف وهو ابن ستّ عشرة سنة؛ وقتل الأبطالَ وهو ابن تسع عشرة سنة؛ وفرّج همومي وهو ابن عشرين سنة؛ ورفع باب خيبر وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، وكان لا يرفعه خمسون رجلاً.

قال: فأشرق لون فاطمة عليها السلام ولم تقرّ قدماها حتّى أتت علياً عليه السلام فأخبرته. فقال: كيف لوحدّثك بفضل الله عليّ كلّه»[1]؟

جاء في الصوارم الحاسمة: إنَّه عليه السّلام احتجب عن الناس في داره ثلاثة أيام؛ فكان لا يخرج إلا لزيارة قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله أو للصلاة. فجزع أصحابه من عظم ذلك، فأرسلوا إليه عمار بن ياسر- وفي رواية سلمان الفارسي-. فدخل عليه داره فوجده جالساً والحسن عليه السّلام عن يمينه والحسين عليه السّلام عن شماله، وهو تارة ينظر إلى الحسن عليه السّلام فيبكي، وتارة ينظر إلى الحسين عليه السّلام فيبكي. قال عمار: فسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام. فجلست وقلت: سيدي، أنتم تأمروننا بالصبر على المصيبة وهؤلاء أصحابك قد جزعوا من انقطاعك عنهم ولا طاقة لهم بفراقك. فقال لي: «يا عمّار، صدقت ولكني فقدت رسول الله صلّى الله عليه وآله بفقد فاطمة عليها السّلام؛ كانت لي عزاءً وسلوة؛ كانت إذا تكلّمت أفصحت عن بليغ كلامه، وإذا مشت حكت كريم قوامه.

يا عمّار، ما أحسست بألم المصيبة إلّا بوفاتها، ولا بألم الفراق إلّا بفراقها، وما يهون الخطب أنَّه بعين الله.

(١) بحار الأنوار ٤٠: ٦٧ / ح ١٤، عن أمالي الصدوق.

يا عمّار، لما وضعت فاطمة عليها السّلام على المغتسل، نظرت إلى ضلع من أضلاعها مكسوراً، وقد دخل المسمار في ثديها فأعابه، ومتنها قد اسودّ من الضرب، وما يقرع قلبي – يا عمار – أنَّها كانت تخفي ذلك عني مخافة أن تنغص عليّ عيشي».

فقلت: سيدي، أجل، هؤلاء أصحابك وشيعتك ينتظرون خروجك. فأجابني إلى ذلك وخرج معي إليهم[1].

وعن سلمان الفارسي، قال: قلنا يوماً: يا رسول الله، من الخليفة بعدك حتى نعلمه؟ قال لي: «**يا سلمان، أدخل عليّ أبا ذر والمقداد وأبا أيوب الأنصاري، وأمَّ سلمة زوجة النبي صلّى الله عليه وآله من وراء الباب. ثم قال لنا:**

اشهدوا وافهموا عني، إنَّ علي بن أبي طالب عليه السّلام وصيي ووارثي وقاضي ديني وعداتي، وهو الفاروق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين والحامل غداً لواء رب العالمين، وهو وولداه من بعده ثم من ولد الحسين عليه السّلام ابني أئمة تسعة هداة مهديون إلى يوم القيامة. أشكو إلى الله جحود أمَّتي لأخي وتظاهرهم عليه وظلمهم له وأخذهم حقه».

قال: فقلنا له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟ قال: «**نعم، يقتل مظلوماً من بعد أن يملأ غيظاً، يوجد عند ذلك صابراً**». قال: فلما سمعت ذلك فاطمة عليها السّلام أقبلت حتى دخلت من وراء الحجاب وهي باكية. فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**ما يبكيك يا بنية**»؟ قالت: «**سمعتك تقول في ابن عمي وولدي ما تقول**». قال: «**وأنت تظلمين وعن حقك تدفعين، وأنت أول أهل بيتي لحوقاً بي بعد أربعين. يا فاطمة، أنا سلم لمن سالمك وحرب لمن حاربك. أستودعك لله وجبرئيل وصالح المؤمنين**». قال: قلت: «**يا رسول**

(١) الزهراء عليها السّلام في السنّة والتاريخ والأدب: ص ٥٥٢ / ح ١٠، عن الصوارم الحاسمة.

الله، من صالح المؤمنين»؟ قال: «**علي بن أبي طالب عليه السّلام**»[١].

قالت أسماء بنت عميس: أنا لعند علي بن أبي طالب عليه السّلام بعد ما ضربه ابن ملجم، إذا شهق شهقة، ثم أُغمي عليه. ثم أفاق فقال: مرحباً مرحباً، الحمد للهّ الذي صدّقنا وعده وأورثنا الجنة.

فقيل له: ما ترى؟ قال: هذا رسول الله صلّى الله عليه وآله وأخي جعفر وعمي حمزة، وأبواب السماء مفتّحة والملائكة ينزلون ويستبشرون، وهذه فاطمة عليها السّلام قد طاف بها وصائفها من الحور، وهذه منازلي في الجنة؛ لمثل هذا فليعمل العاملون[٢].

عن جابر، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السّلام قبل موته:

«**السلام عليك يا أبا الريحانتين، أوصيك بريحانتيّ من الدنيا، فعن قليل ينهدّ ركناك عليك. قال فلما قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله قال علي عليه السّلام: هذا أحد الركنين. فلما ماتت فاطمة عليها السّلام قال علي عليه السّلام: هذا الركن الثاني**»[٣].

محبة الزهراء لزوجها عليهما السلام وتعلّقها به

عرفت الزهراء عليها السلام أَنَّ أباها بعث زوجها أمير المؤمنين عليه السلام إلى قوم من الكفّار ذوي بأس، سبق للنبي أن أرسل إليهم فلاناً وفلاناً بعد أن ضمّ إلى كل منهما جيشاً، فانهزما عنهم وعادا يجرّان أذيال الخيبة والهزيمة. عرفت الزوجة المخلصة حين طلب منها زوجها إحضار العصابة التي لم يكن يلبسها إلاّ لأمر شديد، عرفت أنَّه مقبلٌ

(١) بحار الأنوار: ج ٣٦: ٢٦٤ / ح ٨٥، عن اليقين.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري ٤: ٢٠٨.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٦١.

على معركة خطرة قد يدفع فيها حياته، فبكت عليها السلام إشفاقاً على بعلها أن يُقتل في تلك المعركة، مع أنّ زوجها المجاهد كان يستبشر بالشهادة في سبيل الله تعالى. ثمّ خرج أمير المؤمنين عليه السلام لقتال أولئك الكفّار ودارت بينهم معركة ضارية كان النصر المؤزّر فيها لأمير المؤمنين عليه السلام. ونزل الوحيُ على رسول الله صلى الله عليه وآله يصف له تفاصيل تلك المعركة قبل أن يعود أمير المؤمنين ظافراً منتصراً، وبقيت سورة (العاديات) تخليداً قرآنياً لتلك المعركة الباسلة، تصف ضبح خيول المسلمين وهي تعدو، وترسم صور شرر حوافرها حين ترتطم بالصخور، وكيف أغارت على الأعداء صُبحاً، وأثارت النقع والغبار في التحامها بجيشهم، وتوسّطها جمعهم.

ذكر أصحاب السير أنَّ النبي صلى الله عليه وآله كان ذات يوم جالساً، إذ جاءه أعرابي فجثا بين يديه، ثم قال. إنِّي جئتك لأنصحك، قال: «**وما نصيحتك**»؟ قال: قوم من العرب قد عملوا على أن يثبتوك بالمدينة، ووصفهم له. قال: فأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع المسلمون، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أيها الناس، إنَّ هذا عدو الله وعدوكم قد أقبل إليكم، يزعم أنَّه يثبتكم بالمدينة، فمن للوادي**»؟ فقام رجل من المهاجرين فقال: أنا له يا رسول الله. فناوله اللواء وضم إليه سبعمائة رجل وقال له: امض على اسم الله. فمضى فوافى القوم ضحوة، فقالوا له: من الرجل؟ قال. أنا رسولٌ لرسول الله، إما أن تقولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله، أو لأضربنكم بالسيف؟ قالوا له: ارجع إلى صاحبك، فإنَّا في جمع لا تقوم له. فرجع الرجل، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**من للوادي**»؟ فقام رجل من المهاجرين فقال: أنا له يا رسول الله. قال: فدفع إليه الراية ومضى، ثم عاد بمثل ما عاد به صاحبه الأول. فقال رسول الله صلى الله

عليه وآله: «**أين علي بن أبي طالب**»؟ فقام أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «**أنا ذا يا رسول الله**»! قال: «**امض إلى الوادي**»! قال: «**نعم**»! وكانت له عصابة لا يتعصّب بها حتى يبعثه النبي عليه السلام في وجه شديد. فمضى إلى منزل فاطمة عليها السلام فالتمس العصابة منها؟ فقالت: «**أين تريد، أين بعثك أبي**»؟ قال: «**إلى وادي الرمل**»! فبكت إشفاقاً عليه. فدخل النبي صلى الله عليه وآله وهي على تلك الحال. فقال لها: «**ما لك تبكين؟ أتخافين أن يُقتل بعلك؟ كلا، إن شاء الله**»؛ فقال له علي عليه السلام: «**لا تنفس علي بالجنة يا رسول الله**». ثم خرج ومعه لواء النبي صلى الله عليه وآله فمضى حتى وافى القوم بسحر، فأقام حتى أصبح، ثم صلّى بأصحابه الغداة وصفّهم صفوفاً، واتّكأ على سيفه مُقبلاً على العدو، فقال لهم: «**يا هؤلاء، أنا رسول رسول الله إليكم، أن تقولوا لا إله إلّا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وإلاّ ضربتكم بالسيف**». قالوا: ارجع كما رجع صاحباك. قال: «**أنا أرجع؟! لا والله حتى تُسلموا أو أضربكم بسيفي هذا، أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب**». فاضطرب القوم لما عرفوه، ثم اجترأوا على مواقعته، فواقعهم عليه السلام فقتل منهم ستة أو سبعة، وانهزم المشركون، وظفر المسلمون وحازوا الغنائم، وتوجّه إلى النبي صلى الله عليه وآله.

وقد ذكر كثير من أصحاب السيرة: أَنَّ في هذه الغزاة نزل على النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ إلى آخرها فتضمنت ذكر الحال فيها فعله أمير المؤمنين عليه السلام فيها[1].

(١) الإرشاد - الشيخ المفيد ١: ١١٤ ١١٦؛ بحار الأنوار ٢١: ٦٧.

الزهراء تسلّي خاطر أمير المؤمنين عليهما السلام في قصة المؤاخاة

آخى النبي صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار، فجعل لكلّ رجل من الأنصار أخاً من المهاجرين يتقاسم معه حلو الحياة ومرّها، لكنّه ترك أمير المؤمنين علياً دون أن يؤاخي بينه وبين أحد، وشقّ ذلك على أمير المؤمنين عليه السلام، ونجد الزهراء عليها السلام - كما هو عهدها دائماً - تقف إلى جانب زوجها أمير المؤمنين عليه السلام وتسلّي خاطره وتقول له «**لا يحزنك الله، لعلّه ذخرك لنفسه**»، وكان الأمر كما توقّعت الزهراء عليها السلام، فسرعان ما افتقد النبي أميرَ المؤمنين وبعث في طلبه وأخبره أنَّه إنّما ادّخره لنفسه، ثم أرقاه المنبر فأعلن صلى الله عليه وآله أنّ علياً منه بمنزلة هارون من موسى، ثم جعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقال «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**».

من مناقب الفقيه أبي الحسن بن المغازلي، عن أنس، قال: لما كان يوم المباهلة آخى النبي صلّى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وعلي عليه السّلام واقف يراه ويعرف مكانه ولم يؤاخ بينه وبين أحد. فانصرف علي باكي العين، فافتقده النبي صلّى الله عليه وآله فقال: «**ما فعل أبو الحسن**»؟

قالوا: انصرف باكي العين يا رسول الله. قال: «**يا بلال، اذهب فائتني به**».

فمضى بلال إلى علي عليه السّلام وقد دخل منزله باكي العين، فقالت فاطمة عليها السّلام: «**ما يبكيك لا أبكى الله عينيك**»؟ قال: «**يا فاطمة، آخى النبي صلّى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعرف مكاني ولم يؤاخ بيني وبين أحد**». قالت: «**لا يحزنك الله، لعله ذخرك لنفسه**»، فقال بلال: «**يا علي، أجب النبي صلّى الله عليه وآله**». فأتى علي عليه السّلام النبي صلّى الله عليه وآله، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**ما**

يبكيك يا أبا الحسن»؟ فقال: «**واخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله وأنا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تؤاخِ بيني وبين أحد**». قال: «**إنّمَا ذخرتك لنفسي؛ ألا يسرّك أن تكون أخا نبيك**»؟ قال: «**بلى يا رسول الله، أنّى لي بذلك**»؟ فأخذه بيده فأرقاه المنبر فقال: «**اللهم هذا مني وأنا منه، ألا إنَّه مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه**». قال: فانصرف علي عليه السّلام قرير العين، فأتبعه عمر بن الخطاب فقال: بخ بخ يا أبا الحسن، أصبحتَ مولاي ومولى كل مسلم(١).

الزهراء تخشى فقدان أمير المؤمنين عليهما السلام

تعاقد ثلاثة من الكفار على قتل النبي صلى الله عليه وآله، فندب النبي المسلمين لقتلهم، فلم يجرؤ على ذلك أحد منهم إلّا أمير المؤمنين عليه السلام، مع أَنَّه كان موعوكاً يومذاك، فخرج لقتالهم فمكث ثلاثة أيام لم يرجع إلى النبي منه خبر، فحزنت الزهراء عليها السلام وأقبلت بولديها الصغيرين إلى أبيها وهي تتمتم والهة: «**أوشكَ أن يُؤتم هذان الغلامان**»، فبكى النبي وأرسل من يتحرّى خبر أمير المؤمنين عليه السلام، وبشّر صلى الله عليه وآله بالجنّة مَن يبشّره بسلامته.

عن علي بن الحسين عليهم السّلام، قال: «**خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات يوم وصلى الفجر، ثم قال:**

معاشر الناس! أيكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد آلوا باللات والعُزّى ليقتلوني وقد كذبوا وربّ الكعبة. قال: فأحجم الناس وما تكلّم أحد. فقال: ما أحسب علي بن أبي طالب عليه السّلام فيكم؟ فقام إليه عامر بن قتادة فقال:إنّه وعك في هذه الليلة ولم يخرج يصلي

(١) كشف الغمة ١: ٢٣٥ عن ابن المغازلي؛ بحار الأنوار ٣٨: ٤٣ / ح ١٨.

معك، أفتأذن لي أن أخبره؟ فقال النبي صلّى الله عليه وآله: شأنكَ؛ فمضى إليه فأخبره.

فخرج أمير المؤمنين عليه السّلام كأنّه نشط من عقال وعليه إزار قد عقد طرفيه على رقبته، فقال: يا رسول الله! ما هذا الخبر؟ قال: هذا رسول ربي يخبرني عن ثلاثة نفر نهضوا إلى قتلي وقد كذبوا ورب الكعبة. فقال علي عليه السّلام: يا رسول الله، أنا لهم سرية وحدي، هو ذا ألبس عليّ ثيابي. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: بل هذه ثيابي وهذا درعي وهذا سيفي.

فدرّعه وعمّمه وقلّده وأركبه فرسه وخرج أمير المؤمنين عليه السّلام. فمكث ثلاثة أيام لا يأتيه جبرئيل يخبره ولا خبر من الأرض. وأقبلت فاطمة بالحسن والحسين عليهم السّلام على وركيها تقول: أوشك أن يؤتم هذان الغلامان. فأسبل النبي صلّى الله عليه وآله عينه يبكي، ثم قال:

معاشر الناس! من يأتيني بخبر علي عليه السّلام أبشّره بالجنة. وافترق الناس في الطلب لعظيم ما رأوا بالنبي صلّى الله عليه وآله وخرج العوائق. فأقبل عامر بن قتادة يبشّر بعلي عليه السّلام، وهبط جبرئيل على النبي صلّى الله عليه وآله وأخبره بما كان فيه، وأقبل علي أمير المؤمنين عليه السّلام ومعه أسيران ورأس وثلاثة أبعرة وثلاثة أفراس» - الحديث بطوله[1].

الزهراء تسأل النبي عن منزلة زوجها أمير المؤمنين في الجنّة

روى الحافظ أبو محمد بن أبي الفوارس في كتابه (الأربعين) عن عائشة، قالت: ما رأيت رجلاً قط أحب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله من علي وفاطمة عليهما السّلام.

(١) أمالي الصدوق ١: ١٠٦ /ح ٤ المجلس الثاني والعشرون؛ الخصال للصدوق:ص٩٤،حديث الثلاثة النفر الذين حلفوا باللات والعزى أن يقتلوا رسول الله.

قالت: قالت فاطمة عليها السّلام يوماً وأنا حاضرة: «**فدتك نفسي يا رسول الله، صلى الله عليك، أي شيء رأيت لي**»؟ فقال: «**يا فاطمة! أنت خير النساء في البرية وأنت أهل الجنة وأهلها**». قالت: «**يا رسول الله، فما لابن عمك علي عليه السّلام**»؟ فقال لها: «**لا يقاس به أحد ممن خلق الله**». قالت: «**والحسن والحسين عليهما السّلام**»؟ قال: «**هما ولداي وسبطاي وريحانتاي أيام حياتي وبعد مماتي**».

قالت: فبينما هما في الحديث، إذ أتى علي عليه السّلام فقال له: «**فداك أبي وأُمّي يا رسول الله، صلّى الله عليك، أيّ شيء رأيت لي**»؟ فقال: «**يا علي، أنا وأنت وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام في غرفة من درّة، أساسها من رحمة، وأطرافها من رضوان، وهي تحت عرش الله. يا علي، بينكم وبين نور الله باب، فتنظر إليه وينظر إليك؛ على رأسك تاج من نور، قد أضاء ما بين المشرق والمغرب وأنت ترفل في حلّة من حلل حمر ورديّة، وخلقت وخلقني ربي وخلق محبينا من طينة تحت العرش، وخلق مبغضينا من طينة الخبال**»(١).

الزهراء تنتظر قدوم أمير المؤمنين عليهما السلام إلى الجنّة

كانت الزهراء عليها السلام نِعم الزوجة لأمير المؤمنين عليه السلام، فقد وقفت في جانبه وآزرته في حياته المليئة بالجهاد والبطولات، بل دفعت حياتها الكريمة في طريق الدفاع عن حقّه وفضح غاصبيه، وها هي تنتظره بعد وفاتها وتترقّب قدومه عليها، ليعيشا حياتهما الأبديّة الخالدة في نعيمٍ لا ينقضي، وعيشٍ لا يُنغّصه منغّص، في مقعد صِدقٍ عند مليك مقتدر.

(١) ملحقات إحقاق الحق ٥: ٩٠ / ح ٩٦.

أخرج المجلسي في كيفية شهادة أمير المؤمنين عليه السّلام:

... فلمّا سمع الحسن والحسين عليهما السّلام صرخات الناس ناديا: «**وا أبتاه وا عليّاه، ليت الموت أعدمنا الحياة**».

فلما وصلا الجامع ودخلا وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام في المحراب ليصلي بالناس، فلم يطق على النهوض، فتأخّر عن الصف وتقدّم الحسن عليه السّلام، فصلّى بالناس وأمير المؤمنين عليه السّلام يصلي إيماءً من جلوس، وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمته الشريفة؛ يميل تارة ويسكن أُخرى، والحسن عليه السّلام ينادي: «**وا انقطاع ظهراه، يعزّ - والله - عليّ أن أراك هكذا**». ففتح عينه قال: «**يا بنيّ، لا جزع على أبيك بعد اليوم، هذا جدك المصطفى صلّى الله عليه وآله وجدتك خديجة الكبرى وأُمُّك فاطمة الزهراء عليها السّلام والحور العين مُحدقون منتظرون قدوم أبيك؛ فطِب نفساً وقُرّ عيناً وكُفّ عن البكاء، فإنَّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء**»[1].

مصيبة أمير المؤمنين بفاطمة مصيبة لا عزاء لها

لحظة فراق الحبيب من أشدّ اللحظات إيلاماً في النفس، لقد نزل القضاءُ الذي لا يُردّ، وصارحت الزهراء رفيق حياتها أَنَّها مفارقته عمّا قليل، فما أشدّ حزنه وأدهى مصيبته!! ها هي الزهراء عليها السلام توصي أمير المؤمنين عليه السلام بوصيتها الأخيرة، وتعهد إليه بما يعتمل في قلبها.

أخرج المجلسي عن الفتال النيسابوري في روضة الواعظين، قال: مرضتْ فاطمة

(١) بحار الأنوار ٤٢: ٢٨٢.

عليها السلام مرضاً شديداً ومكثتْ أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفّيتْ صلوات الله عليها، فلمّا نُعيت إليها نفسُها دعت أُمَّ أيمن وأسماء بنت عميس ووجّهت خلف علي وأحضرته، فقالت: يا بن عم إنَّه قد نُعيت إلي نفسي، وإنَّني لا أرى ما بي إلا أنَّني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي. قال لها علي عليه السلام: «**أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله**»! فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت ثم قالت: «**يا بن عمّ ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتُك منذ عاشرتني**»؛ فقال عليه السلام: «**معاذ الله! أنتِ أعلمُ بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله (من) أن أوبخك بمخالفتي، قد عزّ علي مفارقتك وتفقدك، إلَّا أنَّه أمر لا بُدّ منه، والله جدّدتِ عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عظمتْ وفاتُك وفقدك، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، مِن مصيبةٍ ما أفجعَها وآلمها وأمضّها وأحزنها، هذه - والله - مصيبة لا عزاء لها، ورزيّة لا خلف لها**» - الحديث[١].

مفتريات تاريخية للمستشرق أميل درمنغم في حق الزهراء عليها السلام

طلع المستشرق الأستاذ أميل در منغم في كتاب سمّاه (حياة محمد)، وترجمه إلى العربية الأستاذ الفلسطيني محمد عادل زعيتر، طلع بمجموعة من الترهات التي لا تستند إلى مصدر تاريخي معتبر، والتي لا تنبع إلا من الحقد الذميم على أهل بيت الرسالة عليهم السلام، بل على كل ما ينتمي إلى الإسلام الأصيل، شأنه في ذلك شأن كثير ممن سبقه أو حذا حذوه من الصليبيين والصهاينة الحاقدين. وقد شكك هذا المستشرق في حديثه عن سيدة نساء العالمين الزهراء عليها السلام، شكك في جمال طلعتها الباهر واعتبرها دون أُختها رقية جمالاً، ودون أُختها زينب ذكاءً!! لم يصدّه عن تقولاته الخرقاء في حق

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ٤٣: ١٩١ - ١٩٤.

الصديقة الطاهرة عليها السلام أَنَّ أباها الصادق المصدّق شبّهها بالحور العين وسمّاها (الحوراء الإنسية)؛ بل إنَّ عائشة زوجة النبي (وكانت تحس تجاه الزهراء وأُمِّها وبعلها نفوراً لم تستطع كتمانه) لم يسعها إلَّا الاعتراف بأنَّها ما رأت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً وحديثاً برسول الله في قيامه وقعوده من فاطمة؛ وقالت عنها: كنّا نخيط ونغزل وننظم الإبرة في ضوء وجه فاطمة عليها السّلام؛ وحريّ بأشبه الناس برسول الله (الذي كان صلى الله عليه وآله يوصف بالبدر ليلة كماله) أن يماثله في خصاله وجماله؛ ولقد شبّهت أُمُّ أنس بن مالك جمال طلعة الزهراء النورانية بالقمر ليلة البدر، ناهيك عن إذعان المصادر التاريخية المعتبرة للفريقين أنَّ كبار الصحابة تسابقوا في خطبتها من أبيها.

أقول: لقد خبط هذا المستشرق في كتابه وجاء بآراء وأقوال تافهة، مثل قوله بأنَّ للنصرانية أثراً في محمد، وزعمه أنَّ النصارى قد أيقظت شعور النبي الديني قبل بعثه (ص ١٠٠). وقوله بأنَّه يجد في القرآن أصول النصرانية (ص ١٠٦) وقوله بأنَّه يعتقد لعيسى من عصمة ما لم تكن لمحمد ويراه قد جاء في القرآن (ص ١٠٧)، وأنَّه يرى أنَّ النصرانية تشمل الإسلام وتضيف إليه بعض الشيء (ص ١١٨)، وأنَّه يرى المسيح ابن الله الوحيد بمعنى عرفاني يلائم الذوق الخرافي (ص ١١٠) وأمثال هذه الآراء (انظر الغدير للأميني ٣: ١٢-١٣). فلا عجب أن حارب الإسلام في أبرز وأطهر شخصيات عرفها تاريخه الناصع: فاطمة وأبيها وبعلها عليهم جميعاً سلام الله تعالى. ولقد تلخصت المفتريات التي ضمّنها كتابه في أمر الزهراء عليها السلام وبعلها ما يلي:

١- إنَّ الزهراء عليها السلام لم تكن جميلة، بل كانت أُختها رقية أجمل منها، وأُختها زينب أذكى منها.

٢- إنَّها عليها السلام كانت عابسة، وكان زوجها أمير المؤمنين عليه السلام

يستقي الماء لبساتين أحد اليهود مقابل حفنة تمر، فإذا عاد بالتمر قال لزوجته عابساً: كلي وأطعمي الأولاد.

٣- إِنَّ العلاقة بين الزوجين كانت سيئة، وكان علي يحرد بعد كل منافرة وينام في المسجد، وكان النبي يوفّق بينهما إلى حين، وأَنَّ النبي رأى ابنته يوماً وهي تبكي من لكْم علي لها!!!

٤- إِنَّ فاطمة لم تكن راغبة في علي، وكذلك علي لم يكن راغباً فيها!!

٥- إِنَّ علياً كان غير بهي الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترتين وانخفاض قصبة أنفه وكبر بطنه وصلعه؛ وكانت فاطمة تعدّه - وأستغفر الله لهذا القول - دميماً محدوداً!!

٦- إِنَّ النبي كان قليل الالتفات لعلي، مع أَنَّه كان يمتدح شجاعته إرضاءً لابنته؛ وأَنَّه كان يمتدح صهرَيه الأُمويين اللذين كانا أكثر مداراة له (يقصد عثمان بن عفان وأبا العاص).

٧- إِنَّ علياً كان يتألم من عدم عمل النبي على سعادة ابنته، ومن عدم اعتماد النبي عليه في الأعمال الكبيرة، وكان النبي يتجنب تسليم القيادة إليه.

٨- إِنَّ علياً وفاطمة كانت تحصل بينهما وبين أزواج النبي مواجهات، وكانت فاطمة تعتب على أبيها لأَنَّه لم يكن ينحاز لجانبها!

هذه خلاصة الأقوال العجيبة والمفتريات الغريبة التي أوردها المستشرق أميل در منغم، وناغمه فيها مترجم كتابه الأستاذ زعيتر!!

ومع أَنَّ القارىء الكريم سيجد في طيات كتابنا هذا إجابة وافية عن أكثر هذه المزاعم والمفتريات الحاقدة، إِلَّا أَنَّنا نجيب باختصار على تقولات هذا المستشرق الحاقد:

تتناقض مزاعم درمنغم مع كلام الصادق المصدّق صلى الله عليه وآله في حقّ بضعته «**ابنتي فاطمة حوراء إنسيّة**»، ومع شهادة أُمِّ أنس بن مالك في حقّها، في قولها: كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماماً إذا خرج من السحاب، بيضاء مُشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشد الناس برسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم شبهاً.

لقد شهدت عائشة لخُلق فاطمة عليها السلام وهديها وحديثها بقولها: «**ما رأيتُ أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهَدياً وحديثاً برسول الله في قيامه وقعوده من فاطمة**».

أما أمير المؤمنين عليه السلام، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله فيه: «**أشبهتَ خَلقي وخُلقي، وأنت من شجرتي التي أنا منها**». وشهد له صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه أفضل أُمَّته وأعظمهم حلماً، وأحسنهم خُلقاً. وقال عنه: «**عليٌّ خير البشر، فمن أبى فقد كفر**».

أيعقل أحدٌ ذو أدنى إنصاف أن يقوم علي عليه السلام – وهو خير البشر وأشبههم بالنبي في خُلقه وهديه – بلكم فاطمة عليها السلام بضعة المصطفى؟! مع أنَّ مِلء مسامعه قول النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة: «**إنَّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك**»، وقوله صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيدها: «**مَن عرف هذه فقد عرفها، ومَن لم يعرفها فهي بضعة مني، هي قلبي وروحي التي بين جنبيّ، فمَن آذاها فقد آذاني**»؟! ولقد أَقسم أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه لم يُغضب زوجته قطّ، وأنَّها لم تخالفه قطّ؟! وإنَّ من السهل على أي ناصبيّ أو مغرض أن يزعم ما تسوّل له نفسُه مادام يطلق الكلام دون إقامة أي دليل على مزاعمه.

أمّا رغبة أمير المؤمنين عليه السلام في فاطمة عليها السلام، فيشهد عليه افتخاره بزواجه منها، في جوابه لكتاب جاءه من معاوية:

محـمـدٌ الـنـبـي أخـي وصـهـري وحـمـزة سـيـد الـشـهـداء عـمّـي

وجـعـفـرٌ الـذي يُـضـحـي ويُـمـسـي يـطـيـر مـع المـلائـكـة ابـنُ أُمّـي

وبـنـتُ محـمـد سـكـنـي وعـرسـي منوطٌ (مسوطٌ) لحمها بدمي ولحمي

وسـبـطـا أحمـد ابـنـاي مـنـهـا فـمَـن مـنـكـم لـه سـهـمٌ كـسـهـمي

إلى آخر الأبيات.

وأما رغبتها عليها السلام فيه، فقد شهد بذلك أبوها لما شاورها في تزويجها من عليّ عليه السلام، فسكتت عليها السلام، فقال صلى الله عليه وآله: «**اللهُ أكبر، سكوتُها إقرارُها**»! ولا يعقل مسلم أن يزوّج الله تعالى فاطمة من علي عليهما السلام دون أن يكونا راغبَين في بعضهما.

ذكرنا أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان أشبه الناس في الخَلق برسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جاء في صفته عليه السلام أَنَّه كان «**أدعج العينين كأنَّ وجهَه القمر ليلة البدر حُسْناً، ضخمَ البطن، عريض المسْرُبَة، شثْن الكفين، ضخم الكسور، كأنّ عنقه إبريق فضة**».

وكيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدّم الغير على علي في الالتفات إليه؟! وهو أول رجل اختاره الله بعده من أهل الأرض لما اطّلع عليهم كما أخبر به صلى الله عليه وآله لفاطمة بقوله: «**إِنَّ الله اطلع على أهل الأرض فاختار منه أباك فبعثه نبياً، ثم اطلع الثانية فاختار بعلك فأوحى إلي فأنكحته واتخذته وصياً**»، وبقوله صلى الله عليه وآله «**إِنَّ الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك والآخر زوجك**».

وما أقبح الرجل في تقوّله على النبي صلى الله عليه وآله بعدّه لعلي غيرَ قوّام بجليل

الأعمال وقد وازره وناصره وعاضده بتمام معنى الكلمة بكل حولٍ وطَول من بدء دعوته إلى آخر نفس لفظه، فصار بذلك له نفساً وأخاً ووزيراً ووصياً وخليفة ووارثاً وولياً بعده، وكان قائده الوحيد في حروبه ومغازيه، وهو ذلك الملقب بقائد الغر المحجلين.

لقد أوجب القرآن على الأمّة مودّة العترة النبوية، ومن المتسالم عليه بين المسلمين أنَّ آية الإيمان والنفاق في شرعة النبي المحبوب هي حبّ علي وبغضه كما يأتي حديثه. وقد اتفقت الأمّة على قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي: «**اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه**».

وصحّ عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «**مَن أحبّ علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**»، وأخبر صلى الله عليه وآله عن جبرئيل أنّه أخبره بأنَّ «**السعيد كل السعيد من أحب علياً في حياتي وبعد مماتي، ألا وإنَّ الشقي كل الشقي من أبغض علياً في حياتي وبعد مماتي**»[1].

الأعداء يزعمون بوجود مشاكل بين الزوجين المتوادّين

كانت العلاقة بين الزوجين المتوادّين علاقة وئام لا يكدّر صفوَه خلاف، وقد سردنا شواهد جمّة على هذه الحقيقة، لكنّ بني أميّة سعوا إلى اختلاق بعض الروايات التي تصوّر حصول مشاكل بين الزوجين. ومن ذلك ما رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى بإسناده عن عمرو بن سعيد قال: كان في عليّ على فاطمة شدّة، فقالت: «**والله لأشكونّك إلى رسول الله**»! فانطلقت وانطلق علي بأثرها فقام حيث يسمع كلامهما، فشكت إلى رسول الله غلظ علي وشدته عليها، فقال: «**يا بنية اسمعي واستمعي واعقلي، إنَّه لا إمرة بامرأة**

(١) لخّصنا ردود العلامة الأميني في كتابه الغدير ٣: ١٨ - ٢٦.

لا تأتي هوى زوجها وهو ساكت». قال علي: «**فكففتُ عمّا كنت أصنع**» وقلت: «**والله لا آتي شيئاً تكرهينه أبداً**».

وروى ابن سعد عن حبيب بن أبي ثابت قال: كان بين علي وفاطمة كلام، فدخل رسول الله فألقى له مثالاً فاضطجع عليه، فجاءت فاطمة فاضطجعت من جانب، فأخذ رسول الله بيد علي فوضعها على سرته وأخذ بيد فاطمة فوضعها على سرته ولم يزل حتى أصلح بينهما ثم خرج. قال فقيل له: «**دخلت وأنت على حال وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك**»! فقال: «**وما يمنعني وقد أصلحتُ بين أحب اثنين إلي**».(١)

بل زاد البعضُ - من أمثال البخاري في كتابه الموسوم بالصحيح - فنقل عن المسوّر بن مخرمة حديثاً يضجّ بالمتناقضات، يزعم فيه أنّ علياً عليه السلام خطب بنت أبي جهل، وأنّ فاطمة عليها السلام بلغها ذلك فجاءت إلى أبيها تشكو علياً، وأنّ النبي صعد المنبر فامتدح صهره في الجاهليّة (وهو أبو العاص) وعرّض بصهره عليّ، ثم قال بأنّ ابنته فاطمة وابنة عدوّ الله لا تجتمعان عند رجل. وقد رمى هؤلاء من ترويج هذه الرواية المختلقة إلى القول بأنّ علياً عليه السلام قد أغضب الزهراء عليها السلام، وأنَّه-حسب هذه الكذبة - قد كان أحد مصاديق قول النبي «**فمن أغضبها فقد أغضبني**»! وأراد هؤلاء من هذه الكذبة التي سخّروا لها إعلامهم بكلّ إمكاناته أن يقولوا بأن الخليفتين اللذين أغضبا فاطمة عليها السلام حتى هجرتهما وغضبت عليهما وأوصت أن لا يشتركا في تشييعها والصلاة عليها، واللذين أصبحا المصداق الواضح لقول النبي بأنَّ من أغضب فاطمة فقد أغضب رسول الله، قد سبقهما أمير المؤمنين عليه السلام في إغضاب فاطمة وأبيها، حاشاه من ذلك!

---

(١) الطبقات الكبرى ٨: ٢٦، ذكر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله.

كما تستهدف القصة المختلقة التشكيك بإيمان فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيّدة نساء العالمين، فهي - في هذه القصة - لا تفضل على غيرها من النساء اللاتي تتحّكم الغيرة في عواطفهن، بل يصرّح النبي (صلى الله عليه وآله) في هذه القصة أنَّه يخشى على ابنته أن تُفتتن في دينها!! وقد ترمي هذه القصة الى القول بأنَّه لا فضل لفاطمة (عليها السلام) إذاً - على حد تصوير القصة - على عائشة التي ساقتها غيرتها وضغنها على أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى خرجت من بيتها الذي أُمرت أن تقرّ فيه وحاربت إمام زمانها الذي أُمرت بطاعته.

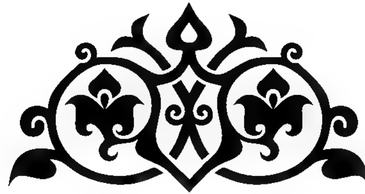
كما تستهدف القصة - ولو عرضاً - التقليل من شأن النبي (صلى الله عليه وآله)، حيث تظهره كغيره من الآباء العاديين، فهو يغضب لابنته لمجرّد خبر سمعه ويرتقي المنبر فيصرّح - على غير عادته - بأنَّ بني هشام قد استأذنوه في أن يزوّجوا ابنتهم من علي، وأنَّه لا يأذن بذلك - مع تأكيده (صلى الله عليه وآله) أنَّه لا يحرّم حلالاً ولا يحلّ حراماً؛ ثم يهدّد علياً (عليه السلام) بأنَّه إن أصر على الزواج فعليه أن يطلّق فاطمة!!

وقد تصدى المحقق القدير السيد علي الميلاني في كتيب له بعنوان (خطبة أمير المؤمنين بنت أبي جهل) لفضح هذه الأكذوبة التي ردّدتها معظم كتب أهل السنة الموسومة بالصحاح وزادت فيها، وسلّط هذا المحقق الأضواء على التناقضات والمزاعم وبيّن بُطلانها.

فاطمة وعلي عليهما السلام: الرابطة العجيبة

كانت فاطمة زوجة لأعظم رجل عرفه التاريخ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لها من القدرات العظيمة والإمكانات الكبيرة ما أهّلها لتكون كفواً له، فكانت نِعم السند له في حياته المشحونة بالجهاد، وكانت موضع سرّه ومُستشاره ورفيقة دربه

والمدافع عنه. كانت عليها السلام تعدّ له لباس حربه، وتغسل سيفه المخضب بالدماء حين يعود من ساحة الجهاد، وكانت تسرّي عنه حين تشاهد ألمه في مواطن المحن، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يأخذها معه إلى بيوت الصحابة فيدعوهم لمناصرته، وكان يُشهدها على حقّه وبيان أولويّته، وكانت نِعم الناصر والمُعين. كانت فاطمة إلى جنب علي عليهما السلام، في أفراحه وأتراحه، في فقره وغناه، في محِنه ورفاهيته، ولم تكن تشكو أبداً من معاناتها وجهادها، ولم تتوقّف يوماً أو تتلكّأ عن الجهاد والمُناصرة. ولم تكن فاطمة عليها السلام مجرّد زوجة لأمير المؤمنين عليه السلام، بل كان ارتباطهما أوسع وأعمق من أن يوصف بالرابطة الزوجية المحدودة، بل كانت - إضافة إلى كونها الزوجة الوفية المخلصة - المدافع الصلب عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام باعتبار أَنَّ الدفاع عنها هو في حقيقته دفاع عن مآل ومستقبل المجتمع الإنساني.



الدروس المستخلصة من زواج الزهراء عليها السلام:

١- رعاية تكافؤ طرفي الزواج، وهو من أهم الأُسس التي يقوم عليها الزواج الناجح، لأنَّه الأرضية التي يقوم عليها تفاهم الزوجين وإدراك كلّ منهما للآخر.

٢- معيار اختيار الزوج لدى رسول الله صلى الله عليه وآله هو الإيمان والتقوى والأُمور المعنوية، وليس الثروة والجاه والمقام.

٣- إِنَّ الرسول الأكرم لم يوافق على الزواج قبل استشارة ابنته كما أنَّه لم يُجبر ابنته على اختيار الزوج.

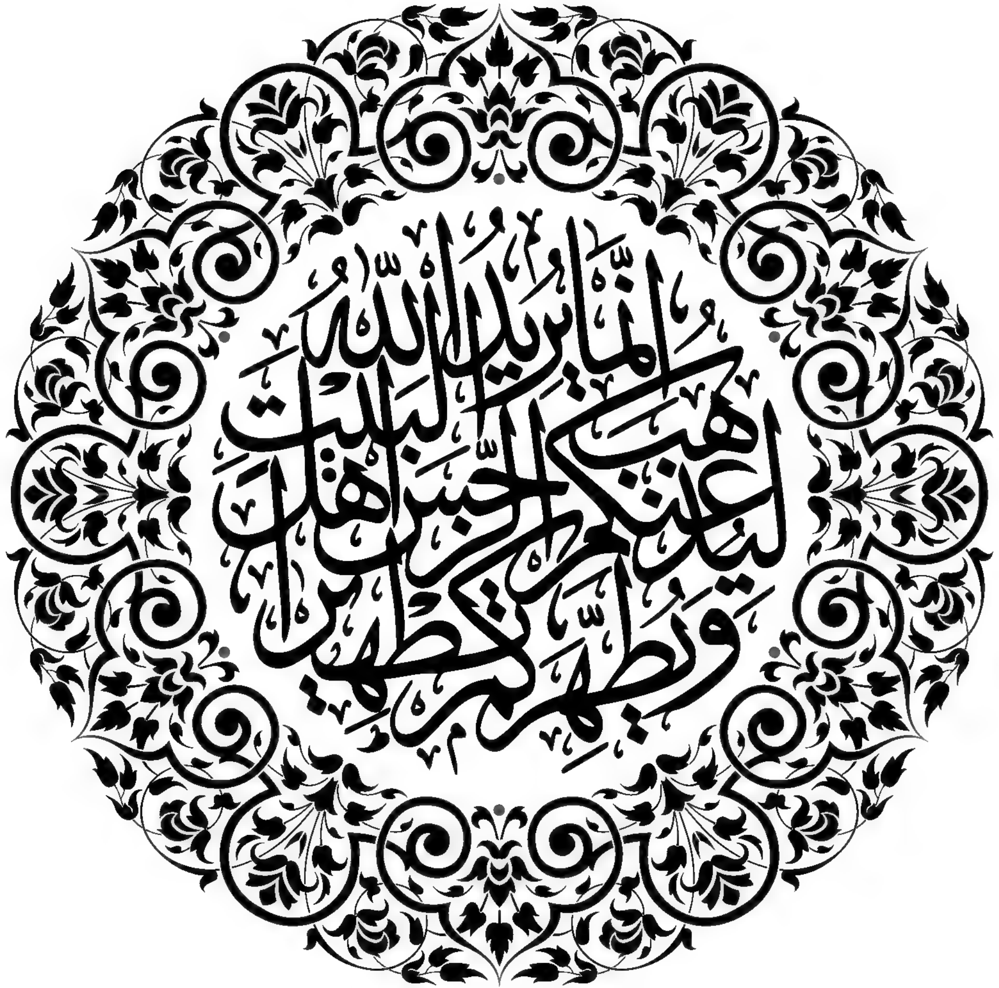
٤- إِنَّ الزهراء عليها السلام سلّمت لأمر أبيها، فقد شخّصت في أسارير وجهه المبارك رضاه، فأطرقت برأسها حياءً وأعلنت بسكوتها رضاها.

٥- إنَّ مقدار المهر كان منسجماً مع القابلية المادية للزوج.

٦- إنَّ قلّة المهر لابنة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله لا دخل لها في السعادة والانسجام بين الزوجين، ولو كان لمقدار المهر تأثير مهم في السعادة، لتدخّل النبي في موضوع زيادتها نظراً لمحبته الكبيرة لابنته الحبيبة.

٧- اجتناب الأب (رسول الله صلى الله عليه وآله) تحميل الزوج أي نفقات إضافية غير ضروريّة.

٨- اختيار أبسط الوسائل الضرورية للمعيشة، وتجهيز بيت الزوجية على أساس البساطة.


إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا

الفصل السادس

فاطمة عليها السلام أُنموذج الصبر على شظف العيش

مرارة العيش تستحيل حلاوةً بالرضا والشكر

لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناحَ بعوضة - كما يقول سيدنا وحبيبنا رسول الله صلى الله عليه وآله - لما سقى الكافرَ منها جُرعة ماء؛ وإذا كانت الدنيا عند جبار السماوات والأرض بهذا القدر من الضعة وقلّة القيمة، فلا عجب أن يزويها عن أحبّائه وأوليائه، ويفيضها على أعدائه!! وها نحن نشاهد في هذا الفصل قساوة العيش التي عانت منها سيدة نساء العالمين عليها السلام وهي التي اصطفاها ربّها دون نساء العامين وأبان فضلها على العالمين. ندخل رويداً في بيت الزهراء عليها السلام لنرى عجباً!! ريحانة رسول الله وبضعته وقرّة عينه تستقي بالقربة حتّى تؤثّر القربة الجلدية الخشنة في صدرها موضع الأسرار الإلهية، وتجرّ بالرّحى حتّى تمجل يداها فيسيل الدم على يد الرحى، وتكسح بيتها حتّى تغبرّ ثيابها، وتوقد تحت القدر حتّى تدكن ثيابها، وحتى يصيبها من ذلك ضرر عظيم. وكيف تقوم الزهراء عليها السلام بكل هذه الأعمال الشاقة ثم لا تجد في بيتها طعاماً يقيم أودها لثلاثة أيام متتالية!! فإذا جنّها الليل وقفت في محرابها حتى تتورم قدماها، ثم تأوي إلى الفراش الذي ليس عندها سواه: مسك كبش، تعلف عليه بالنهار بعيرهم، فإذا كان الليل افترشته مع زوجها أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين عليه السلام!!

رآها سلمان المحمدي يوماً ملتفة بشملة خلقة خيطت بسعف النخيل في اثني عشر موضعاً، فلم يتمالك نفسه أن بكى ونادى: واحزناه!! إنَّ بنات قيصر وكسرى لفي السندس والحرير، وابنة محمد عليها السّلام عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً!!

ودخل عليها رسول الله صلّى الله عليه وآله يوماً فرأى عليها كساءً من أجلة الإبل، وهي تطحن بيديها وترضع ولدها. فدمعت عيناه ثم قال: «**يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة**»!!

أي جواب لدى الزهراء فاطمة عليها السلام؟! هل ستلقي بنفسها بين يدي أبيها فتبثّه ما تقاسيه وتعانيه؟! هل ستقول بأنّها ستصبر على هذا الامتحان وهذه الشدة؟ كلا!! فاطمة الزهراء عليها السلام أعظم وأجل قدراً؛ الزهراء عليها السلام لا ترى في الوضع هذا محنة ينبغي الصبر عليها، ولا تحسّ بمرارة معاناة يتوجّب عليها تجرّعها من أجل حلاوة تغنمها في الآخرة! الزهراء عليها السلام لا ترى في هذا كله إلّا نِعماً ينبغي أن تشكر الله الحنّان عليها، وآلاءً يتوجّب أن تحمده تعالى من أجلها. قالت الزهراء عليها السلام: يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه!

ولا عجب أن ترد السماء على الزهراء عليها السلام بأَنَّ الرب الودود سيعطي أباها ويعطيها يوم القيامة حتى يرضيان! تقول الرواية: فأنزل الله:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[1].

لقد أخفت الزهراء عليها السلام معاناتها حتى عن زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد دخل عليها زوجها يوماً وسألها إن كان عندها شيء يتناوله، فأجابت بأنّها ليس لديها شيء تقدمه إليه، ثم عقّبت معتذرة بأنّها لم تملك منذ يومين طعاماً إلّا ما كانت تؤثر به زوجها وابنيها الصغيرين!! لقد كانت الزهراء عليها السلام جائعة يومين كاملين دون أن يعلم بها حتى أقرب الناس إليها !! تساءل أمير المؤمنين عليه السلام: يا فاطمة، ألا كنتِ أعلمتيني فأبغيكم شيئاً؟ ردّت ابنة الكرام: يا أبا الحسن، إنّي لأستحيي من إلهي

(١) سورة الضحى: الآية ٥.

أن أكلّفك ما لا تقدر عليه!! لقد علمت الزهراء عليها السلام أنَّ زوجها يعمل كل ما بوسعه من أجلهم، وأنَّه عليه السلام إذا لم يجلب لهم شيئاً فلأنَّه لم يكن بوسعه عمل شيء؛ فكيف تجيز هذه السيدة الجليلة لنفسها أن تطالب زوجها بشيء لا يقدر عليه فتسبب له الأذى والحرج؟! كلا، إنَّ سيدة النساء تستحيي من ربّها أن تسبب الحرج لأمير المؤمنين عليه السلام، حتى لو تطلب الأمر أن تطوي يومين أو أكثر دون طعام.

هل أنفت سيدة النساء أن تغزل الصوف فتخيط لزوجها رداءه؟! بل أن تغزل الصوف لتؤمّن لقمة العيش لنفسها وزوجها وطفليها؟! هل شكت هذه الحوراء الإنسية لأحد أنَّها ترهن كسوتها عند امرأة رجل يهودي لتشتري قدراً من الشعير تطحنه لتخبز منه خبزاً تقتات به مع زوجها وابنيها؟!

لقد جاعت ريحانة رسول الله عليها السلام وجاع طفلاها الصغيران، فاصطحبهما أمير المؤمنين عليه السلام إلى رجل يهودي، فأخذ ينزع الدلاء ويأخذ أزاء كل دلو ينزعه تمرة واحدة، فأطعم ولديه من ذلك التمر، ثم جمع بعض التمر لتقتات به زوجته الصابرة بنت خاتم الأنبياء والمرسلين!!

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف أنَّ ابنته وبعلها وابنيها يباتون جياعاً في أغلب الأحيان، فكان يأتي لابنته بالتمر واللبن ليلاً ليعينها على إطعام الحسنين سيدي شباب أهل الجنة سلام الله عليهما. ويحدثنا التاريخ أنَّ هذه السيدة الجليلة استنجدت يوماً بأبيها صلى الله عليه وآله لإطعام ولديها الصغيرين اللذين كانا يبكيان من شدة الجوع، فجاءها أبوها صلى الله عليه وآله وبين يديه فضلة تمر فأعطاها إياه!!

وفي المقابل دوّن التاريخ بأحرف من نور أنَّ الزهراء عليها السلام آثرت الضيف

الذي جاءهم يوماً على نفسها وزوجها وابنيها، وأنّها وزوجها أطعما الضيف طعامهم ونوّما الصبيين وأطفئا السراج وجلسا في الظلام يتظاهران بالأكل لئلا يخجل الضيف، فلما أصبحا أنزل الله تعالى فيهما ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].

ولقد سجّل التاريخ مدهوشاً، ونزلت آيات القرآن تمجّد وتمدح موقف الزهراء وزوجها وابنيهما، بل وموقف خادمتهم التي اكتسبت الأنوار من هذا البيت، حين آثروا لثلاث ليال متتالية مسكيناً ويتيماً وأسيراً على طعام إفطارهم، وباتوا ثلاثاً صائمين نهارهم، قائمين ليلهم، لم يتناولوا إلا الماء القراح، فلما كان اليوم الرابع انطلق أمير المؤمنين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الحسنان عليهما السلام يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر بهم النبي صلى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم، انطلق إلى ابنتي فاطمة! فانطلقوا إليها وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها النبي صلى الله عليه وآله قال: واغوثاه بالله، أهل بيت محمد يموتون جوعاً!!

ونزلت سورة (هل أتى) لتنقش بأحرف سماوية هذه اللوحة الجميلة في تاريخ الإنسانية، ليعرف بنو آدم إلى أي ذروة بإمكان البشر أن يحلّق إذا ما فكّ ارتباطه بالعلائق الدنيوية التي توثقه إلى هذه الدنيا الدنية الهابطة.

فاطمة عليها السلام تغزل ملابس زوجها

وضع أمير المؤمنين عليه السلام قاعدة للنزاهة يجري اتباعها في أرقى الدول في عصرنا الحاضر، إذ يُطالَب المسؤول بتقديم كشف بأمواله المنقولة وغير المنقولة قبل تصدّيه

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

للمسؤوليّة وبعدها، ونرى أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام – وهو الحاكم – يُحاسب نفسه دون أن يُحاسبه أحد، بل يطلب من الأمّة أن تحاسبه إنْ هو خرج من بلادهم بغير ما دخل! ثمّ يكشف للناس أن قميصه من غزل زوجته سيّدة نساء العالمين. متى أمكن للزهراء عليها السلام أن تمتلك وقتاً لتغزل الصوف فتصنع منه قميصاً لزوجها؟! متى أمكن للزهراء المكدودة أن تتفرّغ لغزل الصوف؟ ها هي بنت الأكرمين تلقي الدرس تلو الدرس في التواضع والزهد والاقتصاد والتودّد إلى الزوج.

أخرج ابن شهر آشوب عن الأصبغ بن نباتة، قال علي عليه السّلام: «**دخلتُ بلادكم بأسمالي هذه ورحلتي وراحلتي ها هي، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلتُ فإنّني من الخائنين**».

وفي رواية: «**يا أهل البصرة! ما تنقمون مني، إنَّ هذا لمن غزل أهلي؟ وأشار إلى قميصه**»[١].

وأخرج ابن شهر آشوب: كان لعلي عليه السّلام قميص من غزل فاطمة عليها السّلام، يتّقي به نفسه في الحرب[٢].

الزهراء عليها السلام تكدح في بيتها حتى يصيبها ضرر شديد

يحدّثنا عن الزهراء أقربُ الناس إليها، وينقل لنا عن سيّدة نساء العالمين صوراً عجيبة: امرأة في عمر الورد تنحدر من أشرف سلالة وتنتمي إلى أكرم محتد، لا تأنف لنفسها أن تستقي بالقربة حتّى تؤثّر القربة في صدرها، وتطحن بالرحا حتى تمجل يداها الدمثتان،

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٤٧.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٤١؛ بحار الأنوار ٣٩: ٥٤.

وتكسح البيت وتكنسه حتّى تغبرّ ثيابها، وحتى يصيبها من عملها في بيتها ضرر شديد، وحتّى يتدخّل أمير المؤمنين عليه السلام فيطلب من الزهراء أن تُخبر أباها بمعاناتها وتسأله خادماً تعينها على أعمال البيت. ثمّ يعلم النبي صلى الله عليه وآله بمعاناة ابنته الحبيبة وريحانته، لكنّ وضع المسلمين في تلك الفترة لم يكن ليسمح للنبيّ أن يُلبّي طلب ابنته، فقد كان حوله بطون جائعة لا تجد ما يسدّ رمقها، فيقترح على ابنته وزوجها أن يعطيهما شيئاً أفضل من الخادم، ثم علّمهما التسبيح الخاص الذي سمّي بـ(تسبيح الزهراء عليها السلام). كان الجواب جُرعة معنويّة عجيبة لا يعرف قدرها إلاّ أهلُها. وننظر إلى ردّ فعل الزهراء عليها السلام، فنرى أَنَّها أخرجت رأسها من تحت لفاعها - وكانت أخفته استحياء - فقالت ثلاثاً «**رضيت عن الله ورسوله**»!!

روى الصدوق عن القطّان، عن السّكّري، عن الحكم بن أسلم، عن ابن عيينة، عن الحريري، عن أبي الورد بن ثمامة، عن علي عليه السلام: أَنَّه قال لرجل من بني سعد: «**ألا أَحدّثك عنّي وعن فاطمة عليها السلام**»؟

إِنَّها كانت عندي- وكانت من أحبّ أهله إليه- وأنّها استقت بالقربة حتّى أثّر في صدرها، وطحنت بالرّحى حتّى مجلت يداها، وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتّى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: «**لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل**».

فأتت النبي صلى الله عليه وآله، فوجدت عنده حدّاثاً، فاستحت فانصرفت.

قال: «**فعلم النبيّ صلى الله عليه وآله أنّها جاءت لحاجة**».

قال: «**فغدا علينا، ونحن في لفاعنا، فقال: السلام عليكم يا أهل اللفاع. فسكتنا**



واستحيينا لمكاننا».

ثمّ قال: السلام عليكم، فسكتنا، ثمّ قال: السلام عليكم. فخشينا إن لم نردّ عليه ينصرف، وقد كان يفعل ذلك، يسلّم ثلاثاً فإن أُذن له وإلّا انصرف.

فقلت: «**وعليك السلام يا رسول الله! ادخل**»، فلم يعدُ صلى الله عليه وآله أن جلس عند رؤوسنا، فقال:«**يا فاطمة! ما كانت حاجتك أمس عند محمّد**»؟

قال: «**فخشيت إن لم نجبه أن يقوم**».

قال: فأخرجت رأسي، فقلت: «**أنا -والله- أخبرك يا رسول الله! إنّها استقت بالقربة حتّى أثّر في صدرها، وجرّت بالرّحى حتّى مجلت يداها، وكسحت البيت حتّى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتّى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل**».

قال: «**أفلا أُعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما: فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين**».

قال: فأخرجت عليها السلام رأسها، فقالت: «**رضيتُ عن الله ورسوله، رضيت عن الله ورسوله، رضيت عن الله ورسوله**»[(١)].

قال الكجوري في الخصائص الفاطمية بعد أن نقل الحديث السابق: «**وإنّ دأب الله في أوليائه المقربين أنّه تعالى يذودهم عن لذّات الدنيا كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مراتع الهلكة، وكما يحمي الحاذق مريضه عن لذيذ الأطعمة. فكلّما كان الولي أقرب إلى الله،**

(١) علل الشرائع ٢: ٣٦٦؛ بحار الأنوار ٤٣:٨٢ /ح ٥؛ ٧٦: ١٩٣ /ح ٦؛ العوالم ١١: ٢١٤ ٢١٦، عن العلل.

كانت أذيّته في هذه الدنيا أكثر».(١)

فاطمة تضمن لبعلها عليهما السلام عمل البيت

وزّع رسولُ الله صلى الله عليه وآله العمل بين الزوجين الجديدين بما يتلاءم مع طبيعة كلّ منهما، فقضى على الزوج بإنجاز الأعمال خارج البيت، حيث تتطلّب تلك الأعمال الاحتكاك بالرجال والذهاب إلى السوق ونقل الحطب وسوى ذلك من الأعمال الشاقة التي تتطلب قوّة عضلية. أما الزوجة فقضى عليها بإنجاز الأعمال داخل البيت، بعيداً عن الاحتكاك بالرجال، وبما يتلاءم مع طبيعتها الأُنثوية، ويحفظ لها كرامتها وشأنها، ويساعدها على تخصيص وقت أكبر لتربية الأطفال والبقاء قربهم.

روى العياشي في تفسيره عن سيف، عن نجم، عن أبي جعفر عليه السّلام، قال إنَّ فاطمة عليها السّلام ضمنت لعلي عليه السّلام عمل البيت؛ العجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها علي عليه السّلام ما كان خلف الباب؛ نقل الحطب وأن يجيء بالطعام.

فقال لها يوماً: **«يا فاطمة، هل عندك شيء»**؟ قالت: **«والذي عظّم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء نقريك به»**. قال: **«أفلا أخبرتني»**؟ قالت: **«كان رسول الله صلّى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئاً»**. فقال: **«لا تسألي ابنَ عمك شيئاً، إن جاءك بشيء عفواً، وإلا فلا تسأليه»** – الحديث(٢).

عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السّلام، قال: **«تقاضى علي وفاطمة عليهما السّلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله في الخدمة. فقضى على فاطمة عليها السّلام بخدمة ما دون**

(١) الخصائص الفاطمية ٢: ٤٥٢.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٧١ /ح ٤١.

الباب، وقضى على علي عليه السّلام بما خلفه. قال:

فقالت فاطمة عليها السّلام: فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله، بإكفائي رسول الله صلّى الله عليه وآله تحمّل رقاب الرجال»[1].

فاطمة تلتف بشملة خلقة خيطت بسعف النخيل في مواضع كثيرة

تتنافس دور الأزياء في الاستحواذ على قلوب النساء، وتتسابق صرعات (الموضة) في الإتيان بكل عجيب وغريب من الملابس التي يصدق في وصف من يرتدينها بأنّهنّ (كاسيات عاريات)! أمّا قدوة نساء العالمين وسيّدتهنّ بلا منازع فتعيش في عالَم آخر مختلف تماماً! فشتّان بين (القدوة) وبين (المقتديات)!! هل تقبل أفقر النساء وأبسطهنّ أن ترتدي شملة خلقة متهالكة قد خيطت بسعف النخيل في اثني عشر موضعاً؟! تلك الشملة التي رآها سلمان فلم يستطع مغالبة دموعه! لقد عاشت ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أمير المؤمنين عليه السلام خمس سنوات لا يمتلكان إلا جلد كبش يضعان عليه علف البعير في النهار، فإذا جنّهما الليل قلباه وناما عليه!

روى السيد ابن طاووس من كتاب زهد النبي صلّى الله عليه وآله لأبي جعفر أحمد القمي، أنّه لما نزلت هذه الآية على النبي صلّى الله عليه وآله:

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾، بكى النبي صلّى الله عليه وآله بكاءً شديداً وبكت صحابته لبكائه، ولم يدروا ما نزل به جبرئيل ولم يستطع أحد من صحابته أن يكلّمه، وكان النبي صلّى الله عليه وآله إذا رأى فاطمة عليها السّلام فرح بها.

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٨١ / ح ١.

فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها، فوجد بين يديها شعيراً وهي تطحن فيه وتقول: ﴿وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقى﴾. فسلّم عليها وأخبرها بخبر النبي صلّى الله عليه وآله وبكائه. فنهضت والتفّت بشملة لها خلقة، قد خيطت في اثني عشر مكاناً بسعف النخل. فلما خرجت نظر سلمان الفارسي إلى الشملة وبكى وقال: وا حزناه! إنَّ بنات قيصر وكسرى لفي السندس والحرير، وابنة محمد عليها السّلام عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً!

فلما دخلت فاطمة عليها السّلام على النبي صلّى الله عليه وآله قالت: «**يا رسول الله، إنَّ سلمان تعجّب من لباسي، فو الذي بعثك بالحق، ما لي وعلي منذ خمس سنين إلّا مسك كبش، نعلف عليه بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه؛ وإنَّ مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف**».

فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**يا سلمان! إنَّ ابنتي لفي الخيل السوابق**». -الحديث[١]؛ وقد أوردنا منه موضع الشاهد.

أمير المؤمنين يرهن ملاءة الزهراء ليقترض شعيراً لطعامهم

رفض اليهوديّ أن يُقرض أمير المؤمنين عليه السلام بضع حفنات من شعير إلا أن يرهن لديه شيئاً، فاليهوديّ بطبيعته الماديّة الحذرة يخاف على أمواله أكثر مما يخاف على حياته. لم يقل أمير المؤمنين لليهوديّ بأنّه صهر رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يعيش اليهوديّ في كنف دولته، لكنّه لم يجد في داره شيئاً يدفعه إلى ذلك اليهوديّ إلا ملاءة زوجته الزهراء عليها السلام!! وهكذا حمل الرجل الذي شيّد دعائم الإسلام بسيفه وتضحياته،

(١) بيت الأحزان: ص ٢٨، عن الدروع الواقية.

حمل الملاءة فدفعها إلى اليهودي، وعاد إلى بيته فأعطى الشعير للزهراء لتطحنه ليدفعا به الجوع عن أطفالهما بضعة أيام. ولم يعلم اليهوديّ حين أخذ الملاءة أنَّه سينتقل بفضلها من الظلمات إلى النور.

روي أنَّ علياً عليه السّلام استقرض من يهودي شعيراً فاسترهنه شيئاً، فدفع إليه ملاءة فاطمة عليها السّلام رهناً، وكانت من الصوف. فأدخلها اليهودي إلى دار ووضعها في بيت. فلما كانت الليلة دخلت زوجته البيت الذي فيه الملاءة بشغل، فرأت نوراً ساطعاً في البيت أضاء به كله.

فانصرفت إلى زوجها فأخبرته بأنَّها رأت في ذلك البيت ضوءاً عظيماً، فتعجّب اليهودي زوجها وقد نسي أنَّ في بيته ملاءة فاطمة عليها السّلام. فنهض مسرعاً ودخل البيت فإذا ضياء الملاءة ينشر شعاعها كأنَّه يشتعل من بدر منير، يلمع من ملاءة فاطمة عليها السّلام.

فخرج اليهودي يعدو إلى أقربائه، وزوجته تعدو إلى أقربائها. فاجتمع ثمانون من اليهود، فرأوا ذلك فأسلموا كلهم[(١)].

مناقب ابن شهر آشوب: ورهنت عليها السلام كسوة لها عند امرأة زيد اليهودي في المدينة واستقرضت الشعير، فلما دخل زيد داره قال: ما هذه الأنوار في دارنا! قالت(امرأته): لكسوة فاطمة! فأسلم في الحال وأسلمت امرأته وجيرانه، حتى أسلم ثمانون نفساً[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٣٠ ح ٣٦، عن المناقب والخرائج.

(٢) مناقب آل أبي طالب – ابن شهر آشوب ٣: ١١٧ – ١١٨.

الزهراء عليها السلام تشكو الجوع لرسول الله فيعلّمها دعاءً

روى الراوندي عن سويد بن غفلة، قال: أصابت علياً عليه السّلام خصاصة، فقال لفاطمة عليها السّلام: «**لو أتيت النبي صلّى الله عليه وآله فسألته**». فأتته- وكان عنده أمُّ أيمن- فدقّت الباب. فقال النبي صلّى الله عليه وآله لأمِّ أيمن: «**إنَّ هذا لدقّ فاطمة عليها السّلام، ولقد أتتنا في ساعة ما عوّدتنا أن تأتينا في مثلها**».

فقالت عليها السّلام: «**يا رسول الله! هذه الملائكة طعامها التهليل والتسبيح والتحميد، (فـــ)ما طعامنا**»؟ قال: «**والذي بعثني بالحق ما اقتبس في بيت آل محمد عليهم السّلام نار منذ ثلاثين يوماً، ولقد أتتنا أعنز، فإن شئتِ أمرنا لك بخمس أعنز، وإن شئت علّمتك خمس كلمات علّمنيهن جبريل**». فقالت: «**بل علّمني الخمس كلمات التي علّمكهن جبريل**». قال: قولي: «**يا أوّل الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوّة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين**».

فانصرفت فدخلت على علي عليه السّلام. فقال: «**ما وراءك**»؟ فقالت: «**ذهبتُ من عندك للدنيا، وأتيتك بالآخرة**». فقال: «**خير أيامك**»[(١)].

يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة

أوصى رسول الله صلى الله عليه آله أصحابه أن تكون بُلغتهم من الدنيا كبلغة الراكب، وهكذا كان شأن الزهراء عليها السلام، وأمرهم أن يفرّوا من فضول الدنيا كما يفرّون من الحرام، وأن يهوّنوا على أنفُسهم الدنيا كما يهوّنون الجيفة!

---

(١) الدعوات للراوندي: ص ٤٧ ح ١١٦.

وها هي الزهراء عليها السلام ابنة خاتم الأنبياء ترتدي ما يرتديه أفقر الناس وأضعفهم حالاً، وتطحن طعامهم البسيط بيديها الدمثتين المجلتين، وترضع ولدها وهي حامدة شاكرة. تفسير الثعلبي، عن جعفر بن محمد عليه السّلام وتفسير القشيري، عن جابر الأنصاري، أنَّه رأى النبي صلّى الله عليه وآله فاطمة عليها السّلام وعليها كساء من أجلة الإبل، وهي تطحن بيديها وترضع ولدها.

فدمعت عينا رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: «**يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة**». فقالت: «**يا رسول الله، الحمد للهّ على نعمائه، والشكر لله على آلائه**»؛ فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[1].

رسول الله صلى الله عليه وآله يساعد ابنته عليها السلام في عمل البيت

تأبى الزهراء عليها السلام لزوجها أن يطحن في الجاروش لوحده، مع أنَّه أقوى منها بدناً وأصلب منها عوداً، فقد تكفّلت له بعمل البيت، فيما تكفّل لها بأداء الأعمال خارجه. وهكذا سارت الحياة في بيت أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام مشحونة بالمودّة والتفاهم، يتعاضدان في مواجهة مشاق الحياة، ويتعاونان على تجاوز مصاعبها. لوّنت الزهراءُ حياتها الزوجيّة مع أمير المؤمنين – على قساوة العيش الذي اختارته عن وعي – بألوان المحبّة الزاهية، ونفخت فيها دفء التفاهم والحنوّ، فأضحى بيتهما مدرسة تخرّج منها عمالقة من أمثال الحسن والحسين وزينب سلام الله عليهم أجمعين جسّدوا للإنسانيّة أروع أمثلة الإباء والشموخ والصمود. ويدخل رسولُ الله صلى الله عليه وآله على بضعته الحبيبة فيراها تطحن مع زوجها في الجاروش، فيسألهما في حنوّ أيّهما أعيى

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٤٢، عن تفسير الثعلبي.

وتعب، مع أنَّه يتوقّع أن تكون ابنته الأضعف بدناً هي المتعبة، ونلحظ أنّ الردّ جاء من أمير المؤمنين عليه السلام بأنَّ الزهراء هي المتعبة. لم تقُل الزهراء عليها السلام أنَّها متعبة، مع أنَّها كانت كذلك، فلعلّ زوجها المجاهد يحسّ أكثر منها بالتعب. وعلى هذا المنوال كانت الحياة تسير في بيت أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام، كلّ منهما يؤثر الآخر ويقدّمه على نفسه، ونرى رسول الله يجلس مع صهره فيساعده في الطحن.

دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله على علي عليه السّلام فوجده هو وفاطمة عليها السّلام يطحنان في الجاروش. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**أيّكما أعيى**»؟ فقال: علي عليه السّلام: «**فاطمة يا رسول الله**». فقال لها: «**قومي يا بُنيّة**». فقامت وجلس النبي صلّى الله عليه وآله موضعها مع علي عليه السّلام، فواساه في طحن الحب[1].

أمير المؤمنين عليه السلام يسقي الماء ليجمع تمرات لعائلته الجائعة

يزور الأب الشفيق صلى الله عليه وآله بيت حبيبته الزهراء عليها السلام، فيفتقد ابنيها الحسنين عليهما السلام، ثم يعلم أنَّ أباهما اصطحبهما معه إلى بيت رجل يهوديّ ليطلب شيئاً من الطعام يُطفيء به لهب الجوع الذي يلفح الأحشاء، فيلحقهم النبي إلى بيت ذلك اليهوديّ، فيرى أمير المؤمنين عليه السلام ينزع الماء من البئر، ويتقاضى تمرة واحدة عن كلّ دلو. ويجلس رسول الله هنيئة ريثما يجمع أمير المؤمنين شيئاً من التمر للزهراء عليها السلام. هكذا كانت حياة أشرف بيوت المدينة، بل أشرف بيوت الخليقة، يكدح خير البريّة بعد رسول الله في بيت رجل يهوديّ ليؤمّن طعاماً يسيراً تقتات به زوجته سيّدة نساء العالمين وولداه سيّدا شباب أهل الجنّة. لم يستنكف خير البريّة من العمل الشريف

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٥١ / ح ٤٧، عن الفضائل والروضة.

ولو كان في بيت رجل يهوديّ!! ولم يستقلّ الأجر ولو كان تمرة واحدة لكلّ دلو ماء ينزعه من البئر!

عن فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أتاها يوماً فقال: **«أين ابنيّ- يعني حسناً وحسيناً عليهما السّلام؟ قالت، قلت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق؛ فقال علي عليه السلام: أذهب بهما فإنّي أتخوف أن يبكيا عليك وليس عندك شيء. فذهب بهما إلى فلان يهودي.**

فوجّه إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله، فوجدهما يلعبان في مشربة وبين أيديهما فضل من تمر. فقال: يا علي! ألا تقلب ابنيّ قبل أن يشتد الحرّ عليها؟ قال: فقال علي عليه السلام: أصبحنا ليس في بيتنا شيء، فلو جلستَ يا رسول الله حتى أجمع لفاطمة عليها السّلام تمرات. فجلس رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلي عليه السّلام ينزع لليهودي كل دلو بتمرة، حتى اجتمع له شيء من تمر، فجعله في حجزته ثم أقبل. فحمل رسول الله صلّى الله عليه وآله أحدهما وحمل علي عليه السلام الآخر حتى أقلبهما»[١].

النبي يأتي فاطمة بالتمر واللبن ليُعينها على إطعام الحسنين

اعتاد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يتفقّد ابنته الزهراء عليها السلام ويأتي لها بشيء من الطعام ليساعدها على تنشئة الحسنين عليهما السلام. فأتاها نصف الليل ووجدها مضطجعة، فوقف بأزائها يحدّثها، فبكت وشكت له حالها التي يراها عياناً، فسرّى عنها بأن حدّثها عن اصطفاء الله تعالى لأبيها بالرسالة، واصطفائه زوجها بالوصاية، واصطفائه ابنيها اللذين زيّن بهما جنّته. يا فاطمة! نحن عباد الله المصطفون الذين اخترنا

(١) الذرية الطاهرة للدولابي: ص ١٤٥ ح ١٨٤.

من خلقه وكرّمنا بوحيه، وما أحرانا بالصبر على ما يبتلينا الله به، وما يرضاهُ لنا!

عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت الأشعث وجويبراً الجبلي قالا لعلي عليه السّلام: يا أمير المؤمنين، حدّثنا في خلواتك أنت وفاطمة عليها السّلام. قال: «**نعم، بينا أنا وفاطمة عليها السّلام في كساء، إذ أقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله نصف الليل، وكان يأتيها بالتمر واللبن ليُعينها على الغلامين، فدخل فوضع رجلاً بحيالي ورجلاً بحيالها**».

«**ثم إنَّ فاطمة عليها السّلام بكت. فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما يُبكيك يا بنية محمد؟ فقالت: حالنا كما ترى، في كساء نصفه تحتنا ونصفه فوقنا. فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا فاطمة، أما تعلمين أنَّ الله تعالى اطّلع اطلاعة من سمائه إلى أرضه فاختار منها أباك، فاتخذه صفياً وابتعثه برسالته وأئتمنه على وحيه!**

يا فاطمة، أما تعلمين أن الله اطلع اطلاعة من سمائه إلى أرضه فاختار منها بعلَك، وأمرني أن أزوّجكه وأن اتخذه وصياً!

يا فاطمة، أما تعلمين أنَّ الأرض شاك(في المحتضر والبحار: سأل) ربّه أن يزيّنه بزينة لم يزيّن بها بشراً من خلقه، فزيّنه بالحسن والحسين عليهما السّلام، بركنين من أركان الجنة». وروي: «**ركن من أركان العرش**»[1].

الحسنان يبكيان من الجوع وفاطمة تستنجد بأبيها

عن سهل بن سعد، أنَّ علي بن أبي طالب عليه السّلام دخل على فاطمة عليها السّلام بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله، وحسن وحسين عليهما السّلام يبكيان.

(١) الأمالي للطوسي ص٤٠٦ /ح٩١٠ ٥٨؛ المحتضر ص١٦٩؛ بحار الأنوار ٣٧: ٤٤.

فقال: «**ما يبكيهما**»؟ قالت: «**الجوع**».

قال: «**فأرسلي إلى أبيك**».

فأرسلت فجاءه الرسول صلّى الله عليه وآله وبين يديه فضلة تمر، فقال: إنَّ ابنتك تقول: «**يا رسول الله، إن كان عندك شيء فأبلغناه، فإنَّ حسناً وحسيناً يبكيان**»- الحديث[1].

الزهراء عليها السلام الموجوعة لا تجد ما تقتات به

عن عمران بن حصين أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله قال: «**ألا تنطلق بنا نعود فاطمة، فإنَّها تشتكي**»؟ قلت: «بلى». قال: «**فانطلقنا إلى أن انتهينا إلى بابها؛ فسلّم واستأذن**»، فقال: أدخل أنا ومن معي؟

قالت: «**نعم، ومن معك يا أبتاه؟ فوالله ما عليّ عباءة**». فقال لها: «**اصنعي بها كذا واصنعي بها كذا- فعلّمها كيف تستتر-**». فقالت: «**والله ما على رأسي من خمار. قال: فأخذت خلق ملاءة كانت عليه**»، فقال: «**اختمري بها. ثم أذنت لهما فدخلا**».

فقال: «**كيف تجدنيك يا بنية**»؟ قالت: «**إنِّي لوجعة، وإنَّه ليزيدني أنَّ ما لي طعام آكله**».

قال: «**يا بنية، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين**»؟ قالت: «**يا أبة، فأين مريم ابنة عمران**»؟ قال: «**تلك سيّدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك. أما والله لقد زوّجتك سيّداً في الدنيا والآخرة**»[2].

---

(١) المعجم الكبير ٦: ١٣٦ / ح ٥٧٥.

(٢) بحار الأنوار ٣٧: ٦٩ / ح ٣٨.

فراش الزهراء عليها السلام إهاب كبش ووسادتها أدم محشوّ بليف

عن الصادق عليه السّلام، قال: «كان فراش علي وفاطمة عليها السّلام حين دخلت عليه إهاب كبش، إذا أرادا أن يناما عليه قلّباه فناما على صوفه.

قال: وكانت وسادتها أدماً حشوها ليف. قال: وكان صداقها درعاً من حديد»(١).

فاطمة تطحن بالرحى وتسقي بالقربة وتكنس البيت حتى يؤثر في بدنها

روى أبو داود السجستاني بإسناده عن أبي الورد، عن ابن أعبد، قال: قال لي علي – عليه السلام –: «ألا أُحدّثك عني وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت من أحب أهله إليه»؟ قلت: «بلى».

قال: «إنّها جرت بالرحى حتى أثر في يدها، واستقت بالقربة حتى أثر في نحرها، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها، فأتى النبي صلى الله عليه وآله خدم»، فقلتُ: «لو أتيتِ أباك فسألتيه خادماً، فأتته فوجدت عنده حداثاً، فرجعت، فأتاها من الغد»، فقال: «ما كان حاجتك؟ فسكتت»، فقلت: «أنا أُحدثك يا رسول الله، جرت بالرحى حتى أثرت في يدها، وحملت بالقربة حتى أثرت في نحرها، فلما أن جاءك الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادماً يقيها حر ما هي فيه».

قال: «اتقي الله يا فاطمة، وأدي فريضة ربك، واعملي عمل أهلك، فإذا أخذت مضجعك فسبحي ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبري أربعاً وثلاثين، فتلك مائة، فهي خير لك من خادم»؛ قالت: «رضيت عن الله عز وجل وعن رسوله صلى الله عليه وآله»(٢).

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٠٤ / ح ١٤، عن قرب الأسناد.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٢٩ ٣٠ / ح٢٩٨٨.

الزهراء عليها السلام تطحن بالرحى حتى مجلت يداها

عن أمِّ سلمة قالت: جاءت فاطمة تشتكي أثر الخدمة وتسأله خادماً، قالت: يا رسول الله لقد مجلت يداي من الرحا، أطحن مرة وأعجن مرة، فقال لها: «**إن يرزقك الله شيئاً سيأتيك، وسأدلّك على خير من ذلك**». خرجه الدولابي[1].

أقول: علمها صلى الله عليه وآله التسبيح المعروف باسمها عليها السلام.

مناقب ابن شهرآشوب: في الصحيحين أَنَّ علياً عليه السلام قال: «**أشتكي مما أندء بالقِرَب**»، فقالت فاطمة عليها السلام: «**والله إنِّي أشتكي يدي مما أطحن بالرحى؛ وكان عند النبي صلى الله عليه وآله أُسارى، فأمرها أن تطلب من النبي صلى الله عليه وآله خادماً، فدخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلمت عليه ورجعت**»، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**مالكِ**»؟ قالت: «**والله ما استطعت أن أكلم رسول الله صلى الله عليه وآله من هيبته**»، فانطلق علي معها إلى النبي صلى الله عليه وآله، فقال لهما: «**لقد جاءت بكما حاجة**»! فقال علي: مجاراتهما (أي مذاكرتهما)، فقال صلى الله عليه وآله: «**لا، ولكني أبيعهم وأنفق أثمانهم على أهل الصفة**»، وعلّمها تسبيح الزهراء[2].

أقول: قال السيد محمد الجلالي في هامش شرح الأخبار:

ومن العجب أنَّ ابن سكرة العباسي الهاشمي يهاجم الزهراء البتول لأجل هذه الخدمة والجهد في المنزل ولتزويجها بأمير المؤمنين عليه السلام، فيجيبه شاعر أهل البيت ابن الحجاج البغدادي في قصيدة طويلة ذكرها الأميني في الغدير (٤: ٨٩)، مطلعها:

---

(١) ذخائر العقبى أحمد بن عبد الله الطبري: ص ٥٠.

(٢) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٤٣: ٨٥.

لا أكذب الله إنَّ الصدق ينجيني — يد الأمير بحمد الله تُحيِيني

يقول فيها:

فكان قولُكَ في الزهراء فاطمة — قولَ امرئ لهجٍ بالنصب مفتون

عيّرتَها بالرَحى والزاد تطحنه — ما زال زادُك حباً غير مطحون[1]

ابنة خاتم الأنبياء عليها السلام تغزل الصوف

قال محمد بن علي الباقر عليه السّلام عن جده عليه السّلام: «**مرض الحسن والحسين عليهما السّلام، (إلى أن قال): فلما عافى الله الغلامين مما بهما انطلق علي عليه السّلام إلى جار له يهودي يقال له: شمعون بن حارا، فقال له: يا شمعون، أعطني ثلاثة أصوع من شعير وجزّة من صوف تغزله لك ابنة محمد صلّى الله عليه وآله. فأعطاه اليهودي الشعير والصوف، فانطلق إلى منزل فاطمة عليها السّلام، فقال لها: يا ابنة رسول الله، كُلي هذا، واغزلي هذا**»[2].

الأصبغ بن نباتة، قال علي عليه السّلام: «**دخلت بلادكم بأسمالي هذه ورحلتي وراحلتي ها هي، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإنَّني من الخائنين**». وفي رواية: «**يا أهل البصرة! ما تنقمون مني، إنَّ هذا لمن غزل أهلي**»؟ وأشار إلى قميصه[3].

الزهراء عليها السلام تعجن العجين للخبز

أخرج أبو الفرج ابن الجوزي عن عطاء بن أبي رباح، قال: إنْ كانت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لتعجن، وإنَّ قصتها تكاد تضرب الجفنة[4].

(١) شرح الأخبار – القاضي النعمان المغربي ٣: هامش ص ٦٧.

(٢) مستدرك الوسائل ١٣: ١٨٧ / ح ٣، عن تفسير فرات.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٤٧.

(٤) صفة الصفوة ٢: ٦ نقلًا عن شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ١٠: ٢٧١.

أخرج المحب الطبري عن عطاء قال: إن كانت فاطمة لتعجن وإنَّ قصتها تكاد تضرب الجفنة. خرجه في الصفوة[1].

عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: «**كان أمير المؤمنين عليه السّلام يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السّلام تطحن وتعجن وتخبز**»[2].

عن سيف، عن نجم، عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: «**إنَّ فاطمة عليها السّلام ضمنت لعلي عليه السّلام عمل البيت؛ العجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها علي عليه السّلام ما كان خلف الباب؛ نقل الحطب وأن يجيء بالطعام**» – الحديث[3].

روى الكليني في الكافي بإسناده عن زيد بن الحسن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**كان علي عليه السلام أشبه الناس طعمة وسيرة برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يأكل الخبز والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم، قال: وكان علي عليه السلام يستقي ويحتطب، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز وترقع، وكانت من أحسن الناس وجهاً كأنَّ وجنتيها وردتان، صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وولدها الطاهرين**»[4].

فاطمة عليها السلام لا تكلّف بعلها ما لا يقدر عليه

عن أبي سعيد الخدري، قال: أصبح علي بن أبي طالب عليه السّلام ذات يوم ساغباً، فقال: «**يا فاطمة، هل عندك شيء تغذينيه**»؟ قالت: «**لا والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية، ما أصبح الغداة عندي شيء وما كان شيء أطعمناه مذ يومين، إلَّا شيء كنت**

(١) ذخائر العقبى: ص٥١.

(٢) الكافي ٥: ٨٦/ ح ١.

(٣) تفسير العياشي ١: ١٧١ /ح ٤١.

(٤) الكافي – الشيخ الكليني ٨: ١٦٥.

أؤثرك به على نفسي وعلى ابنيّ هذين الحسن والحسين عليهما السّلام». فقال علي عليه السّلام: «**يا فاطمة، ألا كنت أعلمتيني فأبغيكم شيئاً**»؟ فقالت: «**يا أبا الحسن، إنِّي لأستحيي من إلهي أن أكلّف نفسك ما لا تقدر عليه**» - الحديث(١).

فاطمة عليها السلام ترهن درعها لتقترض تمراً وشعيراً

أوردنا سابقاً أنَّ الحاجة ألجأت أمير المؤمنين للاقتراض من زيد اليهوديّ، وها هي بضعة خاتم الأنبياء تلجؤها الحاجة لرهن درعها عند شمعون اليهوديّ، فترسل درعها بيد سلمان ليرهنه، لكنّ شمعون يسمع كلمات الزهراء على لسان سلمان، فيهتزّ لعظمة هذا الدين الذي يتجسّد الالتزام بالمبادىء لدى أعلى الأشخاص رتبة فيه إلى درجة أنّهم يتساوون مع أفقر الناس وأشدّهم فاقة، وها هي ابنةُ نبيّ الإسلام الزاهدة ترهن درعها لتقترض طعاماً بسيطاً تُشبع به بطون أطفالها. كيف لا يهتزّ شمعون وهو يرى درع الزهراء عليها السلام أمامه؟! ها هو شمعون يشهد أنَّ هذا هو الزهد الذي أخبرهم به موسى بن عمران في التوراة! ومَن أولى بالزهد من فاطمة وعلي عليهما السلام؟! ألم يقل رسول الله إِنَّ ابنته الزهراء في الخيل السوابق؟! ألم يخاطب أميرَ المؤمنين بقوله «**يا علي إنَّ الله قد زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحب إلى الله منها: الزهد في الدنيا، وجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً، ولا تنال الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حبّ المساكين، فرضوا بك إماماً، ورضيتَ بهم أتباعاً**»؟!(٢)

أخرج المجلسي (في حديث طويل) أنَّ الزهراء عليها السلام قالت لسلمان: «**يا سلمان خذ درعي هذا ثم امض به إلى شمعون اليهودي وقل له: تقول لك فاطمة بنت محمد**

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٥٩ / ح ٥١، عن تفسير فرات.
(٢) بحار الأنوار ٦٥: ١١٥.

أقرضني عليه صاعاً من تمر وصاعاً من شعير أرده عليك إن شاء الله تعالى».

قال: فأخذ سلمان الدرع ثم أتى به إلى شمعون اليهودي فقال له: يا شمعون هذا درع فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله تقول لك: «**أقرضني عليه صاعاً من تمر وصاعاً من شعير أردّه عليك إن شاء الله**».

قال: فأخذ شمعون الدرع ثم جعل يقلّبه في كفه وعيناه تذرفان بالدموع وهو يقول: يا سلمان هذا هو الزهد في الدنيا، هذا الذي أخبرنا به موسى ابن عمران في التوراة، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه.

ثم دفع إلى سلمان صاعاً من تمر وصاعاً من شعير، فأتى به سلمان إلى فاطمة فطحنته بيدها واختبزته خبزاً ثم أتت به إلى سلمان فقالت له: «**خذه وامض به إلى النبي صلى الله عليه وآله**»، قال: فقال لها سلمان: يا فاطمة خذي منه قرصاً تعللين به الحسن والحسين، فقالت: «**يا سلمان هذا شيء أمضيناه لله عز وجل لسنا نأخذ منه شيئاً**».(١)

الزهراء عليها السلام تؤثر الضيف وتطعمه قوتها وقوت صبيتها

نوّمت الزهراء صبيتها الجياع، وقدّمت كلّ طعامهم للضيف، وأطفأت السراج لئلا يحسّ الضيف بالحرج وهو يتناول طعامه وحده، بينما جلست بضعة رسول الله مع زوجها أمير المؤمنين جانباً يوهمان ضيفهما أنّهما يأكلان. وقد شكر اللهُ لهما إكرامهما الضيف وأنزل في شأنهما قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة. ومن العجيب أن نجد بعض المصادر العامية تنقل هذه القصة لكنَّها تتحرّج عن التصريح باسم الزهراء وزوجها، فتنسب القصة إلى رجل

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٧٣.

من الأنصار وزوجته لم تذكر اسميهما![1]

روى ابن شهر آشوب عن أبي هريرة أنَّه جاء رجل إلى رسول الله فشكا إليه الجوع فبعث رسول الله إلى أزواجه فقلن ما عندنا إلَّا الماء، فقال صلى الله عليه وآله: «**من لهذا الرجل الليلة**»؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «**أنا يا رسول الله**»، وأتى فاطمة وسألها: «**ما عندك يا بنت رسول الله**»؟ فقالت: «**ما عندنا إلا قوت الصبية، لكنا نؤثر به ضيفنا**»، فقال علي: «**يا بنت محمد نوّمي الصبية وأطفي المصباح، وجعلا يمضغان بألسنتهما**»، فلمّا فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج فوجدت الجفنة مملوّة من فضل الله، فلمّا أصبح صلّى مع النبي، فلما سلّم النبي من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين وبكى بكاءً شديداً وقال: «**يا أمير المؤمنين لقد عجب الربُّ من فعلكم البارحة**»، اقرأ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي مجاعة ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]، وقال الحِميري:

قـائـلٌ لـلـنـبـي إنِّي غـريـبٌ ... جـايـع قـد أتـيـتـكـم مُـسـتـجـيرا
فبكى المصطفى وقـال: غريب ... لا يكـن للغريب عنـدي ذكـورا
مَـن يُضيف الـغـريـبَ؟ قـال عـليٌّ: ... أنـا لـلـضـيـف، فـانـطـلق مـأجـورا
ابـنـةَ الـعـمّ هـل مِـن الـزاد شيء؟ ... فـأجـابـت: أراه شـيـئـاً يـسـيرا
كـفُّ بُــرّ، قــال: اصـنـعـيـه فـإنَّ ... الله قــد يجـعـل الـقـلـيـلَ كـثـيرا
ثـم أطـفِـي المصبـاحَ كـي لا يـراني ... فــأخـــلّي طــعــامــه مــوفــورا

(١) انظر على سبيل المثال: الأدب المفرد للبخاري: ص١٦٠؛ السنن الكبرى للبيهقي ٤: ١٨٥، وقال: رواه البخاري في الصحيح؛ إكرام الضيف للحربي: ص٤٤.

(٢) سورة الحشر: ٩.

جاهداً يلمظ الأصابع والضيف ... يراه إلى الطعام مُشيرا
عجبتْ منكم ملائكةُ الله ... وأرضيتم اللطيفَ الخبيرا
ولهم قال يُؤثرون على ... أنفسهم قال ذاك فضلاً كبيرا(١)

وروى الحاكم الحسكاني بإسناده عن مجاهد، عن ابن عباس في قول الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ قال: نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام(٢).

الزهراء عليها السلام ونزول سورة (هل أتى)

نزول سورة (هل أتى) في شأن الزهراء وبعلها وابنيها عليهم السلام أمرٌ متواتر تناقلته الموسوعات الحديثية والتفسيرية للطرفين، وقد أخرج الثعلبي عن ابن عباس في قول الله سبحانه وتعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾(٣) قصة النذر الذي نذره علي وفاطمة: أن يصوما لله ثلاثة أيام شكراً إن برىء الحسنان عليهما السلام من مرض ألمّ بهما، فعافاهما الله تعالى، فصاما ومعهما الحسنان وجاريتهم فضة ثلاثة أيام، ثم إنّهم أعطوا إفطارهم في اليوم الأول إلى مسكين وقف ببابهم وشكى لهم الجوع، ولم يذوقوا إلا الماء القراح، ثم جلسوا للإفطار في اليوم الثاني فجاءهم يتيم من أولاد المهاجرين وسألهم طعاماً، فأعطوه إفطارهم ولم يذوقوا إلا الماء، ثم جلسوا في اليوم الثالث للإفطار فطرق بابهم أسير وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، تأسرونا

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١: ٣٤٨؛ شواهد التنزيل – الحاكم الحسكاني ٢: ٣٣١؛ بحار الأنوار – العلامة المجلسي ٣٦: ٥٩.

(٢) شواهد التنزيل – الحاكم الحسكاني ٢: ٣٣٢.

(٣) سورة الإنسان: الآية ٧.

(وتشدوننا) ولا تطعمونا، أطعموني فإنّي أسير محمد أطعمكم الله على موائد الجنة، فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح، فلما أن كان في اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم أخذ علي بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر به النبي صلى الله عليه وآله قال: «**يا أبا الحسن ما أشدّ ما يسوؤني ما أرى بكم، انطلق إلى ابنتي فاطمة**»! فانطلقوا إليها وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها النبي صلى الله عليه وآله قال: «**واغوثاه بالله، أهل بيت محمد يموتون جوعاً**»! فهبط جبرائيل عليه السلام فقال: «**يا محمد خذ ما هنأك الله في أهل بيتك قال: وما آخذ يا جبرائيل**»؟ فاقرأه ﴿هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ﴾ إلى قوله ﴿وَلا شُكُوراً﴾ إلى آخر السورة[1].

عن أبي عبد الله عليه السّلام في قوله عز وجل: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾، قال: «**مرض الحسن والحسين عليهما السّلام وهما صبيان صغيران. فعادهما رسول الله صلّى الله عليه وآله ومعه رجلان.**

فقال أحدهما: يا أبا الحسن، لو نذرت في ابنيك نذراً إن الله عافاهما. فقال: أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عز وجل، وكذلك قالت فاطمة عليها السّلام، وقال الصبيان: ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام، وكذلك قالت جاريتهم فضة.

فألبسهما الله عافيته، فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام. فانطلق علي عليه السّلام إلى جار له من اليهود يقال له شمعون، يعالج الصوف، فقال له: هل لك أن تعطيني جزة من صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصوع من شعير؟ قال: نعم. فأعطاه، فجاء

(١) انظر: تفسير الثعلبي ١٠: ٩٨ – ١٠٢.

بالصوف والشعير وأخبر فاطمة عليها السّلام، فقبلت وأطاعت.

ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد قرصاً، وصلى علي عليه السّلام مع النبي صلّى الله عليه وآله المغرب ثم أتى منزله.

فوضع الخوان وجلسوا خمستهم. فأول لقمة كسرها علي عليه السّلام إذا مسكين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة – الحديث بطوله، وجاء فيه أنّهم عليهم السلام أعطوه طعام إفطارهم، ثم أعطوا طعام إفطارهم في الليلتين الآتيتين يتيماً وأسيراً، وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح، وأصبحوا صياماً؛ وجاء في نهاية الحديث:

فلما بصر بهم النبي صلّى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن! شدّ ما يسوؤني ما أرى بكم؛ انطلق إلى ابنتي فاطمة.

فانطلقوا إليها وهي في محرابها، قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها. فلما رآها رسول الله صلّى الله عليه وآله ضمها إليه وقال: واغوثاه بالله! أنتم منذ ثلاث فيما أرى؟

فهبط جبرئيل فقال: يا محمد، خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك. قال: وما آخذ يا جبرئيل»؟ قال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾، حتى إذا بلغ: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾.(١)

(١) أمالي الصدوق: ١: ٢٥٦ / ح ١١ / المجلس الرابع والأربعون.

ابنة خاتم الأنبياء تعاني الجوع كباقي الفقراء

عشرات القصص تناقلتها كتب السيرة عن معاناة سيدة النساء عليها السلام وأنَّها كانت تقاسي من الجوع وشظف العيش، شأنها في ذلك شأن أفقر الناس، وربّما كان الفارق الوحيد هو أنَّها كانت تعاني الجوع والسغب طواعية، حين كانت تؤثر غيرها على قوتها وطعامها. ولا بدّ أن نذكّر أنَّ ما نُقل عن شكوى إلى أبيها لا يعني تذمّراً، وأنَّه كان في الغالب بإرشاد من أمير المؤمنين عليه السلام، شفقة منه على زوجته وأطفاله. يسمع رسولُ الله فاطمة تبكي داخل البيت من شدّة حرّ الجوع الذي لا يرحم، فيبكي صلى الله عليه وآله ويعود أدراجه إلى بيته لأنَّه ليس لديه ما يُعينها به.

عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا صلّى صلاة الغداة لم يذهب ببيت نسائه حتى يبدأ ببيت فاطمة عليها السّلام، فيسألها عن شأنها وشأن بعلها وشأن الحسن والحسين عليهما السّلام. فإن كانا منتبهين حملهما واحد على منكبه الأيمن والآخر على منكبه الأيسر حتى يأتي بهما إلى الموضع الذي يريد.

فلما أن كان يوم من ذلك، جاء إلى باب فاطمة عليها السّلام، فإذا فاطمة عليها السّلام تبكي داخل الدار وهي تقول: «**من شدة حرّ جوعي قد اشتدّ صداع رأسي، ومن طحني للشعير قد دميت أناملي**». قال: فبكى النبي صلّى الله عليه وآله ثم رجع[١].

وفي أحد المثالين القادمين نرى رسول الله صلى الله عليه وآله يرى ابنته الصغيرة وقد تغيّر وجهها من الجوع، فيضع يده على صدرها في موضع القلادة ويدعو لها، ونراه في المثال الآخر يُجلس ابنته الصغيرة على فخذه، فتشكو إليه الجوع، فيدعو ربّه أن لا يُجيعها.

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام للكوفي ٢: ١٨٩.

روى عمران بن الحصين، قال: كنت عند النبي صلّى الله عليه وآله جالساً إذ أقبلت فاطمة عليها السّلام، قد تغيّر وجهها من الجوع. فقال لها: «**ادني**»، فدنت منه. فرفع يده حتى وضعها على صدرها في موضع القلادة وهي صغيرة. ثم قال: «**اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضعة، لا تُجع فاطمة عليها السّلام**». قال: فرأيت الدم على وجهها كما كانت الصفرة. فقالت: «**ما جعت بعد ذلك**»[1].

عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: «**أقبلت فاطمة عليها السّلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فعرف في وجهها الخمص -قال: يعني الجوع-. فقال لها: يا بنية، ههنا. فأجلسها على فخذه الأيمن. فقالت: يا أبتاه، إنّي جائعة. فرفع يديه إلى السماء فقال: اللهم رافع الوضعة ومشبع الجاعة، أشبع فاطمة بنت نبيك. قال أبو جعفر عليه السّلام: فو الله ما جاعت بعد يومها حتى فارقت الدنيا**».[2]

وفي المثال القادم نجد النبي يعود ابنته ويسألها عن حالها، فتخبره أنّها موجوعة تعني من آلام المرض، وأنَّ مما يزيد من آلامها أنّها لا تجد شيئاً تأكله، فيسلّيها النبي بكلامه ويخبرها أنّها سيدة نساء العالمين، وأنَّ زوجها سيّد في الدنيا والآخرة!

عن عمران بن حصين أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله قال: «**ألا تنطلق بنا نعود فاطمة، فإنّها تشتكي**»؟ قلت: بلى. قال: «**فانطلقنا إلى أن انتهينا إلى بابها**»؛ فسلّم واستأذن، فقال: «**أدخل أنا ومن معي**»؟ قالت: «**نعم، ومن معك يا أبتاه؟ فوالله ما عليّ عباءة**». فقال لها: «**اصنعي بها كذا واصنعي بها كذا - فعلّمها كيف تستتر-**». فقالت: «**والله ما على رأسي من خمار**». قال: «**فأخذت خلق ملاءة كانت عليه**»، فقال: «**اختمري بها**». ثم أذنت لهما فدخلا.

---

(١) الخرائج والجرائح: ص ٣٩.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٧٧ / ح ٦٤، عن مصباح الأنوار.

فقال: «**كيف تجدنيك يا بنية**»؟ قالت: «**إنِّي لوجعة، وإنَّه ليزيدني أنَّ ما لي طعام آكله**». قال: «**يا بنية، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين**»؟ قالت: «**يا أبة، فأين مريم ابنة عمران**»؟ قال: «**تلك سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك. أمَا والله لقد زوّجتك سيداً في الدنيا والآخرة**».(١)

وفي موقف آخر نجد أمير المؤمنين عليه السلام - وقد أصابته خصاصة - يشير على الزهراء عليها السلام أن تسأل أباها ما يُعينها به، وكان صلى الله عليه وآله قد جاءته بعض المغانم، فخيّرها النبي بين الإعانة الماديّة بالأعنز الخمس وبين تعليمها كلمات خمس تعلّمهن من جبرئيل، فاختارت تعلّم الكلمات وصرفت النظر عن معاناتها وجوعها.

عن سويد بن غفلة، قال: أصابت علياً عليه السّلام خصاصة، فقال لفاطمة عليها السّلام: «**لو أتيت النبي صلّى الله عليه وآله فسألته**». فأتته- وكان عنده أمُّ أيمن- فدقّت الباب. فقال النبي صلّى الله عليه وآله لأمِّ أيمن: «**إنَّ هذا لدقّ فاطمة عليها السّلام، ولقد أتتنا في ساعة ما عوّدتنا أن تأتينا في مثلها**».

فقالت عليها السّلام: «**يا رسول الله! هذه الملائكة، طعامها التهليل والتسبيح والتحميد، ما طعامنا**»؟ قال: «**والذي بعثني بالحق، ما اقتبس في بيت آل محمد عليهم السّلام نار منذ ثلاثين يوماً، ولقد أتتنا أعنز، فإن شئتِ أمرنا لك بخمس أعنز، وإن شئتِ علّمتُك خمس كلمات علّمنيهن جبريل**». فقالت: «**بل علّمني الخمس كلمات التي علّمكهن جبريل**». قال: قولي:

«**يا أوّل الأولين ويا آخر الاخرين ويا ذا القوة المتين ويا راحم المساكين ويا أرحم الراحمين**».

(١) بحار الأنوار ٣٧: ٦٩ / ح ٣٨.

فانصرفت فدخلت على علي عليه السّلام. فقال: «**ما وراءك**»؟ فقالت: «**ذهبت من عندك للدنيا وأتيتك بالآخرة. فقال: خير أيامك**».(١)

وفي صورة أُخرى نجد الزهراء عليها السلام تعاني الجوع يومين وثلاثة أيام وتؤثر زوجها المجاهد على الشيء اليسير الذي كان قوتها وقوت صغارها، دون أن تُخبر بذلك أمير المؤمنين عليه السلام، التزاماً منها بوصية رسول الله لها أن لا تسأل زوجها شيئاً!!

عن سيف، عن نجم، عن أبي جعفر عليه السّلام، قال إنَّ فاطمة عليها السّلام ضمنت لعلي عليه السّلام عمل البيت؛ العجين والخبز وقمّ البيت، وضمن لها علي عليه السّلام ما كان خلف الباب؛ نقل الحطب وأن يجيء بالطعام.

فقال لها يوماً: «**يا فاطمة، هل عندك شيء**»؟ قالت: «**والذي عظّم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء نقريك به**». قال: «**أفلا أخبرتني**»؟ قالت: «**كان رسول الله صلّى الله عليه وآله نهاني أن أسألك شيئاً**». فقال: «**لا تسألي ابن عمك شيئاً، إن جاءك بشيء عفواً وإلا فلا تسأليه**» - الحديث(٢).

عن أبي سعيد الخدري، قال: أصبح علي بن أبي طالب عليه السّلام ذات يوم ساغباً، فقال: «**يا فاطمة، هل عندك شيء تغدينيه**»؟ قالت: «**لا والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية، ما أصبح الغداة عندي شيء وما كان شيء أطعمناه مذ يومين، إلا شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابنيّ هذين الحسن والحسين عليهما السّلام**».

فقال علي عليه السّلام: «**يا فاطمة، ألا كنت أعلمتيني فأبغيكم شيئاً**»؟ فقالت: «**يا أبا**

(١) الدعوات للراوندي: ص ٤٧ /ح ١١٦.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٧١ /ح ٤١.

الحسن، إنِّي لأستحيي من إلهي أن أكلّف نفسك ما لا تقدر عليه»- الحديث.[١]

وفي موقف آخر نجد الحسنين يبكيان من الجوع، فيطلب منها أميرُ المؤمنين أن ترسل إلى أبيها رسول الله لينجدها بشيء من الطعام للحسنين.

عن سهل بن سعد، أنَّ علي بن أبي طالب عليه السّلام دخل على فاطمة عليها السّلام بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله، وحسن وحسين عليهما السّلام يبكيان. فقال: «**ما يبكيهما**»؟ قالت: «**الجوع**». قال: «**فأرسلي إلى أبيك**». فأرسلت، فجاءه الرسول صلّى الله عليه وآله وبين يديه فضلة تمر، فقال: «**إن ابنتك تقول: يا رسول الله، إن كان عندك شيء فأبلغناه، فإن حسناً وحسيناً يبكيان**» - الحديث.[٢]

وقد أوردنا قريباً قصّة إطعام أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام ضيفهما طعامهم، وكيف باتا جائعين، فأنزل الله تعالى في شأنهم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾، وفي طيات الكتاب الكثير من الأمثلة عن معاناة الزهراء البتول وصبرها على مشقة العيش وشظفه وإيثارها الفقراء والجياع على نفسها وأولادها وبعلها.

نزول مائدة سماوية في بيت الزهراء عليها السلام

حين يتنازل زوج الزهراء:أمير المؤمنين عليه السلام عن قطيفة منسوجة بالذهب فينفقها بأجمعها على فقراء المهاجرين والأنصار، ولا يستبقي منها شيئاً يشتري به طعاماً للزهراء والحسنين عليهم السلام، فليس عجيباً أن تنزل السماء مائدة مباركة على بيت الزهراء عليها السلام، فبضعة رسول الله صلى الله عليه وآله أكرم على الله تعالى من مريم

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٥٩ / ح ٥١، عن تفسير فرات.

(٢) المعجم الكبير ٦:١٣٦ / ح ٥٧٥.

عليها السلام التي كان رزقها يأتيها من السماء ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[1]! روى محمد بن جرير بإسناده عن ربيعة السعدي، قال: حدثني حذيفة بن اليمان، قال: لما خرج جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة إلى النبي صلى الله عليه وآله أرسل معه النجاشي بقدح من غالية وقطيفة منسوجة بالذهب هدية إلى النبي صلى الله عليه وآله. فقدم جعفر عليه السلام والنبي بأرض خيبر، فأتاه بالقدح من الغالية والقطيفة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**لأدفعن هذه القطيفة إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**». فمدّ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أعناقهم إليها، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**أين علي**»؟ فلما جاءه قال له النبي: «**يا علي، خذ هذه القطيفة إليك**». فأخذها علي عليه السلام وأمهل حتى قدم إلى المدينة، فانطلق إلى البقيع – وهو سوق المدينة – فأمر صائغاً ففصل القطيفة سلكاً سلكاً، فباع الذهب– وكان ألف مثقال– ففرّقه علي عليه السلام في فقراء المهاجرين والأنصار، ثم رجع إلى منزله ولم يبق له من الذهب قليل ولا كثير، فلقيه النبي صلى الله عليه وآله من غد في نفر من أصحابه فيهم حذيفة وعمار، فقال: «**يا علي، إنَّك أفدت بالأمس ألف مثقال، فاجعل غداي اليوم وأصحابي هؤلاء عندك. ولم يكن علي عليه السلام يرجع يومئذ إلى شيء من العروض ذهب أو فضة**»، فقال حياء منهم وتكرماً: «**نعم يا رسول الله**»، ادخل – يا نبي الله – وفي الرحب والسعة أنت ومن معك. قال: فدخل النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال لنا: ادخلوا. قال حذيفة: وكنا خمسة نفر: أنا، وعمار، وسلمان، وأبو ذر، والمقداد (رضوان الله عليهم)، فدخلنا ودخل علي عليه السلام على فاطمة عليها السلام يبتغي عندها شيئاً من زاد، فوجد في وسط البيت جفنة

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

من ثريد تفور، وعليها عراق كثير، وكأنَّ رائحتها المسك. فحملها علي عليه السلام حتى وضعها بين يدي النبي صلى الله عليه وآله ومن حضر، فأكلنا منها حتى تملأنا ولم ينقص منها قليل ولا كثير. فقام النبي صلى الله عليه وآله حتى دخل على فاطمة عليها السلام، فقال: «**أنَّى لك هذا الطعام يا فاطمة**»؟ فردّت عليه - ونحن نسمع قولها - فقالت: «**هو من عند الله، إنَّ الله يرزق من يشاء بغير حساب**». فخرج النبي صلى الله عليه وآله إلينا مستبشراً، وهو يقول: «**الحمد لله الذي لم يُمتني حتى رأيتُ لابنتي ما رأى زكريا لمريم، كان إذا دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً فيقول لها: يا مريم، أنَّى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب**»[1].

الله تعالى يعطي (فدكاً) لفاطمة عليها السلام

(فدك) منطقة كانت لليهود، فتحها رسول الله صلى الله عليه وآله دون أن يوجف عليها بخيل ولا رجال، فزال عنها اسمُ الفيء وأضحت من الأنفال وصارت لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصّة يفعل فيها ما يشاء. ثم أنّ الله تعالى أمر نبيّه أن يسلّم فدكاً لفاطمة عليها السلام، فسلّمها إيّاها وتصرّفتْ فيها في حياته. وقد صادر أبو بكر فدكاً بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وأخرج منها وكيل الزهراء عليها السلام مستنداً إلى حديث رواه عن النبي صلى الله عليه وآله بأنَّ «**معاشر الأنبياء لا يورّثون**»! ونلاحظ في هذا الصدد أنَّ الزهراء الصابرة القانعة الزاهدة لم تطالب بفدك على أنَّها قطعة أرض تدرّ عليها وعلى ولدها غلاّت أو عائدات، بل وظّفت قضية فدك لهدف أسمى وأرفع، وهو تعديل الانحراف الذي حصل في المسيرة الإسلاميّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. لم تنظر الزهراء عليها السلام إلى فدك من زاوية شخصيّة أو نفعيّة، فلقد عاشت حياة

(١) دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص ١٤٤ - ١٤٥.

القناعة والزهد، واستمرأت الإيثار والتضحية، وشهد لها رسولُ الله صلى الله عليه وآله أنّها من السابقين في هذا المضمار.

عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كان رسول الله أعطى فاطمة فدكاً؟ قال: «**كان وقفها**»، فأنزل الله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[1]، فأعطاها رسول الله حقّها، قلت: رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاها؟ قال: «**بل الله أعطاها**»[2].

عن عبد الرحمن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أنزل الله ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا جبرئيل قد عرفتُ المسكين، فمن ذوي القربى**»؟ قال: «**هم أقاربك**»، فدعى حسناً وحسيناً وفاطمة، فقال: «**إنَّ ربي أمرني أن أُعطيكم مما أفاء عليَّ**»، قال: «**أعطيتكم فدكاً**»[3].

الدروس المستخلصة:

علّمتنا الزهراء الصابرة الراضية عليها السلام أنَّ مرارة العيش تستحيل بالصبر والرضا حلاوةً، وأنّ على البشر أن يستثمر جميع فرص العيش في التكامل في مسيرته الهادفة إلى نيل مرضاة الله تعالى. وعلّمتنا أَنَّ الفقر لا يعني انحطاط صاحبه في درجة الإنسانية، ولا يعني حرمانه من عناية الله ورعايته، بل إنّه – على العكس من ذلك كلّه – مدعاة لفخر المؤمن ومباهاته، ولا تزال مقولة (الفقر فخري) تصدح في آذان الدهر، ولا تزال ترنيمة يتغنّى بها الفقراء الذين جعلوا أشرف خلق الله تعالى وخاتم أنبيائه صلى الله عليه وآله قدوتهم وأسوتهم. طحنت فاطمة بالرحى حتى مجلت يداها، وحتّى اصطبغت

---

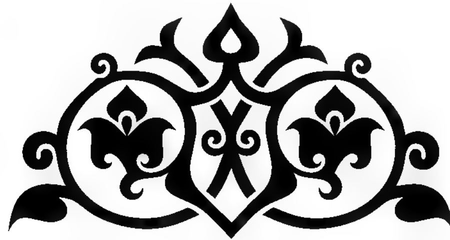
(١) سورة الإسراء: الآية ٢٦.

(٢) تفسير العياشي – محمد بن مسعود العياشي ٢: ٢٨٧.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٢٨٧.

يدُ الرحى بدماء يديها الطاهرتين، لكنّها عليها السلام لم تحسب ذلك إلَّا نِعمةً ينبغي أن تشكر الله عليها. وحين أخبرت أباها يوماً - وقد زارها في مرضها - أنّ مما يزيد في وجعها أنَّها لا تجد شيئاً تأكله، فقال لها سيّد الأنبياء والمرسلين: ﴿**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين؟!**﴾ أي أنَّ كونها سيّدة نساء العالمين يتطلّب أن تكون الأُسوة في الرضا، وأن تجوع وهي موجوعة مريضة فتشكر خالقها! وتلبس إهاب الكبش وترتدي شملة خيطت في مواضع كثيرة فتشكر خالقها! وعلى المرأة التي تتأسى بسيّدة النساء عليها السلام وتسعى لنيل رضا الخالق تعالى أن تتعامل في حياتها مع الأُمور المادية على أنَّها مواهب يجب تسخيرها لهدف أسمى وهو التكامل والرقي في درجات الإنسانية، وأن تحذر الوقوع في أسر المادة التي وجدت لخدمة البشر وليس استرقاقه واستعباده. وعلى النساء المقتديات بسيدة النساء أن يتجلببن بالقناعة ويتجمّلن بالرضا والصبر، فيقنعن بالعيش على بساطته، ويصبرن على الحرمان إن قدّره الله، ويعرفن أَنَّ حالهنّ لا يخفى عن خالقهنّ الخبير الودود، وأَنَّ من يتعجّل مرارة الدنيا سيجد حلاوة الآخرة وشيكاً!

تعلّمنا من الزهراء عليها السلام التسامي في الحركة، وإيثار مصلحة الأُمَّة والمجتمع على المصلحة الفرديّة الضيّقة، ورأيناها تطالب بفدك من أجل أن تقوّم مسيرة الأُمَّة وتردّها إلى المسار الذي اختطّه لها نبيّها الكريم صلى الله عليه وآله.





الفصل السابع

الزهراء عليها السلام الأم المثالية

خصائص الأُمِّ المثالية

ما هي السمات التي رسمها الإسلام للأُمِّ المثالية؟ وما هي الملامح والمواصفات التي يُفترض بالأُمِّ المسلمة الملتزمة أن تتحلى بها؟ ليس علينا في الإجابة عن هذا السؤال إلاَّ أن نتأمل في سيّدة نساء العالمين وأمّها أمّ المؤمنين خديجة عليهما السلام ونستجلي ملامحهما التي نُقلت عنهما صلوات الله عليهما. إنَّنا نجد في عصرنا الحاضر أنَّ هناك مَن يسعى جاهداً في إقناع النساء المسلمات أنَّ المرأة لم تُخلق لتُنجب وتُرضع وتربّي، بذريعة أنَّ هذه الأُمور بإمكان أيّ امرأة عادية أن تفعلها دون جهد أو قابلية خاصّة، بل إنَّ للمرأة أهدافاً في حياتها غير الولادة والتربية والإرضاع! ناهيك عن الآثار البدنية والضعف الذي يعتري الأُمَّ إثر الإنجاب والإرضاع!! بيد أنّ من الواضح أنَّ الأُمَّ هي العمود الفقري للأسرة، وأنَّ الأُسرة هي اللبنة التي يقوم عليها المجتمع البشري، فإذا انعدمت المادة الأساسية لتكوين المجتمع البشري، فعلينا أن نفكّر فيما سيؤول له حال المجتمع عموماً والمجتمع الإسلامي على وجه خاص. كما إنَّ ولادة الأطفال وإرضاعهم وتربيتهم - بإعتباره عملاً يُراد به وجه الله تعالى - لا يقعد بالمرأة المدركة الواعية عن بلوغ أقصى درجات الكمال، بل هو المدرج الذي تتحرك عليه للتحليق إلى أجواء القرب من الله تعالى بإعتبار الامتثال لأوامره الإلهية. ولا يفوتنا التذكير أنَّه ما من امرأة تدّعي أنَّ لها درجة من الفضل تماثل درجات سيدة نساء العالمين عليها السلام التي كانت المرأة المثالية الودود بزوجها، والأم النموذجية الولود لأطفالها، المرضعة لهم، المشفقة والحانية عليهم. وقد نقلنا أنَّ امرأة دخلت على الإمام الصادق عليه السلام فقالت: أصلحك الله إنِّي امرأة متبتّلة، فقال: «**وما التبتّل عندك**»؟ قالت: لا أتزوّج، قال: «**ولم**»؟ قالت: ألتمس بذلك الفضل. فقال: «**انصرفي، فلو كان ذلك فضلاً لكانت فاطمة عليها السلام أحقّ به منك،**

إنَّه ليس أحد يسبقها إلى الفضل».

لقد ولدت سيدةُ النساء عليها السلام ولدَها الأول الحسن المجتبى عليه السلام، ثم لم يكن بين ولادة الحسن عليه السلام وحملها بأخيه الحسين عليه السلام إلا فترة طُهر واحد كما يقول الإمام الصادق عليه السلام. ولقد أرضعت الحوراء الإنسية ولديها، ونقلت لنا الروايات أنَّها كانت تنام أحياناً وطفلها على صدرها!! ولم يقعد بالزهراء عليها السلام عن نيل أسمى درجات الشرف أنَّها ولدت عدة أطفال وأرضعتهم وربّتهم، بل ضربت بسيرتها المثلى أروع الأمثلة للمرأة الكاملة التي ندبت إلى الاقتداء بها الشريعةُ الغرّاء وارتضاها ربّ العالمين.

لم تتخلّ البتول الطاهرة عليها السلام عن أولادها فتوكل أمر تربيتهم إلى امرأة غيرها، ذلك أنَّها تعلم أنَّها أرفق بأولادها من المربّية الغريبة. ونجد في عصرنا الحاضر - مع بالغ الأسف - أَنَّ هناك أمهات مسلمات يدفعن أولادهن إلى مربيات بعضهن على غير دين الإسلام، ولا يعرن أدنى اهتمام إلى الأضرار التي تلحق بأخلاق هؤلاء الأطفال، بل إنَّنا صرنا نجد أن بعض الأُمَّهات يمتنعن - دونما مبرر - عن إرضاع أطفالهن، ويكتفين بالحليب الصناعي طعاماً للطفل، أو يدفعن أطفالهن إلى مرضعات غيرهن، غافلات عن أَنَّ الرضاع يغيّر الطباع كما يقول أهل البيت عليهم السلام، وأَنَّ إرضاع الطفل من قبل أُمّه لا يُشبع بدنه فحسب، بل يشبع روحه وإحساساته، وسنتعرّض لهذا الموضوع لاحقاً إن شاء الله تعالى.

ربّت الزهراء البتول عليها السلام صغارها واهتمت بالأُمور الدينية والأخلاقية في التربية، فكانت عليها السّلام - وقد رأت أباها صلى الله عليه وآله يوقظ أهله ليلة ثلاث وعشرين، ويرشّ وجوه النيام منهم بالماء في تلك الليلة، - لا تدع أحداً من أهلها ينام

تلك الليلة وتقول: محروم من حُرم خيرها. وكانت عليها السلام تشجّع ولدها الحسن المجتبى عليه السلام - وهو صبي صغير ابن سبع سنين - على الحضور في مجلس جده رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان يحضر فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي أمَّه فيلقي إليها ما حفظه، وكانت الزهراء عليها السلام تستمع إلى الحسن عليه السلام وتنقل ما تسمعه منه إلى أبيه أمير المؤمنين عليه السلام. إنَّ الاهتمام بالصغار واصطحابهم إلى المجالس الدينية ينمّي شخصيّاتهم، وإنَّ تشجيعهم على الحفظ ثم تكرار ما سمعوه يقوّي فيهم قابلية الحفظ، كما أنَّ هذا الحضور يمنحهم - وهذا هو العامل الأهم - جوانب روحية تسهم في بناء سماتهم الأخلاقية؛ خصوصاً وأَنَّ الصغار في تلك المرحلة يمتازون بأَنَّ لهم قابليات كبيرة على الاكتساب والتأثّر تفوق قابليات الكبار.

ونرى الزهراء عليها السلام في موقف آخر تعلّم صغارها أمر مراعاة المريض وعدم إطالة المكث عنده عند عيادته، لأنَّ المريض بحاجة ماسة في تلك الفترة إلى أخذ قسط جيد من الراحة يساعده على التماثل للشفاء بسرعة.

ولم تغفل الزهراء العابدة عليها السلام، التي تقف في محراب صلاتها حتى تتورم أقدامها، والتي كانت تتصدى لأعمال البيت بنفسها، لم تغفل عن أمر ملاعبة أطفالها ومداعبتهم، ذلك أنَّ الطفل بحاجة ماسة في صغره إلى الملاعبة والمداعبة، وإلى لمسات الحنان التي تحتاجها روحه في تلك الفترة من حياته. لكنَّ الزهراء عليها السلام - وهي المثل الأعلى - توظّف هذه الملاعبة والمداعبة لتبني بُعداً آخر في نفس الطفل المتلقية. وما أجدر بالأمَّهات المسلمات الملتزمات في الاقتداء بسيدة النساء عليها السلام في سيرتها، وترك استخدام الألفاظ العادية - فضلاً عن الألفاظ الرخيصة - في ملاعبة أطفالهن. لنستمع إليها عليها السلام وهي تناغي صغيرها وتلقّنه - خلال مداعبتها له - درساً في

التوحيد والأخلاق:

أشبهْ أباك يا حسن   واخلع عن الحقّ الرسنْ
واعبُد إلهاً ذا منن   ولا توالِ ذا الإحن

وقد راعت الزهراء الحانية عليها السلام أمر المساواة بين الأطفال، وهو أمر تعاني من فقدانه كثير من الأُسر. وقد حدّثنا القرآن الكريم أنَّ أولاد النبي يعقوب عليه السلام لاحظوا أنَّ أباهم يولي ابنه يوسف عليه السلام اهتماماً ومحبة تفوق الاهتمام والمحبة التي يوليهم إيّاها، فحسدوا يوسف ونسبوا أباهم إلى الضلال، بل دفعتهم تلك المحبّة - غير المبررة في نظرهم - ليوسف من قبل أبيهم يعقوب إلى أمر خطير، وهو التفكير في إزاحة يوسف عن طريقهم بأي ثمن - ولو بالقتل والاغتيال - من أجل أن يخلو لهم وجه أبيهم وتصفو لهم محبّته.

ولقد شاهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله رجلاً له ولدان فقبّل أحدهما وترك الآخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فهلاّ واسيت بينهما**»!

وكانت الزهراء عليها السلام المثل الأعلى والأُسوة في المساواة بين الأطفال، فكانت تساوي بينهم في الحنان واللباس والاهتمام. حتى أَنَّ ولديها اصطرعا يوماً وهما صغيران، فدخلت الزهراء عليها السلام فسمعت النبي صلّى الله عليه وآله وهو يقول: «**إيهاً يا حسن، شُدّ على الحسين فاصرعه**»! فقالت له: «**يا أبه، واعجباه! أتشجّع هنا على هذا، تشجع الكبير على الصغير**»؟ فرد عليها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا بنية، أما ترضين أن أقول أنا: يا حسن، شد على الحسين فاصرعه، وهذا حبيبي جبرئيل يقول: يا حسين، شد على الحسن فاصرعه**»!

وزارها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً، فاستسقى ولدها الحسن عليه السّلام، فقام رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى قربة فجعل يعصرها في القدح، ثم إِنَّه صلى الله عليه وآله ناول الحسن عليه السّلام فتناول الحسين عليه السّلام ليشرب فمنعه النبي وبدأ بالحسن عليه السّلام. فقالت فاطمة: «**يا رسول الله! كأَنَّه أحبّهما إليك**»؟ قال: «**إِنَّه استسقى أول مرة**». ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إنِّي وهذين وهذا الراقد - يعني علياً عليه السّلام- يوم القيامة في مكان واحد**».

وقد رأينا في بيت الزهراء عليها السلام ريحانة تولد وتنمو وتدرج فتكون أشبه الناس بأُمِّها في العبادة والإيمان والاستقامة والصبر على المصائب والمصاعب، تلك هي ابنتها زينب التي دعيت (عقيلة الهاشميين). نشأت العقيلة في هذا البيت الذي يحفظ للفتاة عزّتها واحترامها وشخصيّتها، في عصر جاهد فيه نبي الإنسانية صلى الله عليه وآله في إرساء وضع جديد في التعامل مع المرأة، حتى أَنَّه صلى الله عليه وآله لمّا رُزق بابنته فاطمة عليها السلام نظر في وجوه أصحابه فرأى الكراهة فيهم. فقال: «**ما لكم؟ ريحانة أشمّها، ورزقُها على الله عز وجل**». وقال صلى الله عليه وآله لأصحابه يوماً: «**البنات حسنات والبنون نعمة، فالحسنات يُثاب عليها، والنعم يُسئل عنها**»!

الزهراء عليها السلام الودود الولود

الأُمُّ هي عماد المجتمع وركيزته وقوامه، وبدونها يتلاشى المجتمع ويضمحلّ. وتعاني بعض المجتمعات الحالية من تناقص متزايد في تعداد أفرادها نتيجة تناقص مسألة الإنجاب الناشئة من عوامل عديدة، منها شيوع ثقافة أنَّ الإنجاب لا يتلاءم مع شخصيّة المرأة ويقعد بها عن تحقيق طموحاتها في الحياة، وأَنَّ انصرافها إلى تربية الأطفال يقعد بها

عن دورها في تحصيل الثقافة والتصدّي للأعمال شأنها شأن الرجل، ومنها تزايد الضغوط الاقتصادية على العائلة وتناقص الدعم الذي تقدّمه الدولة للعائلة إذا زاد عدد أفرادها عن حدّ معيّن. وقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنَّه قال: «**ألا أخبركم بخير نسائكم**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله فأخبرنا، قال: «**إنَّ من خير نسائكم الودود الولود، الستيرة العفيفة..**» - الحديث.[1] وعنه صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**خير نسائكم الودود الولود المؤاتية، وشرّها اللجوج**».[2]

وكانت الزهراء فاطمة عليها السلام المثال والمصداق الأجلى للمرأة الودود الولود المؤاتية لزوجها، فقد تزوّجها أمير المؤمنين عليه السلام - كما يذكر أبو عبد الله ابن مندة الأصفهاني - بالمدينة بعد سنة من الهجرة، وبنى بها بعد ذلك بنحو من سنة، وولدت لعلي عليه السّلام: الحسن والحسين والمحسن وأمَّ كلثوم الكبرى وزينب الكبرى[3].

وكان زواجهما عليهما السلام سنة اثنتين من الهجرة، ودخل بها أمير المؤمنين عليه السلام بعد منصرفه من بدر، وولدت له حسناً وحسيناً وزينب الكبرى وأمَّ كلثوم الكبرى[4].

قال محمد بن أحمد بن حماد الدولابي: ولدت فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السّلام حسناً وحسيناً ومحسناً، فذهب محسن صغيراً، وولدت له أمَّ كلثوم وزينب[5].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٩ / ح٤٣٦٧.

(٢) مستدرك الوسائل ١٤: ١٦٢ / ح(١٦٣٨٤) ١٢.

(٣) بحار الأنوار ٤٣: ٢١٤ / ح ٤٤.

(٤) بحار الأنوار ٢٢: ١٦٦ / ح ٢٥، عن المنتقى.

(٥) الذرية الطاهرة للدولابي: ص ١٥٧ / ح ٢٠٧.

قال البلاذري:... وولدت خديجة لرسول الله صلّى الله عليه وآله فاطمة عليها السّلام، وتزوّجها علي بن أبي طالب عليه السّلام بالمدينة في سنة اثنتين، وولدت له الحسن، والحسين، ومحسناً درج صغيراً، وزينب،... وأمَّ كلثوم[١].

قراءة آية الكرسي وتعويذ الحامل المقرب

في أذكار اليوم والليلة:... يذكر أنَّ فاطمة عليها السّلام لما دنت ولادتها، أمر النبي صلّى الله عليه وآله أمَّ سلمة وزينب بنت جحش أن تأتياها فتقرآ عليها آية الكرسي، و﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[٢] إلى آخر الآيتين، وتعوّذاها بالمعوّذتين.

و ذكر مثله في كتابه: الوابل الصيّب[٣].

النبي يصلي شكراً لله على سلامة فاطمة بعد ولادتها

ينبغي لمن يرزقه الله تعالى أطفالاً أن يشكر الله تعالى على سلامة أُمِّهم أولاً، وعلى أنَّهم تامّو الخلقة سالمين ثانياً، فكم من الولادات تعسّرت حتى انتهت بوفاة الأمِّ ووليدها، وكم من الولادات انتهت بعاهة مستديمة للأمِّ أو لوليدها أو لكليهما! ألا يجدر بالفرد المسلم أن يشكر الله تعالى أنّه سلّم له زوجته ويسّر أمر ولادتها وسلّم وليدها! حين تتوالى النِعم وتستمرّ يغفل المرء عن الشكر، لأنَّه لا يتصوّر ما ستؤول إليه حالُه إذا انقطعتْ واحدة من تلك النِعم المتوالية!

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٤٠٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٤؛ سورة يونس: الآية ٣.

(٣) أذكار اليوم والليلة لابن قيم الجوزية: ص ٦٠، على ما في ملحقات الإحقاق.

روي عن الصادقين عليهم السلام: «**أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله بُشّر بالحسن عليه السلام وهو في آخر تسبيح المغرب قبل الدعاء، فقام من وقته من غير أن يتكلّم أو يصنع شيئاً فصلّى ركعتين، جعلهما شكراً لله تعالى على سلامة فاطمة صلوات الله عليها وآلها وولادتها الحسن عليه السلام، ثم دعا بعد الركعتين، وعقّب بسجدتي الشكر والتعفير بينهما، وكان ذلك سُنّة حتى ولد الحسين عليه السلام فجاء البشير به، وقد صلّى هاتين الركعتين بعد المغرب، وهو في آخر تسبيحة، فقام من غير تعقيب فصلّى ركعتين، جعلهما شكراً لله تعالى، ثم عقّب بالدعاء بعدهما وسجد، فجرت به سنّته عليه وآله السلام أن لا يتكلم أحد بين فريضة المغرب ونافلتها، ويؤخّر تعقيب الفرض منها بما سوى التسبيح إلى وقت الفراغ من نافلتها**»[1].

البنت ريحانة

جاء الإسلام في بيئة عُرفت بكراهيتها للأُنثى، بحيث إنّ الرجل كان إذا بُشّر بالأُنثى ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ على حدّ تعبير القرآن الكريم. وكانت العرب في الجاهليّة تنظر للمرأة كمصدر محتمل للعار، وكان قادتهم قد سنّوا سنّة وأد البنات الشنيعة هرباً من العار الذي قد يلحق بهم إذا سُبيت بناتهم في إحدى الغارات، وما أكثرها تلك الأيام! وكان من الضروريّ إصلاح هذه النظرة المتخلّفة من أجل النهوض بالمجتمع الإسلامي لتسنّم دوره الريادي في المجتمعات الإنسانية المتحضرة، وجاء تعامل النبي صلى الله عليه وآله مع ابنته الزهراء عليها السلام ليعطي للمسلمين حديثي العهد بالإسلام دروساً عمليّة لا تُنسى، كما جاءت أحاديث النبي - على المستوى النظري - بأَنَّ «**البنات حسنات،**

(١) المقنعة - الشيخ المفيد: ص ١١٧ - ١١٨.

والبنون نِعم» و«**خير أولادكم البنات**» لتكمل هذه الدروس وتعمّقها في النفوس.

عـن البرقـي، رفعـه، قـال: بـشّر النبـي صـلّى الله عليه وآلـه بفاطمـة عليها السّـلام، فنظـر في وجـوه أصحابه فـرأى الكراهة فيهـم. فقال: «**مـا لكم؟ ريحانة أشـمّها ورزقها عـلى الله عز وجـل**»[١].

أحمد بن محمد العاصمي عن علي بن الحسن التيملي عن علي بن أسباط عن أبيه عن الجارود بن المنذر قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام «**بلغني أنَّه ولد لك ابنة فتسخطها وما عليك منها، ريحانة تشمها وقد كُفيت رزقها، و(قد) كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بنات**»[٢].

أخرج المجلسي عن حذيفة اليماني قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خير أولادكم البنات**»[٣].

وأخرج المجلسي عنه عليه السلام قال: «**البنات حسنات والبنون نعمة، فالحسنات يُثاب عليها، والنعم يُسئل عنها**»[٤]

وأخرج المجلسي عن روضة الكافي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**نعم الولد البنات المخدرات، من كانت عنده واحدة جعلها الله ستراً من النار، ومن كانت عنده اثنتان أدخله الله بهما الجنة، ومن يكن له ثلاث أو مثلهن من الأخوات وُضع عنه الجهاد والصدقة**»[٥].

(١) ثواب الأعمال: ص ٢٣٩ / ح ٢.

(٢) جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي ٢١: ٣٠٤.

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ١٠١: ٩١.

(٤) بحار الأنوار ١٠١: ٩٠.

(٥) بحار الأنوار ١٠١: ٩١.

وأخرج المجلسي عنه صلى الله عليه وآله قال: «**من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة**» قيل: يا رسول الله واثنتين؟ قال صلى الله عليه وآله: «**واثنتين**»، قيل: يا رسول الله وواحدة؟ قال: «**وواحدة**»[١].

حلق رأس المولود والتصدّق عنه

الإسلام دينُ النظافة، وهو دين الرحمة والإنسانيّة، ومن السنّة حلاقة رأس المولود يوم السابع من ولادته، كما أنَّ من السنّة أن يتصدّق بما يعادل وزن الشعر المحلوق من الفضّة على المساكين.

روي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنَّه أمر فاطمة عليها السّلام أن تحلق رأس الحسن والحسين يوم سابعهما، وأن تتصدّق بوزن شعرهما ورقاً[٢].

قال مالك بن أنس: وزنت فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله شعر الحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم، فتصدّقت بزنة ذلك فضة[٣].

العقيقة عن المولود

العقيقة هي الذبيحة التي تُذبح عن المولود ذكراً كان أو أُنثى. والعقيقة تدخل في النُسك وإيصال الخير إلى المساكين، حيث يُتصدّق بلحمها على فقراء المؤمنين. وقد روي عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: «**الغلام رهن بسابعه بكبش يسمّى فيه، ويعقّ عنه**»،

(١) بحار الأنوار ١٠١: ٩١ – ٩٢.

(٢) بحار الأنوار ١٠١: ١٢٣ / ح ٦٥ و٦٦، عن مكارم الأخلاق.

(٣) الموطأ لمالك بن أنس ١: ٣٣٧ / ح ٢.

وقال: «**إنَّ فاطمة عليها السّلام عقّت عن ابنيها، وتصدّقت بوزن شعرهما فضة**»[(١)].

وروي عنه عليه السّلام، قال: «**عقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله عن الحسن عليه السّلام بيده**»، وقال: «**بسم الله عقيقة عن الحسن**». وقال: «**اللهم عظمها بعظمه، ولحمها بلحمه، ودمها بدمه، وشعرها بشعره، اللهم اجعلها وقاءً لمحمد وآله**»[(٢)].

وعن أبي جعفر عليه السّلام، قال: «**كانت فاطمة عليها السّلام تعقّ عن ولدها يوم السابع، وتسمّيه، وتختنه، وتحلق رأسه وتتصدّق بوزنه ورقاً**»[(٣)].

كراهة لف المولود في خرقة صفراء

نهى النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته أن يلفّوا الطفل المولود حديثاً في خرقة صفراء، وحين شاهد الحسن المجتبى عليه السلام ملفوفاً في خرقة صفراء، رمى بتلك الخرقة وأخذ خرقة بيضاء فلفّه فيها. ونلاحظ أنَّ أسماء بنت عميس امتثلت لأمر النبي صلى الله عليه وآله، فلما ولدت الزهراءُ عليها السلام الحسين عليه السلام وقبلتها أسماء، لفّت الحسين عليه السلام في خرقة بيضاء.

أخرج الحر العاملي عن أسماء بنت عميس، عن فاطمة (عليها السلام) قالت: «**لما حملت بالحسن (عليه السلام) وولدته، جاء النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا أسماء، هلمّي ابني، فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها النبي (صلى الله عليه وآله) وأذّن في أُذنه اليمنى وأقام في أُذنه اليسرى - إلى أن قال: - فسمّاه الحسن، فلما كان يوم سابعه عقّ عنه النبي (صلى الله عليه وآله) بكبشَين أملحَين، وأعطى القابلة فخذاً وديناراً، وحلق رأسه،**

(١) الكافي ٦: ٢٥ / ح ٩.

(٢) فروع الكافي ٦: ٣٢ / ح ١.

(٣) المصنّف لابن أبي شيبة ٥: ٥٣٢ / ح ٥.

وتصدّق بوزن الشعر ورقاً، وطلى رأسه بالخلوق، وقال: يا أسماء، الدم فِعل الجاهلية. قالت أسماء: فلما كان بعد حول وُلد الحسين (عليه السلام) جاءني وقال: يا أسماء هلمّي بابني، فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ووضعه في حجره - إلى أن قالت: - فقال جبرئيل: سمّه الحسين، فلمّا كان يوم سابعه عقّ عنه النبي صلى الله عليه وآله بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً وديناراً، ثم حلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً، وطلى رأسه بالخلوق، وقال: يا أسماء، الدم فعل الجاهلية».[١]

عن علي بن الحسين عليهما السّلام: «**حدثتني أسماء بنت عميس الخثعمية، قالت: قبلت جدتك فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله بالحسن والحسين عليهما السّلام.**

قالت: فلما ولد الحسن جاء النبي صلّى الله عليه وآله فقال: يا أسماء! هاتي ابني. قالت: فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها، فقال: ألم أعهد إليكن ألاّ تلفّوا المولود في خرقة صفراء. ودعا بخرقة بيضاء فلفّه فيها، ثم أذّن في أذنه اليمنى، وأقام في أُذنه اليسرى»[٢].

عن جابر، قال: لما حملت فاطمة عليها السّلام بالحسن فولدت، وقد كان صلّى الله عليه وآله أمرهم أن يلفّوه في خرقة بيضاء فلفّوه في صفراء، وقالت فاطمة عليها السّلام: «**يا علي! سمّه**». فقال: «**ما كنت لأسبق باسمه رسولَ الله صلّى الله عليه وآله**». فجاء صلّى الله عليه وآله فأخذه وقبّله وأدخل لسانه في فيه، فجعل الحسن عليه السّلام يمصّه.

ثم قال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**ألم أتقدّم إليكم أن تلفّوه في خرقة بيضاء**»؟! فدعا بخرقة بيضاء فلفّه فيها ورمى بالصفراء، وأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى[٣].

---

(١) وسائل الشيعة ٢١: ٤٠٨/ ح٢٧٤٢٧.

(٢) أمالي الطوسي ١: ٣٧٧، الجزء الثالث عشر.

(٣) معاني الأخبار ١: ٥٥ /ح ٦؛ علل الشرائع ١: ١٣٧ /ح ٥ بتفاوت يسير.

إطعام القابلة

للقابلة التي تُعين المرأة في ولادتها حقّ على العائلة، وكانت القابلات في السابق لا يتقاضين أجراً على عملهنّ، فأوصى النبي أن يبعث للقابلة برِجل العقيقة وبدينار.

روي أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله أوصى في العقيقة التي عقّتها فاطمة عليها السّلام عن الحسن والحسين عليهما السّلام: «**أن تبعثوا إلى القابلة منها برِجل، وكُلوا وأطعموا ولا تكسروا منها عظاماً**»(١).

عن علي بن الحسين عليهما السّلام، قال: «**إنَّ فاطمة عليها السّلام عقّت عن الحسن والحسين عليهما السّلام، وأعطت القابلة رِجل شاة وديناراً**»(٢).

عن الباقر عليه السّلام: «**قال ختن رسول الله صلّى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السّلام لسبعة أيام، وحلق رأسيهما، وتصدّق بزنة الشعر فضة، وعقّ عنهما، وأعطى القابلة الطرائف**»(٣).

النهي عن لطخ رأس المولود بالدم

كان العرب يلطخون رأس الوليد بالدم زمن الجاهليّة، فلما جاء الإسلام نهى عن ذلك، وأمر بلطخ رأس الوليد بالخلوق والزعفران.

عن عاصم الكوزي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يذكر عن أبيه: «**أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله عقّ عن الحسن عليه السّلام بكبش، وعن الحسين بكبش، وأعطى**

(١) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزّي ١٣: ٣٦٢/ ح ١٩٣٢١.

(٢) عيون الأخبار ٢: ٤٥ / ح ١٧٠.

(٣) مكارم الأخلاق: ص ٥٩.

القابلة شيئاً، وحلق رؤوسهما يوم سابعهما ووزن شعرهما فتصدّق بوزنه فضة.

فقلت له: يؤخذ الدم فيُلطخ به رأس الصبي؟ فقال: ذاك شرك، فقلت: سبحان الله! شرك؟!! فقال: لو لم يكن ذاك شركاً، فإنَّه يُعمل في الجاهلية، ونُهي عنه في الإسلام»(١).

عن أسماء بنت عميس، قالت: عقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله عن الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين، وأعطى القابلة الفخذ، وحلق رأسه، وتصدق بزنة الشعر، ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخلوق، ثم قال: يا أسماء! الدم من فِعل الجاهلية.

فلما كان بعد حول ولد الحسين، فجاء النبي صلّى الله عليه وآله ففعل مثل الأول-الحديث(٢).

قالت أسماء بنت عميس: قبلت فاطمة بالحسن والحسين عليهم السّلام، فلما ولد الحسن عليه السّلام (الحديث - وفي نهايته:) فلما كان يوم السابع عقّ عنه صلّى الله عليه وآله بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً، وحلق رأسه، وتصدّق بوزن الشعر ورقاً، وطلى رأسه بالخلوق، ثم قال: يا أسماء، الدم فِعل الجاهلية.(٣)

تسمية المولود وتكنيته

عن الحسين بن خالد، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السّلام عن التهنئة بالولد متى؟ فقال:

«إنَّه قال: لما ولد الحسن بن علي عليهما السّلام هبط جبرئيل بالتهنئة على النبي صلّى الله

(١) الكافي - الشيخ الكليني ٦: ٣٣/ ح ٣.

(٢) جواهر العقدين: ص ٤٠٢.

(٣) روضة الواعظين: ص ١٥٣.

عليه وآله في اليوم السابع وأمره أن يسمّيه ويكنّيه، ويحلق رأسه ويعقّ عنه ويثقب أُذنه.

وكذلك كان حين ولد الحسين عليه السّلام، أتاه في اليوم السابع فأمره بمثل ذلك، قال: وكان لهما ذؤابتان في القرن الأيسر، وكان الثقب في الأُذن اليمنى في شحمة الأذن، وفي اليسرى في أعلى الأُذن؛ فالقرط في اليمنى والشنف في اليسرى.

وقد روي أَنَّ النبي صلّى الله عليه وآله ترك لهما ذؤابتين في وسط الرأس؛ وهو أصح من القَرْن»[١].

روي أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله اشتق اسم حسين من حسن، وسمّى حسناً وحسيناً يوم سابعهما، وأَنَّ فاطمة عليها السّلام حلقت حسناً وحسيناً يوم سابعهما، فوزنت شعرهما فتصدّقت بوزنه فضة[٢].

تسمية المولود قبل ولادته

أَولى الإسلام أهمية كبيرة للطفل حتى قبل أن يولد، بل أولاه أهميّة حتى قبل انعقاد نطفته، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أَنَّه قال «**اختاروا لنطفكم فإنَّ الخال أحد الضجيعين**»، أي أَنَّ الخال يعدّ ضجيعاً ومربياً يكتسب منه الولد أخلاقه كما يكتسبها من أبيه. ومن اهتمام الإسلام بالطفل أَنَّه أمر بتسميته قبل ولادته، وقد سمّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله (المحسن) قبل ولادته.

روى الكليني بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حدثني أبي عن جدي قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**سمّوا أولادكم قبل أن يولدوا فإن لم تدروا**

(١) الكافي ٦: ٣٤/ ح ٦.

(٢) الذرية الطاهرة: ص ١٢٢ / ح ١٣٨.

أذكر أم أُنثى، فسمّوهم بالأسماء التي تكون للذكر والأُنثى، فإنَّ أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة ولم تسمّوهم، يقول السقط لأبيه: ألا سميتني، وقد سمّى رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً قبل أن يولد»[1].

التسمية بالأسماء العربية الجميلة

يفتخر البعض في أيامنا هذه باختيار الأسماء الأجنبية لأولادهم، ويغفلون - أو يتغافلون - عن حقيقة أَنَّ أسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام هي أحلى أسماء وأقربها إلى القلوب والنفوس. وقد صرّح النبي صلى الله عليه وآله بأَنَّ لسانه عربيّ، وأَنَّه - لذلك - يحبّ اختيار الاسم العربيّ الذي ينسجم مع اللغة العربية الجميلة. وقد ورد أَنَّ النبيّ غيّر أسماء بعض الأشخاص وكُناهم إلى أسماء وكنى أجمل، فقد كان عبيد بن عبد عمر الخزاعي يدعى (ذو الشمالين) فدعاه النبي (ذو اليمينين)، وكان اسم ابن أمِّ مكتوم (الحصين)، فسماه النبي (عبد الله)، وكان اسم ابن عبد ربه (غويّ)، فسمّاه النبي (راشد)، وكان اسم والد عبد الله بن مطيع (عاصي)، فسمّاه النبي (مطيع).

روى الصدوق بإسناده عن زيد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام، قال: **«لما ولدت فاطمة الحسن (عليهما السلام)، قالت لعلي (عليه السلام): سمّه. فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله. فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فأُخرج إليه في خرقة صفراء، فقال: ألم أنهكم أن تلفوه في (خرقة) صفراء، ثم رمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفه فيها، ثم قال لعلي عليه السلام: هل سمّيته؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه؟ فقال صلى الله عليه وآله: وما كنت لأسبق باسمه ربي عز وجل، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل**

(١) الكافي ٦: ١٨.

أَنَّه قد ولد لمحمد ابنٌ، فاهبط وأقرئه السلام وهنئه، وقل له: إنَّ علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون. فهبط جبرئيل عليه السلام فهنأه من الله عز وجل، ثم قال: إنَّ الله عز وجل يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون. قال: وما كان اسمه؟ قال: شبّر. قال: لساني عربي. قال: سمّه الحسن، فسمّاه الحسن. فلما ولد الحسين عليه السلام أوحى الله عز وجل إلى جبرئيل أَنَّه قد ولد لمحمد ابن، فاهبط إليه وهنئه، وقل له: إنَّ علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون. قال: فهبط جبرئيل فهنأه من الله تبارك وتعالى، ثم قال: إنَّ علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون. قال: وما اسمه؟ قال: شبير. قال: لساني عربي. قال: سمّه الحسين، فسمّاه الحسين»[١].

قال الشبراوي:... قد وَلَدَتْ الحسن عليه السّلام منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة على الأصح. فهو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي، سبط رسول الله صلّى الله عليه وآله وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة، الخليفة ابن الخليفة.

سمّاه جده صلّى الله عليه وآله الحسن، ولم يعرف ذلك الاسم في الجاهلية، ولما ولد أذّن النبي صلّى الله عليه وآله في أُذنه، وعقّ عنه بكبش، وأمر أمَّه فاطمة أن تحلق رأسه وتتصدق بوزن شعره فضة، ففعلت[٢].

قال عبد المنعم: فقد وضعت الزهراء عليها السّلام في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة غلاماً زكياً، كان أشبه الناس بجده خاتم الأنبياء والمرسلين، ولما ولد جاء رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: «**أروني ابني، ما سميتموه**»؟ قال علي عليه السّلام:

---

(١) أمالي الصدوق: ص١٩٨، المجلس السادس والعشرون.

(٢) الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي: ص ٣٣.

«سميته حرباً»، قال: «**بل هو حسن. وكان هذا هو الاسم الذي اختاره لحفيده، وهو اسم لم تكن العرب قد سمّت به من قبل، وكان أهل اليمن يسمون بعض أولادهم حسْن بسكون السين**».

وفي اليوم السابع لمولده أمر الرسول الكريم بحلق شعر رأسه والتصدق بزنة الشعر فضة، وبذبح شاة يوزع لحمها على الفقراء والمساكين تقرباً إلى الله تعالى[1].

أقول: جاء في بعض الروايات أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام سمى ولده حرباً؛ وفي بعضها أَنَّه عليه السلام همّ أن يسمّيه حرباً؛ وستأتي مناقشتها قريباً.

تسمية الوليدة بفاطمة ينفي الفقر من البيت

إسم (فاطمة) له خصوصيّة تنفي الفقر وتزيد البركة في البيت، فما أحلى هذا الاسم! وما أعظم بركته! يعجز الفقر أن يدخل بيتاً فيه هذا الاسم المبارك، لأَنَّ البركة تنفي الفقر، والنور ينفي الظلمة. فكم بيتاً من بيوتنا يزهو باسم (فاطمة)؟ ويتبارك باسم (محمد) و(أحمد) و(الحسن) و(الحسين)؟ يا سادتي أسماؤكم في الأسماء، ونفوسكم في النفوس، فما أحلى أسماءكم، وأكرم أنفسكم!

روى الكليني بإسناده عن سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «**لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم (محمد) أو (أحمد) أو (علي) أو (الحسن) أو (الحسين) أو (جعفر) أو (طالب) أو (عبد الله) أو (فاطمة) من النساء**»[2].

---

(١) خديجة أم المؤمنين لعبد المنعم: ص ٤٧٥، على ما في ملحقات الإحقاق.

(٢) الكافي – الشيخ الكليني ٦: ١٩.

وظائف الأب تجاه وليدته إذا سمّاها فاطمة

هناك في المقابل وظائف يتوجّب على الأب أن يلتزم بها إن هو سمّى ابنته (فاطمة)، فهذا الاسم الكريم المبارك له قدسيّة واحترام خاصان ينبغي رعايتهما.

روى الكليني عن السكوني قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا مغموم مكروب، فقال لي: «**يا سكوني مما غمك**»؟ قلت: وُلدت لي ابنة، فقال: «**يا سكوني على الأرض ثقلها وعلى الله رزقها، تعيش في غير أجلك، وتأكل من غير رزقك، فسرى والله عنّي، فقال لي: ما سمّيتها**»؟ قلت: فاطمة، قال: «**آه آه**»[١]، ثم وضع يده على جبهته فقال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حقّ الولد على والده إذا كان ذكراً أن يستفره أُمّه**[٢]**، ويستحسن اسمه، ويعلّمه كتاب الله، ويطهّره**[٣]**، ويعلّمه السباحة؛ وإذا كانت أُنثى أن يستفره أمّها، ويستحسن اسمها، ويعلّمها سورة النور، ولا يعلّمها سورة يوسف، ولا يُنزلها الغرف، ويعجّل سراحها إلى بيت زوجها، أما إذا سمّيتها فاطمة فلا تسبّها ولا تلعنها ولا تضربها**»[٤].

الإمام الباقر عليه السلام يحمّ فينادي باسم فاطمة بصوت عال

ذِكر اسم (فاطمة) عليها السلام له من الخصوصيّة والبركة بحيث إنَّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام كانوا إذا أصابتهم الحمّى نادوا باسمها بصوت عالٍ، وقد أوصوا شيعتهم – كما سيأتي في حديث الصفّار – أن يستشفعوا إلى الله تعالى بالزهراء عليها السلام في دفع الحمّى.

---

(١) تألمّ الإمام عليه السلام حين طرق سمعه اسم جدّته المظلومة.

(٢) أي يستكرمها ولا يسبّها.

(٣) أي بالختان.

(٤) الكافي – الشيخ الكليني ٦: ٤٨ – ٤٩/ ح٦.

روي أنَّ أبا جعفر الباقر (عليه السلام) إذا وُعك استعان بالماء البارد، ثم ينادي حتى يسمع صوته على باب الدار: «**يا فاطمة بنت محمد**»[١].

روى الكليني عن علي بن أبي حمزة، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: قال لي: إنِّي لموعوك منذ سبعة أشهر، ولقد وعك ابني اثني عشر شهراً، وهي تضاعف علينا، أشعرتَ أنَّها لا تأخذ في الجسد كله، ربما أخذتْ في أعلى الجسد ولم تأخذ في أسفله، وربما أخذتْ في أسفله ولم تأخذ في أعلى الجسد كله؟ قلت: جُعلتُ فِداك، إن أذنت لي حدّثتك بحديث عن أبي بصير، عن جدّك، أنَّه كان إذا وُعك استعان بالماء البارد، فيكون له ثوبان: ثوب في الماء البارد وثوب على جسده يراوح بينهما، ثم ينادي حتى يسمع صوته على باب الدار (يا فاطمة بنت محمد)، فقال: صدقت، قلت: جُعلت فداك، فما وجدتم للحمّى عندكم دواء؟ فقال: ما وجدنا لها عندنا دواء إلاَّ الدعاء والماء البارد، إنِّي اشتكيتُ فأرسل إلي محمد بن إبراهيم بطبيب له، فجاءني بدواء فيه قيء فأبَيْتُ أن أشربه، لأنِّي إذا قييت زال كلُّ مفصل مني[٢].

روى محمد بن الحسن الصفار يرفعه قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وأنا محموم، فقال لي: «**ما لي أراك ضعيفاً**»؟ فقلت: جُعلت فداك حمّى أصابتني، فقال: «**إذا حُمّ أحدكم فليدخل البيت وحده ويصلي ركعتَين ويضع خدّه الأيمن على الأرض ويقول: (يا فاطمة بنت محمد – عشر مرات – أستشفع بك إلى الله فيما نزل بي)، فإنَّه يبرأ إن شاء الله تعالى**».[٣]

---

(١) مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي ٨: ٢٤٥؛ بيت الأحزان للشيخ عباس القمي: ص١٢٤.

(٢) الكافي – الشيخ الكليني ٨: ١٠٨ – ١٠٩.

(٣) مكارم الأخلاق للطبرسي: ص ٣٩٦، صلاة للحمى.

موعد التهنئة بالمولود

عن الحسين بن خالد، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السّلام عن التهنئة بالولد متى؟ فقال: إنَّه قال: «**لما ولد الحسن بن علي عليهما السّلام هبط جبرئيل بالتهنئة على النبي صلّى الله عليه وآله في اليوم السابع وأمره أن يسميه ويكنّيه، ويحلق رأسه ويعقّ عنه ويثقب أُذنه. وكذلك كان حين ولد الحسين عليه السّلام، أتاه في اليوم السابع فأمره بمثل ذلك**»[1].

نظرة في تسمية أمير المؤمنين الحسنين عليهم السلام

أقول: جاء في بعض الروايات أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لما ولد ابنه الحسن همّ أن يسميه حرباً، وعلل ذلك بكون عليه السلام يحب الحرب، فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله الحسن. ثم إنَّه لما ولد الحسين همّ أن يسمّيه حرباً، فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله الحسين.

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي: «**كنت رجلاً أحبّ الحرب، فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حرباً؛ لأنّي كنت أحب الحرب، فسماه رسول الله صلّى الله عليه وآله الحسن.**

فلما ولد الحسين هممت أن أسميه حرباً؛ لأنّي كنت أحب الحرب، فسماه رسول الله صلّى الله عليه وآله الحسين، فقال: إنّي سميت ابنيّ هذين باسم ابني هارون شبّر وشبير»[2].

عن علي – عليه السلام – عنه قال: «**لما ولد الحسن سميته حرباً فجاء النبي صلى**

---

(١) الكافي ٦: ٣٣/ ح ٦.

(٢) تاريخ دمشق ١٣: ١٧١ /ح ٣١٢٦.

الله عليه (وآله) وسلم فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ قلنا: حرباً؛ قال: بل هو حسن؛ فلما ولد الحسين سميته حرباً، فجاء النبي صلى الله عليه (وآله)وسلم قال: أروني ابني ما سميتموه؟ فقلنا: سميناه حرباً، فقال: بل هو حسين؛ فلما ولد الثالث سميته حرباً، فجاء النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم فقال: أروني ابني ما سميتموه؟ فقلنا: سميناه حرباً، فقال: بل هو محسن؛ ثم قال: إنّما سميتهم بولد هارون شبر وشبير ومشبر. خرجه أحمد وأبو حاتم»[1].

وهذه الأحاديث هي من الموضوعات لاعتبارات كثيرة، منها:

١- إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يوصي بتسمية الأولاد قبل أن يولدوا، فكيف يولد له مولودان دون أن يكون قد سمّاهما؟ قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «**سمّوا أولادكم قبل أن يولدوا، فإن لم تدروا أذكر أم أُنثى فسموهم بالأسماء التي تكون للذكر وللأُنثى؛ فإنَّ أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة ولم تسموهم يقول السقط لأبيه: ألا سمّيتني وقد سمى رسول الله صلّى الله عليه وآله محسناً قبل أن يولد؟!**»[2]

٢- أنَّ هناك أحاديث متكاثرة أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام صرّح بأنَّه لم يكن ليسبق رسول الله صلّى الله عليه وآله في تسمية الحسنين.

فقد روي عن جابر بن عبد الله، قال: لما ولدت فاطمة عليها السّلام الحسن عليه السّلام قالت لعلي عليه السّلام: سمّه. فقال: «**ما كنت لأسبق باسمه رسول الله صلّى الله عليه وآله**». فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**ما كنت لأسبق باسمه ربي عز وجل**».

---

(١) ذخائر العقبى – أحمد بن عبد الله الطبري: ص ١١٩.

(٢) الكافي ٦: ١٨ / ح ٢.

فأوحى الله جل جلاله إلى جبرئيل عليه السّلام: «**أنَّه قد ولد لمحمد ابن، فاذهب إليه وهنّئه وقل له: إنَّ علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون**». فهبط جبرئيل عليه السّلام فهنأه من الله تعالى جلّ جلالُه، ثم قال: «**إنَّ الله يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون**». قال: «**وما كان اسمه**»؟ قال: شبر. قال: لساني عربي. فقال: سمه الحسن؛ فسماه الحسن[1].

٣- نسي الراوي (في رواية المحب الطبري) أنَّ المحسن عليه السلام لم يولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ليمكن الزعم أنَّ النبي صلى الله عليه وآله غيّر اسمه، بل لم يولد المحسن عليه السلام قط، فقد كان سقطاً ولد ميتاً إِثر الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان النبي صلى الله عليه وآله قد سمّاه محسناً قبل ولادته، فمتى تأتى لأمير المؤمنين عليه السلام تسميته حرباً!!

٤- لاحظ التكرار المستهجن في حديث ابن عساكر لعبارة (كنت أحب الحرب) ثلاث مرات خلال الحديث دون داع!! اللهم إلاَّ للتأكيد (من قبل الراوي المختلق) على هذا الحب الغريب للحرب!

٥- ولاحظ أيضاً الإصرار المزعوم من أمير المؤمنين عليه السلام على هذه التسمية العجيبة، مع أنَّه يلاحظ إصرار النبي صلى الله عليه وآله على رفض هذه التسمية!

٦- كما نلاحظ أنَّ اسم (حرب) هو اسم جدّ معاوية، وهو اسمٌ مكروه لا يليق لشخص عاديّ أن يسمّي به، فما بالك بأمير المؤمنين الذي يزعمون أنَّه أراد أن يسمّي به الحسنين وهما سيّدا شباب أهل الجنّة!

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٢١٠.

الأذان والإقامة في أُذني المولود

ورد استحباب أن يؤذَّن في أُذن المولود اليمنى ويُقام في اليسرى ليكون ذلك له عصمة من الشيطان، وهكذا تُغرس ركائز التوحيد في نفس الوليد مع بدء حياته، وهكذا يجري إيجاد أنس بين نفس الوليد وبين الصلاة التي هي عمود الدين وركيزته. وينبغي ألا يتصوّر أحد أَنَّ هذا الوليد الصغير (الذي هو قابليّة محضة) لا يتأثّر بما يُفعل به من هذه السنن، فإنَّ النفس المستعدّة القابلة التي لم تلوّثها المعاصي لها قابلية كبيرة على الانجذاب للأُمور المعنويّة.

عن علي عليه السّلام، إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «**من ولد له مولود فليؤذّن في أُذنه اليمنى وليُقِم في اليسرى، فإنَّ ذلك عصمة من الشيطان، وإنَّه أمر صلّى الله عليه وآله أن يُفعل ذلك بالحسن والحسين، وأن يُقرأ مع الأذان في آذانهما فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآخر سورة الحشر وسورة الإخلاص والمعوذتان**»[1].

عن جابر، قال: لما حملت فاطمة عليها السّلام بالحسن فولدت، وقد كان صلّى الله عليه وآله أمرهم أن يلفّوه في خرقة بيضاء فلفّوه في صفراء، وقالت فاطمة عليها السّلام: «**يا علي! سمّه. فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله صلّى الله عليه وآله**». فجاء صلّى الله عليه وآله فأخذه وقبّله وأدخل لسانه في فيه، فجعل الحسن عليه السّلام يمصّه.

ثم قال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**ألم أتقدّم إليكم أن تلفّوه في خرقة بيضاء؟! فدعا بخرقة بيضاء فلفّه فيها ورمى بالصفراء، وأذّن في أُذنه اليمنى، وأقام في اليسرى**»- الحديث[2].

---

(١) دعائم الإسلام ١: ١٤٧؛ مستدرك الوسائل ١٥: ١٣٧.

(٢) علل الشرايع ١: ١٣٨، الباب ١١٦.

وروي مرفوعاً إلى علي أبيه عليه السّلام: لما حضرت ولادة فاطمة عليها السّلام، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأسماء بنت عميس وأمّ سلمة: «**احضرا فاطمة، فإذا وقع ولدها واستهلّ صارخاً فأذّنا في أُذنه اليمنى، وأقيما في أُذنه اليسرى؛ فإنَّه لا يُفعل ذلك بمثله إلاّ عُصم من الشيطان، ولا تُحدثا شيئاً حتى آتيكما**».

فلمّا ولدت فعلتا ذلك، وأتاه رسول الله صلّى الله عليه وآله فسرّه ولبّأه بريقه، وقال: «**اللهم إنيِّ أُعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم**»(١).

تحنيك المولود

قال الشهيد الثاني: (في بعض الأخبار: حنّكوا أولادكم بماء الفرات، وتربة الحسين عليه السلام فإن لم يكن فماء السماء، والمراد بالتحنيك إدخال ذلك إلى حنكه وهو أعلى داخل الفم. وكذا يستحب تحنيكه بالتمر، بأن يمضغ التمرة ويجعلها في فيه ويوصلها إلى حنكه بسبّابته حتى يتحلل في حلقه).(٢)

عن الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام، قال: «**حنّكوا أولادكم بالتمر، فكذا فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله بالحسن والحسين عليهما السّلام**»(٣).

وروى الكليني عن يونس، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «**حنكوا أولادكم بماء الفرات وبتربة قبر الحسين عليه السلام فإن لم يكن فبماء السماء**».(٤)

(١) نور الأبصار: ص ١٣١.

(٢) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثاني ٥: ٤٤٢.

(٣) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ١٠١: ١٢٣ / ح ٧٢، عن مكارم الأخلاق.

(٤) الكافي الشيخ الكليني ٦: ٢٤/ ح٤.

نظرة في رضاعة الوليد

حث الإسلام على أمر رضاعة الأطفال من قبل أمَّهاتهم، وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله: «**ليس للصبي لبن خير من لبن أمِّه**»(١).

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمِّه**»(٢).

وقد ورد في الحديث الشريف أنَّ اللبن يغلب الطباع، أي أنَّ طباع الظئر (المرضع) ستنتقل إلى الطفل فتغلب طباعَه التي ورثها عن أبويه، ولذلك روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**لا تسترضعوا الحمقاء، فإنَّ اللبن يغلب الطباع**»(٣). وروي عنه عليه السلام أنَّه قال: «**توقّوا على أولادكم لبن البغيّ من النساء والمجنونة، فإنَّ اللبن يعدي**»(٤).

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء، فإنَّ اللبن يعدي**»(٥).

وقد أكد أئمة أهل البيت على أمر تخيّر المرضع العفيفة العاقلة المسلمة الوضيئة الحسنة، وأكدوا أنَّ أمر إرضاع الطفل ينبغي أن لا يقل الاهتمام به عن الاهتمام بأمر الزواج واختيار المرأة الصالحة للزواج منها. روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «**تخيّروا للرضاع كما تتخيرون للنكاح، فإنَّ الرضاع يغيّر الطباع**»(٦).

---

(١) بحار الأنوار ١٠٠: ٣٢٤.

(٢) الكافي ٦: ٤٠ / ح١.

(٣) بحار الأنوار ١٠٠: ٣٢٤.

(٤) بحار الأنوار ١٠٠: ٣٢٣.

(٥) بحار الأنوار ١٠٠: ٣٢٣.

(٦) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ١٠٠: ٣٢٣.

ونلاحظ أنَّ الإسلام أولى أمر الرضاع اهتماماً خاصاً، فرتّب عليه أمر الحرمة بالرضاع، واعتبرها مماثلة للحرمة بالنسب. وقد روى الكليني بإسناده عن حماد ابن عثمان، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «**لا يحرم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم والدم**»[١].

وقد جاء في تفسير الأمثل في بيان فلسفة نشوء الحرمة بالرضاعة:

(وفلسفة حرمة الزواج بالمحارم الرضاعية هي، أنَّ نشوء ونبات لحم المرتضع وعظمه من لبن امرأة معينة تجعله بمثابة ابنها الحقيقي، فالمرأة التي ترضع طفلاً مقداراً معيناً من اللبن ينشأ وينبت معه ومنه للطفل لحم وعظم، فإنَّ هذا النوع من الرضاع يجعل الطفل شبيهاً بأبنائها وأولادها لصيرورته جزءاً من بدنها كما هم جزء من بدنها، فإذا هم جميعاً – أي الإخوة الرضاعيون والإخوة النسبيون– كأنَّهم إخوة بالنسب)[٢].

روى الكليني بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**عرضتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله ابنةَ حمزة، فقال: أما علمتَ أنَّها ابنة أخي من الرضاع**»؟[٣]

إتمام الرضاعة لسنتين

حدد الإسلام فترة الحمل والرضاعة بثلاثين شهراً، فإذا طرحنا فترة الحمل العادية (وهي تسعة أشهر)، بقيت فترة الرضاع واحداً وعشرين شهراً. ونلاحظ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام ولد لستة أشهر، فأرضعته الزهراء عليها السلام سنتين لتتمّ فترة

(١) الكافي – الشيخ الكليني ٥: ٤٣٨.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٣: ١٧٣.

(٣) الكافي ٥: ٤٣٧ / ح٤.

الثلاثين شهراً. وقد ورد في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**الرضاع واحد وعشرون شهراً، فما نقص فهو جور على الصبي**»(١).

روى الشيخ الطوسي عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: «**حَمْلُ الحسين بن علي عليهما السّلام ستة أشهر وأُرضع سنتين**»، وهو قول الله عز وجلّ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾(٢).

وجاء في المعارف لابن قتيبة: والحسين ولد بعد الحسن بعشرة أشهر واثنين وعشرين يوماً، كانت فاطمة عليها السّلام حملت به بعد أن ولدت الحسن بشهر واثنين وعشرين يوماً، أرضعته وهي حامل، ثم أرضعتهما جميعاً(٣).

وليس يحرم النكاح من الرضاع إلا ما كان في الحولَين قبل الكمال، فأما ما حصل بعد الحولين فإنَّه ليس برضاع يحرم به النكاح. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا رِضاعَ بعد فِطام، ولا يُتم بعد احتلام. ولو أرضعت امرأةٌ صبياً قد أكمل سنتين، وكانت لها بنت لجاز التناكح بينهما، إذ هو رضاعٌ بعد انقضاء أيّامه وحدّه**»(٤).

رضاعة الزهراء عليها السلام أولادها

أرضعت سيدة النساء عليها السلام أولادها، وربّتهم في حجرها الطاهر، وغذّتهم مع اللبن الإباء والفضيلة والشرف، لم يشغلها عن إرضاع أولادها وتربيتهم والعناية بهم أنّها كانت تعجن وتخبز وتطحن وتقوم بأعمال البيت حتى مجلت يداها، يشهد على ذلك

(١) الكافي ٦: ٤٠ / ح٣.

(٢) أمالي الطوسي ٢: ٢٣٤؛ بحار الأنوار ٤٣: ٢٥٨ / ح ٤٥، عن أمالي الشيخ.

(٣) ملحقات إحقاق الحق ٢٧: ١٠، عن المعارف.

(٤) المقنعة للشيخ المفيد: ص ٥٠٣، ما يحرم النكاح من الرضاع، وما لا يحرم منه.

دمها السائل الذي رآه سلمان على عمود الرحى، وحين عرض عليها سلمان مساعدتها في شيء من أعمال البيت أو القيام بإسكات طفلها، أبت أن توكل إليه أمر طفلها وقالت: ﴿**أنا بتسكينه أرفق!**﴾ ونرى نموذجاً لنتائج هذه التربية في موقف ولدها الإمام الحسين عليه السلام حين خُيّر بين الموت وبين الذلّة، إذ قال عليه السلام: «**هيهات منّا الذلّة**»! ثم فسّر عليه السلام موقفه ذلك بقوله: «**يأبى الله لنا ذلك ورسولُه والمؤمنون وحجور طابت وطهرت**»!! هكذا تفعل التربية أثرها، وهكذا تؤتي الشجرة الطيبة ثمارها! وفي المقابل يحدثنا التاريخ عن أُمَّهات أنجبن أطفالاً بطريقة ما، فألقينهم بعيداً دونما رعاية ولا تربية، فنشأوا عتاة مجرمين سودوا صحائف التاريخ. يحدثنا الزمخشري في ربيع الأبرار في كيفية ولادة معاوية بن أبي سفيان، أنَّ الصباح كان عسيفاً لأبي سفيان، فدعته هند إلى نفسها... وأنَّها كرهت أن تضعه في منزلها، فخرجت به إلى (أجياد) فوضعته هناك. وفي ذلك يقول حسان ابن ثابت:

لمن الصبيّ بجانب البطحاء ... ملقىً غير ذي مهدِ
نجلت به بيضاءُ آنسة ... من عبد شمسٍ صلتة الخدِّ[1]

وهكذا تؤتي الشجرة الخبيثة ثمارها مرّة فجّة؛ فشتّان بين هذه وتلك!!

الزهراء عليها السلام تستلقي وابنها نائم على صدرها

صورة رائعة من صور تعلّق الزهراء عليها السلام بأطفالها، حيث نشاهد أَنَّ الزهراء الحانية عليها السلام لا تغفل عن طفلها وفلذة كبدها في أشدّ حالات التعب والإرهاق، فلا تُبعده عنها ولو قدراً يسيراً، بل ينام ولدها وريحانتها على صدرها المكدود وادعاً

(١) انظر: ربيع الأبرار ٤: ٤٤٧.

مطمئناً. فسلام على الزهراء الحانية الرؤوف ما بقي الليل والنهار!

روى الراوندي عن سلمان، قال: كانت فاطمة عليها السّلام جالسة، قدّامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين عليه السّلام في ناحية الدار يبكي. فقلت: يا بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله! دبرت كفّاك وهذه فضة! فقالت: أوصاني رسول الله صلّى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يوماً ولي يوماً، فكان أمس يوم خدمتها. قال سلمان: إنّي مولى عتاقة، إما أن أطحن الشعير أو أُسكت لك الحسين عليه السّلام؟ فقالت: أنا بتسكنيه أرفق، وأنت تطحن الشعير.

فإذا أنا بالإقامة؛ فمضيت وصلّيت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله. فلما فرغت قلت لعلي عليه السّلام ما رأيتُ، فبكى وخرج، ثم عاد يتبسم. فسأله عن ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: دخلت على فاطمة عليها السّلام وهي مستلقية لقفاها والحسين عليه السّلام نائم على صدرها وقدّامها الرحى تدور من غير يد! فتبسّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال:

«يا علي، أما علمتَ أنَّ لله ملائكة سيّارة في الأرض، يخدمون محمداً وآل محمد إلى أن تقوم الساعة»؟(١)

الزهراء تتأسى في رضاعة أطفالها بأُمِّها خديجة

أرضعت الزهراء أولادها، وتأسّت في ذلك بأُمِّها خديجة عليهما السلام التي أرضعتها ولم تسلّمها - دونما ضرورة ماسة - إلى مرضع. وقد تحدّثنا عن الآثار الكبيرة لرضاعة الأُمِّ للطفل، فلا نكرر.

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٥٣٠.

روى ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: كانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته لمن يرضعه، فلما ولدت فاطمة لم تُرضعها أحداً غيرها. ورواه ابن كثير في البداية والنهاية[١].

تعويذ المولود الجديد

تعويذ المولود والصبيّ من الشيطان سُنّة، كما أَنَّ تعويذ الصبيّ بالمعوّذتين (وهما سورتا الفلق والناس) من شأنه أن يُبعد الشيطان عن الصبيّ. إنَّ تحصين نفس الوليد بأسماء الله تعالى من شأنه أن يوجد أُنساً في نفس الوليد بتلك الأسماء المباركة المقدّسة، وأن يفتح في نفسه آفاقاً طاهرة واسعة.

روى الدولابي عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قال: «**حدثتني أُمِّي فاطمة بنت الحسين عن فاطمة الكبرى بنت محمد: أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعوّذ الحسن والحسين ويعلّمهما هؤلاء الكلمات كما يعلمهما السورة من القرآن، يقول: أعوذ بكلمات الله التامة من شرّ كل شيطان وهامة، وكل عين لامة**»[٢].

عن علي عليه السّلام: إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «**من وُلد له مولود فليؤذّن في أُذنه اليمنى، وليُقم في اليسرى؛ فإنَّ ذلك عصمة من الشيطان. وإنَّه أمر أن يُفعل ذلك بالحسن والحسين، وأن يُقرأ مع الأذان في أُذنهما فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآخر سورة الحشر وسورة الإخلاص والمعوّذتان**»[٣].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣: ١٢٨.

(٢) الذرية الطاهرة النبوية – محمد بن أحمد الدولابي: ص ١٤٩.

(٣) مستدرك الوسائل ١٥: ١٣٧، عن دعائم الإسلام.

ختان المولود الذكر

الختان من الواجبات، وهو طهارة للوليد، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين صباحاً!

وجرت السنّة أن يُختن المولود وهو صغير لسبع ليال، ففي ذلك العمر تكون هذه العمليّة أسهل وأسرع التئاماً ولا تسبب حرجاً للصغير.

روى الكليني عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طهّروا أولادكم يوم السابع فإنَّه أطيب وأسرع لنبات اللحم، وإنَّ الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين صباحاً**»[1].

وروى الكليني عن عبد الله بن المغيرة، عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**المولود يُعقّ عنه ويُختن لسبعة أيام**»[2].

قال الباقر عليه السّلام: «**ختن صلّى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السّلام لسبع ليالٍ وحلق رؤوسهما، وتصدّق بزنة الشعر فضة أو ذهباً**»[3].

الاستعانة بالمرضعات والمربيات عند الضرورة

أرضعت الزهراء عليها السلام ولديها، وقد ورد أَنَّها مرضت بعد ولادة الحسين عليه السلام، فأوكلت أمر رضاعته مؤقتاً لأُمِّ الفضل - أو لأُمِّ أيمن، وجاء في رواية أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُلقم الحسين إبهامه فيمصّها على سبيل الإعجاز.

---

(١) الكافي ٦: ٣٥/ ح٢.

(٢) الكافي ٦: ٣٥/ ح٩.

(٣) روضة الواعظين: ص١٥٥.

روي عن أمِّ الفضل زوجة العباس أنّها قالت: قلت: يا رسول الله! صلّى الله عليك، رأيت في المنام كأنَّ عضواً من أعضائك في حجري. فقال: «**تلد فاطمة غلاماً فتكفليه**».

فوضعت فاطمة الحسن فدفعه إليها النبي صلّى الله عليه وآله، فرضعته بلبن قثم بن العباس.

وفي أكثر المصادر الآتية: (الحسين)، مكان (الحسن)[1].

عن الشعبي، قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يمر على بيت أُمِّ الفضل إذا أتى المسجد فيسلّم عليها، فمر عليها يوماً فنكتت رأسها، فأنكر النبي صلّى الله عليه وآله ذلك منها، فقال: «**ما لك يا أمَّ الفضل**»؟ فقالت: لا والله إلاّ أنّي رأيت رؤيا شقّت عليّ، قال: «**ما هي**»؟ قالت: عضو من أعضائك رأيته في بيتي. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**نعم، فاطمة حبلى، تلد غلاماً تجعله عندك فتربّينه**»[2].

عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: «**أقبل جيران أُمِّ أيمن إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله! إنَّ أمَّ أيمن لم تنم البارحة من البكاء، لم تزل تبكي حتى أصبحت.**

قال: فبعث رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أمِّ أيمن فجاءته، فقال لها: يا أمَّ أيمن! لا أبكى الله عينك، إنَّ جيرانك أتوني وأخبروني أنّك لم تزل الليل تبكين أجمع، فلا أبكى الله عينك، ما الذي أبكاك؟

قالت: يا رسول الله! رأيت رؤيا عظيمة شديدة، فلم أزل أبكي الليل أجمع. فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنَّ الرؤيا ليست على ما ترى، فقصّيها على رسول الله صلّى الله عليه وآله.

(١) بحار الأنوار ٤٣: ٢٤٢ / ح ١٤، عن العدد.

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام ٢: ١٩٩ / ح ٦٧٢.

قالت: رأيت في ليلتي هذه كأنَّ بعض أعضائك ملقى في بيتي. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: نامت عينك يا أمَّ أيمن! تلد فاطمة الحسين فتربّينه وتلبّينه، فيكون بعض أعضائي في بيتك.

فلما ولدت فاطمة عليها السّلام الحسين عليه السّلام فكان يوم السابع أمر رسول الله فحلق رأسه وتصدّق بوزن شعره فضة، وعقّ عنه، ثم هيّأته أمُّ أيمن ولفته في برد رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثم أقبلت به إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: مرحباً بالحامل والمحمول، يا أُمَّ أيمن! هذا تأويل رؤياك»[١].

عن أبي الفضل بن خيرانة، بإسناده: أنّه اعتلّت فاطمة عليها السّلام لما ولدت الحسين وجفّ لبنها، فطلب رسول الله مرضعاً، فلم يجد، فكان يأتيه ويلقمه إبهامه فيمصّها، فيجعل الله له في إبهام رسول الله صلّى الله عليه وآله رزقاً يغذوه. ويقال: بل كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يدخل لسانه في فيه، فيغرّه كما يغرّ الطير فرخه، فيجعل الله له في ذلك رزقاً، ففعل ذلك أربعين يوماً وليلة فنبت لحمه من لحم رسول الله صلّى الله عليه وآله[٢].

الفترة بين حمل وآخر

حثّ الإسلام على التزويج وزيادة النسل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله «**تناكحوا تناسلوا فإنّي أُباهي بكم الأُمم يوم القيامة، حتى أنَّ السقط ليجيء محبنطئاً على باب الجنة، فيقال له: ادخل، فيقول: لا حتى يدخل أبواي قبلي**»[٣]، وقال صلى الله عليه وآله «**ولمولودٌ**

(١) أمالي الصدوق: ص١٣٤، المجلس العشرون؛ بحار الأنوار ٤٣: ٢٤٢ / ح ١٥، عن أمالي الصدوق.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢٤٢ / ح ١٥، عن أمالي الصدوق.

(٣) مفاتيح الشرائع للفيض الكاشاني ٢: ٢٣١.

في أُمَّتي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»[1]. وتنطلق في مجتمعاتنا المسلمة الحاضرة – مع بالغ الأسى – دعوات إلى تقليل النسل والاكتفاء منه بأقل القليل، متذرّعة بذرائع شتى يرجع معظمها إلى الوضع الاقتصاديّ للعائلة، وبعض هذه الدعوات يخاطب المرأة مخاطبة الشفيق الناصح، فيحذّرها بأَنَّ الحمل المتكرر يضرّ بصحتها ويعجّل لها الهرم، ويسبب لها هشاشة العظام، أو أنَّه يضرّ بنضارتها وجمالها على أقل التقادير.

وقد روى ابن الأثير الجزري عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «**لم يكن بين الحمل بالحسين بعد ولادة الحسن عليه السّلام إلاّ طهر واحد**».[2]

وقال ابن الأثير الجزري: قيل: ولد الحسن بن علي عليه السّلام في النصف من شهر رمضان، وفيها علقت فاطمة عليها السّلام بالحسين عليه السّلام، وكان بين ولادتها وحملها خمسون يوماً[3].

قال القيرواني في ذكر السنة الثالثة:... فيقال: فيها ولد الحسن بن علي عليه السّلام في النصف من شهر رمضان، وفيها علقت فاطمة عليها السّلام بالحسين عليه السّلام، فلم يكن بينه وبين الحسن عليه السّلام إلاّ طهر واحد، ويقال: خمسون ليلة[4].

الأم أرفق بولدها

كان دأب الزهراء عليها السلام أن تهتمّ بأطفالها وتجهد في أن يكونوا على القُرب منها رفقاً بهم، وحين يعرض عليها أحد مساعدتها بتسكيت أطفالها أو إنجاز عمل من أعمال البيت، نراها تؤثر أن تكون إلى القرب من أطفالها، وتأبى أن تكلهم إلى أحد غيرها. ومَن

---

(١) مستدرك الوسائل للمحدث النوري ١٤: ١٥٣.

(٢) أسد الغابة ٢: ١٨.

(٣) الكامل في التاريخ ٢: ١١٥.

(٤) كتاب الجامع في السنن والآداب: ص ٣٠١/ ح ٢٤٩.

مثل الأُمِّ العطوف أرحم بأطفالها وأقدر على تسكينهم وتلبية احتياجاتهم؟

سلمان، قال: كانت فاطمة عليها السّلام جالسة، قدّامها رحى تطحن بها الشعير، وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين عليه السّلام في ناحية الدار يبكي. فقلت: يا بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله! دبرتْ كفّاك، وهذه فضة! فقالت: «**أوصاني رسول الله صلّى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يوماً ولي يوماً، فكان أمس يوم خدمتها**». قال سلمان: إنِّي مولى عتاقة، إما أن أطحن الشعير أو أُسكت لك الحسين عليه السّلام؟ فقالت: «**أنا بتسكنيه أرفق، وأنت تطحن الشعير**».

فإذا أنا بالإقامة؛ فمضيت وصلّيت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، فلما فرغت قلت لعلي عليه السّلام ما رأيت، فبكى وخرج، ثم عاد يتبسم. فسأله عن ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: دخلت على فاطمة عليها السّلام وهي مستلقية لقفاها والحسين عليه السّلام نائم على صدرها وقدّامها الرحى تدور من غير يد! فتبسّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: «**يا علي، أما علمت أنَّ لله ملائكة سيارة في الأرض، يخدمون محمداً وآل محمد إلى أن تقوم الساعة**»؟[1]

بينما النبي صلّى الله عليه وآله والناس في المسجد ينتظرون بلالاً أن يأتي فيؤذّن، إذ أتى بعد زمان. فقال له النبي صلّى الله عليه وآله: «**ما حبسك يا بلال**»؟! فقال: إنِّي اجتزت بفاطمة عليها السّلام وهي تطحن، واضعة ابنها الحسن عليه السّلام عند الرحى وهي تبكي؛ فقلت لها: أيما أحبّ إليك، إن شئتِ كفيتُك ابنك، وإن شئتِ كفيتك الرحى؟ فقالت: «**أنا أرفق بابني**». فأخذتُ الرحى فطحنتُ، فذاك الذي حبسني. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**رحمتَها رحمك الله**»[2].

---

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٥٣٠.

(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٧٦ / ح ٦٣، عن تنبيه الخاطر.

الإسلام دينُ الرفق

مرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان، وفيها تبدأ ملامح شخصيّته بالتشكّل، ولا يخفى دور الآثار النفسية المتولدة في نفس الطفل في تلك الفترة. وفي هذا الصدد نجد أنَّ الإسلام – وهو دين الرفق والرحمة – يوصي بعدم إدخال أيّ نوع من الأذى على الطفل الصغير، لأنَّه سيكون له آثار تربوية ونفسيّة ضارة في نفس الطفل. وفي الروايات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله نجده ينهى عن إزرام الطفل، والإزرام هو قطع البول. ولا يخفى أن إيذاء الطفل وضربه أو إزرامه عند تبوّله أمرٌ سيترك آثاره الضارة على نفسيّة الطفل وصحّته. ولا ريب أنَّ أمراً يُزال برشّه بالماء أو بغسل الثوب بالماء لا يستحقّ إيذاء الطفل من أجله، خاصّة وأَنَّ الطفل لا يمكنه السيطرة على إدراره كالكبار.

ومن هنا نرى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وهو ينبّه أُمَّ الفضل إلى أَنَّها أوجعت الحسن (أو الحسين)، وأَنَّ الرداء والثوب يمكن أن يُنضح بالماء فيطهر، وفي المقابل فإنَّ الأثر الذي يتركه عقاب الطفل وزجره لا يمكن إزالته من نفسه بسهولة.

أخرج الحاكم النيسابوري عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أُمِّ الفضل قالت: دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أُرضع الحسين بن علي بلبن ابن كان يقال له قثم. قالت: فتناوله رسول الله صلى الله عليه وآله فناولته إياه، فبال عليه. قالت: فأهويت بيدي إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تزرمي ابني**». قالت: فرشّه بالماء[1].

وروى ابن أبي شيبة بإسناده عن قتادة عن أبي جعفر قال: دخل النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم على أُمِّ الفضل ومعها حسين فناولته إياه فبال على بطنه أو على صدره،

(١) المستدرك – الحاكم النيسابوري ٣: ١٨٠.

فأرادت أن تأخذه منه، فقال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم: «**لا تزرمي ابني، فإنّ بول الغلام يُرشح أو يُنضَح، وبول الجارية يُغسل**»[1].

روى محمد بن سعد عن سماك بن حرب أَنَّ أُمَّ الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب قالت: يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم كأَنَّ عضواً من أعضائك في بيتي! قال: «**خيراً رأيت؛ تلد فاطمة غلاماً وترضعينه بلبان ابنك قثم**». قال: فولدت الحسين فكفلته أُمُّ الفضل. قالت: فأتيت به رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فهو ينزيه ويقبّله إذ بال على رسول الله، فقال: يا أُمَّ الفضل أمسكي ابني فقد بال علي. قالت: فأخذته فقرصته قرصة بكى منها وقلت: آذيت رسول الله بلت عليه؛ فلما بكى الصبي قال: «**يا أمّ الفضل آذيتني في بني أبكيته**»! ثم دعا بماء فحدره عليه حدراً، ثم قال: «**إذا كان غلاماً فاحدروه حدراً، وإذا كان جارية فاغسلوه غسلاً**»[2].

الزهراء تحمل ولدها المريض إلى أبيها ليدعو له

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**اعتلّ الحسين عليه السلام، فاحتملته فاطمة عليها السلام فأتت النبي صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله ادعُ الله لابنك أن يشفيه، فقال صلى الله عليه وآله: يا بنية إنَّ الله هو الذي وهبه لك، وهو قادر على أن يشفيه، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إنَّ الله تعالى جدّه لم ينزل عليك سورة من القرآن إلاَّ فيها (فاء)، وكل (فاء) من آفة ما خلا الحمد فإنَّه ليس فيها (فاء)، فادعُ بقدح من ماء فاقرأ فيه الحمد أربعين مرة، ثم صبّ عليه فإنَّ الله يشفيه، ففعل ذلك، فعوفي بإذن الله**»[3].

(١) المصنف – ابن أبي شيبة الكوفي ١: ١٤٥.

(٢) الطبقات الكبرى – محمد بن سعد ٨: ٢٧٨ – ٢٧٩.

(٣) الدعوات – قطب الدين الراوندي: ص ١٨٨ – ١٨٩.

أقول: سيأتي في الفصل الثالث عشر حديثان عن الزهراء عليها السلام في الرفق بالصبي الصغير.

الاهتمام بالأُمور الدينية في التربية

اقتفت الزهراء عليها السلام أثر أبيها المرسل صلى الله عليه وآله، فكانت تتأهّب للعشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، ولليلة القدر على وجه الخصوص. وكانت تداوي أولادها بقلّة الطعام ولا تدع أحداً منهم ينام في لية القدر، فهي الليلة التي وصفها الله تعالى بأنّها خيرٌ من ألف شهر، وهي الليلة التي تتنزّل الملائكةُ والروح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر! ولا ريب أنّ المحروم هو مَن حُرم خيرَ ليلة القدر على حدّ تعبير الزهراء عليها السلام.

عن علي عليه السّلام: «**إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يطوي فراشه ويشدّ مئزره في العشر الأواخر من شهر رمضان، وكان يوقظ أهله ليلة ثلاث وعشرين، وكان يرشّ وجوه النيام بالماء في تلك الليلة، وكانت فاطمة عليها السّلام لا تدع أحداً من أهلها ينام تلك الليلة وتداويهم بقلّة الطعام وتتأهّب لها من النهار وتقول: محرومٌ مَن حُرم خيرها**»[1].

تشجيع الأطفال في التعلّم

تُصغي الزهراء لصغيرها الحسن عليهما السلام وهو يُلقي إليها ما يحفظ من الوحي في مجلس جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يخفى ما لهذه العناية والإصغاء من أثر

(١) دعائم الإسلام للمغربي ١: ٢٨٢.

كبير في نفس الصغير الذي يجد من يُصغي إليه ويُشجّعه على الحفظ والاكتساب. ونجد صورة أُخرى تعبّر عن جدّية هذا الاهتمام في أنَّ الزهراء عليها السلام كانت تنقل لأمير المؤمنين عليه السلام من العِلم الذي كانت تسمعه من صغيرها المجتبى عليه السلام، حتى سألها أميرُ المؤمنين أن يتخفّى يوماً في الدار ليستمع بنفسه إلى كلام ولده المجتبى.

أبو السعادات في الفضائل أنَّه أملاه الشيخ أبو الفتوح في مدرسة الناجية أنَّ الحسن بن علي عليهما السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن سبع سنين فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي أُمَّه فيلقي إليها ما حفظه، فلما دخل علي عليه السلام وجد عندها علماً، فسألها عن ذلك فقالت: «**من ولدك الحسن**»، فتخفّى يوماً في الدار وقد دخل الحسن وقد سمع الوحي فأراد أن يلقيه إليها فارتج عليه، فعجبت أُمُّه من ذلك فقال: «**لا تعجبي يا أمّاه فإنَّ كبيراً يسمعني، واستماعه قد أوقفني؛ فخرج علي فقبّله. وفي رواية: يا أمّاه قلّ بياني، وكلّ لساني، لعلّ سيّداً يرعاني**»[(١)].

المساواة بين الأولاد

المساواة بين الأولاد أمر مهم، فقد حدّثنا القرآن الكريم أنَّ أولاد النبي يعقوب انزعجوا كثيراً حين لاحظوا أنَّ أباهم يحبّ يوسف أكثر منهم، وأنَّهم كادوا ليوسف وأجمعوا على قتله ليخلو لهم وجهُ أبيهم، غير عالمين أنَّ تلكما الرعاية والاهتمام كانتا من أجل المزايا التي كان أخوهم يتمتّع بها. ونلاحظ أنَّ نبينا الكريم حثّ أحد أصحابه على المواساة والمساواة بين ولديه حين رآه يقبّل أحدهما ويُعرض عن الآخر.

نوادر الراوندي: بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال قال علي

(١) مناقب آل أبي طالب – ابن شهر آشوب ٣: ١٧٥.

عليه السلام: «**أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً له ولدان فقبّل أحدهما وترك الآخر**»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فهلاّ واسيتَ بينهما**»[١].

عن أبي هريرة، قال: اصطرع الحسن والحسين عليهما السّلام، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إيهاً حسن**»! فقالت فاطمة عليها السّلام: يا رسول الله! تقول: «**إيهاً حسن وهو أكبر الغلامين**»؟! فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**أقول: إيهاً حسن، ويقول جبرئيل: إيهاً حسين**»[٢].

عن الصادق، عن آبائه عليهم السّلام، قال: «**دخل النبي صلّى الله عليه وآله ذات ليلة بيت فاطمة عليها السّلام ومعه الحسن والحسين عليهما السّلام، فقال لهما النبي صلّى الله عليه وآله: قوما فاصطرعا. فقاما ليصطرعا – وقد خرجت فاطمة عليها السّلام في بعض خدمتها– فدخلت فسمعت النبي صلّى الله عليه وآله وهو يقول: إيهاً يا حسن! شدّ على الحسين فاصرعه. فقالت له: يا أبه، واعجباه! أتشجّع هنا على هذا، تشجّع الكبير على الصغير؟ فقال لها: يا بنية، أما ترضين أن أقول أنا: يا حسن، شدّ على الحسين فاصرعه، وهذا حبيبي جبرئيل يقول: يا حسين! شدّ على الحسن فاصرعه**»[٣].

ونلاحظ في حديث آخر أنَّ الزهراء عليها السلام ساوت بين ولديها فحلّت كل واحد منهما بقلب (أي سوار) من فضّة. قال ابن الأثير في النهاية في باب القاف مع اللام:... وفي حديث ثوبان: «**إِنَّ فاطمة عليها السّلام حلّت الحسن والحسين عليهما السّلام بقلبين من فضة**»[٤].

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي ١٠١: ٩٧.

(٢) الأمالي للطوسي ٢: ١٢٧.

(٣) بحار الأنوار ١٠٠: ١٨٩ / ح ١، عن الأمالي.

(٤) النهاية لابن الأثير ٣: ٩٨.

أخرج ابن الأثير عن أبي داود الطيالسي حدثنا أبو عمر بن ثابت بن المقدام عن أبيه عن أبي فاختة قال قال علي: زارنا رسول الله صلى الله عليه (وآله)وسلم فبات عندنا والحسن والحسين نائمان، فاستسقى الحسن فقام رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم إلى قربة لنا فجعل يعصرها في القدح ثم جاء يسقيه فتناوله الحسين ليشرب، فمنعه رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وبدأ بالحسن، فقيل: يا رسول الله كأنَّه أحبهما إليك! فقال: «**لا، ولكنه استسقى أول مرة. ثم قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: يا فاطمة إنِّي وإياك وهذان وهذا الراقد - يعني علياً - في مكان واحد يوم القيامة**»(١).

الزهراء عليها السلام تطلب من أبيها أن ينحل ولديها من خصاله

وفي مشهد آخر نجد الزهراء عليها السلام حريصة على تطبيق المساواة بين أولادها، فقد طلبت من أبيها أن يورث كلاً منهما شيئاً من خصاله.

فقد روي أنَّه أتت فاطمة بابنيها الحسن والحسين عليهما السّلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله في شكواه التي توفي فيها، فقالت: «**يا رسول الله، هذان ابناك ورّثهما شيئاً**». فقال: «**أما الحسن فإنَّ له هديي وسؤددي، وأما الحسين فإنَّ له جودي وشجاعتي**»(٢).

وفي ربيع الأبرار:... جاءت فاطمة عليها السّلام بابنيها إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالت: «**يا رسول الله، أنحلهما**». قال: «**فداك أبوك، ما لأبيك مال فينحلهما**». ثم أخذ الحسن عليه السّلام فقبّله وأجلسه على فخذه اليمنى وقال: «**أما ابني هذا فنحلته خُلقي وهيبتي**»، وأخذ الحسين عليه السّلام فقبّله ووضعه على فخذه اليسرى وقال: «**نحلته شجاعتي وجودي**»(٣).

(١) أسد الغابة ٥: ٢٦٩.

(٢) الإرشاد للمفيد ٢: ٧.

(٣) ربيع الأبرار للزمخشري ٣: ٥٣٨.

وعن زينب بنت أبي رافع: أنَّ فاطمة عليها السّلام أتت بابنيها الحسن والحسين عليهما السّلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وقالت: «**انحل ابنيّ هذين يا رسول الله**»- وفي رواية: هذان ابناك، فورّثهما شيئاً-. فقال: «**أما الحسن عليه السّلام فله هيبتي وسؤددي، وأما الحسين عليه السّلام فإنَّ له جرأتي وجودي**».

وفي كتاب آخر: إنَّ فاطمة عليها السّلام قالت: «**رضيت يا رسول الله**»[1].

مداراة الصغار وإظهار المحبة لهم

عن أبي هريرة، قال: وقف رسول الله صلّى الله عليه وآله على بيت فاطمة عليها السّلام فسلّم، فخرج إليه الحسن أو الحسين عليهما السّلام. فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إرق بأبيك؛ أنت عين بقّة؛ (و) أخذ بإصبعيه فرقى على عاتقه. ثم خرج الآخر- الحسن أو الحسين عليهما السّلام- مرتفعة إحدى عينيه. فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: مرحباً بك، أنت عين البقّة (و) أخذ بإصبعيه فاستوى على عاتقه الآخر؛ وأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله بأقفيتهما حتى وضع أفواهما على فيه، ثم قال: اللهم إنِّي أحبّهما فأحبّهما وأحبَّ من يحبهما**»[2].

روى عن الترمذي في صحيحه، يرفعه عمن يسنده إلى أنس بن مالك، قال: سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله: أيّ أهل بيتك أحب إليك؟ قال: «**الحسن والحسين عليهما السّلام**». وكان يقول لفاطمة عليها السّلام: «**ادعي لي ابنيّ؛ فيشمّهما ويضمّهما إليه**»[3].

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٩٦؛ المعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٤٢٣.

(٢) المعجم الكبير ٣: ٤٩ / ح ٢٦٥٢.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٣٢٣ / ح٣٨٦١.

التصابي للصغار

التصابي للصغار وملاعبتهم من الأُمور التي تحبّب الأب لصغاره وتوثّق أواصر المحبّة والتفاهم بينهم، وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله «**مَن كان له صبي فليتصابى له**»[(١)]؛ وقد روى ابن المغازلي عن جابر قال: دخلت على النبي والحسن والحسين على ظهره ويقول: «**نِعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما**»[(٢)]. وروى ابن شهر آشوب عن ابن نجيح قال: كان الحسن والحسين يركبان ظهر النبي ويقولان: حل حل، ويقول: «**نِعم الجمل جملكما**». وأخرج ابن شهر آشوب عن السمعاني في الفضائل عن أسلم مولي عمر عن عمر بن الخطاب قال: رأيت الحسن والحسين على عاتقي رسول الله، فقلت: نِعم الفرس لكما، فقال رسول الله: «**ونعم الفارسان هما**».[(٣)] وكانت الزهراء عليها السلام - تنقز الحسن بن علي وتقول «**بأبي شبه النبي * ليس شبيهاً بعلي**»[(٤)].

الزهراء عليها السلام تمضغ الطعام لأطفالها الصغار

يحتاج الطفل بعد فترة إلى رفد حليب الأم بأنواع أخرى من الطعام، لسدّ احتياجات البدن المتزايدة خلال فترة النموّ، وتمهيداً لإيصال الطفل إلى مرحلة الفطام، وكانت الزهراء عليها السلام ترعى أولادها، حتى إنها لم تنقطع عن رعايتهم خلال شهر رمضان المبارك، حيث كانت تمضغ الطعام وتلقمه لصغيرها دون أن تبتلع منه شيئاً بطبيعة الحال.

أخرج الفيض الكاشاني عن الكليني في الكافي، عن أبي عبد اللهّ عليه السّلام قال:«...

(١) الجامع الصغير للسيوطي ٢: ٦٣٩/ ح ٨٩٧٥.

(٢) مناقب ابن المغازلي: ص٣٠٤/ ح٣٨١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٥٨.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٣: ١٧٦.

وسُئل عن المرأة يكون لها الصبي وهي صائمة فتمضغ الخبز وتطعمه؟ قال: لا بأس، والطير إن كان لها».[١]

وروى الكليني بإسناده عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن فاطمة صلوات الله عليها كانت تمضغ للحسن ثم للحسين صلوات الله عليهما وهي صائمة في شهر رمضان»[٢].

الزهراء عليها السلام تعلّم صغارها مداراة المريض

عادت الزهراء ومعها الحسنان عليهم السلام رسول الله حين مرض، فلمّا أحسّت الزهراء عليها السلام أنَّ رسول الله يحتاج إلى الراحة، لأنَّه لم يستفق حين غمز الحسنان بدنه الشريف، بادرت إلى الخروج ووعدت الحسنين أن يعودا لزيارة جدّهما حين يفيق من نومه.

قال علي بن الحسين عليه السّلام: «مرض النبي صلّى الله عليه وآله المرضة التي عوفي منها، فعادته فاطمة سيدة النساء عليها السّلام ومعها الحسن والحسين عليهما السّلام، قد أخذت الحسن عليه السّلام بيدها اليمنى، وأخذت الحسين عليه السّلام بيدها اليسرى وهما يمشيان وفاطمة عليها السّلام بينهما حتى دخلوا منزل عائشة. فقعد الحسن (عليه السلام) على جانب رسول الله صلى الله عليه وآله الأيمن، والحسين عليه السلام على جانب رسول الله صلى الله عليه وآله الأيسر. فأقبلا يغمزان ما بينهما من بدن رسول الله صلّى الله عليه وآله، فما أفاق النبي صلّى الله عليه وآله من نومه. فقالت فاطمة للحسن والحسين عليهم السّلام: حبيبيّ، إنَّ جدّكما أغفى، فانصرفا ساعتكما هذه ودعاه حتى يفيق وترجعان إليه» - الحديث[٣].

---

(١) الوافي: ١١: ١٩٩/ ح ١٠٦٨٤.

(٢) الكافي ٤: ١١٤.

(٣) أمالي الصدوق: ص ٣٦٠ / ح ٨ / المجلس ٦٨.

الزهراء عليها السلام تحمي أطفالها

روي عن عليٍّ عليه السّلام أنَّه قال: «**عطش المسلمون عطشاً شديداً. فجاءت فاطمة عليها السّلام بالحسن والحسين عليهما السّلام إلى النبي صلّى الله عليه وآله، فقالت: يا رسول الله! إنَّهما صغيران لا يحتملان العطش. فدعا الحسن عليه السّلام فأعطاه لسانه، فمصّه حتى ارتوى. ثم دعا الحسين عليه السّلام فأعطاه لسانه، فمصّه حتى ارتوى**»[١].

الزهراء عليها السلام وملاعبة الأولاد

ملاعبة الطفل ومناغاته في مرحلة الطفولة من الأُمور التي تبعث في نفسه الطمأنينة، وتقوّي ارتباطه العاطفيّ بأمّه. ويعتبر حِجر الأمّ هو المدرسة الأُولى التي يتلقّى فيها الطفل دروسه الأُولى في الحياة، والمهد الذي تتكوّن فيه شخصيّته. ومَن من الناس بإمكانه أن يُنكر ذكريات الطفولة ودورها في تشكيل شخصيّته. ونشاهد أنَّ الزهراء عليها السلام - كما يروي أحمد في المسند بإسناده عن ابن أبي مليكة - كانت تنقز الحسن بن علي وتقول:

بأبي شبه النبي ليس شبيهاً بعليّ[٢]

وأخرج العلامة أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي[٣] أنَّ الحسن بن علي بن أبي طالب كانت أمُّه فاطمة إذا رقصته في صغره تقول:

بأبي شبه أبي غير شبيه بعلي[٤]

وأخرج ابن شهر آشوب أنَّ فاطمة عليها السلام كانت تُرقص ابنها حسناً عليه

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ١٥٦؛ بحار الأنوار ٤٣: ٢٨٣ / ح ٤٩.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢٨٣.

(٣) لطائف المعارف: ص٩١.

(٤) شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي ١١: ١٠٠.

السلام وتقول:

أشـبِــهْ أبـــاكَ يـا حســنْ   واخـلــع عــن الحــق الـرســن
واعـــبـــدْ إلهـــاً ذا مــنــن   ولا تـــوالِ ذا الإحــــن[1]

قال المجلسي في شرح كلامها عليها السلام: (قولها عليها السلام: «**واخلعْ عن الحقّ الرسن**»: «**الحقّ بفتح الحاء فيكون كناية عن إظهار الأسرار، أو بضمّها بأن يكون جمع حُقّة بالضم أو بالكسر وهو ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين، فيكون كناية عن السخاء والجود، أو عن التصرف في الأُمور والاشتغال بالاعمال، فإنَّ تسريح الإبل تدبير لها، وموجب للاشتغال بغيرها**».[2]

الدروس المستخلصة:

لا يماري أحد في حقيقة أنَّ مصير كلّ فرد من الأفراد يعتمد في جذوره على الخصال الروحية للأفراد الذين عاشرهم في طفولته، وأنَّ للأمِّ باعتبارها أقرب الناس إلى الفرد دوراً مهماً في تعيين وتشخيص مسيرة الفرد اللاحقة. فمهد الأمِّ وأحضانها والمحيط الذي تشكّل الأمُّ أحد أركانه يعدّ نقطة البداية في سعادة الفرد أو شقائه المستقبليّ. ويعتبر كثير من علماء النفس أنَّ الطفل أشبه بالمادة الأوليّة اللينة الطيّعة التي بإمكان الأمِّ أن تصوغها بالطريقة التي تشاء.

ونلاحظ أنَّ فاطمة الزهراء عليها السلام قد استخدمت - خلال تعاملها العاطفي والمنطقي مع أطفالها - أدوات دقيقة قام الكثير من خبراء النفس المعاصرين بدراستها

(١) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب ٣: ١٥٩.
(٢) بحار الأنوار ٤٣: ٢٨٨.

وتحليلها وآمنوا بجدواها وصدق نتائجها. ولا شك أنَّ هذا النجاح الكبير في تربية الأطفال ناشيء من المعرفة العميقة الشاملة الإسلاميّة للإنسان. وعلينا الإذعان بأنَّ أي مدرسة فكرية ستكون موفّقة في نظامها التربوي الذي تتبنّاه بالقدر نفسه الذي تمتلكه من المعرفة العميقة الصائبة للإنسان. ولذلك نجد أنَّ الإسلام - وهو الدين الإلهي السماويّ - حين تعامل مع الإنسان تعاملاً مستنداً إلى معرفة أكمل للإنسان وأكثر واقعيّة، قد توصّل إلى أفضل النتائج في نظامه التربويّ للأجيال التي عاصرته.

وإنَّ أحد العوامل المؤثرة في تشكيل شخصية أبناء الزهراء عليها السلام هو العامل الوراثي، فقد كانت الأمُّ في هذه العائلة الكريمة تمتلك مقام العصمة، وكان وجودها مطهراً من الرجس، مبرّأً من الدنس، وقد جاءت الإشارة إلى هذه الحقيقة في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: (أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة، لم تنجّسك الجاهليّة بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها). وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى هذه الحقيقة في خطبته يوم عاشوراء، في قوله عليه السلام «**هيهات منّا الذِّلَّة! أبى اللهُ ذلك لنا ورسولُه والمؤمنون وجدودٌ طابت وحجورٌ طهُرتْ وأنوفٌ حميّة ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعةَ اللئام على مصارع الكرام**». وفي الحقيقة يمكن القول أنَّ عاشوراء كانت حاصلاً من نتائج تربية الزهراء عليها السلام، أو القول أنَّ عاشوراء جسّدت المصادقة الإلهيّة على الأُسلوب التربوي للصديقة الكبرى عليها السلام.

المحتويات

الفصل الرابع

الفصل الخامس

